د . عصام علي أحمد

سلطنة المماليك البحرية

648 - 784 هـ (1250 - 1382م)



عصام بن علي بن أحمد

سلطنة المماليك البحرية في مصر والشام وبلاد الحجاز

الكنز المفقود بين رواية شهود وروعة المشهود

نور العلم للتراث المملوكي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله الذي أصطفى الإسلام بملابس الشرف ، وأظهر بهجة درره وكانت خافية بما أستحكم عليها من الصدف ، وشيدها حتى أنسى ذكر ما سلف ، وقيد لنصره ملوكاً أتفق على طاعتهم من أختلف .

أحمده على نعمه التي رتعت الأعين منها في الروض الأنف ، وألطافه التي وقف الشكر عليها فليس عنها منصرف .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة توجب من المخاوف أمناً ، وتسهل من الأمور ما كان حزناً .

وأشهد أن محمداً عبده الذي جبر من الدين وهنا ، ورسوله الذي أظهر من المكارم فنوناً لا فناً ، صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحت مناقبهم باقية لا تفنى ، وأصحابه الذين أحسنوا في الدنيا فأستحقوا الزيادة من الحسنى .

(فخر الدين بن لقمان)

أما بعد . . . .

فإن الله عز وجل قد أنعم على هذة الأمة في منتصف القرن السابع الهجري بفئة من المماليك الترك قاموا بحماية الأرض والعرض .

" صان الله بهم حمى الإسلام من أن يتبدل ، و حفظ على المسلمين بعزهم نظام هذه الدول ، وبسيفهم أثر في قلوب الكافرين قروحا لا تندمل ، وبعزمهم رجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه في الأيام الأوَّل . فأيقظوا لنصرة الإسلام جفناً ما كان غافياً

ولا هاجعاً ، وكانوا في مجاهدة أعداء الله أئمة متبوعين لا تابعا ، وأيدوا كلمة التوحيد فما تجد في تأييدها إلا مطيعاً سامعاً .

فلو شاهدت قبلهم أعداء الإسلام حين دخلوا دار السلام ، وأستباحوا الدماء والأموال ، وقتلوا الرجال والأبطال والأطفال ، وهتكوا حرم الخليفة والحريم ، وأذاقوا من أستبقوا العذاب الأليم ، فأرتفعت الأصوات بالبكاء والعويل ، وعلت الضجات من هول ذلك اليوم الطويل . فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه ، وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه

فقاموا بنصر الأسلام عند قلة الأنصار ، وشردوا جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار فأصبحت الأمة بهم منتظمة العقود ، والدولة بجهدهم متكاثرة الجنود . وقاتلوا أولياء الشيطان فظفروا ، فحينئذ أعلموهم بأن الحرب سجال والعاقبة للمتقين ، والدهر يومان والأخرة للمؤمنين .

(الخليفة ابو العباس أحمد)

فبعد استيلاء المغول على بغداد تم تدمير المدينة وهدم مبانيها وحرق مكتباتها وتم القضاء على الخلافة العباسية , ومما زاد الأمر سوءا زحف المغول على بلاد الشام وأستيلائهم على حلب ودمشق مما أشعر المماليك بالخطر المحدق بهم فتوحدوا وتغلبوا على قوات المغول في عين جالوت ثم ركزوا جهودهم لمقاومة الفرنجة وقاموا بتوجيه ضربات قوية لمراكزهم المتبقية في الشام حتى حرروها جميعا

لقد منح هذا النصر الذي تحقق على المغول والصليبين الشرعية الرسمية والشعبية للمماليك وأضحوا حينذاك حماة الأسلام فزاد نفوذهم وهيبتهم وأصبحوا القوة الرئيسية الأسلامية في الشرق ، فحينئذ تبدلت المواقف .

لم تَكمن عظمة المماليك فقط في هزيمتهم **للتتار** في **عين جالوت وغزة وحمص ومرج الصفر والأبلستين** .

ولم تتوقف عظمة المماليك أبداً عند إذلالهم للصليبيين في المنصورة وساحل الشام وقبرص وأرمينيا وفي بلاد الخوارزميين .

بل ما زالوا يبكون على ما فعله بهم الظاهر **بيبرس** في **أنطاكية وقيسارية وحيفا ويافا وكيليكيا** ، وحروب أنتهت بوقوع أكثر من مائة ألف أسير .

وأرحمهم يا تاريخ إذا تذكروا يوما ما قام به **المنصور قلاوون** وأبنائه **محمد وخليل** في **عكا وحصن المرقب واللاذقية وطرابلس وبيروت** ، **وصور وصيدا وشقحب** ، حتى أنقلبوا على أعقابهم صاغرين .

وأرحمهم يا تاريخ إذا علموا ما فُعل بملك **قبرص** في شوارع **القاهرة** على يد **برسباي** ملك البرين والبحرين .

فاللهم ثبت أفئدتهم حتى يصبروا على ما جرى لأهلهم إذا قَلَّبَ التاريخ صفحاته وذَكَّرَهم برجال ليسوا بأذلة أو خائبين .

لقد كانوا سادة يدبرون الممالك ، وقادة يجاهدون في سبيل **الله** ، وأهل سياسة يبالغون في إظهار الجميل ، ويردعون من جار أو تعدَّى وهذا ليس من قبيل الصدفة فرحم **الله الملك الصالح أيوب** الذي جاء بهم لأرض مصر ثم تبعة الملوك والأمراء فكانوا حقا نعم مجلوب

لقد كان الملوك تُعنى بهم غاية العناية ، فلقد كان الملك المنصور قلاوون ينزل من القلعة في غالب أوقاته إليهم عند إستحقاق حضور الطعام ، ويمر عليهم ، ويتفقد لحمهم ويختبر طعامهم في جودته ورداءته ، فمتى رأى فيه عيباً أشتدّ على المشرف والإستادار ونهرهما ، وكان رحمه الله يقول :

"كلّ الملوك عملوا شيئاً يُذكرون به ما بين مال وعقار ، وأنا عمّرت أسواراً وعملت حصوناً مانعة لي ولأولادي وللمسلمين وهم المماليك " .

وكانت للمماليك النشء عادات جميلة ، أوّلها أنه إذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطان ، وأنزله في طبقات جنسه وسلمه للطواشيّ فأوّل ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم ، وكانت كلّ طائفة منهم لها فقيه يحضر إليها كل يوم ، ويأخذ في تعليمها كتاب الله -تعالى- ، ومعرفة الخط ، والتمرن بآداب الشريعة ، وملازمة الصلوات والأذكار فإذا شبّ الواحد منهم علّمه الفقيه شيئاً من الفقه ، حتى إذا صار إلى سنّ البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمي السهام ، ولعب الرمح ونحو ذلك ، فيتسلم كلّ طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج إليه .

كانوا إذا ركبوا إلى لعب الرمح أو رمي النُّشاب ونحو ذلك ، لا يجسر جند ، ولا أمير أن يحدّثهم أو يدنو منهم ، ثم ينقل إلى الخدمة وينتقل في أطوارها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء ، فلا يبلغ هذه الرتبة إلا وقد تهذّبت أخلاقه ، وكثُرت آدابه ، وأمتزج تعظيم الإسلام وأهله بقلبه ، وأشتدّ ساعده في رماية النشاب ، وحسن لعبه بالرمح ، ومرن على ركوب الخيل ، ومنهم من يصير في رتبة فقيه عارف ، أو أديب شاعر ، أو حاسب ماهر ، هذا ولهم أزمَّة من الخدّام ، وأكابر من رؤوس النوب يفحصون على حال الواحد منهم الفحص الشافي ، ويؤاخذونه أشدّ المؤاخذة ، ويناقشونه على حركاته وسكناته ، فإن عثر أحد من مؤدبيه الذي يعلّمه القرآن ، أو الطواشيّ الذي هو مسلَّم إليه ، أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه ، على أنه اقترف ذنباً ، أو أخلّ برسم ، أو ترك أدباً من آداب الدين أو الدنيا ، قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه .

ولم تكن عظمة المماليك فقط في أهتمامهم بالعلم حتى ورثنا علم ابن حجر وابن تيميه

وابن القيم والذهبي والنووي و العيني وابن النفيس والسيوطي والمناوي والسخاوي والمقريزي وابن تغري بردي وابن اياس وابن خلدون والبلقيني ، وابن كثير .

فلم تكن حركة التأليف والتصنيف حدثا عابرا في تاريخ الدولة المملوكيه بل هي وليدة جذور عريقة ودوافع كبرى أدت إلى هذا الثراء أبرزها السياسه ألتي اتبعها سلاطين بني أيوب في حسن التربية التي أولوها لمماليكهم في مختلف الميادين الدينية والسياسية والأجتماعية والعلمية فأصطبغت الصورة بكثير من الألوان الزاهية تطالعك حيثما توجهت أو قلبت النظر .

مابين إزدهار فكري في شؤون الدين والعبادة وإهتمام متزايد في اللغة وقواعدها ومعاجمها وشروحها وبيانها وعروضها وقرآن كريم وعلومه " قراءات وتفسير " وحديث وسنة وفقه على مذاهبه المختلفه , وتاريخ وعلم إجتماع وأداب وعلوم إنسانيه , إلى عناية بالشؤون الفنية والعلمية من فلك وطب وهندسة وحرف مختلفة وعمارة .

لذا أصبح العصر المماليكي (عصر التأليف الموسوعي) .

ألف كُتَّاب العصر المملوكي آثارهم وصنفوها بموضوعية علمية ومنهجية سديدة , وشمولية في شتى الفنون إليك بعضها :

(في علوم القرآن) :

- تفسير القرآن العظيم - **لأبن كثير** .
- البحر المحيط – **للغرناطي** .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل **للبيضاوي** .
- الجامع لاحكام القران **للقرطبي** .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور **للسيوطي** .

- المواهب اللدنيه في المنح المحمديه **للقسطلاني** .
- الاتقان في علوم القران **للسيوطي** .
- التبيان في أقسام القرآن **لإبن القيم** .

(علم الحديث والسيرة) :

- الكواكب الدراري في شرح البخاري **لشمس الدين الكرماني** .
- فتح الباري في شرح البخاري **لإبن حجر العسقلاني** .
- إرشاد الساري إلى شرح البخاري **لشهاب الدين القصطلاني** .
- عمدة الأحكام من كلام خير الأنام **للحافظ المقدسي** .
- زاد المعاد في هدي خير العباد **لإبن القيم** .
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر **لإبن حجر العسقلاني** .
- السيره النبويه **لإبن كثير** .

(علم التراجم)

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان **لابن خلكان** .
- الوافي بالوفيات **لابن أيبك الصفدي**
- المنهل الصافي **لابن تغري بردي** .
- الإصابه في تمييز الصحابه **لابن حجر العسقلاني** .
- رفع الاصر في قضاة مصر **للعسقلاني** .
- تاريخ سير أعلام النبلاء **للذهبي** .

(الجغرافيا)

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر **لشمس الدين الدمشقي** .

- تقويم البلدان **لابي الفداء بن أيوب** .
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب **لابن وردي** .
- مسالك الأبصار في ممالك الامصار **لابن فضل الله العمري** .
- عجائب المخلوقات **للقزويني** .

(علوم اللغه)

- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب **لابن هشام** .
- المزهر في اللغه **للسيوطي** .
- شذور الذهب **لابن هشام** .
- شرح ابن عقيل (الألفيه)
- تهذيب الأسماء واللغات **للنووي** .
- مغني اللبيب عن كتب المعاريب
- شذور الذهب ، **لابن هشام المصري** .
- الأشباه والنظائر في النحو **للسيوطي**

(المعاجم)

- لسان العرب **لابن منظور** .
- القاموس المحيط **للفيروز أبادي** .
- المصباح المنير **للفيومي** .
- كتاب التعريفات **للجورجاني**
- مختار الصحاح **للرازي**

(البلاغه)

- نصرة الثائر على المثل السائر **لصلاح الدين الصفدي** .
- المصباح في علوم المعاني والبديع **لابن مالك** .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء **للقرطجاني** .
- الأقصى القريب في علم البيان **للتنوخي** .
- مطالع البدور في منازل السرور **للغزولي** .

(التاريخ)

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان **لبدر الدين العيني** .
- النجوم الزاهره في ملوك مصر والقاهرة **لابن تغري بردي** .
- نزهة النفوس في تواريخ أهل الزمان **للخطيب الجوهري** .
- البدايه والنهايه **لابن كثير** .
- تاريخ الدول والملوك **لابن الفرات** .
- حسن المحاضره في أخبار مصر والقاهره **للسيوطي** .
- المواعظ والاعتبار في الخطط والاثار **للمقريزي** .
- وفيات الأعيان ، **لشمس الدين ابن خلكان** .
- تاريخ الإسلام **للذهبي** .
- بدائع الزهور في وقائع الدهور **لإبن إياس الحنفي** .
- الضوء الامع لأهل القرن التاسع **للسخاوي** .

(الآداب والعلوم الانسانيه)

- نهاية الأرب في فنون الأدب **للنويري** .
- صبح الأعشى في صناعة الأنشاء **للقلقشندي** .

- حياة الحيوان الكبرى **للدميري** .
- المستطرف في كل فن مستظرف **للأبشيهي** .
- التذكره الصلاحيه **للصفدي** .
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين **لابن قيم الجوزيه** .
- حاوي الفنون وسلوة المحزون **لإبن الطحان** .

(في الطب)

- الشامل في الصناعه الطبيه **لإبن النفيس** .
- موجز القانون في الطب **لإبن النفيس** .
- شرح فصول ابقراط **لإبن النفيس**
- شفاء الاسقام ودواء الألام **لحاجي باشا الايديني** .

ولوتركنا لقلمنا أن يدون أسماء الكتب والمصنفات ذات المنحنى الموسوعي لما توقف ولاحتجنا كتب ومصنفات تضم الأسماء والعناوين فقط لمؤلفات العصر المملوكي .

بل ويعتبر العصر المملوكي هو العصر الذهبي للطب في التاريخ الإسلامي وهذه حقيقة يجهلها الكثيرون فكان هناك وفرة في الأطباء والبيمارستانات وفي العلماء من مختلف التخصصات ومنهم :

- الطبيب علي بن أبي الحزم :

المشهور **بابن النفيس** (**1210– 1288**) الذي لمع إسمه في مارستان المنصور قلاوون بالقاهرة ، وقد ألف في الطب ما لا يقل عن أربعة عشر كتابا من أهمها كتاب **الشامل في الطب** ، وهو " **موسوعة ضخمة تضاهي كتاب الحاوي للرازي** " وقد إهتدى هذا الطبيب النابه إلى حقيقة الدورة الدموية الصغرى في كتابه **(شرح تشريح القانون)** وذلك

قبل أن يكتشفها الأوربيان : **ميشيل سرفتسن (1511 – 1553) وريالدو كولونبد** **سنة 1559** فسبقهما إلى ذلك بقرابة ثلاثة قرون . وبقي نتاجه العلمي مطروحا في المكتبات مئات السنين لم يعلم خلالها العلماء قيمة عمله وإنتاجه إلا في أواخرها .

الطبيب صدقة بن إبراهيم المصري الشاذلي :

كان من ألمع أطباء العيون . عاش في مصر خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، وألف كتابا في مرض الرمد عنوانه **"كتاب العمدة الكحلية في الأمراض البصرية "** .

ويعتبر هذا الكتاب من المؤلفات الممتازة لشموله وأصالته النسبية .

أتبع في تأليفه منهجا علميا ما زال إلى اليوم ينهج على منواله أطباء هذا العصر والجدير بالذكر أن الدكتور **هيرشبرج** المستشرق المشهور بدراساته كتب رسالة مسهبة في تحليل فصول كتاب **صدقة** تحليلا وافيا .

طبيب الدولة يعقوب بن أسحاق بن القف (ت حوالي 1289) :

وهو من تلاميذ ابن أبي أصيبعة ومن أهم مؤلفاته : **كتاب الجامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض** ، ورسالة في الجراحة عنوانها : " **كتاب العمدة في صناعة الجراحة** " وهي مقسمة إلى جزأين أحدهما نظري والآخر عملي ، وله أيضا "**كتاب الأصول في شرح الفصول** " الذي اعتمد فيه على **أبقراط** .

سعيد بن منصور بن سعد :

الذي أشتهر **بابن كمونة الأسرائيلي** وهو فيلسوف وطبيب وكيمائي .

لمع في منتصف القرن **13** وأعتنق الإسلام وألف شتى الرسائل في الحكمة , وله رسالة في الرمد عنوانها " **الكافي الكبير** " وأخرى في الكيمياء عنوانها " **تفتيح الأبحاث عن الملل الثلاث** "

محمد بن إبراهيم المعروف بابن الدهاء الجرائحي :

كان من ألمع أطباء عصر المماليك البحرية . مهر طبيبا ومتفلسفا وتطلع إلى الكيمياء فتحدث فيها وصحح أقوال المتقدمين ، وتوفي في **عام 743 هـ / 1342م** .

الكحال شمس الدين بن محمد الدين الشهير بابن الأكفاني :

ويعتبره كثيرون خاتمة أطباء العيون المشهورين في عصر المماليك البحرية توفي **عام 1348** أشتهر بكافة العلوم الطبيعية وفي الرياضيات وعلم الهيئة وعمل طبيبا ومشيرا لناظر بيمارستان قلاوون في القاهرة . وألف كتب شتى منها : **إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد والباب** في الحساب و " **غنية اللبيب عند غيبة الطبيب** " و " **نخب الذخائر في معرفة أحوال الجواهر**" ، وكتاب " **كشف الدين في أحوال أمراض العين** " .

علاء الدين بن عبد الواحد المعروف بابن صغير (ت 1394) :

رئيس الأطباء في مصر وبرع في الطب ووصف بأنه كان أعجوبة دهره .

لم يكتفي العظماء بكل ذلك ، بل أستكملوها بعمارة نطق الحجر فيها ، بل أصبح من الموحدين .

فـ يبقي ما تراه فيما تركه سلاطين وأمراء المماليك في شوارع وأزقة ودروب وحارات القاهرة المملوكية أجمل ما توصل إليه الفنان المسلم عبر كل العصور و فوق كل مكان بين قباب ومآذن ، وأسبلة ومدارس ، وخانقاوات وبيوت وبيمارستانات ، وقلاع وخانات ، ووكالات .

توقف القلم عن وحيه ، وغاب العقل عن وعيه ، وأنتفض القلب يرفرف ويدعوا بالغفران ، لأناس أبدعوا في صناعة تاريخ يبقي ما بقي الزمان .

فإن شئت فأسمع موسيقى أحجار قلاوون ، أو قصائد عمائر الناصر ، وأنصت جيدا

عندما تحدثك بدائع قايتباي وبرسباي ، وبرقوق والغوري وبيبرس والمؤيد ، وشيخو وصرغتمش وحسن وشعبان .

فحقاً إن للدور روح ترفرف حولنا ، تسمعنا ونسمعها ، ونحن على ذلك من الشاهدين .

عند اقترابك من الصرح ووقوفك شامخا أمام عمارة المماليك ستجد بنيانا أشد شموخا يتباهى من كثرة زخرفته ومحتوياته مخاطبا وجدانك ومتكلما لإخبارك بأن منذ قرابة الستمائة عام مر من هنا سادة ملوك الزمان سادة العرب والعجم ملوك البرين والبحرين خدام الحرمين الشريفين وحماة أرض الإسلام في مصر والحجاز والشام .

ارفع رأسك وأنظر في عزة وشموخ أنظر يمين هذا المدخل ستجد ارتدادات لعقود ذات صدور مقرنصه تحتوي على شبابيك شغلت بمصبعات نحاسية يعلوها شمسيات وقمريات مكونة لقندليات بسيطة أو قد تكون مركبة زخرفت بجص معشق زين بزجاج ملون يعلوه إفريز كتابي نقشت عليه بخط ثلث مملوكي أدعية وآيات يتخللها رنك أو خرطوش يحيطهم جميعا جفت ذو ميمات وفوق كل هذا شرافات رافعة يدها إلى السماء تدعو بكل عزة وفخر (**اللهم أعز من أعز الإسلام والمسلمين**) .

ثم بعد صعودك على بسطة السلم مستندا على درابزينه الذي يزينه البابات وقبل مرورك من فوق عتبة الباب ووصولك إلى الحجر والدركاة قف هنيهة ستجد مكسلتين يمينا ويسارا أعلاهما شريطا كتابيا يحمل أدعية وآيات والنص التأسيسي وربما ألقاب للأمير أو السلطان يطلق عليه عضاضة انظر إلى أعلى غض طرفك عن العقد المدائني ومقرنصاته تمهل فقبل وصولك إلى الجمال جمالا , فوق مصراعي الباب

المصفح أو المكفت والذي يزينه الطبق النجمي أمور لعل أقلها ما يمتع البصر والفؤاد فتحة باب يعلوها عتب مستقيم محدد بإطار مستطيل يعلوه عقد عاتق يتخلله نفيس يعلوه صنج معشقة وربما أحتضنه رنك أو خرطوش ويعلو ذلك شباكا صغيرا مستطيلا عليه مصبعات وضع لكي يكون شباكا لإنارة الدركاة خلف الباب .

أطلق نظرك فأنت أمام مقرنصات ودلايات تتدلى من عقد مدائنى محلى عجزت عيون الأنام عن وصفه أو الإتيان بمثله وأحيطوا كلهم جميعا بجفت لاعب ذي ميمه

أما الآن فادخل إلى بيت الله فأنت في أمان ولكن لا تنسي أن تدعوا للسلطان فهو لم ينس أن يكتب على الباب عز لمولانا السلطان في مشهد بديع يخطف الفؤاد ؛ معلنا خضوعه أمام هذا الجمال .

لقد أسس المماليك دوله إسلاميه رائعة عظيمة خالدة كبيرة مترامية الأطراف شملت مصر وبلاد الشام والحجاز وأمتد حكمهم على مدى أكثر من قرنين ونصف من الزمان .

تخلل هذه الفترة مراحل الجهاد الأسلامي للدفاع عن الدين والأرض ضد الأخطار التي هددت المنطقه من الصليبين والأرمن والمغول والغرب الأوربي أحيانا .

أحرز المماليك بإسم الأسلام إنتصارات باهره فمازالت أسماء مواقع عين جالوت , ومرج الصفر ، والمنصورة وفارسكور ، وأنطاكية ، وطرابلس ، وعكا حية في التاريخ تشهد لهم بالبطولة والشجاعة والفداء وقد تحققت هذه الإنتصارات بفضل جيوشهم الأكثر إعدادا والأدق تنظيما .

ثم إن المماليك أرسوا نشاطا دينيا وعلميا خصبا صحب إنتقال الخلافة من بغداد إلى القاهرة ، ظهر أثره في مصر والشام ، من خلال إحياء شعائر الدين وإقامة المنشئات

الدينيه والرغبه الجامحة في الإقبال على التعليم والتأليف والكتابة .

فالدولة المملوكيه ، من أغنى الدول بحكامها الأقوياء أمثال قطز وبيبرس وقلاوون والناصر محمد وبرقوق وبرسباي وقايتباي الذين أسسوا دولة واسعة الأرجاء قضت على بقايا الصليبين وأوقفت الزحف المغولي على بلاد المسلمين ، وخطب ودها ملوك أوروبا وآسيا آنذاك .

أنتقل في عهدها مقر الخلافه من بغداد إلى القاهرة ، وطبعت البلاط المملوكي بنظام خاص لم يكن موجودا من قبل ، ونظمت الدواوين ، وحددت اختصاصات كبار الموظفين ، وأسست أول جيش نظامي في مصر في العصور الوسطى ، وحفل عهدها بقضاة ضربوا أروع الأمثله في الإعتداد بالرأي وبمورخين أغنوا المكتبة الأسلامية بنتاجهم الغزير أمثال **إبن عبدالظاهر ، والمقريزي وابن تغري بردي والسخاوي والسيوطي .**

والعصر المملوكي هو العصر الذي أضحت فيه مصر والشام مركزا للتجارة العالمية والطريق الرئيسي لتجارة الشرق وبوابة العبور إلى أوروبا .

لقد تركوا لنا ما يكفي للبرهنة على عظم تاريخهم ومآثر فذة لا يجب بأي حال من الأحوال أن تتوارى في ظلمات التاريخ .

أحتلوا مكانة متميزة فكانوا أعظم الرجال المقاتلين في العالم في زمانهم وعنوانا بارزا لجوهر المقاتل الفارس الذي يصل إلى حد الكمال في مهاراته في إستخدام القوس والرمح والسيف .

(فرسان الاسلام –جيمس واترسون)

فالعصر المملوكي لم يكن عصرا عاديا ، وإنما هو عصر تجلت فيه حركة دائمة على مختلف الأصعدة ، حروب في الخارج ، وتوسع وإنتصارات ترتب عليها تحصين الشرق الأدنى ضد

إعتداءات المغيرين والمغتصبين ، وحياة داخلية حافلة بالمنجزات الإنشائية والعمرانية والاقتصادية والثقافية والدينية .

إننا نرجع إلى الماضي لنستمد منه القوة على السير سعيا إلى الأمام لنربط بين الماضي المجيد والمستقبل المشرق , لنصل مجدنا الجديد بمجدنا التليد, وإننا لنعلم أن الأستغراق في الماضي وحدة نوم وجمود , والأستغراق في المستقبل وحدة هوس وجنون , والأستغراق في الحاضر وحدة عجز وقعود , ونحن نريد أن نستمد من الماضي دافعا وحافزا , ومن المستقبل موجها ومرشدا , ومن الحاضر عمادا وسنادا , ونحن نعلم أن السجين المصفد بالأغلال لا يطلقه تذكر الحرية والتغني بلذاتها , ولكن نعلم أيضا أن السجين الذي ينسى أيام الحرية يألف ويستريح إلى القيد , ونعلم أن الذلة لا تدفع عن الذليل بنظم قصائد الفخر , ولكننا نعلم أن الذليل الذي ينسى عزة أبيه يألف الذل , فلنأخذ من الماضي بقدر ما يدفع ويرفع وينفع.

(الصلابي – عين جالوت)

ونسيج هذا الكتاب من صيد الكتب ومن در صدفاته , غصت في مظان الجواهر المتعلقة بموضوعه فجمعت اثمنها , وعطرت هذا النسيج برياحين المراجع وأريج الدراسات وزينته بفرائد ما جمعه المتقدمون , ووشيته بما انتجه المتأخرون .

عصام بن علي بن أحمد

٢٠٢٤/١٠/٢٠

الباب الأول :
الميلاد والنشأة

"والناس يشبهون أزمانهم
أكثر من شبههم بأبائهم"

(اسحاق عبيد - لعصور الوسطى)



الفصل الأول :
الرقيــــق

مقدمة :

رق أي صار في رق أو أسترقه فهو مرقوق ومرق ورقيق .

وجمع كلمة رقيق أرقاء ولفظة الرقيق من الألفاظ التي تطلق على الشخص الواحد أو المجموعة فالعبد رقيق والعبيد رقيق .

وأسترقاق العبد أي تملكه وجعله عبدا لسبب من أسباب الأسترقاق وبالتالي فان هذا الشخص يحرم من حريته ويكون ملكا لغيره .

(ابن منظور لسان العرب 124/10)

والمسلم المولود لأبوين حرين لا يمكن إسترقاقه بأي حال من الأحوال وإنما جعل الرق على من كانوا حربا على الإسلام والمسلمين وبشروط معينه وثابتة .

(القرطبي بداية المجتهد ونهاية المقتصد 397/1)

لقد عرف الرق بين البشر منذ أزمنة قديمة فقد وجد عند المصريين القدماء والصينيين والهنود واليونانيين والرومان والآشوريين والبابليين واليهود والنصارى والعرب قبل الاسلام .

(الرق في الاسلام احمد شفيق 270)

لقد عُد الأسترقاق بمثابة تقدم في نوع العلاقات الإنسانية والإجتماعية وهو بمثابة بديل عن قتل الإنسان لأخيه الأنسان أو أكله كما كانت تفعل الشعوب السحيقة في القدم وهذا أكتفي فقط بالرق .

(قصة الحضارة ديورانت 37/1)

أولا : الرقيق قبل الأسلام :

والحكاية بدأت عندما رحم الإنسان أخيه الأنسان وكف عن قتله وأكتفى فقط بإستعباده بل جعل ذلك حقا مكتسبا وعده تقدما .

فمن حق المحارب المنتصر قتل المقهور فإن أستعبده وأسترقه فذلك منَّة منه وفضل

ورحمة .

(القسيس الفرنسي بوسوبيت)

صار المنتصر يستعبد المغلوب ويستخدمه في الزراعة فالأقوياء المنتصرون ما كان لهم أبدا أن يعتنون بالأرض , ثم سرعان ما صار القوي غنيا فمال للراحة أكثر وأكثر فأشترى الألات وأهتم بالصناعة فما كان منه إلا أن زاد من أستغلال الضعيف وزاد من أستعباده , ثم سعى الأنسان نحو التحضر فزاد تجبره وزاد طغيانة .

يذكر أن في **أرض الرومان وبلاد الأغريق** كانوا يستخدمون العبيد في الأعمال الشاقة , يساوهم بالفرش والأمتعة بل زاد الطين بلة أن راحوا يبيعوهم بالمزادات , كانوا يوقفوهم فوق مكان عالٍ عرايا كيوم ولدتهم أمهاتهم كي يكون ميسراً لمشتريهم أن يفحصهم ويراهم .

أما **الأسبرطيون** فكانوا يستغلون العبيد في الحروب فضلا على أستخدامهم في الخدمة وفلاحة الأرض .

وكان من قبلهم فرعون مصر القديمة " **بيبي الثاني** " يأمر عبيده أن يغطون بالعسل لإبعاد الذباب المزعج عنه .

أما سكان **نهر الرين** فكانوا إذا تزوج أحد منهم برقيقة وقع في الرق والأستعباد وكذلك المرأة اذا تزوجت بعبد فقدت حريتها ونالها العقاب .

وعند **القوط** إذا تزوجت الحرة بعبدها كان عقوبتها أن تحرق وإياه وهما على قيد الحياة .

وكأن العبد ليس له عقل ولا روح أعطوا لسيده الحق فيه حتى الأستحياء والإماتة بل يجوز لمالكه رهنه وإجارته والمقامرة عليه وبيعه وكأنه بهيمة .

لقد كان نظام الرق معروفا عند شعوب الأرض على مر عصورهم وفوق كل أراضيهم عبر

مصدره الرئيسي وهو الأسر في الحروب ثم تطور فشمل القرصنة والأختطاف والبيع والشراء , ثم صار مؤيدا بأقوال أهل العلم والفلاسفة وعلماء الدين , فهذا **أرسطو** يرى أن فريقا من الناس مخلوقين للعبودية يعملون عمل الألات التي يتصرف فيها الأحرار .

حتى **أفلاطون** في جمهوريته الفاضلة يقضي بحرمان الرقيق حق المواطنة ويقضي بإجبارهم على الطاعة والخضوع للأحرار من سادتهم ومن تطاول منهم على سيده أسلمته الدولة إليه ليقتص منه كما يريد ومن قبله أمر **" بولس"** في رسالته الى اهل **أفسيس** :

" أيها العبيد أطيعوا سادتكم"

مثله مثل " **باسيليوس** " الذي حض العبيد على طاعه مواليهم تعظيما **لله** عز وجل , أما **هيرودوت** فقد صاح منذرا :

" اذا عاد العبد لأرتكاب الذنب بعد العقاب فلمولاه أن يعدمه الحياة أو أن يعاقبه بجميع ما يتصور من أنواع العذاب " .

وفي أرض **العرب** كان تجار **قريش ويثرب والطائف** قد أطلعوا إلى حضارات الأمم المجاورة لهم التي أستعملت الرقيق مما جعلهم يدركون قيمة الإستفادة من عمل هؤلاء لاسيما أن بعضهم كان يمتلك الأراضي والإقطاعات .

حتى إن العرب كانوا يتاجرون بالرقيق السود بين أسواق الرومان وبلاد فارس فكان التجار العرب يأتون بالرقيق الزنوج المجلوبون من مناطق شتى خاصة سواحل إفريقيا الشرقية ثم يتم جمعهم في ميناء (**عدو لي**) ثم يقومون بخصي الرجال منهم ثم يحملونهم في سفن إلى مناطق شبة الجزيرة العربية كافة .

كان **العبد الأسود** كفايته محدودة وقابلياته للعمل معينة فضلا عن وفرته وكثرته في الأسواق فصار أرخص من نظيره **الأبيض** .

وفي زمن الحروب الطاحنة بين الفرس والروم وصل إلى مكة الرقيق البيض فأنضموا إلى شاكلتهم مما كان يتم إستيراده من بلاد **العراق والشام** .

ثانيا : الرقيق في الأسلام :

ولت الحضارات القديمة وخبأ كل ضياء , ظلت الدنيا بعد وفاة المسيح عليه السلام تتخبط ولا هاد تنكب رفيع القيم ولا مقوم تتدلى في خلقها إلى الحضيض , تنحدر إنسانيتها حتى تدنت في وهاء الهمجية الفاحشة إنه البلاء الذي لا فكاك منه ولا خلاص , راح كل يلتمس منجاة من شرور الدنيا وآثامها بالفرار منها ويبحث عن الهداية حيث يوجهه فكره أو ترشده سجيته .

راح رجل بمكة متوقد الفكر مرهف الحس يقلب وجهه في السماء يريد إلها يعبده وربا يقدم له الطاعة ويبذل له خلاصة روحه المتأججة , ظل يعاود الغار سنة بعد أخرى ويطيل فيه التحنث ساعة بعد ساعة ويوما في إثر يوم إلى أن هبط عليه ذلك الذي غطه وقال له أقرأ , لم يزل حتى قرأ , لقد قرأ شيئا عجبا ما وعته الدنيا حتى أهتزت له جنباتها وتسامعت به أرجائها وتغيرت له معالمها في حاضرها ومستأنف أيامها , كشفت عنها ما غشاها وأنفتحت منها الأعين على اليقين وأطبقت .

تلك عقيدة الإسلام منحة السماء هبة العناية الربانية إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(عبد العزيز توفيق _ مقدمة حضاره الاسلام)

جاء الإسلام فأشاع بين الناس العدل وثمَّن مبدأ المساواة , بل وجعل عنوان المفاضلة " **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** " .

بلَّغ ذلك نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم لأمته حين قال :

"يا أيها الناس إن ربكم عز وجل واحد وإن أباكم واحد ألا وإن لا فضل لعربي على أعجمي ولا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى "

أعلى الدين العظيم من قيمة **خبَّاب وبلال وسلمان وأنس وزيد بن حارثة** . رغَّب في العتق وجعله عملا مقدسًا :

"من قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة "

"من أعتق رقبة مسلمة , أعتق الله بكل عضو عضوا من النار"

سار التشريع الإسلامي في هذا المجال إلى أبعد الحدود فجعل هزل العتق جدا .

" من قتل عبدا قتلناه "

" من لكم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه "

بل وحررت الأمة بطفلها التي تلده فالمولود في الإسلام يولد حرا .

ولو أستمرت أحوال المسلمين طبقا لما شرعه الأسلام في هذا المجال لصفي الرق في وقت مبكر من تاريخ الانسانيه ولكن حدث ما حدث وكان الذي كان .

(مقدمة كتاب تحفة الترك فيما يجب أن يعمل من الترك)

لقد كان لوقع تولية **أسامة بن زيد** إبن مولى **رسول الله صلى الله عليه وسلم** وهو لم يناهز بعد **الثمانية عشرة** من عمره قائدا لجيش يضم بين أفراده **الفاروق عمر وعلي بن أبي طالب** إبن عم **رسول الله صلى الله عليه** وسلم في عهد **الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه** الأثر الكبير في نفوس المسلمين الذين لطالما أفتخروا أن رابع من أسلم كان عبدا بل إن ذلك **العبد " زيد "** هو الصحابي الوحيد الذي ذكر أسمه صراحة في قرآن المسلمين .

ومن ينسى يوم حصار الطائف حين قال **رسول الله صلى الله علية وسلم** :

" أيما عبد خرج إلينا مسلما فهو حر "

يومذاك خرج إليه سبعة من العبيد فأعتقهم فكانوا يسمون عتقاء **الله وهند بنت عبد المطلب** عمة **رسول الله صلى الله علية وسلم** , أعتقت في يوم واحد ما يقارب الأربعين رقبة من العبيد الرقيق .

لقد حض الأسلام كثيرا على رفع قيمة الأنسان وحفظ حقوقه ودائما أبدا ما كان يرفع من شأن الرقيق ولكن . .

نتيجة أشتداد المعارك بين العرب والروم والفرس فيما بعد كان هناك أسرى حرب فأصبح هناك أسترقاق لهم وهو نظام متبع في حروب تلك الأمم وعلى أساس المعاملة بالمثل فقد أوجده الأسلام فمن الضرر أن يسترق أسرى المسلمين ويطلق أسرى الأعداء الكفار فقضت الحاجة لذلك.

" ولكن عبيد الملة الغراء صاروا أسيادا وملوكا "



الفصل الثاني :
المماليـــــك

" لقَد كان المماليِك من الرقَيِق فعلا ، بيِد أنهم كانوا من نوع خاص من الرقَيِقَ إذ كانوا يـجلبون أطفالا من أسواقَ النخاسة ثم يِتم تدرِيبهم عسكرِيا .

{قَاسم عبده قَاسم }

مقدمة :

دارت الأيام وحلت لفظة المماليك محل كلمة العبيد في أرض الأسلام .

والمماليك جمع لكلمة **مملوك والمملوك** هو العبد الذي لا يملك أبواه حيث أن المملوك يولد لأبوين حرين , والمملوك غالبا ما يكون أبيض .

وهو الرقيق الذي يباع ويشترى ، والمملوك هو عبد مالكه **وسموا رقيقًا لأنهم يرقوا لمالكهم ويذلون ويخضعون** .

(ابن منظور لسان العرب 124/10)

في بادئ الأمر كان مصدرهم مقتصرا على سبايا الحروب وأسراها ولكن سرعان ما شمل الأمر أسواق النخاسة التي عجت بكثير منهم .

والرقيق الترك هم أول من أستخدموا في الجندية في الإسلام .

يذكر **الطبري** أن **نصر بن سيار** والي الأمويين على خراسان أشترى ألف مملوك من الترك وأعطاهم السلاح وحملهم على الخيل .

(الصلابي _ عين جالوت 5)

وورد أن **هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان** صاحب **الأندلس** كان أول من أستكثر من **المماليك بالأندلس** , كما أن **الحكم بن هشام** أستكثر من المماليك أيضا وكان يسميهم الخرس لعجمتهم .

وقد بلغ عدد المماليك في الجيش داخل الأندلس في ذلك العهد ما يقارب من **خمسة ألاف جندي مملوكي** .

(ابن الأثير–الكامل ج466/5)

واما عن سبب ضمهم إلى الجيش : فيرجع ذلك إلى حاجة المجتمعات آنذاك للجند في الحروب لكون ذلك أكبر وأكثر من أن يستوعبه مجتمع واحد وتكاليف الحروب الباهظة وعدد من يقتلون يجبر أي مجتمع للبحث عن بديل ومن هنا فان المماليك كانوا جزءا من الحل المتاح وملأ للفراغ آنذاك .

لضرورة إقتضتها تلك الفترات من التاريخ الإسلامي وخاصة في أوقات الحروب والأزمات ، ليتم إستغلالهم في بناء جيش قوي فيه من الرجال ما يسد حاجة الجيش من العدد اللازم لخوض الحروب لذا فقد كان لابد للأنظمة العسكرية التعامل معها بما يحمي مصالح المسلمين .

" هاني فخري –النظام العسكري 22"

اولا : المماليك في أرض الخلافة :

قبل سنين , وفي عهد حكام المسلمين الأوّل القاطنين في بغداد , أتخذ **بني العباس** سنة جديدة ما سبقهم بها من أحد في بلاد العرب , كانت بدايتها عندما قام الخليفة **المأمون** بجلب ألوف من الرقيق لأستخدامهم كفرق عسكرية وحرسا **تغالى المأمون في شرائهم حتى إنه كان يشتري الواحد منهم بمائتي ألف درهم .**

(المسعودي – مروج الذهب 465/3)

كان **المأمون** قد إتخذ من **خراسان** مقرًا له وإستعان بالفرس في صراعه مع أخيه الأمين إلا أنهم لم يخلصوا له مما جعله يبحث عن قوة جديدة تقف في وجه الفرس فإتجه إلى الترك فأكثر من شرائهم .

(ابن الأثير – الكامل426/10)

ثم سرعان ما سيطر الجنس التركي المجلوب من بلاد القفجاق وسمرقند وفرغانة وبلاد السند

وأصبح لهم الأغلبيه وسط هؤلاء في عهد الخليفة العباسي **المعتصم** .

كان ذلك وليد حوادث كثيرة متتابعة سياسيا ودينيا وإجتماعيا من أعسر العسر أن تفصل هذه الحوادث عن بعضها , إن اللاحق منها وليد السابق .

إن الدولة العباسية قد قامت على أكتاف الفرس الذين سخطوا على الأمويين لعدم مساواتهم بالعرب في الحقوق السياسية والأجتماعية مع منافاة ذلك لمبدأ المساواة الذي أقره القرآن والسنة , وكان العباسيون يدينون للفرس بقيام دولتهم يتشيعون لكل ما هو فارسي .

كانوا ينحرفون عن العنصر العربي ويقربون الفارسي فأعتمدوا عليهم في تصريف شؤون دولتهم حتى ظلت الوزارة في العصر العباسي الأول حكرا على الموالي .

(الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي17 – حافظ احمد حمدي)

وكان المعتصم متأثرا بأمه التركية , فأخذ يرسل في شرائهم من نواصي سمرقند وفرغانة ثم يلبسهم أحسن الملابس وأثمنها .

(السيوطي – حسن المحاضرة 223)

أتخذ من حسن هندامهم وجمال منظرهم وشجاعتهم وتمسكهم بأهداب الدين سببا للإعتماد عليهم فولاهم حراسة قصره وأسند إليهم المناصب وقلدهم الولايات الكبيرة وأدر عليهم الهبات والارزاق وآثرهم على على سواهم في كل شيء

لقد ظن الخلفاء بأنهم بإعتمادهم على هؤلاء الأجانب الذين أشتروهم بالمال يكونون أكثر طمأنينة على أنفسهم من إعتمادهم على أبناء جلدتهم من العرب الذين عرفوا الغيرة والحسد أو على الفرس الذين تفاقم نفوذهم حتى عده الخلفاء العباسيون مهددا لكيان دولتهم وسلامتها .

(حسن ابراهيم حسن – النظم الاسلاميه 229)

قد بالغ **المعتصم** في شراء تلك الفئه من الرقيق الترك منذ أن كان أميرا مناهضا بهم الجنود **الفرس والعرب** حتى بلغ عدتهم ما يقارب **الثمانية عشر ألف مملوك**

(ابن تغري بردي –النجوم 233/2)

وكان من قبل قد بمجرد توليته الخلافة بإلغاء إدراج العرب في كشوف رواتب الدوله .

(جيمس واترسون _ فرسان الاسلام 56)

جاء الأتراك عاصمة الخلافة بصفاتهم البدوية من خشونة في الطبع وبداوة في الحياة حتى إنعكس ذلك وبدى جليا في معاملتهم مع الناس فآذوهم وضايقوهم.

حتى أصبح هؤلاء الترك يدوسون النساء والأطفال بخيولهم .

(ابن طباطبا – الفخري في الاداب 206)

فكرههم أهل **بغداد** بل وبلغ الضيق منتهاه فشكوهم إلى **الخليفة** وهددوه بالدعاء عليه في صلاتهم .

(ابن تغلاي بردي – النجوم الزاهرة 233/2)

أضطر **المعتصم** إلى إخراجهم من المدينة وإنزلهم أخرى أنشئت خصيصا لهم سميت وقتذاك بـ **" سامراء "** .

(مروج الذهب 466/3)

منذ ذلك الحين ولفظة المماليك يقصد بها عند المسلمين تلك الفئة من الرقيق الذين يشتريهم الأمراء والملوك من أسواق النخاسة لإستخدامهم كفرق عسكرية.

(سهيل طقوش–تاريخ المماليك في مصر والشام 15)

ومنذ ذلك الحين وولاة أقاليم **ما وراء النهر** يرسلون بالمماليك هدايا للملوك لتحقيق مسعاهم .

ومنذ ذلك الحين والحرس **التركي** يمثل دعامة هامة من دعائم الخلافة نظرا لقدرتهم القتالية العالية وقوة البنيان وتميزهم في الفروسية والقتال حتى أصبح الأتراك عنصرا هاما في المجتمع الإسلامي .

ومع مرور الوقت أستفحل أمرهم وتبدلت بهم الأحوال وصار المملوك أميرا وصاحب **سلطان** ومن كان بالأمس عبدا صار الآن صاحب الأمر والنهي حتى وصل بهم الأمر :

" أنهم أستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في أيديهم كالأسير إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه وإن شاءوا قتلوه " .

(العبادي – الاداب السلطانية 220)

فيذكر أنه لما ولي الخليفة **المعتضد** الخلافة جمع خواصه بعض المنجمين وقالوا لهم أنظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافه ؟

كان بالمجلس بعض الظرفاء , فقال : **أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته , فقالوا له فكم تقول إنه يعيش وكم يملك ؟ قال ما أراد الأتراك.**

(حافظ احمد حمدي – الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي 215)

لقد وجد العرب ضالتهم في الترك وأعتبروهم أقرب الشعوب إليهم بل سموهم أعراب العجم .

(الجاحظ)

وبعد سنين بدأ الأتراك المماليك يجنوا ثمار نفوذهم وسطوتهم وأقاموا الدول , ففي بلاد الهند قامت لهم دولة كبيرة عظيمة بعد نجاح " **قطب الدين أيبك** " من إنشاء دولة **الملوك المماليك** التي ظلت قائمه أربعة **وثمانون عاما** " .

وفي دولة **سلاجقة الروم** ولي **المماليك** شؤون تربية أبناء سلاطينهم حتى سموا **بالأتابكة**

ولكن سرعان ما أصابهم ما أصاب من قبلهم وأشتد نفوذ هؤلاء **الأتابكة** وقوي ساعدهم فأنتهزوا ضعف دولة **السلاجقة** وأستقلوا بإقطاعاتهم مكونين دول منفصلة .

ثم كلل نجاحهم بقيام دولتي المماليك **البحرية والبرجية** في **مصر والشام** وبلاد **الحجاز** **قرابة الثلاثة قروون من الزمان .**

ثانيا : المماليك في مصر:

وفي أم البلاد بدأت قصة المماليك فيها عندما أرسل الخليفة العباسي **المهدي** مملوكه "**يحيى بن داوود الخرسي**" **162 هـ- 778 م**

" ليكون أول مملوك تركي يشغل هذا المنصب في أرض المحروسة " .

(ابن تغري بردي –النجوم 44/2)

ظل هذا هو كل حدود المماليك في مصر حتى جاء والي العباسيين **" أحمد بن طولون "** وراودة حلم الأستقلال بحكم البلاد .

عمل الحاكم التركي منذ بداية أمره على تكوين جيش عظيم تكون الغلبه فيه لبني جنسه.

سرعان ما نال مراده , ثم كون جيشه من قرابة الأربعة وعشرون ألف من الأتراك وقليلا من الجند الديلمي .

منذ ذلك الحين وأضحى جند مصر من المماليك الترك .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك – تاريخ المماليك 19)

وكما كان **لإبن طولون** السبق في ذلك كان له أيضا السبق حين قام بتحرير أعداد كثيرة من جنده وجعله جيشه الخاص .

على غرار أماني **إبن طولون** وأفعاله سار **" محمد بن طغج** "مؤسس دولة الأخشيد في

مصر فسلك نهجة في حلم الأستقلال وتكوين الجيوش حتى قيل إن المملوك الملك كان ينام في حراسة الألف مملوك من جمله ثمانية ألاف هم قوام جنده كان أغلبهم من المماليك الترك .

وكالَذين من قبلهم سلك **العبيديين** في مصر حذوهما في تكوين الجيوش , لقد كان الجيش الفاطمي في زمن **المعز لدين الله** أكثره من الترك إضافه لعناصر أخرى من **بربر وسودان وصقالبة** بل صار على منواله من خلفوه , حتى جاءت عهود **المستنصر** ومن تبعه فخالفوهم وقاموا بإيثار شراء المماليك السود على أقرانهم الأتراك .

لقد أهتم الفاطميون بتربية صغار مماليكهم وفق نظام خاص بل هم أول من وضع نظاما منهجيا في تربيه المماليك في مصر .

(العبادي –الاداب السلطانية 69)

وفي أواخر عهد **الفاطميين** وتحديدا في عام **559 هـ – 1164** م تعرضت البلاد للطمع من قبل **عموري** حاكم مملكة بيت المقدس , وإزاء ذلك الخطر الصليبي المفجع بعث الخليفة الفاطمي **العاضد** إلى **نور الدين زنكي** قائد أتابكيات **الموصل وحلب وديار ربيعة** فبعث إلية بخصلة من شعر زوجته يستنصره : **" أدركني وأستنقذ نسائي من أيدي الفرنجه " .**

أستجاب القائد السني لأستغاثته وأرسل قائده **أسد الدين شيريكوه** لنجدته .

نال **نور الدين** ما تمناه وهزم الصليبيين بفضل الله ثم بمساعدة المماليك بفرقتيها **النورية والأسدية** .

بعد النصر عين **شيريكوه** وزيرا **للعاضد** في ديار مصر ولكن سرعان ما عاجلته المنيه

فخلفه إبن أخيه " **صلاح الدين يوسف أبن أيوب** " في الوزارة .

كان صلاح الدين سنيا شافعيا يتبع سيده نور الدين الذي كان يدين بالتبعية للخلافة العباسية السنية في بغداد وفي الوقت ذاته كان على صلاح الدين أن يقوم بمهام الوزارة للخليفة الشيعي رغم ما كان بينهما من عداء دفين مما أدى إلى كثرة الثورات التي كانت تحاك ضده ولكن صلاح الدين صمد لهم وتغلب عليهم وتحبب إلى الناس وخفف عنهم المكوس .

(سعيد عبدالفتاح عاشور / تاريخ مصر الأسلامية /358) .

فمال اليه الناس وأحبوه وضعف أمر العاضد .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 355/5)

سرعان ما أشتد نفوذ **الناصر** وقوي ساعده مستغلا موت **العاضد** ومنتهزا الضعف الذي دب في أوصال الدولة فعمل على القضاء على عسكر الفاطميين ثم راح يمحو آثار معالم دولتهم , هنالك نجح الناصر في إسقاط الدوله العبيدية وقطع خطبتهم وأقام الخطبة على منابر المحروسة للخليفة العباسي **المستضيء بالله** ليبدأ عهد جديد لمصر تحت حكم الأيوبيين .

على غرار من سبقوه بدأ **الناصر** في تكوين جيشه الخاص فأنشأ جيش عماده المماليك الأتراك أشتراهم لنفسه وسماهم بالناصرية .

كان **صلاح الدين** قد نمى في أحضان دولة السلاجقة الأتراك فأقتدى بهديهم في كثير من العادات .

أقتدى بهم في تكوين الجيش وأختيار جنس عناصره وأقتدى بهم في تربية مماليكه وفقا

للنظام المملوكي الساماني الموضح في كتاب وزير الدولة الشهير بكتاب " **سياسه نامة** " وأقتدى بهم حين أتبع هدي " **نظام الملك** " في إقطاع الأقطاعات على مماليكة .

كل هذه الإمور أدت في النهاية لمساعدة **صلاح الدين** في توحيد المسلمين ولم شملهم , وبفضل مماليكه الأسدية والصلاحية نجح في أسترجاع بيت المقدس وبعض المدن الساحلية من أيدي الصليبيين .

مات **صلاح الدين** فخلف من بعده الأرض إرث للأيوبيين ولكن سرعان ما نشب الصراع بين أبناء البيت الأيوبي المكون من أبنائه وأخوته وأبناء أخوته وقامت بينهم الحروب وكثرت النزاعات .

أدت تلك الفوضى من الإكثار من قدوم المماليك إلى مصر بأعداد لم يسبق لها مثيل , حيث حرص ملوك بني أيوب على شرائهم صغارا في سن الطفولة ثم يعهدون بهم إلى من يعلمهم اللغة العربية ويلقنهم مبادئ الدين الاسلامي ثم إلى من يتولى تدريبهم على فنون القتال والفروسية بحيث يحققون قدرا عاليا من الكفاءة الحربية وبحيث يضمن قدرا عاليا من الولاء الشخصي لسيدهم وبهذا يكونوا قوة وسندا لهم في الصراعات الداخليه بين أبناء الأسرة الأيوبية .

(قاسم عبدة قاسم – عصر سلاطبن المماليك 25)

كانت تلك الصراعات قد كثر شرر نيرانها عندما دب الخلاف بين أبني الناصر فأستغل عمهما " **العادل** " ذلك وحاول ضم مصر إليه , ولكن كان للمماليك في تلك الحقبة التاثير القوي في مجرى الأحداث .

في البداية حال المماليك الأسدية والناصرية بين **العادل** وبين أمانيه وناصروا الملك " **الأفضل** " وسلموه مقاليد الأمور .

(المقريزي –السلوك 146/1)

لم يدم الأمر كثيرا وأشتد النزاع بين الفرقتين فأستغله الملك **العادل** وأصبح سلطانا على مصر " **597 هـ–1200 م** "

(ابن تغري بردي – النجوم 162/2)

توفي العادل فعهد لولاية العهد لأبنه " **الكامل** " ولكن من جديد علا صوت المماليك العادلية وتحيزت إلى أخيه " **المعظم عيسى** " , غير أن الكامل تمكن من الوصول إلى الحكم وطاردهم وصادر أموالهم .

(المقريزي –السلوك 223/1)

ثم توفي الكامل . في البداية بايع الأمراء أبنه " **العادل الثاني** " على أن يكون لأخيه " **الصالح نجم الدين أيوب** " ممالك الشرق فكان هذا نذير لبدء الصراع بين الأخوة وباقي أفراد البيت الأيوبي .

سرعان ما أتسعت رقعة الصراع عندما علم عمهما " **الناصر داوود** "بوقوع دمشق في يد **الصالح** وقد كانت من قبل من أملاك أبيه فأخذ يخطط من أجل الأستيلاء عليها فتحالف **الناصر** مع **العادل** في مواجهه **الصالح** .

وجد **نجم الدين** نفسه في هذا الصراع وحيدا فما كان له إلا أن لجأ إلى عمه " **الصالح أسماعيل** " صاحب **بعلبك** كي يشد عضده ويكون في صفه في مواجهة هؤلاء , فرضي **الصالح** بذلك .

في الحقيقه كان **الصالح أسماعيل** يدبر لأنتزاع **دمشق** من **نجم الدين** فمال إليه حتى ينول ما يرجوه وبالفعل أستغل غياب **الصالح أيوب** وهاجمها وحاصر قلعتها وأستولى عليها " **637هـ – 1239م** " .

لما علم مماليك **الصالح أيوب** بذلك خافوا على أنفسهم وأولادهم فرحلوا تاركين **نجم الدين** دون من يدافع عنه سوى فئة قليلة من مماليكه المقربين وجاريته **أم خليل " شجر الدر"** , ثم عظمت البلوى حين قام **الناصر داوود** في تلك الأثناء بالقبض عليه وسجنه في قلعه الكرك .

قاسى **نجم الدين** وقاست معه **شجر الدر** ولاقوا من المحن والأهوال الكثير طيله سبعه أشهر قبل أن يطلق **الناصر داوود** صراحهما بعد أن حلفه على ما يعجز عنه الرجال .

يقول **" ابن سبط الجوزي "** على لسان **الصالح نجم الدين أيوب** :

"حلفني على شيء ما تقدر ملوك الأرض عليه وهو أن آخذ له دمشق وحمص وحماة وحلب والموصل وديار بكر ونصف ديار مصر ونصف ما في الخزائن من المال والجواهر والخيل فحلفت له من تحت القهر والسيف"

ثم إن **المماليك الكاملية** بالتعاون مع المماليك الأشرفية أرادوا تنصيب **نجم الدين** وأستدعوه من حصن **كيفا** ليتولي حكم **مصر** فكان لهم ما ارادوا .

سر الناس كثيرا بسلطنة **الصالح** وزينت له **القاهرة** وظواهرها وقلعة الجبل .

(المقريزي –السلوك 297/1)

فأستولى على ديار **مصر** من غير كلفه ولا مشقه ولا تعب .

(السيوطي – حسن المحاضرة)

لقد كان للمماليك من القوة ما جعلهم يعزلون سلطانا ويولون الآخر .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك – تاريخ المماليك 26)

بعدما أستتب للملك **الصالح نجم الدين أيوب** حكم البلاد راح يسترد ملكه وملك آبائه الذي كان , تارة من عمه **الصالح أسماعيل** وتارة من الصليبيين .

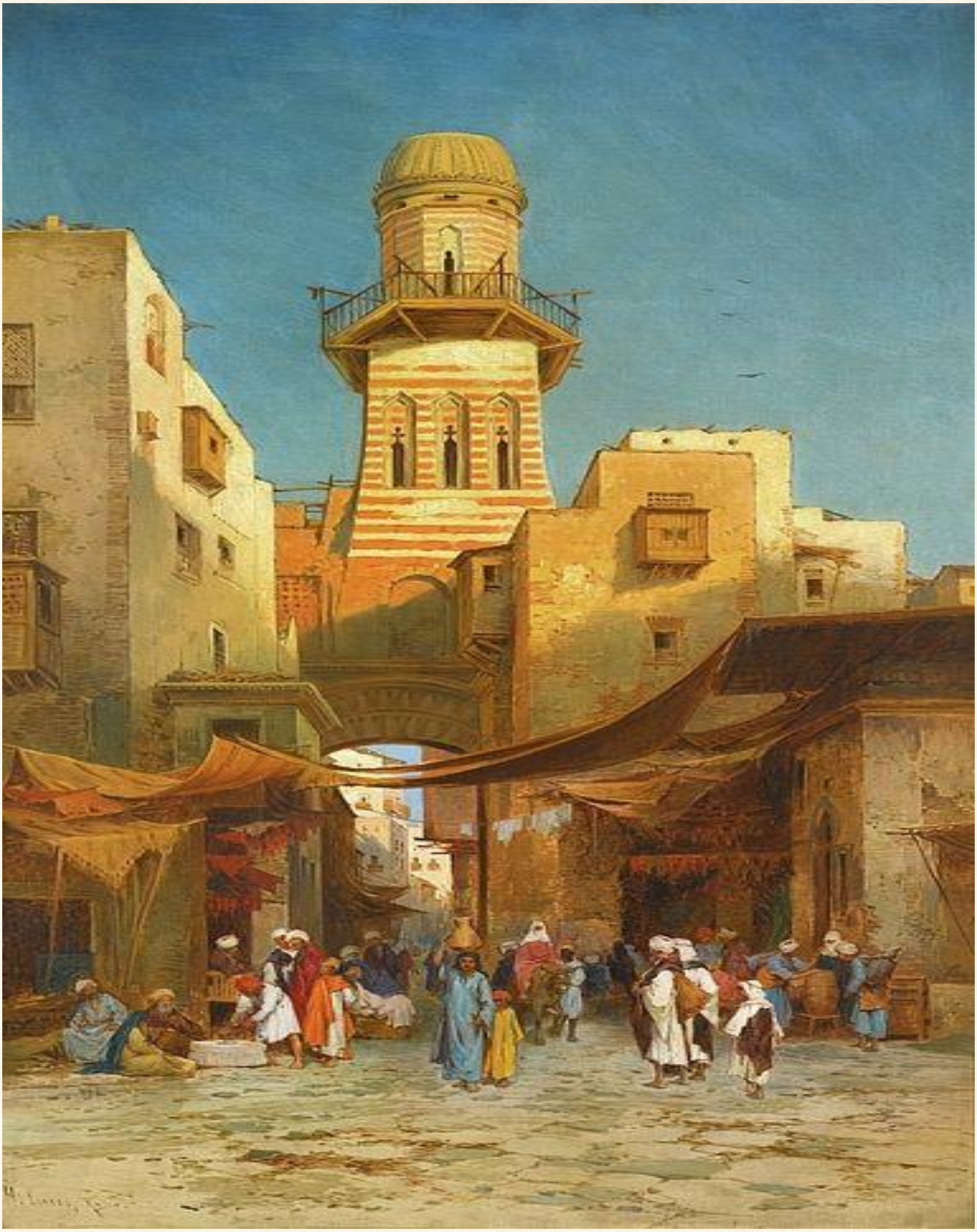
لم يكن الأمر بالسهل فقد وردت الأنباء بتعاون **الصالح أسماعيل** و**الناصر داوود** مع **الصليبيين** وساروا يدا واحدة ضد **نجم الدين أيوب** .

واجه **الصالح أيوب** ذلك بأن أستعان بفرقة من المقاتلين الخوارزمية لمجابهة هذا العدوان الغاشم , في البداية حارب **الخوارزميين الصليبيين** وأستردوا منهم **بيت المقدس** فأرسلوا إلى **الملك الصالح** يخبروه بالأنتصار وباسترجاعهم **لبيت المقدس** فأمرهم بالأقامة في **غزة** ثم أرسل أليهم الأمير **جمال الدين أقوش** والأمير **جمال الدين مطروح** حاملين معهما النفقات والخلع , كما سير طائفة من المماليك بقيادة الأمير **ركن الدين بيبرس البندقداري** لينضموا الى **الخوارزميين** لمحاربة تحالف **الصالح اسماعيل والناصر داوود والصليبيين** .

في معركه أطلقت عليها فيما بعد حطين الثانيه , نجحت قوات الملك الصالح ومعها الخوارزميه من إلحاقهم هزيمة منكرة ومن ثم الأستيلاء على مدن الساحل والقدس والخليل وبيت جبريل والأغوار لتصبح تحت حكم سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب .



الفصل الثالث :
مماليك الملك الصالح



لقد سلك الصالح نجم الدين أيوب في شراء المماليك الترك ما لم يسلكه من قبله أحد من أهل بيته ربما أراد ردا لجميل المماليك الذي لولاهم ما ولي ملك مصر .

نزل كلام رب العالمين على قلب سيد الخلق , أنقضى من تلك اللحظة المباركة قرونا , تملكت فيها عقيدته القلوب وغلبت أمته الغير فسادت العالم حينا وزالت دولتها مرة وعادت إليها صولتها أخرى .

كل هذا والقرآن والسنة صامدان كالطود المشمخر أو كالبحر الزاخر الطامي , ينهل الناس منه على مر الأجيال والقرون ولا ينقضي قطره.

فلما خمد الشرق ثانية وأطبقت عليه سحائب الخمول والتأخر والأنحطاط على حين نهضت أوروبا تبحث عن هذه الدنيا وتلتمس فريسة تلتئمها , فكان أول من أنتبهت إليه ذلك الشرق الخامل الخامد فبدأت بالسيف تعمله فيه إبان الحروب الصليبية .

عندئذ هتف هاتف الأيمان يهيب بالمسلمين أن ألتفوا حول ذلك القرآن وتلك السنة . فأقبلت النفوس تذود عن الحمى وتدفع عن البيضة حتى أنحسرت الموجة الصليبية حسيرة كاسفة قد رد بها كيد الغرب في نحرة , ثم قامت دول عظمى وأستنجز عمران باذخ ونشأت حضارة فاخرة .

(مقدمة حضارة الاسلام – عبد العزيز توفيق)



1. مولد المماليك :

وبعد المعركه خاب ظن **الخوارزمية** في الحصول على المزيد من الغنائم وما كانوا يطمعون إليه من الحكم فتغيرت على إثر ذلك سياستهم وأتفقوا على الخروج عن طاعة **الملك الصالح** .

(نهاية الأرب 203/29)

ولكن **الصالح أيوب** كان قد بدأ الأستعداد لمثل ذلك اليوم وذلك أنه

" لما مر به ما تقدم في الليلة التي زال عنه ملكه بتفرق الأمراء وغيرهم من العسكر عنه حتى لم يثبت معه سوى مماليكه وعى لهم ذلك فلما أستولى على ملك مصر أكثر من شراء المماليك وجعل معظمهم عساكره وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه وأعتقلهم وقطع أخبازهم وأعطى مماليكه الأمريات فصاروا بطانته والمحيطين

بدهليزة " .

(المقريزي –السلوك 339/1)

ثم أكثر وأكثر من شرائهم حتى إنه أضاف إلى الجيش أكثر من ألف مملوك تركي دفعة واحدة جلبهم من **تركستان وشمال البحر الأسود وبحر قزوين.**

(الذهبي – سير أعلام النبلاء 191/23)

لقد أحب **الصالح نجم الدين أيوب** مماليكه فأحبوه , ظهر هذا جليا في تلك الكلمات التي أوصى بها الملك أبنه **" توران شاه"** حين قال :

"وتوصي بالمماليك غاية الوصية فهم الذين كنت أعتمد عليهم وأثق بهم هم ظهري وساعدي , تتلطف بهم وتطيب قلوبهم وتوعدهم بكل خير ولا تخالف وصيتي فلولا المماليك ما كنت قدرت أن أركب فرسا " فيومذاك ولد المماليك .

فلما أشرفت الدولة الأيوبية على الأنحلال وتوزعتها المطامع خلصت الدولة للمماليك وكأنها خيَّل إليها غدها فجائهم الملك يسعى إليهم .

فكانت المماليك الصالحية وهم يومئذ عدة الدولة وعضدها ومظهر قوتها وعنفوانها أولى بها

.



2. تجار الرقيق :

كان التجار يأتون بالمماليك الصغار إلى أرض القاهرة عن طريق البحر في **رحلة بحرية** ربما كانت سبب تسميتهم فيما بعد **بالمماليك البحرية** قادمين من بلاد **القوقاز وبلاد ما وراء النهر** وحول **نهر الفلجا** مرورا بشواطئ **البحر الأسود** ثم دخولهم إلى مصر من خلال ثغري **الأسكندرية ودمياط** .

فإذا دخلوا **مصر** قدموا إلى **السلطان أيوب** الذي كان يستقبلهم كأستقبال كبار الشخصيات ويمنحهم الخلع والمال الكثير كعادة السلاطين الأيوبيين من قبله وكذلك سار على نهجهم من خلفهم .

وفي بعض الأحيان يباع هؤلاء المماليك من خلال التجار أو ما يسمى **بدلال المماليك** أو **الخواجه** وهؤلاء كثيرا ما كانوا من الأوروبيين **النصارى واليهود** .

كل ذلك يجري في أسواق أنشئت خصيصا لذلك الغرض كسوق **" خان مسرور "** الذي كان قد أنشئ من قبل في عهد **صلاح الدين** .

ثم يشتريهم **السلطان** أو من ينوب عنه ويسلمهم الى المختص فيلحقهم ببني جنسهم , فكان المملوك اذا دخل قلعة الروضه يتعلم أمور وفق نظام محدد من قبل .

لم يكن وقوع هؤلاء في أيدي النخاسين بالأمر الصعب فقد كان يتدفق إليهم سيل من أبناء **بلاد ما وراء النهر** بأستمرار نظرا لتهافت الملوك والأمراء على شرائهم بأثمان باهظة فصار حلم كثير من الأباء بيع أطفالهم على وعد بغناء فاحش لهم إذا ما صاروا كبارا .

ثم إن القبائل في أواسط أسيا كانت لا ترى غضاضة في بيع أفلاذ أكبادها للنخاسين الذين كانوا يعدونهم حسن المستقبل والسعادة جراء هذه الصفقه .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 38)

(حتى صارت السماء في ديار مصر تمطر تركا)



3. سبب التسمية :

مما يجمع عليه أن هؤلاء **الرقيق** الذين جاء بهم **الملك الصالح أيوب** إلى أرض **مصر** وأسكنهم قلعة **الروضة** ومن ثم كان لهم حكم البلاد فيما بعد على مدار أكثر من قرنين من الزمان يطلق عليهم أسم **المماليك البحرية** أما عن سبب التسمية فقد اختلفوا.

بعض المؤرخين يرى السبب في تسمية **المماليك بالبحرية** بذلك لطريقة جلبهم عبر البحار من **البحر الأسود** إلى **بحر القرم** ثم إلى **خليج القسطنطينية** ومنه إلى **البحر المتوسط** ثم إلى **دمياط** ثم **إلى ميناء الأسكندرية** .

(سيرأعلام النبلاء/ الذهبي 192/23)

ومنهم من يقول أنهم سموا **بالبحرية** لأن **الصالح أيوب** أسكنهم **جزيرة الروضة** .

(المقريزي 441/1– النجوم الزاهرة 221/6– ابن خلدون 430/5)

ولكن مما لا شك فيه أن المصادر التاريخية قد أثبتت أن مسمى **البحرية** كان موجودا في العهود السابقة للعهد الأيوبي دون أن يكون **للصالح أيوب** سبق في ذلك .

(ابن الاثير – الكامل 224/7)

فالمصادر تشير إلى وجود مسمى **البحرية** في العصر **الفاطمي** بل إن مسمى **البحرية** كان أيضًا يطلق على إحدي الفرق **الصليبية** المحاربة والتي كانت تقاتل المسلمين في السواحل الشامية .

(ابن الاثير – الكامل224/7)



4. أماكن جلبهم و أجناسهم :

إن **المماليك** ليسوا من أصل واحد أو من مكان واحد وإنما هم نتاج لظروف خاصة .

وأجناسهم مختلفة من **الأتراك والجركس والروم وبعض العرب** .

(المقريزي–الخطط 2/ 215)

بل كان بينهم مماليك **فرنج** يغلب عليهم الشقرة .

(ابن الأثير– الكامل 9 /198)

ولكن معظم المماليك في العهد **المملوكي** الأول من أصل **تركي** ، وذلك إستمرار لما كانت عليه **أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب** .

كان **الملك الصالح** قد إنفض عنه مماليكه **الكردية** ولم يقفوا بجانبه وبقي معه عدة مماليك

من أصل تركي ولم يتخلوا عنه مما جعل في نفسه حبا لذلك الجنس .

(المقريزي– السلوك 1/ 441)

كانت تلك الحادثة هي التي ربطت **الصالح نجم الدين أيوب** بالجنس التركي لإعتقاده الجازم بإخلاصهم وولائهم بعد تجربته المريرة مع الأكراد وإنفصالهم من حوله وبقاء المماليك التركية على عهدهم معه رغم قلة حيلته آنذاك .

مما أثر على أحوال مصر والشام والمنطقة كلها لمئات السنين بعد ذلك ، حيث أستمر جلب المماليك التركية على الخصوص في العهد المملوكي ، لأن السلاطين الأوائل كانوا من الجنس التركي وبالتالي كان الأفضل لهم جلب أبناء جنسهم .

(هاني فخري–النظام العسكري – 21)

ولذلك نجد سلاطين المماليك يشجعون تجار الرقيق على جلب المماليك وكانوا يدفعون الأموال الطائلة فيهم .

حتى وصل الأمر إلى أن يبيع الأب أبناءه ليأخذوه للسلطان في مصر لما كان يحظى به المماليك في مصر .

(المقريزي–الخطط 21/2)

اما عن أهم مصادر جلب المماليك فهي :

1 – بلاد ما وراء النهر في تركستان :

وتركستان الأسم الجامع لبلاد الترك الواقعة بين بحر **قزوين** غربا إلى حدود بلاد **التبت ومنغوليا** شرقا .

(النرشخي – تاريخ بخارى 19)

وتركستان حاليا تنقسم إلى **تركستان الشرقية وتركستان الغربية** التي تضم كثيرا من البلاد

مثل **قازاغستان وقرغستان وتركمستان وأوزبكستان وتاجيكستان** .

قد كانت هذه البلاد المصدر الذي لاينضب من المحاربين المسلمين الذين كانوا يتدفقون إلى الغرب .

(النرشخي – تاريخ بخارى 19)

وبلاد ما وراء النهر جزءا من **تركستان الغربية** وهي البلاد الواقعة بين نهر **سيحون** من الشرق **وجيحون** من الغرب وكانت من اخضب الأقاليم الإسلامية , ومن أشهر أقاليمها **سمرقند وبخارى وترمذ** .

(ياقوت – معجم البلدان 45)

سكانها الاصليين في هذه الفترة من **الاتراك التغزغز والكيماك والغز والقفجاق وغيرهم**

(النرشخي– تاريخ بخارى 19)

ومعظم سكان هذه البلاد من المسلمين . ففي **القرن الأول** الهجري تمكن المسلمون بقيادة **قتيبة بن مسلم الباهلي** من فتح تلك البلاد وظلت تابعة للخلافة العباسية **حتى عام 261 هـ – 874م** حين تمكن **القراخانيون الأتراك** من الإستيلاء على **بخارى وسمرقند** .

(النرشخي – تاريخ بخارى 110)

والقراخانيون من قبائل **التغزغز** الوثنية ويعد **ساتوق بغراخان** أول من أسلم من خانات هؤلاء **الأتراك سنة 232هـ** وقد أقتفى رعاياه أثره في إعتناق الإسلام وأصبح الإسلام الدين الرسمي للدولة .

(تاريخ الترك في اسيا الوسطى 76)

ولكن **ابن الأثير** يرى أن أول من أسلم منهم **" شبق خان "** حين رأى في منامه كأن رجلا نزل من السماء فقال له أسلم تسلم في الدنيا والآخرة فأسلم في منامه فلما أصبح

أظهر أسلامه .

(ابن الاثير الكامل 2/9)

كان لظهور القراخانين كأول دولة إسلامية في الشرق الإسلامي أثر كبير على تشجيع طوائف الترك الأخرى للدخول في الإسلام والمساهمة في الحياة الإسلامية وقيام دول أخرى في الشرق .

وكان لها الدور الأكبر في صد القبائل الوثنية من إجتياح البلاد الإسلاميه فكانت هذه الدولة بمثابة الثغر التي عصمت بلاد الإسلام من جحافل الأتراك الوثنيين .

ثم إن القراخانيون في تركستان وبلاد ما وراء النهر قد إصبحوا في عهد سلاطين السلاجقة العظام الب أرسلان وملك شاة تابعين لهم يولون ما يشاءون ويعزلون ما يشاءون .

(علاقات القراخانيين بتركستان وبلاد ما وراء النهر – مسفر الغامدي)

كان اغلب المماليك في مصر في عهد **الصالح أيوب** بل وفي عهود دولة المماليك الاولى من تلك الفئة من **الأتراك** .

لقد ساعد **الملك الصالح** من الأكثار من شراء تلك الفئه خاصة دون غيرها من الجنود توفرها بكثرة فضلا على إنخفاض أثمانهم ويرجع ذلك إلى عدة أمور أهمها ذلك الهجوم البربري الذي أصاب منطقه وسط أسيا من المغول في تلك الحقبة .

ف**المغول** هجموا على **القفجاق** وأسروا معظمهم وقام التجار بشراء وأحضار هؤلاء الأسرى إلى البلاد والمدن الأخرى وكان أول من جلب الكثير منهم ورفع من شأنهم وجعلهم يرتقون في مناصب الجيش المختلفه هو الصالح أيوب .

(فرسان الاسلام –جيمس واترسون)

فيذكر أنه حينما هاجم التتر وسط أسيا كان الأسيويون يهربون أمامهم ورغبه في الحصول على ما يمسك رمقهم كانوا يبيعون ذكور أولادهم وإناثهم بسبب قسوة بيئتهم إضافه أن المغول كانوا يتعاملون معهم بأحد خيارين من لا يقتل يباع كرقيق .

لقد كان المغول كثير العدد يملأون الوديان وسفاح الجبال وخيولهم لا تتعب أبدا فمن أين حاجتهم لبني البشر .

(عبد المنعم ماجد –الدولة الأيوبية 145)

ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون شاء الله أن يكونوا هم وبفعلتهم هذه من يخلقون جيشا غدا سوف يصبح سبب هلاكهم .

2 – السودان : يقصد بالسودان النوبيين والأحباش .

وسريعا ما أصبحت الحبشة تمثل سوق كبير أمد مصر بأفضل العبيد الذين عرفتهم البلاد

من أشهرهم بدر الدين الصوابي الحبشي الذي حارب جنبا إلى جنب مع بيبرس تولى منصب أمير مائة أكثر من أربعين سنة والأمير سيف الدين بلبان الحبشي الذي شارك في فتح البيرة وشرف الدين مختص الظاهري مقدم المماليك في دولة السلطان بيبرس وابنه السعيد وسابق الدين مثقال في دولة الأشرف شعبان .

فغلب على الطواشية ان يكونوا من السودان .

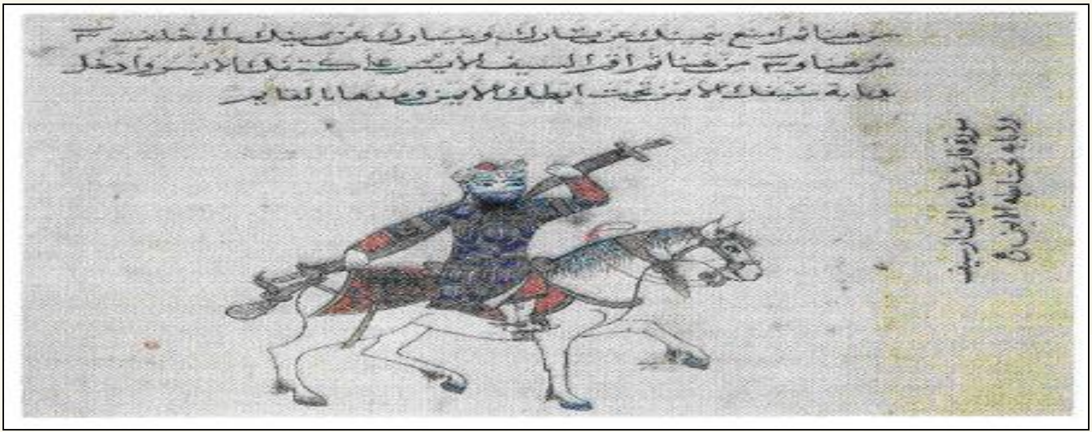
والطواشية هم الخدام الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمة .

3 – سبايا المعارك والحروب :

كان من أهم أمدادات المماليك **سبايا المعارك والحروب** خاصة الأطفال منهم بل أن من هؤلاء السبايا من وصل إلى كرسي العرش أو نائبا للسلطنة وما من دليل أوضح على ذلك من تبوأ **العادل كتبغا** عرش سلطنة المماليك وهو من سبايا **معركة حمص** ووصول **الحاج آل ملك** إلى كرسي النائب في دولة السلطان **الصالح أسماعيل بن الناصر** وهو من سبايا **الأبلستين** .

4 – الهدايا المقدمة للسلاطين :

كانت الهدايا التي ترد بلاط سلطان المماليك مليئة بالدرر أثمنها التي تحتوي على مجموعات كبيرة من المماليك .



5. التعليم الديني :

كان أول ما يتعلمه المملوك القرآن الكريم وكان لكل فئة فقيه يأتيها كل يوم ويقوم بتعليمها القرآن وأداب الشريعة وملازمة الصلوات والأذكار , لقد علموهم أن يكون قتالهم في سبيل الله وأن تكون أنفسم معلقة بالجنة وبذلك يكونوا قد خاضوا حربا مقدسة فهم يدافعون ويجاهدون لتحرير الأرض والإنسان من أجل مرضاة الله قبل كل شئ .

أهتموا بتربيتهم على الحشمة والحرمة وإتباع الشريعة الإسلامية في مناحي حياتهم .

والتدريب النفسي الذي يتلخص في الإيمانيات والروحانيات التي تأتي في إطار تعليمهم الشريعة وما جاءت به من تعليمات الجهاد والمرابطة فكان الجندي المملوكي يلقى تدريبات وتمرينات كثيرة من شأنها تقوية القدرة العقلية لديه للتأمل في الكون وفي النفس و أن يكون قتاله في سبيل الله ونفسه معلقة بالجنة .

والجندي حين يقاتل بالعقيدة يختلف عما إذا كان يقاتل لمجرد القتال أو من أجل الغنائم , والمملوك المجلوب من بلاد بعيدة لا يمكن أن يقاتل للدفاع عن أرض ليست وطنة إلا إذا تحصن بالإيمان ومن أجل ذلك كان المماليك جنودا نظاميين وليسوا مرتزقة وهذا ما كان من شأنه أن يبقي إستمرارية الجيش المملوكي في القتال لمئات السنين دون كلل أو ملل .

(هاني فخري – النظام العسكري –32)



6. التعليم العسكري :

كانت دولة **المماليك** تولي النشأة والتدريب والتعليم **للمماليك** أهمية كبرى بسبب المهمة

المنوطة بهم وهي عبء الدفاع عن الدولة وحمايتها من أي إعتداء خارجي . فكان لابد للدولة أن تحسن تربية وتدريب هؤلاء المماليك ليكونوا على قدر المسؤولية .

كان **الأيوبيين** من قبلهم قد ربطوا التربية والتدريب بالدين لما له من أثر في تقوية النفوس , وعلى نهجهم سارت **الدولة المملوكية** بعد ذلك على نفس الطريقة المتبعة في التربية والتدريب لإعتبارات خاصة ، مفادها دور الدين في أن يكون حافزًا حيويًا يخلق جنديًا قادرًا على خوض المعارك الفاصلة والثبات في المواجهة وغلق الخيارات أمامه في إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة .

لقد أهتمت الدولة بذلك على أكمل وجه ، بل وشجعت العامة على تعلم لعب الرمح ورمي النشاب ليكونوا جاهزين وقت الأزمات ، حتى أن السلطان نفسه كان يشجعهم على تعلم الفروسية وأساليب الحرب وليس الجيش فقط ، فما بقي أحد لا يتقن ذلك .

أما في أواخر العصر والدولة أصبحت في غمرات الموت . ذهبت كثير من هذة الصفات هباءا منثورا .

(هاني فخري – النظام العسكري 25)

منذ أول يوم للمملوك بعد شرائه من تجار العبيد يتم إرساله إلى **الطباق** وهي بمثابة مدارس عسكرية في **قلعة الجبل** وكان كل **طباق** يمكن أن يأوي ألف مملوك . ومنذ الطفولة تقرر لهم **جامكية** (مرتب للجندي وهو مبلغ من المال) .

ثم إذا شب وعلم الفقه , وأحيط علما بعظمة الحضارة الإسلامية التي يحارب من أجلها . أخذ يعلم فنون الحرب من رمي السهام ولعب بالرمح ونحو ذلك .

ولا يمكن للمملوك المبتدئ أن يغادر هذه الثكنة في فترة التدريب ومخالفة أو إنتهاك قوانين هذه الثكنات .

حينئذ يبدأ المملوك تدريبه طبقا لقواعد الفروسية , والفروسية علم وفن وأدب , شجاعة وجرأة وشهامة .

(فرسان الإسلام –جيمس واترسون 165)

وكان **السلطان** بنفسه يتابع التدريبات والتعليم , فيستمر المملوك بالتدريب والتنشئة العسكرية المكثفة حتى يصبح فارسا قادرًا على إستخدام جميع أنواع الأسلحة من **الفروسية واللعب بالرمح ورمي النشاب والضرب بالسيف وكافة فنون الحرب .**

كانوا تحت المراقبة والمتابعة في جميع أحوالهم ، حتى أنه إذا أخطأ أحد منهم يعاقب ، **لقد كان لهم خداما يفحصون الواحد منهم فحصا شافيا ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على حركاته وسكناته فان عثر أحد مؤدبيه أنه أقترف ذنبا أو ترك أدبا من أداب الدين أو الدنيا عوقب بقدر جرمه .**

(المقريزي – السلوك)

حتى أنهم كانوا يرتعدون من أستاذهم خوفا .

(ابن تغري بردي– النجوم الزاهرة331/6)

منهم من كان سيفًا مسلطًا على المفسدين منهم **كالظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل والناصر محمد** الذي أمر ذات مرة بضرب جندي لأنه كان سكرانًا .

(هاني فخري– النظام العسكري)

ورغم تلك التربية القاسية إلا أن **السلطان** كان يهتم بهم من خلال الإنفاق عليهم بسخاء والإغداق عليهم بنعمه .

ومما أتصف به هؤلاء المماليك الذين جلبوا من بلاد الترك أنهم لم ينعموا بالملذات وطيب العيش .

(مقدمة ابن خلدون 169/1)

ومعيشتهم تقوم على التقشف .

(الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي – حافظ احمد حمدي)

ولكن تلك التربية الصارمة والحازمة هي التي جعلت منهم سادة يحكمون الممالك وقادة يجاهدون في سبيل الله وأهل سياسة يستطيعون تدبير أمورهم .

(المقريزي – الخطط 214/2)

كل ذلك كان في النهاية جائزة لذلك المجتمع , الذي جلب أطفالا صغارا ليجعلهم محاربين أفذاذ .

(فرسان الاسلام –جيمس واترسون)

وأما الأرض التي أنجبت هذه الذخيرة من الجنود كان إذا أنجب الرجل فيها ولد , فإنه يقوم بتربيته وتهذيبه بإعالته ورعايته حتى سن البلوغ وحينئذ يعطيه قوسا وبضعة أسهم ثم يدفعه بعيدا عن منزل الأسرة صارخا :

" ناضل من أجل حياتك " .

ومنذ تلك اللحظة يتعامل معه كغريب وأجنبي كما إن هناك بينهم من يقوم ببيع أبنائه وبناته .

(فرسان الاسلام 51 –جيمس واترسون)

وهكذا نرى أن سيل الأتراك الجارف كان لا ينقطع في سيره نحو الغرب حيث الأراضي المتاخمة للبلاد الإسلامية وكان الأتراك يتنقلون من جهة إلى أخرى محاولين إحداث ثغرات ينفذون منها إلى أراضي الدوله الإسلامية

(الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي 20– حافظ احمد حمدي)

حتى إذا وطئت الأقدام الديار المصرية وكانوا في حيازة سيدهم نظروا إليه على إنه الذي :

" أنتشلهم من العبودية وأنقذهم من حياة وضيعة ونقلهم من الفقر إلى الغنى " .

(فرسان الاسلام –جيمس واترسون)

فإذا صار المملوك أميرا فهذا من تمام سعده يومئذ تدق على أبوابه الطبول والزمور ويملأ إسطبله بالخيول ويكفى بمؤنتها وسروجها ويخصص لخدمته الغلمان ويسلم له سلاح ولباس وإقطاع .

(ابن اياس – بدائع الزهور 68/3)

فأمير اليوم صار سلطانا صغيرا

ومن المعلوم أن كل أطفال القفجاق قاموا بإستخدام الأقواس وأمتطوا الخيول الصغيرة في السهوب قبل أن يقوم تجار الرقيق بجلبهم وبيعهم في أسواق الرقيق .

(فرسان الاسلام 68 – جيمس واترسون)

والفروسية هي أهم شيء يتعلمه المملوك , لم تكن الفروسية عند المماليك ركوب الخيل والجري بها والقتال على ظهورها وإنما كانت لها قوانينها وفنونها فيتعلم المملوك كل مظاهرها من منازلة ومطاردة .

فالفروسية عند المماليك هي محك الرجولة والإقدام , وركوب الخيل فروسية ومهارة تكسب متقنها قوة ورهبة وتمكن من توجيه المعركة إلي صالحه فيحرز النصر وينزل الهزائم بأعدائه .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 240/1)

فأول ما يبدأ المملوك التدريب عليه هو ركوب الخيل ويبدأ ركوب الخيل بتعلم ركوب تمثال من طين أو خشب على هيئة فرس فيتعلم كيفية الجلوس والجلسة الصحيحة ثم الوثوب على هذا التمثال حتى يتقن ذلك ثم يضع سرجا على ظهر التمثال ويتدرب على الوثوب بخفة ورشاقة وهم يحملون سلاحهم ومعدات الحرب والقتال .

فإن أطمان المدرب إلى قدرة المملوك على ذلك بدأ تعليمه الوثوب على خيل حقيقية

وكان يشترط على المملوك الدراية بإمور الدواب وما يصيبها من أمراض وأسبابها وعلاجها.

وبلا شك لا يوجد مثل التركي في ركوب الخيل ورميه السهام من على ظهورها فإنه يصيب أي شيء حتى العصفورة .

(مروج الذهب 356/3)

يتدربون على أن يعتلون ظهور الخيل بسرعة ورشاقة ثم يستمر في تدريبهم بعد إضافة السرج على ظهور الخيل ثم كيفية إعتلاء الحصان والترجل بينما يلبس دروع الحرب كاملة.

ويتعلم المملوك القفز والوقوف على ظهر الخيل ويتعلم صحة الحصان وأمراض الحصان وأن يسهر على رعايته, ولا يكتمل تدريبه إلا بعد أن يتعلم جيدا كيف يعتني بحصانه المريض حتى يتعافى تماما .

(فرسان الاسلام171 –جيمس واترسون)

بعد التدريب من المقرر أن يكون قادر على رمي الرمح وهو على ظهر الخيل بعدوه بأقصى قوته .

و الرمح ذلك السلاح الطائش الذي يستخدم للهجوم من أجل الحصول على كل شيء أو لا شيء , والمملوك يحمل خنجر وسيف يزن اثنين كيلو ونصف من الجرامات , يقبض عليه بين إبهام اليد والسبابة .

(فرسان الإسلام175 – جيمس واترسون)

ودروع المماليك تحمل عبارات محفورة عليها :

" أبو الفقراء والمساكين قاتل الكفار والمشركين باسط العدل بين الجميع "

(فرسان الاسلام 66–جيمس واترسون)

كتب طيبغا قصيدة من مئتي بيت كان يتعين على المملوك حفظها وتعطي تعليمات

كاملة عن كيفية إطلاق السهام بطريقة صحيحة إبتداء من إعداد القوس إلى وضع الساقين وتركيب السهم في القوس والتصويب تجاه الهدف ثم الإطلاق نحوه .

كان الجندي المملوك فارسا عسكريا على الدوام يستخدم قوسه وهو على سرج حصانه , كانوا فرسانا سادة ميادين القتال بلا منازع مجاهدين ومقاتلين لحرب مقدسة .

رسم على جعبة سهام أحدهم :

" أنا ممتلئ بالسهام القاتلة بضاعتي هي الألم والموت خذ العبرة مما علمته عني , أنا آفة هذا العالم الفسيح الأرجاء " .

والأقواس المركبة مصنوعة من القرون والأوتار يحمل كل مملوك قوسين لأحتمال فسد الآخر, يصنع من العظام أو من الأحجار الكريمة .

ويشد القوس إلى الأذن بدلا من العين ورمي السهام يبلغ ثلاثة سهام في الثانية الواحدة , ومداه مائتي مترا و لكي يصبح قاتلا فخمسة وسبعون مترا فقط .

كان المملوك يحمل ستين سهما في جعبته يتم حملها على الظهر وفتحتها إلى الأمام رؤوسها تصنع من الحديد المقس والتي يتم تسخينها لدرجة الإحمرار ثم يتم إطفائها بالماء المالح من أجل جعل حافيتها أكثر حدة

سهام ذات رؤوس مدببة أو مستطيلة وهي الأفضل على الأطلاق

يقع الأعداء تحت وطئة إستمطار السهام أي إطلاق وابل من السهام فوق رؤوسهم .

يتم تجهيز السهام بالريش لتكون أطول , ريش يتم أخذه من الجانب الأيمن من الطيور مثل ريش النسور والعقاب .

والسهام ذات الثلاث ريشات في القذف بعيد المدى أما السهام ذات الأربع من أجل تصويب أكثر دقة وتوجد سهام خاصة من أجل القضاء على الخيول .

(فرسان الاسلام170,120 – جيمس واترسون)



7. اماكن التربية والإعداد والإقامة :

كثر المماليك في أرض المحروسة حتى ضاقت بهم القاهرة .

(ابن أياس – بدائع الزهور 83/1)

فلما كثر مضايقتهم للناس أختار الملك **الصالح أيوب** جزيرة **الروضة** لتكون مقرا له ولهم بالقرب من المقياس قبالة الفسطاط وفي المكان الذي أنشأه **ابن طولون** قديما حصنا ودارا لبناء السفن كانت جزيرة الروضة .

كانت حين ذاك متنزها للملوك والأمراء وبها مئات الأشجار والنخيل فأمر **الصالح** بقطع أشجارها ونخيلها حتى يتسن له إتمام القلعة فشيد بها قصرا أحاطه بسور

(المقريزي –الخطط 73/3)

وما أن تكامل بناؤها حتى تحول السلطان إليها وسكنها بأهله وهجر مسكنه السابق في قلعة الجبل ونزل قلعته الجديدة التي يحيطها النيل

(تاريخ ابن خلدون 430/5)

ثم في العام التالي إنتهى من إنشاء ستين برجا من جميع الجهات ومسجدا كبيرا وأسوارا

ضخمة للتحصين ودورا للاقامة وأبنية بديعة لم تكن لملك من ملوك الإسلام من قبله , ثم شحنها بالأسلحة والمعدات الحربية وأجهز صومعة للمأكل والغلال حتى صارت في أبهى صورة في إنتظار ساكنيها من المماليك الترك .

ثم بعد هدم القلعة في زمن الملك **المعز عز الدين أيبك التركماني** صار المماليك السلطانية يقيمون في طباق القلعة تحت أعين **السلطان** وهم المكلفون بحماية العرش ويعتبرون حرسا خاصا **للسلطان** .

والطباق يسكن فيها أيضا الأجناد العجزة والمسنين والمعاقين ويصرف لهم راتبا .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 9/5)

وطباق القلعة متعددة الطبقات ، كانت كل طبقة تتسع لألف مملوك .

(ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، 190/7)

وقد كانت الطباق واسعة جدًا ، كان يقيم بها الجند والأمراء على حد سواء ويبدو أن **السلطان** المملوكي أراد إقامة المماليك الجدد والمدربين الذين ضمن ولاءهم إلي جانبه ليكونوا صمام أمان ، وبمثابة حرس سلطاني لتحميه وقت الأزمات وصد أي محاولة إنقلاب داخلية من بعض الأمراء ، ولذلك كان إسمهم المماليك السلطانية وقد كان **السلطان** يشرف بنفسه على المماليك المقيمين بالطباق من خلال زيارات مفاجئة ، كما كان يعهد لمقدم الطباق ويكون ذو شخصية قوية وصارمة ، له هيبة كبيرة وكان يقدم لهم أنواع الأطعمة المختلفة مثل اللحوم والفواكه والحلوى ، كما كان يسلمهم كسوتهم بشكل منتظم .

(هاني فخري –النظام العسكري 58)

وكان **السلطان** يختار المماليك الذين سيقيمون في الطباق ، ولم تكن مقصورة على

الفرسان والمحاربين ، وإنما كان يقيم فيها كل المماليك الذين يتم شراءهم للسلطان ، سواء في الجيش أو في الأعمال الإدارية .

أما أماكن إقامة أجناد الحلقة فهم موزعون في كل أرجاء الدولة المملوكية, وأجناد الأمراء مقيمين بحسب تواجد أميرهم .

(المقريزي– الخطط 2/ 215)

والطباق تسمى بحسب إسم **السلطان** الذي أشتراهم مثل :

" طباق المماليك الأشرفية وطباق المماليك الناصرية وهكذا "

وفي عهد **السلطان المنصور قلاوون** تم إسكان المماليك في أبراج القلعة ، ولذلك أطلق عليهم **المماليك البرجية** .



8. الكسوة " زي المماليك "

لا يكاد يذكر **العصر المملوكي** في أي مصدر أو مرجع ، إلا وتكون الملابس سمة رئيسة لا تفارق حياة المماليك ، وربما ذلك له علاقة مباشرة بحب المماليك وأهتمامهم للملابس والتزين بأفضل أنواع الملابس والأقمشة جعلهم يهتمون بإظهار زينتهم ، حتى أصبحت عادات موروثة وتقاليد متبعة .

فقد أرتبط الزى وقيمته وزركشته وديباجته بمكانة المملوك نفسه ، كما كان الزى والملبس يختلف في وقت السلم عن وقت الحرب ، كما يختلف أيضًا عند الأحتفال بالأنتصار والعروض العسكرية .

(هاني فخري – النظام العسكري 66)

فزى المماليك ظريف وعدتهم فائقة نفيسة .

(القلقشندي – صبح الأعشى 42/4)

على درجة كبيرة من حسن الرونق وبديع التنسيق حتى أصبح جمال هندامهم مضرب الأمثال عبر التاريخ .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 8/ 142)

ولبس السترة الواقية في صيف الشام الغائظ لم يكن ترفا على الأطلاق .

(فرسان الاسلام170 –جيمس واترسون)

في البداية بقيت الأزياء على ما كانت عليه في العهد الأيوبي ، حيث كانوا يلبسون كلوتات صفر بغير عمائم ، وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونها خلفهم , فلما دخل عهد **قلاوون** ومن بعده ابنه **الأشرف خليل** تغير لون **الكلوتات** (طاقية صغيرة من الصوف والقطن) من الصفرة إلى الحمرة ، وأمر بالعمائم من فوقها .

وبقيت كذلك حتى حج **الملك الناصر محمد بن قلاوون** فحلق رأسه ، فحلق الجميع رؤوسهم وأستمروا على الحلق إلى أواخر العهد المملوكي .

أرتبط الملبس والزى بالأقبية التترية والكلوتات فوقها ثم القباء الإسلامي فوقها وتشد المنطقة والسيف .

ويتميز الأمراء والمقدمون أعيان الجند بلبس أقبية قصيرة الأكمام فوق ذلك ، وتكون غالبها من الصوف الملطي الأحمر ، وتضرب ويلف فوقها عمائم صغار ثم زادوا في قدر الكلوتات ، وما يلف المنديل في الحياصة على الصولق من الجانب الأيمن ، وكان معظم العسكر يلبسون الطرز ولا يكفت مهمازه بالذهب .

كانت خلع أكابر الأمراء الأطلس الأحمر الرومي وتحته الأطلس الأصفر الرومي وعلى الفوقاني طرز زركش ذهب وتحته سنجاب وله نجف من ظاهره من الغشاء قندس وكلوتة زركش مذهب وكلابيب ذهب وشاش رفيع موصول في طرفيه حرير أبيض ، وتختلف حسب تقاديرهم ، كما كان يزود بسيف محلى بذهب يحضر من السلاح خاناه .

وأما المملوك المبتدئ فقد كانت كسوته على حساب السلطان من الثياب القطن البعلبكي ومن الكتان الخام المتوسط .

أما الثياب فلبسوا الأقبية التترية والتكلاوات فوقها ثم القباء الإسلامي فوق ذلك يشير عليه بالسيف من جهة اليسار والصولق والكزلك من اليمين .

وقد أختلف الملبس في عهد قلاوون عما كان عليه منذ الدولة الأيوبية فهو الذي غير ما كان متبع من الزي في عهد من سبقه من سلاطين المماليك .

ومن الواضح أن الملابس في العصر المملوكي كانت صناعة محلية ، وكانت هناك أسواق خاصة ، كسوق الفراءين يسكن فيها صناع الفراء وتجاره ، كما كان أيضا مكانًا للتجار يبيعون فيه ثياب الكتان والقطن .

أصبحت أزياء **المماليك** تملأ حوانيت الخياطين الذين يصنعون الخلع المملوكية .

أما زي الفارس فقد كانت العمامة المزركشة إضافة إلى لبس جبة صوف بنفسجية اللون وطوق ذهب وله عدة سيوف لواءان منشوران على رأسه وسهمان كبيران وترس وقدم له فرس أشهب في عنقه مشدة سوداء وعليه كنبوش أسود .

وقد كان الملبس في فصلي الصيف والشتاء ، يختلف عن بعضه ، ففي الصيف كان جميع القماش من الفوقاني ، وغيره أبيض من النصافي ونحوه وتشد فوق القباء الإسلامي المنطقة وهي الحياصة ، ومعظم مناطقهم من الفضة المطلية بالذهب .

(هاني فخري – النظام العسكري 67,68)

إن **السلطان قلاوون** هو الأكثر إهتماما بالأزياء في العصر المملوكي ، فهو الذي غير ما كان عليه الزى في العصر الأيوبي وما أستمر في بدايات العصر المملوكي ، فالمنصور قلاوون أوجد زيًا أفضل وأروع .

(السيوطي – حسن المحاضرة 111/2)

9. أقسام المماليك :

المماليك السلطانية : يطلق عليهم اسم السلطانية لأنهم خاصة **السلطان** فهو المسئول عن شرائهم وتربيتهم وأطعامهم وكسوتهم .

وينتسب المماليك السلطانية الى سلطانهم واستاذهم بالاسم مثل **الظاهرية** نسبة **للظاهر بيبرس** **والاشرفية** نسبة **للاشرف خليل** و**الناصرية** نسبة **للناصر محمد** **والمنصورية** نسبة **للمنصور قلاوون** وهكذا .

وهم أعظم الأجناد شأنًا وأرفعهم قدرًا .

(القلقشندي– صبح الأعشى 14/4)

يقيمون بنفس مكان السلطان في طباق القلعة .

وكان من مهامهم الأساسية حراسة **السلطان** والقلعة والمناوبة على ذلك .

(ابن تغري بردي – النجوم 89/11)

ينقسمون الى :

الخاصكية : وهم الذين يلازمون **السلطان** في خلواته وبمثابة حرسه الخاص.

الاجلاب : وهم الذين يشتريهم **السلطان** ويضعهم في **الطباق** ويشرف على تربيتهم **الطواشية ومقدمو المماليك** .

القرانيس **او** السيفية : وهم **نوعين الاول** منسوبون الى **السلاطين السابقين والثاني** منسوبون الى **الامراء** الذين توفوا او قتلوا او اعتقلو ا فيكونون في حوزة **السلطان** .

ويسمح للمماليك **السلطانية** بالاختلاط **بالعامة** .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 73/9)

وقد بلغ عدد المماليك السلطانية في عهد المنصور قلاوون ستة آلاف وسبعمائة مملوك فأراد ابنه الأشرف خليل تكملة العدد إلى عشرة آلاف مملوك .

(المقريزي–الخطط 2/ 348)

والأجناد السلطانية يفوق راتبهم أجناد الحلقة .

اجناد الحلقة :

عرفت فرق الحلقة في الجيوش الإسلامية السابقة للعهد المملوكي ، فذكرت في **العهد الزنكي** ، كما ذكرت في **جيش صلاح الدين وهم جيش الدولة الذي لا يتغير ولا يتبدل وهم صمام الامان للنظام العسكري المملوكي** , كانت تتكون تلك الفرقة من :

- **محترفي الجندية من مماليك السلاطين السابقين واولادهم " اولاد الناس "** وكان يطلق عليهم **الاسياد** .

- **ابناء المماليك السلطانية .**
- **بعض من المماليك السلطانية** الذين انعم السلطان عليهم بأقطاعات .
- **الفرسان من ابناء مصر و الشام الاصليين .**
- **ابناء المماليك** الذين تم اعطائهم حريتهم .
- **ويضاف اليهم في وقت الحرب الفيالق المأجورة** من **التركمان والبدو** الذين

كانت مصالحهم ترتبط **بالسلطان** لحماية ممتلكاتهم .

حيث إنهم أحرار أو مماليك حصلوا على حريتهم .

ويشرف على كل الف منهم احد امراء المئين ولكل مائة نقيب ولكل اربعين مقدم.

(المقريزي – الخطط216/2)

وهؤلاء كانوا يقيمون بإقطاعاتهم أو بيوتاتهم وموزعين بالإقطاعات والقلاع وبكل أرجاء الدولة وكان يقع على عاتقهم المساندة الفورية وقت الحاجة ، على خلاف **المماليك السلطانية** الذين كانوا في **طباق القلعة** تحت عين السلطان والمكلفين بحماية العرش دائما وفي كل الأوقات ،

وكان يتم اختيار مقدمي الحلقة بعناية فائقة ، ويشترط فيهم صفات القوة والأخلاق العالية

(هاني فخري – النظام العسكري 41)

اجناد الامراء :

وهم مماليك الامراء فحين ينعم **السلطان** على الامير بحريته يصبح **سلطانا** صغيرا له صلاحيات وامرة وتشريفة خاصة واسطبل ومخازن وموظفين اضافة الى اقتنائة عددا من المماليك سموا باجناد الامراء

(القلقشندي – صبح الاعشى 54/4)

وقد كانت تلك القوات مسجلة في ديوان الجيش ، وهم موزعون في أقطار المملكة وبلادها وغالبيتهم من المماليك المبتاعين .

وهم طبقات ، أكابرهم من له **إمرة مئة فارس** وتقدمة **ألف فارس** ومنهم أمراء **طبلخانات** لهم ما بين الأربعين والسبعين فارسا .

وجنود الأمراء يتلقون أوامرهم من أمرائهم مباشرة ، وليس من السلطان كالمماليك السلطانية أو أجناد الحلقة .

فأجناد الأمراء مسجلون في الديوان تحت اسم أميرهم , ولا يستطيع الجندي أو الأمير تغيير تبعيته إلا بأمر سلطاني عن طريق الديوان .

وكانت رواتب وأعطيات أجناد الأمراء أكثر بكثير من رواتب وأعطيات أجناد الحلقة .

فقد كانت تصل سبعة آلاف دينار إلى أميرالعشرة أما أجناد الحلقة فألف وخمسمائة دينار فقط

وتعتبر أجناد الأمراء هي الأكثر عددًا من جند المماليك السلطانية أو أجناد الحلقة .

وقد بلغ مجموع الجند كلهم في عهد الملك **الناصر محمد بن قلاوون** من **سلطانية وحلقة وأجناد الأمراء أربعة وعشرون ألفا** ، وكان أكثرهم جند الأمراء حيث بلغوا قرابة نصف العدد وحدهم .

(هاني فخري – النظام العسكري 43)



THE MUWAHHIDUN,
12th-EARLY 13th CENTURY
1: Muwahhid prince, early 13th century
2: Andalusian infantryman, late 12th century
3: Muwahhid guard cavalryman, late 12th century

10. الامراء :

لقد أعطى **الملك الصالح أيوب** مماليكه الأمريات ومنحهم التدرج في الرتب العسكرية فصار المملوك ينتقل رتبة بعد رتبة حتى يصير من الأمراء وقد تهذبت أخلاقه وكثرت أدابه وأمتزج تعظيم الأسلام وأهله في قلبه وأشتد ساعده في رمايه النشاب وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل .

(المقريزي– السلوك 341/1)

وعلى نهجه صار سلاطين دولة المماليك من بعده .

فاذا صار المملوك أميرا فهذا من تمام سعده يومئذ تدق على أبوابه الطبول والزمور ويملأ اسطبله بالخيول ويكفى بمؤنتها وسروجها ويخصص لخدمته الغلمان ويسلم له سلاح ولباس واقطاع يبقى له مدى الحياة

(ابن اياس – بدائع الزهور 68/3)

فأمير اليوم صار سلطانا صغيرا له إسطبل ومخازن ومجموعة من المباني و له من الموظفين ما يكفيه ، إضافة إلى اقتنائه عددا من المماليك ويملك كل ما يملكه **السلطان** من مباني وخيول ومماليك وسلطة .

جندي ثم امير خمسة ثم الى امير عشرة ثم الى امير طبلحاناة .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 198/14)

وامير **الاربعين** تدق له الطبول اثناء الاحتفالات وامير **مائة** اقدم الامراء و يتبعه فرقه عسكرية وهؤلاء **المئه** كانوا هم جوهر جيش الألف .

(فرسان الاسلام 182–جيمس واترسون)

وكان لابد قبل تدرج المملوك في أطوار الخدمة العسكرية والترقيات أن يكون قد أتقن استخدام كافة أنواع الأسلحة ولا يبلغ الرتب العالية في الجيش إلا وهو على أحسن صوره العسكرية والقتالية ولديه من المهارات ما يجعله قادرا على أن يكون فارسا قبل أن يكون قائدًا يأمر وينهي إضافة إلى الصفات الخلقية من تهذيب النفس وتحليه بالآداب والأخلاق الحميدة ، وأن تكون قد امتزجت نفسه بتعظيم الإسلام .

(هاني فخري – النظام العسكري 22)

والأمراء في الدولة المملوكية اهتموا برياضة الصيد فلا يكاد يوجد أمير إلا وكان له موعد مع الصيد والذي كان فيه من الفوائد ما لا يحصى مثل تمرين الخيل ورياضة للنفس ولذة في غير محرم ، واكتساب الشجاعة ومعرفة ذوي الألباب ، وفيها يبتعد الإنسان عن

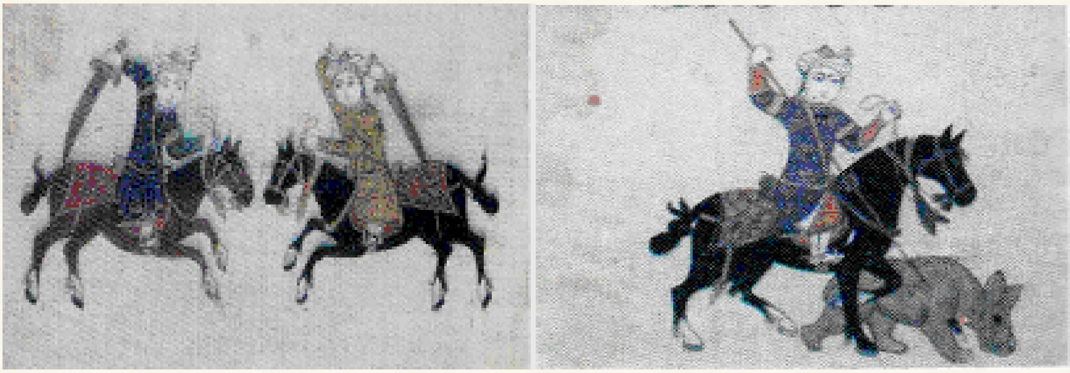
الذنوب في وقت الصيد ، كما يستغني عن الأكل في غير وقت الحاجة كما يداوي ما به من الهموم والغموم ، كما أن الصيد يزيل عن الجسد بالحركات ما به من الأوجاع ، كما أن الصيد يزيل الفكر ويحد النظر .

(نبيل عبد العزيز–رياضة الصيد في العصر المملوكي 12)

11. العتاقة :

وعنداكتمال حلة المملوك وتمام تدريبه تخصص الدولة له ما يحتاجه من خيل وقماش وجميع ما يلزمه من اسلحة من سيوف ورماح ودروع ونشاب ثم يخصص له اقطاع وفوق كل ذلك يحصل المملوك على اجازة بأنتهاء مدة تعليمة تطلق عليها " عتاقة " في حفل بهيج وعرض رائع .

(الباز العريني – المماليك 54)



12. أعداد الجيش المملوكي :

بلا شك وأن الأعداد الكبيرة للجيش تعتبر إرهاقًا للدولة إن لم يكن لها حاجة في ذلك ، فالجيوش تحتاج إلى مساكن وطعام وزي ورواتب وخيول وعتاد وملحقات متعددة ، الدولة في غنى عنها إن لم تكن هناك حروب قائمة .

لذا بدا واضحا أن العصر الذهبي للجيش المملوكي كان في عهد **السلطان الظاهر ركن**

الدين بيبرس حيث وصل عدد الجيش المملوكي **إلى أربعين ألف فارس** وذلك لكون **المغول والصليبيون** مسيطرين على قدر كبير من المدن والحصون الإسلامية ، وخلال فترة بيبرس الطويلة في الحكم كانت كلها معارك وفتوحات ، مما أدى إلى قدرة بيبرس على تحقيق انتصار على الجبهتين ، ويطردهم من تلك المدن ويجعل بدلا منهم حاميات من جيشه

قارن المؤرخ الكبير **ابن تغري بردي** بين كمية المصروفات والنفقات في عهدي **الصالح نجم الدين أيوب والظاهر بيبرس** ، ففي عصر الصالح **نجم الدين أيوب** كان ينفق ألف رطل من اللحم للجيش في اليوم ، وأما في عهد **الظاهر بيبرس** فقد كان يصرف عشرة آلاف رطل كل يوم مما يعني هنا أن جيش **الظاهر بيبرس** بلغ عشرة أضعاف جيش الملك الصالح **نجم الدين أيوب** .

ولكن نتيجة لأنتصارات **بيبرس** الساحقة أدت إلى تقليل عدد الجيش , إضافة إلى إنتهاء الأخطار ، وخاصة أن المغول بدؤوا في الدخول بالإسلام

كان عدد المماليك في عهد **الصالح نجم الدين** يزيد عن اثني عشر ألفًا .

ثم تضائل العدد في عهد " **أيبك** " حيث فر من جيشه الكثير من أتباع **أقطاي** ، مثل **بيبرس وقلاوون والموالين لهم** .

وأما في عهد **سيف الدين قطز** لم يكن ذا عدد كبير فقد بلغ في معركة عين جالوت **عشرة آلاف فارس** .

و أن عدد الجيش في عهد الملك **المنصور قلاوون** كان **اثني عشر ألفا** , حتى تناقص فوصل في عهد **الظاهر برقوق** إلى **سبعة ألاف** فقط .

ومن الواضح أن **بيبرس** كان له دور كبير في زيادة الجيش المملوكي بسبب حروبه المستمرة

على الجبهتين المغولية والصليبية ، ولابد من وجود جيش قوي ، ولكن هذا العدد لم يدم ولم يزد بل تناقص في العهود التي لحقت **بالظاهر بيبرس** ، ويبدو ذلك طبيعيا ، فقد ارتبط عدد الجيش بالحروب والمخاطر الموجودة .

" هاني فخري –النظام العسكري 49"

13. حروب المماليك :

لقد فطن **المماليك** إلى فنون الحروب المتعددة ، حيث كانوا محترفين لطرق القتال ، فالقتال مهنتهم الأساسية وقد تربوا عليه منذ طفولتهم فهم فرسان مدربون .

ان قائد **الجيش** يجب ان يتعرف بدقة على احوال **الحصون والمعاقل والاماكن** المتعذر الوصول اليها وتلك التي يمكن دخولها بسهوله والمواقع التي يمكن ان تجري فيها المعارك وتلك التي تضعف فيها اداره القتال

و الاكثر من ذلك يجب ان يقوم بتحديد المواضع التي يمكن من خلالها تفويض الامور ووضع احبال القياس وسلالم الحصار والقضبان الحديدية .

(فرسان الاسلام 12–جيمس واترسون)

صفوف تتشعب وميمنه لتشكيل صفوف تنثني على بعضها البعض لتكوين خطوط متعاقبه الترتيب والتي ينسلخ عنها طوابير او افراد للانقضاض .

(فرسان الاسلام175 –جيمس واترسون)

وأساليب الحرب كثيرة ومتنوعة ولم يتدعها المماليك ، فقد كانت الأساليب التي استخدمها المماليك موجودة من قبلهم ، مثل قتال **الخميس** ، **وهو تقسيم الجيش إلى خمس فرق .**

الفرقة الأولى **المقدمة** ، والفرقة الثانية **المؤخرة** ، والفرقة الثالثة **الميمنة** ، والرابعة **الميسرة** ،

والخامسة **القلب** ، وهذه الطريقة متبعة منذ القدم ، وقد استخدمها المسلمون منذ بداية معاركهم العسكرية

وثمة قتالات أخرى مثل قتال **الكر والفر وقتال الكراديس** وكل كردوس له قائد خاص وفي تلك الطريقة يكون الميمنة **بكردوس** ، والميسرة **بكردوس** ، والقلب **بكردوس** ، والمؤخرة **بكردوس** وهكذا

وعرفوا قتال الصفوف وهو أن يسير **الجندي المملوكي** بجانب صاحبه حتى يكاد يلتصق به ويسيرون على هذا النحو حين يستقر العدو .

والجيش المملوكي قد عرف أيضا نظام الأطلاب ، وهو قائم على أساس تقسيم الجيش إلى كتائب ، يكون على رأس كل كتيبة أمير مقدم , وقد كان يقصد **بالأطلاب** تنظيم الجيش وتقسيمه إلى فرق ، تتقدم إلى المعركة حسب خطة ، **وكان لكل طلب خواص تتميز بها** .

وفي الجيش الفرسان(الخيالة) وهم عصب الجيش ومهمتهم القتال والاستطلاع والاستكشاف ،

ومعهم المشاة(الرجالة) وهم القسم الأكبر من الجيش وهم الذين يقومون بأعباء القتال وتحمل مشاقه ونتائجه .

وثمة متطوعين يعتمد عليهم في حروبة من اهل البلاد التي تقع فيها الحرب حيث كان هؤلاء يدافعون ببسالة جنبا الى جنب مع الجيش المملوكي .

إن الأمر بالجهاد الذي جاء في القرآن و السنة إنما خاطب كافة المسلمين ولم يخاطب الجيش النظامي فقط ، وأن الجهاد يصبح فرض عين على العبد والمرأة بدون إذن إذا دخل الكفار بلد من بلاد المسلمين ورغم أن المماليك تدربوا منذ كانوا صبية ، فالفرق العسكرية

المملوكية تميزت بتدريبات عسكرية مميزة ، لم يكن بمقدور أهالي البلاد مواكبة تلك التدريبات ، إلا أن المخلصين و المحبين لفريضة الجهاد كانوا دائمًا على استعداد لتقديم التضحية .

أن هؤلاء المتطوعين رجوا الثواب من الله عز و جل ، وفي النهاية المتطوعة يدافعون عن أرضهم و عرضهم .

وقد عرف من المتطوعين المساندين للمماليك في حربهم ضد المغول آل مهنا وآل فضل و آل مرة وهذه القبائل كانت تقيم بين بادية الشام والعراق والجزيرة .

لقد كانوا جزءًا لا يتجزأ من الجيش المملوكي وإن كانوا قوات غير نظامية .

(هاني فخري – النظام العسكري88)

يحرص المماليك على إظهار قوتهم وكثرتهم بعروض تظهر القوة و الرهبة في نفوس أعداءهم ، كما حرصوا على إظهار الزينة من خلال لبس أفضل الثياب ، حتى وهم في المعارك ، إضا فة إلى استخدام الموسيقى العسكرية.

فقد كان هناك دور كبير للطبول والأصوات المصاحبة لصوت الخيول والسيوف وتحديد وقت الهجوم ، فالطبول كانت بمثابة إعلان الهجوم وإرهاب العدو ، حتى أن خيل ا لمعركة تتأثر بالأصوات والطبول فهذه الطبول تحرك نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستماتة .

وقد استخدم المماليك مؤسسة كاملة داخل الجيش لهذا الغرض أطلق عليها الطبلخانات, وقد كان يصاحب كل فرقة من فرق الجيش طبولا ، ويأمر الجنود بانطلاق المعركة وبدايتها إذا ضربت الطبول يستخدمونها كإشارة لبدء الحرب ، ويطلق على الموسيقى العسكرية مصطلح كوسات ، ويصفها كانت اذا زحفت وأزعجت الأرض وأرجفت القلوب بحسها وأرهبت الأعداء .

(هاني فخري – النظام العسكري96)

يبدأ الهجوم بوابل من السهام يتم اطلاقها على المدافعين وتصحبها النار الاغريقية في بعض الاحيان والتي يتم قصفها باستخدام المقلاع اليدوي ثم تتقدم المدفعيه من قاذفات العراده وعارضه القوس المركبه على عجل الى الهجوم السابق وبعدها بفترة وجيزة يمكن تركيب منجنيقات النقل الموازي والتي يمكنها البدء في قصف الحصن او المعقل .

(فرسان الاسلام153 –جيمس واترسون)

كل مجموعه تعيد تعبئه الجعاب بالاسهم خلف مجموعه اخرى متحركة .

الحمله تتبعها حموله من السهام على العديد من الجمال , لقد كانوا فرسان رماة سهام لا يشق لهم غبار .

(فرسان الاسلام243 –جيمس واترسون)

عندما يبدا الجيش في الهجوم فإنه من الضروري ان يقوم المقاتلون بإستخدام انسب الاسلحة في البداية ثم الانسب لبعد ذلك وتأخير استخدام الاسلحه الضخمة حتى يتم استخدامها في اخر مراحل الهجوم وبهذه الطريقه يكون من الواضح لهؤلاء المقاتلين في الحصن ان كل مرحله من مراحل القذف ستكون اكثر تدميرا من التي قبلها .

لا يجب ان يكون هناك تخفيف في كميه النيران في اي ساعه من ساعات الليل او النهار . فالتخلي عن الهجوم في اي وقت يمكن ان يقوم بتهدئه مخاوفهم وتقويه عزائمهم .

(فرسان الاسلام154 –جيمس واترسون)

والمنجنيق وهو الدعامه الاساسية لترسانة اسلحه الحصار يقذف صواريخ يصل وزنها اكثر من 80 كيلو لمسافة أبعد من تلك التي تصل اليها السهام .

وكان لبيبرس منجنيقات يمكنها ان تقذف 450 كيلو جرام .

كان للعراده مدى يصل الى 120 مترا على الاقل اما القذافة وعارضة القوس المركبه على

عجل تستخدم في القاء مقذوفات النفط وقدرتها على الاستدارة الى شتى اتجاهات .

كان كلا من الحاميات العسكرية والسكان المدنيين تستولي عليهم مشاعر الرعب بمجرد وصول عساكر المماليك .

(فرسان الاسلام 151 –جيمس واترسون)

كما كان يحرص المماليك على رفع السناجق على أسوار قلاع أعدائهم حتى يحطموا نفسيات أعدائهم

فإن للراية دور كبير في المعركة فكم من جيش هزم لما داس الأعداء على رايته .

وقد عرف المسلمون منذ بدءوا حروبهم الأولى في عهد النبي **صلى الله عليه وسلم** قيمة الراية ، وقد عقدت أول راية في الإسلام **لعبد الله بن جحش** وفي غزوة **مؤتة** كان للراية قصة . حين حرص زيد على حمل الراية بأمر **رسول الله صلى الله عليه وسلم** فقتله الروم لتسقط راية المسلمين ، فاستلمها بسرعة **جعفر ابن أبي طالب** الذي استطاع الروم النيل منه .

كان **جعفر** يحمل الراية بيمينه ، فلما قطعوا يده اليمنى حمل الراية بيده اليسرى ، فلما قطعت يده اليسرى احتضنها بعضديه حتى قتل ، وقد أبدله **الله** بدل من يديه بجناحين في الجنة ، .

فحملها **عبد الله ابن رواحه** واستبسل في الدفاع عن الراية ، حتى استشهد ، ليحملها **خالد ابن الوليد** ويقود الحرب .

وكانت الراية في الفتوحات الإسلامية هي إشارة القيادة فمن تسلم الراية فهو القائد للجيش الإسلامي وقد عرفت راية رسول ا لله صلى الله عليه وسلم بأنها سودا ء ، وكانوا يسمونها عقابا

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على إعطاء الراية لمن يثق بهم ويعتمد عليهم ، مثلما فعل في **فتح خيبر** حيث قال عن الراية : **من يأخذها بحقها** ؟ فجاءه رجلان واحد بعد الأخر فرفض الرسول تسليمهما الراية ثم أعطاها **لعلي ابن أبي طالب وقال** : **لأعطينها لرجل لا يفر ففتح الله خيبر** على يد **علي ابن أبي طالب** .

سارت الدولة المملوكية على نفس الوتيرة من الاهتمام بالرايات ، كجزء لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي .

فقد اظهر جيش المماليك راياته وسناجقه ودائمًا ما كان لكثرة الرايات وألوانها رموزًا معينة ودلالات يفهمها أفراد الجيش .

ولسلطان المماليك **ثلاثة أعلام أحدها** من الحرير **الأصفر** المطرز بالذهب ينقش عليه ألقاب السلطان واسمه ويسمى العصابة ويحمله **العلم دار والثاني** كبير **أبيض** تعلق في أعلاه خصلة من الشعر ويسمى **الشاليش والثالث** راية **صفراء** صغيرة تسمى **السنجق** ويحملها **السنجقدار** وفي حالة الحرب كان يخرج **السلطان** في جيشه بالأعلام الثلاثة معا. تقصف المدن المحصنة بشكل مرعب وفي نفس الوقت تدور الخيول بفرسانها .

ثم ان بالجيش فرق هندسية منوط بها ان تكون على علم تام بأماكن تواجد ما يلزم من مواد خام للتصنيع الحربي ، وبعلم تام بكل المناطق في جميع أنحاء الدولة المملوكية ، ليتم تحديد سير الحملة العسكرية في الذهاب والإياب .

عملت تلك الفرقة إضافة لعملها قبل وأثناء المعركة على زرع الأرض بالمثلثات التي كيفما تلقى على الأرض تصيب أرجل خيل الأعداء ، فتدخل في قدم الفرس فينقلب هو وراكبه الذي حينما يقع ستصيبه إحدى المثلثات الملقاة على الأرض .

والمثلثات قطع حديدية دفاعية تلقى في طريق الأعداء وتكون بمثابة ألغام ، ووصفها

الطرسوسي بأنها مختلفة الصفات والضروب وبها تأمن العساكر إذا تكشكشت ، أي تأخر عنها المدد من الطلب وتمتنع بمكرها من التتبع والهرب ، وهي سريعة النكاية بالأعداء فهي تسقط الخيول بمن عليها وتهلك من أصابها وهي تلقى على الأرض التي يسير عليها الأعداء ، فتدخل في قدم الفرس فيقلب وراكبه الذي سيقع على أحد المثلثات الملقى على الأرض ، وهي كيفما تلقيها على الأرض تؤدي الغرض لأنها كيفما وقعت تظل شوكاتها لأعلى لأنها من جميع الجهات مدببة وشوكية .

وفي يوم قيسارية قامت الفرقة الهندسية بصناعة سكك للخيل على سور قيسارية وتحلقت الخيول فيها كالنسور وطلعت الفرقة ونصبت السناجق .

كما أنه من مهام الفرق الهندسية في الجيش المملوكي تكثيف العمل لتجهيز احتياجات الجيش ، وخاصة المياة في مناطق العمليات الحربية .

(هاني فخري – النظام العسكري 92)

يحدث كل ذلك وراء خلفيه انهاك هائله للروح المعنوية من طبول مزدوجة محموله على ظهور ما يقرب من 300 جمل تشق اصواتها عنان السماء كالرعد .

(فرسان الاسلام 153 –جيمس واترسون)

كما كان **المماليك** يحرصون على ضم **العلماء وقراء القرآن** مع كل فرقة عسكرية ، وكان دور العلماء بارزا في تشويق المقاتلين **للجنة مما** كان له عظيم الأثر في نفوس **الجيش المملوكي** .

وكانت لمرافقة **السلطان المملوكي** للحملات العسكرية دورًا كبيرًا في نفس الجندي المملوكي ، حين يرى السلطان نفسه داخل المعركة ، وكان أيضًا الخليفة العباسي يرافق الحملات العسكرية .

لقد ظهر في ذلك العصرالكتابات المتنوعة عن الجهاد وفضائله بشكل كبير والحروب وفنونها وصناعة الأسلحة وغيرها من الكتب الكثيرة ، التي من شأنها تفعيل الجهاد في سبيل الله وإتقان الفروسية ، ويتضح من خلال تتبع العصر المملوكي دور الكثير من العلماء في تحريض المسلمين على القتال وكان ذلك من أهم أساليب التعبئة العسكرية والقتال .

(هاني فخري – النظام العسكري 84)

اذا ما حدث ان احد افراد الجيش اراد التراجع لخوفه من القتال او معاناته من الاصابه فلا يجب لاي احد من افراد الجيش اعاقته بالوقوف في طريقه او القيام باعادته الى المقاتلين ولكن بدلا من ذلك تتم معاملته برفق وتهدئة حتى يصل الى مؤخره ترتيب القتال .

اذا ما اثارك العدو على الهجوم عليه وقام بإثارة الغبار فإن الهجوم عليه يجب ان ينتظر حتى ينقشع الغبار تماما خشيه وجود كمين .

اذا ما ولي العدو الادبار والمسار الذي سلكه مؤكد فإن الجيش بأكمله يجب ان لا يتبعه ولكن بالاحرى يتبعه قوة من الجيش بينما يقوم البعض الاخر بالاستيلاء على الغنائم اما الباقون فيجب عليهم تغطية تلك العمليات , فان تتبع العدو بكامل الجيش عمل يستحق اللوم .

(فرسان الاسلام 167 –جيمس واترسون)

كان **المماليك** خبراء في فنون فرض الحصار في الحروب قادرين على نشر المقاليع باحجام و اعداد هائله لا يمكن تصورها .

اشداء لا يشق لهم غبار في القتال المتلاحم وروماة سهام من فوق خيولهم بامتياز.

وللمماليك بسالة وانتصارات لا نظير لها ضد الاعداء .

(فرسان الاسلام 149 –جيمس واترسون)

يتدربون معا بشكل يومي , تمت تنشأتهم كمجموعة بحزم بالغ .

ومن أهم العتاد الحربي **الخيول** , فكان مما استخدم كمستلزمات حربية للفرس **الكنبوش** (وهي البردعة)ويمكن أن يكون من الذهب الزركشي أو من الفضة الملبسة بالذهب أو من الصوف المرقوم وأيضا استخدموا **المهماز** وهو آلة من الحديد في رجل الفارس فوق كعبه فوق الخف ومؤخره إصبع محدد الرأس ، إذا أصاب جانب الفرس تحركت وأسرعت في المشي ، ويمكن أن تكون من الذهب المحض أو من الفضة أو من الحديد المطلي بالذهب .

وخيول المقدمين مسرجة ملجمة و خيول أمراء الطبلخانات غير مسرجة

لقد أهتم **السلاطين بالخيول** غاية الأهتمام وأنفقوا في شرائهم المال الكثير حتى إن أكل الخيول الخاصة بالأمراء كان على حساب الدولة فيرسل إليهم البرسيم و الشعير .

وكان **الجندي المملوكي** يلبس ما يحميه من الحرق ويلبس فرسه ما يحميه من الحرق ، كانت تطلى الملابس بمادة غير قابلة للاشتعال ثم يدخل الفارس بفرسه داخل جموع الأعداء حاملا النيران والنفوط المشتعلة ليضرم النيران في أمتعة وملابس الأعداء فيحرقهم ولا يتأثر هو مما يجعل ليل الأعداء رعب ليس بعده رعب .

(هاني فخري – النظام العسكري 139)

لقد احدث المماليك ثورة في استراتيجيات حروب الحصار بأكملها .

(فرسان الاسلام150–جيمس واترسون)

والجندي المملوكي الدولة أنفقت عليه الكثير ، فقد اشترته طفلا من الأسواق وفرضت له الجوامك وأطعمته وكسته وعلمته .

وبعد كل ذلك حرصت الدولة على توفير العلاج له . سواء وقت السلم أو الحرب ، ومن أوائل السلاطين الذين أهتموا بإنشاء فرق طبية ملازمة للجيش **كان الظاهر بيبرس** ، حيث خصص اهتمامًا بالغًا بالأطباء وتنميتهم مهنيًا وقد كان منصب رياسة الطب يقلد بتشريفة كبيرة ، وكان يتم اختياره بعناية فائقة من النواحي العلمية والخلقية **فأرواح العباد أمانة الدولة** . وكان ينصب مستوصف متنقل داخل خيام العسكر ، ويمكن لأي مريض أو جريح النوم فيها بأمان وتحت مراقبة الفرق الطبية .

(هاني فخري –النظام العسكري – 94)

لقد احتلوا مكانة متميزة فكانوا أعظم الرجال المقاتلين في العالم في زمانهم وعنوانا بارزا لجوهر المقاتل الفارس الذي يصل الى حد الكمال في مهاراته في استخدام القوس والرمح والسيف .

لقد تركوا لنا ما يكفي للبرهنة على عظم تاريخهم ومآثر فذه لا يجب بأي حال من الاحوال أن تتوارى في ظلمات التاريخ .

فالمماليك الذين تعود اصولهم الى بدو السهوب يقاتلون الآن جيشا اخر من بني جلدتهم من مواطني السهوب من اجل المحافظة على دوله كانوا يعدون غرباء عنها .

فرسانا ورماة سهام لا يشق لهم غبار قادرين على التفوق في الهجمات من حيث القوة والدقة ومعدلات الاطلاق .

سهم يطلقه محارب في سبيل الله تجاه كافر , اغلى واثمن من صلوات دائمة لناسك متعبد .

(فرسان الاسلام111 –جيمس واترسون)

14. المماليك والأسطول البحري :

حينما استطاع صلاح الدين تحرير **القدس** وبعض المدن الساحلية ، أرسلت **أوربا** إمداداتها عبر البحر المتوسط ، مما اضطر صلاح الدين لصلح **الرملة** .

كانت قوة **الصليبيين** نابعة من قوتهم **البحرية** وقوة أساطيلهم .

على الرغم من محاولات **الأيوبيين** إنشاء أسطول قوي إلا أنهم لم يستطعوا منع الأساطيل الغربية وظل الحال من سيئ إلى أسوأ .

وبذلك كان ميراث **المماليك** من **البحرية الأيوبية** ضعيفا ، واقتصرت القوة الإسلامية على المواجهة البرية كما حدث في عهد **السلطان نجم الدين أيوب** حينما استطاع جند **المماليك** صد الهجمة الصليبية في **فارسكور** .

إن تطور الأسطول البحري مرتبط بتطور النظام العسكري ككل في أي زمان ومكان ، فهو جزء لا يتجزأ من المنظومة العسكرية ، **وبذلك يتضح مدى وجود وأهمية وقوة الأسطول البحري المملوكي** ، فالمسلمون فقدوا سيطرتهم على البحر المتوسط منذ قيام الحروب الصليبية وتمكن الغرب المسيحي من السيطرة الكاملة على البحر المتوسط فأصبح بحرًا **أوروبيًا** .

ومن هنا بدأت دولة المماليك في عهد السلطان **الظاهر بيبرس** تجهيز أسطولا ضخمًا كان يتابع إعداده بنفسه حيث كان يقضي معظم وقته بدار صناعة السفن ، حتى أصبح **للمماليك** أسطولا ضخمًا تمكن من خلاله **بيبرس** تكوين أسطولا قويا يضم أكثر **من أربعين سفينة بحرية**

ومن مظاهر اهتمام المماليك ببناء الأساطيل أنهم منعوا قطع الأشجار التي تصلح أعوادها

لبناء السفن , كما حرص المماليك على بناء أبراج لحماية سواحلهم ونظموا الممرات البحرية ، التي يمكن أن تدخل منها سفن الأعداء الكبيرة وبنوا أسوار ثغر الإسكندرية .

(هاني فخري – النظام العسكري – 102)

وقد كانت أهم القطع البحرية التي يتألف منها الأسطول المملوكي :

السفن الشواني : **سفن** كبيرة ذات ابراج وقلاع تستخدم للدفاع والهجوم تجدف بمائة مجداف عدد الجنود مائة وخمسون جندي .

الحراريق : سفينة كبيرة لنقل عدد من الشواني ترمي النيران على سفن العدو فتحرقها ,

والطراد : سفن صغيرة تحمل الخيول من أربعين الى ثمانين فرسا

الاغربه : راسها تشبه راس الغراب تسير بعدد مائة وثمانون مجداف محمل بالجنود مزود بجسر يهبط على مركب العدو , يمر الجنود على ظهره ويقاتلون باساليب برية .

البطس " سفن كبيرة تسير بأربعين شراع تنقل الجنود (سبعمائة جندي) والاسلحه والغلال والذخيرة , لها اسطح مرتفعة ومتعددة

(العصر المملوكي –مفيد الزيدي 256)

15. الاسلحة المستخدمة :

ولأن **المنجنيقات** بأحجام مختلفة ، كانت تصنع بجوار المدن التي سيتم قصفها وتحريرها .

وكان يتم استدعاء **الحجارين** والذين كانت مهمتهم تجهيز **الحجارة** بشكل يمكن قذفها , كما أن **المنجنيقات** كانت تستخدم في قذف النار .

كان **لدى الجيش المملوكي مكاحل البارود** التي تجرها العجلات ، ويقصد بها **المدافع** وهي المدافع التي يرمى فيها بالنفط ويصنع المدفع من نحاس ورصاص ويصل مداه بعيدا .

أوضح الكثير من المؤرخين انه كان نقطة تحول هامة في حروب المماليك وبالنسبة

للعالم كله من حيث تطويرها ومن الثابت تاريخيا أن أول من استخدم المدافع البارودية هم المماليك في معركة المنصورة .

كما كانت تصنع المقذوفات بأحجام مختلفة منها ما يرمى بالمنجنيق ومنها ما يرمى بالنشاب .

كما صنع المماليك نفط يمشي على الما ء ، يصلح لحرق المراكب ولا ينطفئ.

ومن الأسلحة **الدبابات والأبراج والستائر** وهي آلات تستخدم في ثقب الأسوار وما شابهها ، وهي سترة للرجال يمكنها أن تحمي الرجال من حجارة **المنجنيق** المعادي حين يتقدمون لاختراق المسافة بين المكان الذي يقفون فيه للحصار وأسوار المدن المحاصرة ليدمروهاوتكون كالحصن المانع من **النبال** لا يؤثر فيه شئ من السلاح .

فالجنود يتحصنون و يتفادون ضربات الأعداء داخل **الدبابات والدروع** .

والسيف يصنع من الحديد المضاف عليه بعض المواد حتى لا ينكسر **والسيف** متعدد الأشكال منه الطويل والقصير والعريض والدقيق ، وكان جنود المماليك يعلقونه في الجنب.

وأستخدموا **الخنجر والبلطة والفأس** في حروبهم كما استخدموا **الدبوس** وهو آلة حادة من الحديد .

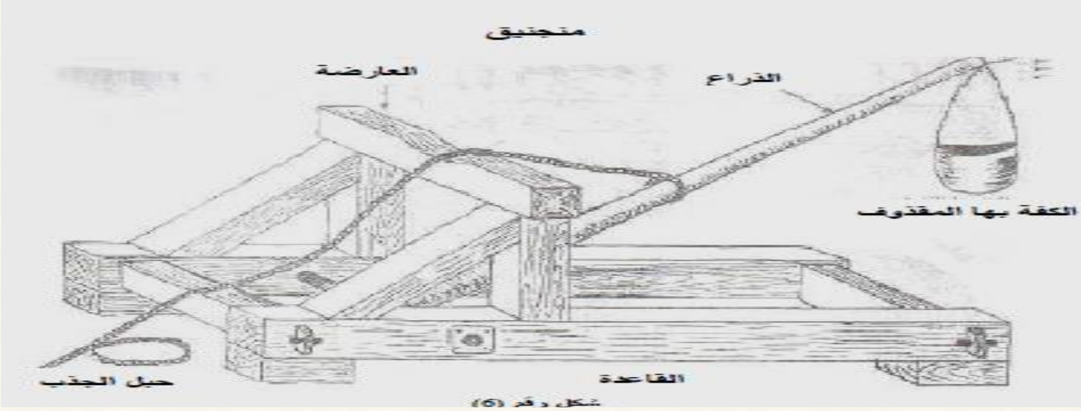
واما القوس فقد استخدمه **المماليك** في إطلاق السهام على الأعداء عن بعد وكانوا يسمونه **المقبض والنشاب** وكان المماليك يصنعونه بأنفسهم

ومن فوائد **القوس** أنه يجعل الجندي بمأمن من أعدائه واحتمال موته أقل مما لو كان على صدام مباشر مع عدوه .

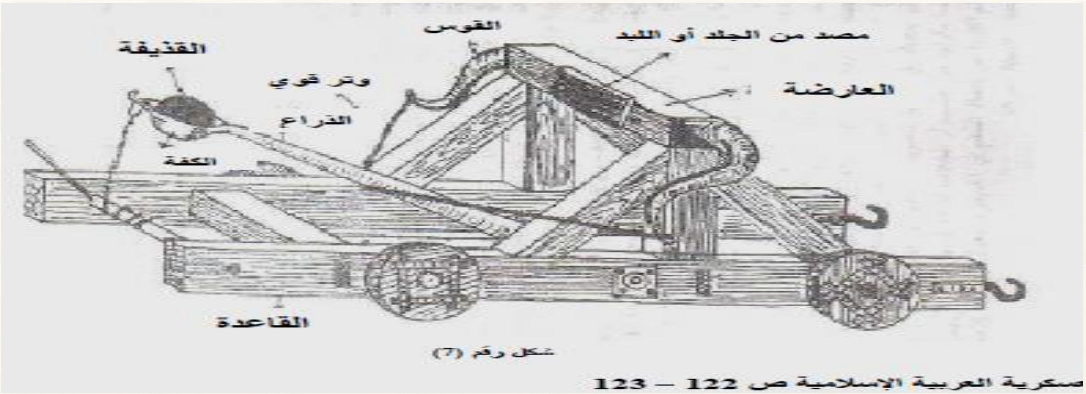
وقد حمل كل جندي **رمحًا كسلاح والرمح هو آلة الطعن** ، كما كان الجندي المملوكي يحمل **الكنانة** ، وهي **الجعبة** التي يضع فيها السهام وتكون من جلد أو خشب

ومما تميز به الجندي المملوكي قدرته الفائقة على استخدام **النشاب** وإصابة هدفه بدقة .

كما وجد **الدرع** وهو جبة من **الزرد** المنسوج يلبسها المقاتل لوقاية نفسه من السيوف والسهام



شكل رقم (6)



شكل رقم (7)

سكرية العربية الإسلامية ص 122 – 123

16. مصادر الأنفاق على العسكر :

الاقطاع :

ان المماليك اقاموا دولتهم الاقطاعية على أنقاض دولة اساتذتهم الأيوبيين الذين اعتبروا الدولة ملكا للسلطان وجنوده .

ان الاقطاع لم يكن مقصورا على دولة المماليك انما كان موجودا في كل الكيانات الموجودة

انذاك من الصليبيين والمغول .

كان محاربوا الفرنجه بوجه عام من المشاة بإستثناء الملوك والنبلاء الذين امتطوا الخيول .

اراد **شارل مارتل** (**689-741 م**) اخر ملوك الفرنجة ان يتوسع في نظام الخيالة لدعم جيشه .

عندئذ اكتشف ان هذا الأجراء يتطلب نفقات ضخمة بما يتحمله اعداد الفارس من النفقات " **فرس ودروع وسلاح**" فضلا عن ان هذا النوع من المحاربين الفرسان كانوا في حاجة الى مورد يعيشون منه حتى يتفرغوا للحرب والقتال .

لما كانت دولة الفرنجة في القرن الثامن محدودة الامكانيات فان **شارل مارتن** لجأ الى حل يتفق مع طبيعة العصر : **اذ سجل اسماء المحاربين وبعد ان أقسموا له يمين الولاء اقطع كلا منهم قطعة من الارض تكفي لسد حاجته على ان يبقى هذا الاقطاع في حوزته ما دام في الخدمه العسكرية .**

ولما اتضح **لشارل** ان من الصعب عليه توفير الارض اللازمه لتلك الاعداد الكبيرة من رجال جيوشه اخذ يتطلع الى اراضي الكنيسة فوضع يده على بعضها ليوزعها على هيئة اقطاعات على فرسانه , ثم تعاقبه ملوك الفرنجه في الاخذ بهذا النظام الاقطاعي لبناء جيوشهم .

(سعيد عاشور – حضاره اوروبا في القرون الوسطى34)

ان الطبيعه كما خبرها انسان القرون الوسطى كانت مستعصية على الترويض اذا انبسطت على خريطة اوروبا في ذلك الوقت مساحات شاسعة من الارض لم يمتد اليها يد انسان وانما كانت مرتعا للحيوانات الضارية من دببة برية وذئاب مفترسة تحوم حول اطراف البراري والغابات .

(اسحاق عبيد – العصور الوسطى70)

عندما زادت وطأة الضرائب على كواهل الفلاحين لجأوا الى رهن اراضيهم الى السادة الاغنياء مقابل قرض معين وعندما عجز الفلاح عن سداد ديونه ضاعت عليه الارض واصبح مجرد اجير على ارض كان يمتلكها يوما ما .

مراسيم الولاء " **التقليد** " : **كان يركع امام السيد ثم يضع يديه داخل يد السيد ثم يقسم على ان يبقى له وفيا في كل الامور وان يخدمه بكل اخلاص مؤكدا له بأنه بذلك يصبح رجله الذي يتحلى بفضيله الطاعه** وهنا يضع السيد قبلة على وجه **الفصل** ويعلن قبوله تابعا له ثم يضع بين يديه قطعه من الطين علامه على اقطاعه بالارض .

(اسحاق عبيد –العصور الوسطى77)

الجميع اقسموا يمين الولاء البعض كانوا للقسم اوفياء ولكن البعض الاخر تنكروا جاحدين لما اقسموا عليه .

كانوا يلتفون حول سيدهم في قلعته فهو زعيمهم وقائد اقطاعهم وهم بمثابه الرفاق او الابناء ومورد رزقه .

ثم إن عدد كبير من **الافصال** تمردوا واشتبكوا مع سادتهم واستولوا على الارض بقوه السيف .

(اسحاق عبيد –العصور الوسطى82)

ثم قام السلاجقة بتطوير نظام الاقطاعية الاسلامي وكان هذا النظام شبيها بنظام الاقطاع الاوروبي بالنسبه للفرسان والذي يمنح الفارس المقاتل في الجيش راتبا ولكن الاقطاع الاسلامي كان اكثر تعقيدا فمن الممكن ان يكون حصه في صناعه اوتجاره او في قطعه ارض زراعيه ولا يشترط ان يقيم فيها حيث تقوم الحكومه بادارتها بالنيابة عنه ولم يكن

الاقطاع قابلا للوراثة كما هو الحال في مفهوم الاقطاع الاوروبي ظل توزيع الاقطاعات مشابها للمفهوم العربي من ناحيه انه وسيلة يستهدف بها السلطان المحافظة على ولاء امرائه .

(فرسان الاسلام –جيمس واترسون)

كانت دولة المماليك دولة اقطاعية حربية سبب وجودها هو تكوين فئة من المحاربين الاشداء واعدادهم ليكونوا درعا حاميا لسادتهم الذين قاموا بشرائهم وتربيتهم .

يعتبر عصر سلاطين المماليك ، العصر الذي نضجت فيه النظم الإقطاعية الحربية فقد نشأ المماليك في ظل هذا النظام الإقطاعي زمن الأيوبيين وهذا جاء لضرورة اقتضتها الحاجة .

أن الإقطاع كان على سبيل إرضاء بعض القادة والقبائل في الدولة فقد كان الإقطاع جزءًا من ضرورات بقاء المجاهدين وضمانة لاستمرار قدرتهم على الجهاد ، وإلا فكيف للسلاجقة والزنكيين والأيوبيين حرب غير المسلمين من المعتدين ، الذين لم يجدوا خلافة قوية تصد هجمات المعتدين من التتار وا لصليبيين آنذاك .

ومما جرت عليه العادة توزيع الإقطاعات وتجديدها بعد المعارك ، وخاصة الكبرى التي ينتج عنها تحرير أرض ، ويذكر أن الإقطاع للأمير يشمل جنوده فللأمير **الثلث** من الإقطاع ولجنوده **الثلثان** ، وكان لكل أربعين جنديًا مقدمًا ،

(هاني فخري – النظام العسكري 76)

لقد كان النظام **الاقطاعي المملوكي** عاملا مساعدا في قضية الجهاد وحماية **البلاد الاسلامية** من تهديدات **المغول والصليبيين** وزعت حسب الرتب العسكرية في **الجيش** موارد الدولة المالية الشرعية .

موارد الدولة المالية :

كالضرائب " الخراج " وضريبة المعادن (ما يستخرج من الارض) **والزكاة** (يفرقها المؤدون بانفسهم) **وما على التجار مما يدخلون به البلد من الذهب والفضه وما يؤخذ من اهل برقه من مواشي** عند وصولهم الى البحيره للرعي .

والجوالي (الجزية) **وضريبه الثغور** (ما يؤخذ من التجار الواصلين من البحر) **والمواريث الحشرية** (مال من يموت وليس له وارثا)**وضريبة ضرب العملة** (ما يؤخذ من ضرب النقود ذهب وفضه ونحاس مقابل تحويل معدنه الى دنانير ودراهم وفلوس) **والمكوس** .

17. ديوان الجيش

ديوان الجيش هو أهم ديوان في الدولة بل هو أول ديوان أنشئ في الإسلام ، ففي **خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه** أشار بعض (الصحابة عليه وضع ديوانًا للجند لتنظيم الجيش لزيادة أعداد الجيش واتساع الفتوحات.

والدواوين كانت تشمل **الاقطاعات والأعطيات** وقد كان **السلطان** يأمر ويتابع جاهزية الجيش **المملوكي والمتطوعين** من خلال تلك **الدواوين** حتى إذا اقتضت الضرورة يتم النفير بسرعة ففيه تحفظ أسماء الجنود والأمراء والأوراق الخاصة بالتجهيزات والإعداد ومن شدة أهميته كان مقره في قلعة الجبل بجوار قصر **السلطان** .

ومن مهمات ديوان الجيش متابعة الجند والمتأخرين من العسكر ومتابعة أي جندي يحضر متأخرا وينظر في أمره من خلال الديوان أما إذا كان تأخره بسبب مرض أو ظرف طارئ ، يسجل ذلك الأمر من خلال أوراق خاصة بالمتغيب من الجنود .

18. تموين الجيش

والمقاتل لا يمكن أن يستمر في حرب دون تأمين المأكل والمشرب .

لذا وجب على الدولة توفير المؤنة للجيش , وكما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر من يجهز جيش العسرة بالجنة فكان لهذا دلالة واضحة على الأهتمام بهذه المسألة

وحين نعرف أن سياسة تقسيم الغنائم بعد أي معركة تبدأ بآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولليتامى والمساكين والفقراء وأبن السبيل ، **والأربعة أخماس الأخرى** للمجاهدين الذين حضروا الحرب ، وذلك مما شأنه توفير المؤنة لهؤلاء الجند وعوائلهم .

وان السلطان شخصيًا تابع نوعيات المؤنة ، حيث حرص على إطعام الجيش المملوكي أفضل الأطعمة ومنها اللحوم بشكل يومي ، وحتى أنه كان يأمر بتوزيع العليق والشعير والبرسيم للخيول التي يركبها المجاهدين في الجيش المملوكي ، وكان يطلق على المؤنة في النظام العسكري المملوكي مصطلح الميرة ، و كانت ترسل الدولة باستمرار الحبوب والقمح والشعير والفواكه والأغنام للجيش أينما كان بطريقة آمنة حتى أن الدولة كانت ترسل للجيش في ميادين القتال الفواكه والحلويات وسائر ما يليق بهم من تموين

(هاني فخري – النظام العسكري 72)

19. القلاع :

والوقاية مطلب هام يقع على عاتق أي نظام عسكري ناجح ، لذا اهتمت الدولة المملوكية بأعمار وبناء القلاع الحصينة .

ان الرباط جهاد وربما يفوق جهاد أرض المعركة لأن الرباط يحمي أرض المسلمين من

الأعداء الذين يريدون السوء على حين غفلة .

عمر المماليك القلاع التي خربها المغول ابان الهجمات التترية على أرض الشام مثل قلاع (دمشق والسلط وعجلون وصرخد وبعلبك وشيزر والصبية وقلعة شميس وحمص) .

ثم شحنوها بالعتاد وعمروها بالأجناد وخزنوا بها الغلات والأزواد .

وأهتموا بكثير من القلاع الأخرى بعضها حرر من أيدي **الصليبيين** مثل : **(الأسكندرية و بهنسا وإياس واللاذقية وأذنة وطرسوس وصفد والقدس والرحبة والبيرة والرها وعين تاب وحلب) .**

اشترك في بناء قلاع دولة **المماليك** كل طبقات الدولة من الجيوش والمهرة ، وحتى أسرى الحرب من الأعداء ، كما كانت تشترك في بنائها النساء .

لقد قام **سلاطين المماليك** بتحصين سائر قلاع المملكة بكامل العتاد , كان يتم تحصين بعضها بالمنجنيقات وزودها بكل الإمكانات الدفاعية ووفروا فيها الغذاء والأموال.

وكانت الحصانة تتطلب بناء أسوار عالية ضخمة منيعة ذات أبواب وأن يحفر حولها خندق اذا تطلب الأمر , ويقوم بتأمينها حراس داخلها و على أبوابها وفوق الأسوار وداخل كل قلعة دوريات راجلة لمراقبة الأسوار والشوارع .

ولا تطالب القلعة بالانتصار اذا هاجمها الأعداء وإنما مطالبة بالصمود ريثما تصل القوات المساندة من الجيش .

(هاني فخري – النظام العسكري 142)

يبقى أهم أعمال الملك الصالح **نجم الدين أيوب** تكوينه لجيش المماليك ليبقى واحدا من أهم جيوش الإسلام , ولقد كان الملك أيوب الأب الروحي للمماليك أغدق عليهم من

أفضاله ظاهرة وباطنة ولقد حاول المماليك رد هذا الجميل مرارا وتكرارا ولكن كيف لهذا الجميل أن يرد ؟

أي جميل يرد لملك جلب شرذمة قليلون مستضعفون في الأرض هاربين من غزو التتار فآواهم ونصرهم ؟

وأي جميل يرد لملك أنشأ قلعة قل أن بنيت في تاريخ الإسلام وأواهم فيها ووفر لهم من يعلمهم الدين والقرآن واللغه وفنون القتال فكانت حصنا لهم؟

وأي جميل يرد لملك يصطدم بعالم جليل يجبره أن يبيع هؤلاء المماليك وأن يدخل ثمنهم بيت مال المسلمين فيقبل ويحررهم من ماله الخاص حبا لهم؟ أي جميل يرد إذ ؟

فمهما فعلوا لن يوفوه فقد كان جميل السلطان عظيما لن يوفى .

والحق أن المماليك بعد ذلك اليوم أصبحوا مصريين حتى النخاع لا فرق بينهم وبين المصريين , حيث أوتي بهم ليستقروا في مصر مدى الحياة لم يحدث أن واحدا منهم قرر العودة لبلده بل تكونت شخصياتهم وطباعهم من المصريين فيها عاشوا وفيها : ماتوا ولأجلها قاتلوا وقتلوا بل وبها دفنوا وأنجبوا أولادا وأفتخروا بنسبتهم إليهم .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك)

غدوا بعد جلبهم إليها جزءا من مصر وتاريخها بل ونجحت مصر في إستيعابهم وهضمهم وتشكيلهم وأعتنقوا الإسلام وأحسوا بأحاسيس أهل البلاد وأنفعلوا بحضارتهم فأمدوا الوطن بدماء جديدة حتى غدوا درع المنطقة الزائدين عنها غدوا لا يعرفون لهم وطنا إلا مصر ولا أرضا غير أرض العروبه ولا دينا غير الإسلام

(سعيد عاشور 399)

لقد كانوا مصدر قوة الإسلام ودرع الحماية والحصن المنيع والقلاع الغير قابلة للأختراق بل

كانوا مثل الدروع التي يتم أرتدائها تحت العباءة .

(الجاحظ)

قوي شأن الترك وأثبتوا قوتهم وبأسهم في عدة معارك مظفرة , برزت أسماء فارس الدين أقطاي, وركن الدين بيبرس وسيف الدين قلاوون , وعز الدين أيبك حتى أصبح لهم صيت وجاه وكانوا منذ قريب أرقاء في يد النخاس يساوم عليهم بالمال حتى كلل نجاحهم ببسط سيطرة الإسلام على بلاد الشام والحمد لله رب العالمين



الفصل الرابع :
عصـــر الميـلاد

1- المماليك ومعركة المنصورة :

الحمله الصليبيه السابعه :

بين نهاية القرن الحادي عشر الميلادي والثالث عشر أبتلي العالم الإسلامي بثماني حملات صليبية , كانت نصيب مصر منها أثنتين " **الخامسة والسابعة** " , أخذا بنصيحة قائد الحملة الصليبية **الثالثة** **ريتشارد قلب الأسد** حين قال : " **ان مصر مفتاح بيت المقدس** " .

كانت بواعث تلك الهجمات في ظاهرها أستعادة الأراضي المقدسة المسيحية من أيدي المسلمين أما باطنها وهي الحقيقية بواعث إقتصادية وسياسية وإجتماعية .

فلما جاء منتصف القرن الثالث عشر الميلادي كان **لويس التاسع** أعظم ملوك أوروبا آنذاك بل وأشهرهم وأشدهم تدينا , كان قد رأى في منامه شخصين يتقاتلان أحدهما مسلم والآخر مسيحي فرآى أن الأول قد أنتصر على الثاني . فسر له هذه الرؤية أن صليبي الشرق بحاجة إلى المساعدة وأن **الله** قد أناط به هذه المهمه .

وفي تلك الأثناء كان لوقوع بيت المقدس وطبرية وعسقلان في أيدي المسلمين وما فعله الخوارزميين بجنودهم الأثر السيء في نفوس الغرب الأوروبي المسيحي مما جعل الباباوية تدعو لحملة صليبية جديدة لإستعادة بيت المقدس والثأر من المسلمين .

أستجاب **لويس التاسع** لتلك النداءات وقرر قيادة الهجوم الصليبي على مصر .

في البداية أرسل إلى السلطان **نجم الدين أيوب** رسالة يقول له فيها :

" أنه يسوق المسلمين في الأندلس سوق البقر ويقتل الرجال ويرمل النساء ويستأسر البنات والصبيان وأن عدد عساكره بعدد الحصى ثم دعا الملك الصالح إلى الخضوع له

على أن يبقي للمسلمين مساجدهم في القدس ويقبل منه دفع الجزية" .

(المقريزي – السلوك 334/1)

فما كان من **الملك الصالح** إلا وأن رد عليه برسالة بواسطة كاتب الإنشاء **بهاء الدين زهير** الشاعر :

" نحن أرباب الحقوق وفضلات السيوف ما نزلنا على حصن إلا هدمناه ولا عدم منا فارس إلا جددناه ولا طغى علينا طاغ إلا دمرناه فلو نظرت أيها المغرور جد قلوبنا وجد حروبنا لرأيت فرسانا أسنتهم لا تمل وسيوفهم لا تكل وقلوبهم لا تذل ولعضيت على يدك من الندم "

فلما وصلت أخبار عزم **لويس** غزو مصر أرسل السلطان الى **" شجر الدر "** يخبرها بذلك وهو يومئذ في بلاد الشام .

ما لبث أن دخل الصليبيون دمياط في **22 صفر سنه 647هـ** دون قتال ولا إراقة دماء , خرج أهلها منها حفاة عراة عطاشا جياعا فقراء .

كان **الملك الصالح** قد كلف بها حامية من **عرب كنانة** بقيادة الأمير **" فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ "** فلما أقترب **الصليبيون** من الحصن فر الجنود من أمامهم وتركوا **دمياط** فريسة سهله في أيدي العدو حتى دخلها **لويس** بجنوده وحول مسجدها إلى كاتدرائية سماها **نوتردام** على أسم كنيسه **باريس** .

(عبد المنعم ماجد –الدولة الأيوبية 130)

لما علم **الملك الصالح** ذلك حزن حزنا شديدا ووبخهم وعنفهم وشنق ما يزيد عن خمسين رجلا من رجال بني **كنانة** الذين كان منوط بهم الدفاع عن **دمياط** .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 31)

وبعد إستيلاء **الصليبيين** على **دمياط** ظلوا **خمسة أشهر** منتظرين إمدادات جديدة من **فرنسا** وحتى تنتهي فترة الفيضان لكي لا يقعوا في خطأ الحملة **الخامسة** قبل **ثلاثون** عاما , فأستغل المسلمون ذلك وعملوا على إعادة ترتيب الصفوف .

وفي تلك الأوقات مات الملك **الصالح نجم الدين أيوب** فلعبت **شجر الدر** بمساعدة المماليك البحرية دور البطوله المطلقة .

العدو على الأبواب قد ملك ناصية الطريق ورابطت سفنه في النيل وتوشك خيله أن تطأ أرض الوادي فتحوزه من أطرافة والملك مسجى في فراشة قد أغمض عينيه الأغماضة الأخيرة فلن يفتحها أبدا ولم يول عهده أحدا يحمل راية الجهاد من بعده وولده الوحيد بعيد في حصن كيفا وليس له من الحزم وحسن التدبير ما يؤهله لولاية العرش في هذا الوقت العصيب .

وأمراء بني أيوب في الشام يتواثبون تواثب الضفدع يخيل إلى من يراه أنه نشاط وجهاد وما هو في ذلك في شئ , كلهم يطمع في العرش وما فيهم أهلية لحمل تبعاته .

(محمد سعبد العريان – شجر الدر)

في تلك الظروف الصعبة قامت **شجر الدر** في البداية بإخفاء خبر وفاة **السلطان** للحفاظ على الروح المعنوية للجيش ثم أمرت بوضع **الملك** في تابوت بعد أن غسل بواسطة أحد الأطباء ثم نقلته خفية من **المنصورة** إلى قلعة **الروضة** عبر النيل , كل ذلك والأطباء داخل القصر لا ينصرف أحد منهم بل ظل دهليز **الملك** على حاله وظل السماط يمد كل يوم على عادته فاذا سئل على **الملك** أحد ردت : " **إنه مريض ما يصل إليه أحد**".

كل هذا وهي على حالها تلتقي بالجميع من وراء ستار وتخرج المكاتبات وعليها علامات **السلطان** وتوقع على المناشير .

كان **السلطان** " **نجم الدين أيوب** " يعلم ما في ولده " **توران شاة** " من الهوج فكتب إلى نائب السلطنة الأمير " **حسام الدين بن أبي علي**" :

" اذا ما مت لا تسلم البلاد إلا للخليفة المستعصم يرى فيها رأيه "

(المقريزي – السلوك 445)

غير أنه يبدو إنه قد غير رأيه وهو على فراش الموت فأسند الملك إليه

وبناء على رغبة **السلطان** الطارئة جمعت **شجر الدر** الأمراء وطلبت منهم أن يحلفوا له ولإبنه " **المعظم غياث الدين توران شاه** " صاحب كيفا وللأمير **فخر الدين يوسف** بقياده الجيش .

وكان الأمير فخر الدين عاقلاً مدبراً ، خليقاً بالملك ، جواداً محبوباً إلى الناس ، فأتفق مع شجر الدر على القيام بتدبر المملكة ، إلى أن يقدم الملك المعظم تورانشاه .

(المقريزي – السلوك 445)

لبى الأمراء وسائر الجند والمماليك السلطانية طلب **شجر الدر** فحلفوا جميعا ثم أرسلت إلى نائب السلطنه الأمير **حسام الدين** في القاهرة أن يحلف أكابر الدولة وأجنادها **لتوران** فلبى على الفور ودعا **قاضي القضاة** " **بدر الدين يوسف أبو الحسن** " **وكاتب الأنشاء القاضي** " **بهاء الدين زهير** " وحلف في حضورهما من حضر من الأعيان وكبار الدولة ثم أمر الخطباء بالدعاء **لتوران شاه** يوم **الجمعه** بعد الدعاء لأبيه .

كانت **شجر الدر** قد أرسلت " **فارس الدين أقطاي** " وهو يومئذ على رأس المماليك البحريه لإحضار **المعظم توران شاه** من حصن **كيفا** .

خمسة وسبعون يوما والأمر خفاء السلطان وارى جسده التراب ولا أحد يعلم ما جرى له , كل يجري كما رتبت له أم خليل .

وفي تلك الأثناء قام الأمير **فخر الدين يوسف** بواجبه خير القيام , شرع في تدبير المملكة كما طلبت منه , فأقطع البلاد بمناشيره وأطلق المسجونين وفرق الأموال والخلع على خواص الأمراء وزاد من عدد الجنود المرابطين .

بدأ خبر موت **السلطان** يتسرب إلى الأمراء ولكن أرباب الدولة لا يجسرون أن يتفوهوا بذلك ولكن الأمر كان مؤلما عندما وصل الخبر إلى **الصليبيين** .

أنتهز أعداء **الله** الفرصة وساروا نحو **فارسكور** حتى وقع القتال بينهم وبين **المسلمين** برا وبحرا وأستمرت المناوشات بين الجانبين شهرين كاملين لا يفصل بين المعسكرين سوى بحر **أشموم** .

وفي **يوم 4 ذي القعده سنه 647 هـ** قرر **لويس** عبور البحر بجنوده وصاروا ينقضون على المسلمين يقتلوهم بلا رحمة ولا هوادة ولا شفقة فراح ضحية الهجوم الكثير , منهم قائد الجيش **فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ** فبقي العسكر يدبر أمره **شجر الدر** بعد أن ظل الأمير **فخر الدين يوسف** يدبر أمره بعد موت الصالح وحتى موته .

فقامت بالتدبير أتم قيام ولم تواجه بطمع في الملك لعظمتها في النفوس .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة)

ثم كادت الكسره أن تكون فإن لويس التاسع وصل بنفسه إلى باب قصر السلطان إلا أن الله تدارك الأمة بلطفه وأخرج إلى الفرنج الطائفة التركية التي تعرف بالبحرية وفيهم " ركن الدين بيبرس " فحملوا على الفرنج حملة زعزعوهم بها وأزاحوهم عن باب القصر حتى قتل منهم نحو الألف وخمسمائة من أعيانهم وشجعانهم فكانت هذه الواقعة أول أبتداء النصر على الفرنج .

(المقريزي –السلوك 448/1)

وكانت هذه المعركة بداية النصر ومفتاح الظفر يرجع الفضل فيها إلى دور المماليك البحرية وقائدهم ركن الدين بيبرس .

(ابن خلدون – تاريخ ابن خلدون)

كان **بيبرس** قد وضع خطة وافقت عليها **شجر الدر** وهي أن يلتزم أهل المنصورة بيوتهم ويقف العساكر في كمائن فإذا دخل الصليبيون المنصورة ووصلوا القصر السلطاني أعطى **ركن الدين** أشارته فأنقضوا عليهم في الشوارع فاذا أحتموا في البيوت أنهال عليهم الأهالي ضربا ,

بالفعل حدث ما خطط له من قبل وبلع العدو الطعم وأخذ الأهالي يرمونهم بالقذائف والأحجار والطوب من الأسطح والنوافذ .

جال بيبرس في الميدان يحز الرقاب ويقد الضلوع ويشق المرائر ويطيح الهمام ويجندل الأبطال .

(محمد سعيد العريان – شجر الدر)

ثم رحل **الفرنج** يريدون **دمياط** فأنحدرت مراكبهم في البحر فركب المسلمون وأحاطوا بهم وبذلوا فيهم سيوفهم وأستولوا عليهم فبلغت عدة القتلى **عشرة ألاف** في قول المقل وأسر من خيالة **الفرنج** ورجالاتهم المقاتله ما يناهز **مائة ألف** أنسان وغنم المسلمون من الخيل والبغال والأموال ما لا يحصى كثرة وأستشهد نحو مائة رجل وأبلت الطائفة البحرية لا سيما **بيبرس البندقداري** في هذه النوبه بلاء حسنا وبان لهم أثر جميل .

(المقريزي –السلوك 455/1)

طارت البشاير على أجنحة الحمام إلى كل مكان بهذا الأنتصار العظيم .

وبعد أيام وصل **توران شاه** إلى **المنصورة** فأستقبلته **شجر الدر** بحفاوة بالغة وأنزلته قصر

أبيه وسلمته مقاليد الأمور بعد **ثلاثة شهور** من موت **السلطان** **نجم الدين** ثم راحت تعلن خبر وفاة **السلطان** على الناس وتحثهم على **الجهاد** ولم يكن احدا قبل ذلك اليوم يجرؤ على النطق بذلك .

(المقريزي –السلوك 459/1)

أخذ الخطباء على منابر مصر يحثون الناس على الجهاد والخروج لقتال **الصليبيين** فلما علم الناس بموت **السلطان** أرتجت مصر والقاهرة وظواهرهما بالبكاء وأيقن الناس بأستيلاء الأفرنج على البلاد , وخرج من البلاد والنواصي وسائر الأعمال لجهاد الفرنج عالم عظيم.

(المقريزي –السلوك)

على مقربة من دمياط كانت نهاية المطاف نجح الجيش تحت قيادة **توران شاه** بمهاجمة السفن **الصليبية** بأسرها أو أحراقها وأفلح الأسطول من الأستيلاء على ما يزيد عن ثمانين سفينة ثم أنقض المسلمون على **لويس** ومعظم رجاله وأعملوا فيهم القتل والأسر عندما قاده أحد رجالة ليستريح في منتصف الطريق بين **المنصورة ودمياط** في **منية الخولي** .

قيد **لويس** بالأغلال إلى دار القاضي **فخر الدين بن لقمان** كاتب الأنشا حيث سجن فيه هو وأخواه **كونت أنجو وكونت بواتيه** .

ثم إن **توران شاه** قد أكرمه وأجرى له راتبا كل يوم ورتب له كل ما يحتاج إليه من مأكل ومشرب ورتب له من يقوم بخدمته وهو **الطواشي صبيح المعظمي** .

وبعد قليل وقعت بنود معاهدة بين **توران ولويس** نصت بعض بنودها على الآتي :

تسليم **دمياط** فدية لنفسه وأن يدفع ثمانمائة ألف بيزنط فداء لباقي الأسرى وتعويض عن الخسائر وأن يطلق كامل الأسرى من الجانبين وأن يقوم **المسلمون** بحراسة معدات **الصليبيين** وأسلحتهم الموجودة في **دمياط** حتى يتم نقلها وأتاحة الفرصة **للصليبيين**

الموجودين في **دمياط** حتى يبيعوا ما لهم من ممتلكات ثم يعودون الى بلادهم في أمن وسلام.

تم النصر بحمد **الله** فكتب **توران شاه** إلى **جمال الدين بن يعمور** نائب **دمشق** : **"من ولده توران شاه الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وما النصر إلا من عند الله , نبشر المجلس السامي الجمالي بل نبشر المسلمين كافة بما منَّ الله على المسلمين من الظفر بعدو الدين فإنه أستفحل أمره وأستحكم شره ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد فنودوا ألا تياسوا من روح الله ولما كان الأثنين مستهل السنة المباركة تمم الله على الأسلام بركتها وفتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح وجمعنا العربان والمطوعة وخلقا لا يعلمهم إلا الله فجاءوا من كل فج عميق ومكان سحيق . فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم ، وقصدوا دمياط هاربين . وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل ، فيوحل بهم الخزي والويل . فلما أصبحنا يوم الأربعاء ، قتلنا منهم ثلاثين ألفاً ، غير من ألقى نفسه في اللجج ، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج . والتجأ الفرنسيس إلى المنية ، وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته ، وجلاله وعظمته " .**

(المقريزي –السلوك /460)

2– المماليك وتوران شاه :

كان الملك **الصالح نجم الدين أيوب** قد كتب وصية لأبنه **المعظم توران** يوصيه بالمماليك كتب له فيها :

" هم جناحك الذي تطير به وظهرك الذي تركن إليه فطيب قلوبهم وزد في إقطاعاتهم

" .

خالف المعظم وصية أبيه فأساء إلى زوجته وإلى مماليكه فبعث **لشجر الدر** يتهددها ويطالبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر فداخلها منه خوفا كبيرا لما بدا منه من الهوج والخفة فكتبت إلى المماليك البحرية وظلت تذكر وتعدد ما فعلته من تمهيد الدولة وضبط أمورها حتى حضر وتسلم المملكة وما حازاها من التهديد والمطالبه بما ليس عندها

لم يكتف **توران** بذلك بل أستدعى سخط الأمراء وهو الذي كان قد وعد الفارس **أقطاي** من قبل أن يؤمره فلم يف له بذلك فتنكر له أقطاي وكتم الشر .

مستعينا بغرور قد أصابه من النصر متناسيا ما أبلاه البحرية في تلك المعركة راح يضيف إلى تلك العداءات عداءات فأكثر من الإعراض عن مماليك أبيه وقدم الأراذل ممن قد جاءوا معه فولاهم الوظائف السلطانيه وأنعم عليهم بأموال كثيرة وأقطاعات جليلة وأساء للمماليك وتوعدهم .

صار اذا سكن الليل جمع بين يديه من الشموع وضرب رؤوسها بالسيف حتى تتقطع ويقول وهكذا أفعل بالبحرية ويسمي كل واحد منهم بأسمه .

صار لا يرضى عن شيء فعله أبيه ولا يحلف إلا بتربة جده .

صار يبسط السجادة ويقوم يصلي وهو على غير طهارة .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 50)

مع الانهماك على الفساد بمماليك أبيه ، ولم يكونوا يألفون هذا الفعل من أبيه وكذلك فعل بحظايا أبيه .

(المقريزي – السلوك 460)

كان الملك **الصالح أيوب** قد قال يوما وسط أمراءه عن أبنه :

" متى حضر إلى هنا قتلته "

وقدر **الله** أن الأمراء الأربعة الذين باشروا قتل **العادل** بأمر أخيه **نجم الدين** هم من سوف يشتركون في قتل **المعظم توران** .

(المقريزي – السلوك 460)

لما فاض بإبن **نجم الدين** الكيل ونفرت منه القلوب أتفقوا على قتله , فلما كان اليوم الموعود ومد السماط جلس **السلطان المعظم** فتقدم اليه الأمير **ركن الدين بيبرس** وضربه بالسيف فتفاداه بيده فأصابت أصابعه فألتجأ الى البرج الخشب وهو يصيح من جرحني قالوا " **الحشيشه** " فقال : **لا والله الا البحرية والله لا أبقيت منهم بقيه** ثم أستدعى المزين ليداوي يده .

فقال **البحرية** بعضهم لبعض تمموا وإلا أبادكم فدخلوا عليه بالسيوف وهو في أعلى البرج فأغلق عليه بابه والدم يسيل من يده فأضرموا النيران في البرج ورموه بالنشاب فألقى نفسه من البرج فأستجار **بأقطاي** فلم يجره ففر هاربا إلى البحر وهو يقول ما أريد ملكا دعوني أرجع الى الحصن يا مسلمين هذا وجميع العسكر واقفون لم يجيبه منهم أحد والنشاب تأخذه من كل ناحية , سبحوا خلفه في الماء وقطعوه بالسيوف قطعا حتى مات **جريحا حريقا غريقا** .

ثم ترك على جانب البحر ثلاثة أيام منتفخا لا يقدر أحد أن يتجاسر على دفنه إلا أن شفع فيه رسول الخليفة فحمل ودفن .

وكانت مدة ملكه واحد وسبعون يوما وبموته أنتهى حكم دولة الأيوبيين في مصر .

(المقريزي –السلوك 458/1)

تبددت دماء **السلطان المعظم توران شاه** في موجات مياه نهر النيل ومعها تبددت آخر

مظاهر السلطة الأيوبية الحقيقية في مصر وإن بقي لها ظل يتوارى خجلا إلى جانب الأضواء التي فرضت نفسها على مسرح التاريخ آنذاك إذ كان الأيوبيون الأواخر قد فقدوا كافة مبررات البقاء في حكم المنطقة العربية بعد أن تخلوا عن دورهم التاريخي الذي بدأه صلاح الدين .

لقد كانت بلاد الشام قبيل منتصف القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي تتقاسمها سلطات متنازعة وهي **الصليبيين** من جهة وأمراء **البيت الأيوبي** الذين انقسموا فيما بينهم من جهة أخرى .

فلا يمكن تصور الحال فيم لو نجح **توران شاه** بالبقاء ونفذ ما فكر به من القضاء على المماليك ، **فتوران شاه** لن يكون **صلاح الدين** على كل الأحوال ، لكن المماليك كانوا أكثر مما توقعت الأمة الإسلامية آنذاك .

بيضوا الأيام السود وأزاحوا الإفرنج وكسروهم وهزموهم وأسروهم وأخذوا ملكهم المسمى **ريدا فرنس** أسيرًا .

(بيبرس المنصوري – زبدة الفكرة 25/1)

وهكذا أمر الدنيا ، فالأيوبيون أنشئوا المماليك , والمماليك نبتة أيوبية زرعتها ورو‍تها حتى أشتد عودها .

(هاني فخري – النظام العسكري – 52)

3– المماليك وشجر الدر :

كانت تركية الجنس ، وقيل بل أرمنية .

(المقريزي – السلوك 361/1)

تعد عند **المقريزي** اولى سلاطين المماليك الترك , بينما يرى **بيبرس المنصوري** **(التحفة**

الملوكية 27) وبدر الدين العيني (عقد الجمان 34/1) وابن تغري بردي وابن اياس أن أول المماليك الترك المعز عز الدين ايبك التركماني .

ولكن الذي عليه الأجماع أنها هي التي مهدت طريق العرش لسلاطين المماليك .

جمال فائق وبريق جذاب جعل من اسمها عنوان وكأنها شجر يحمل فوق اغصانه اللآلي والدرر وليس الثمار .

كانت بارعة الجمال ذات رأي وعقل ودهاء .

(الذهبي – تاريخ الاسلام 777/17)

وطبقا للرواية الشعبية , أن تسميتها بهذا الأسم من فعل ابيها الذي سماها به لما رآها ترتدي فستانا اهداها اياه فبدت **كشجر الدر** , ولكن المصادر تؤكد ان مسماها هذا من عند زوجها **الصالح أيوب** .

شجر الدر صاحبة **الملك الصالح** داهية الدهر بديعة الجمال وبارعة الحسن ذات العقل والرأي والحزم والدهاء الخيرة الدينة ملكة المسلمين صاحبة الستر الرفيع والحجاب المنيع عصمت الدنيا والدين والدة الملك المنصور خليل التي خطبت الأقلام بمناقبها على المنابر وأصبحت شموس المملكة بها طالعه وأراء الأمراء لأمرها مطيعة سامعة أشتراها الملك **الصالح نجم الدين أيوب** ولازمته في محنته في قلعة **الكرك** .

فلما أنقضت المحنة وصار من السجن الى كرسي الملك شاطرته السلطة والمجد كما كانت بالأمس تشاطره ألام السجن وأهوال المحن بل صار إليها غالب تدبير المملكة حتى بعد وفاة أبنها خليل الذي رافقها في السجن وما مات الا بعد المجيء إلى مصر عن عمر لا يتجاوز الأربع سنين , لا زالت في عظمتها من الحشم والخدم وإليها تدبير الأمور في الديار المصرية .

لقد كان الملك الصالح يحبها حبا عظيما ويعتمد عليها في الأمور كلها .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة)

لم يكن أحد يعلم من أي جنس تنتسب تلك الفتاة فلا هي تركية ولا أرمينية ولا جركسية ولا من بنات الفرنجة فليس في وجهها ولا في لسانها ولا في حركتها ما يومئ بالأصل الذي انشعبت منه ولكنها فتاة من بنات حواء أجتمع لها من خصائص الحسن النسوي ما تفرق في النساء الوانا وفنونا , ففيها من كل جنس وليست إلى جنس وإنها إلى ذلك لداهية أريبة ذات تدبير وكيد , ما كانت تعلم من ماضيها ونشأتها أكثر مما يعلم الناس حتى حملتها الأقدار إلى دار الامير **نجم الدين** فنزلت عنده منزلا حبا وتفيأت ظلا ظليلا وحظيت عنده بمكانة ليس لغيرها من حظاياه ونسائة ثم زادت حظوة وصارت صاحبة الرأي والمشورة ثم أستاثرت بالسلطان .

(محمد سعيد العريان – شجر الدر)

كانت **شجر الدر** في زمن زوجها **نجم الدين أيوب** هي التي تدبر أمر المملكة وتقضي حوائج الناس وتعلم المناشير والتواقيع ذات عقل وحزم وكاتبه قارئة عارفة بأمور المملكة فسلطنوها لحسن معرفتها وسداد رأيها .

(ابن أياس– بدائع الزهور 283/1)

فلما أتفق الأمراء على ذلك خرج الأمير **عز الدين أيبك الرومي** من معسكره وذهب إلى قلعة الجبل ونقل إليها ما أتفق عليه أمراء المماليك فأبتهجت لذلك وأبدت رضاها وأرتياحها .

(أبن أيبك الدوادار– التحفة المملوكية)

لبست خلعة السلطنة وهي قندورة محمل مرموقة بالذهب وبايعها قاضي القضاة **ابن بنت الأعز** وباس لها الأمراء الأرض من وراء حجاب .

(ابن أياس – بدائع الزهور 286/1)

ثم أنعمت على الأمراء بالوظائف السنية وأقطعت المماليك البحرية الأقطاعات الكبيرة وأغدقت الأموال على الجند حتى أرضت الكبير والصغير منهم تقديرا لما أبدوه من دروب الشجاعه في طرد الصليبيين .

(ابن أياس – بدائع الزهور 286/1)

ثم رتبت **عز الدين أيبك الجاشنكير** نائبا للسلطنة وأتابكا للعسكر ثم خففت الضرائب على الرعية لتستميل قلوبهم ونودي على منابر القاهرة " **أن أحفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين عصمت الدنيا والدين أم خليل المستعصمية صاحبة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ذات الحجاب الجليل والستر الجميل والدة المرحوم خليل** " **فنالت بذلك من الدنيا ما لم تنله أمرأة قبلها ولا بعدها فلم يل مصر في الأسلام أمرأة قبلها .**

(السيوطي – حسن المحاضرة)

نقش على السكة درهما ودينارا **المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل** وجلست للقضاء بين الناس وكشف المظالم والنظر فيما يقدم اليها من الشكاوى والألتماسات .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة)

وأما **الصليبيين** فما زال الأمير **حسام الدين بن أبي علي** يتردد على **لويس التاسع** وهو تحت الأحتراز في **دار أبن لقمان** حتى يرى بينهما أتفاق جديد غير شروط **توران** يتضمن تسليم **دمياط** مقابل أخلاء سراح **لويس** على أن يؤدي نصف ما عليه من المال المقرر بجانب أطلاق سراح الأسرى المسلمين وأن يتعهد **لويس** بألا يقصد سواحل الإسلام مرة أخرى .

عادت **دمياط** الى أحضان الدوله المصريه وأعلن فيها بكلمه الإسلام والتوحيد وشهادة الحق بعد أن ظلت في يد الفرنج قريبا من السنة .

(المقريزي – السلوك 462)

بعد المعاهدة الجديدة بين **شجر الدر والصليبيين** وجدت السلطانة معارضة كبيرة من بعض الأمراء الذين لم يرضوا بذلك فأنضموا لغيرهم من المعارضين .

كانت القاهرة قد قام فيها شيخ الأسلام **العز بن عبد السلام** وأعتلى منابرها منددا بولايتها موضحا للمسلمين عواقب ولاية المرأة عليهم .

(السيوطي – حسن المحاضرة 34)

قامت المظاهرات في القاهرة وحدثت الأضطرابات مناهضة لحكمها فعمد القيمون على الدولة إلى غلق أبواب المدينة للحؤول دون تسرب أنباء الإضطرابات إلى الخارج .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 40)

وأما في الشام فقد أنقضت عرى الوحدة بين مصر والشام بعد رفض أمراء دمشق البيعة لشجر الدر ثم أكتمل الفصل بعدما خرج الناصر يوسف من حلب بعساكره قاصدا دمشق فوقعت بين يديه دون عناء بعدما فتح لهم الأمراء أبواب المدينة وأما في غزة فقد أستولى عليها الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان وملكها .

(المقريزي– السلوك 463/1)

كذلك الأمر في **الكرك والشوبك** فقد صار نائبها الطواشي **بدر الدين لؤلؤ** إلى الشوبك وأخرج الملك **المغيث عمر بن العادل** من الحبس وملكه أعمالها وحلف له الناس .

(بدر الدين العيني– عقد الجمان 33/1)

بل وتواترت الأخبار على وحدة الصف الأيوبي في **الشام** وتوجههم إلى مصر تحت قيادة **الناصر يوسف** وهكذا تضعضعت الأوضاع في بلاد الشام وخرجت من قبضة **شجر الدر**

وتجددت المنافسة المريرة بين **القاهرة ودمشق** .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 41)

اغلقت الأبواب كلها تجاه السلطانة وتجاه البحرية فأتجهوا نحو بغداد لأطفاء الصفة الشرعية على حكمهم ولكن خاب أملهم حينما رد الخليفه العباسي على رسالتهم بقوله :

" ان كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير لكم رجالا "

(المقريزي – السلوك 468/1)

لم يجد البحرية مفر من كل هذا إلا البحث عن إقامة رجل يزاحم بمنكبه المناكب ويباهي بموكبه المواكب ويقوم بتدبير البلاد والعباد ويحسم مادة الفساد والعناد ويبني الملك على الأساس والعماد .

(بدر الدين العيني– عقد الجمان)

فخلعت نفسها في يوم **29 ربيع الآخر 648هـ** بعد **ثمانين يوما** وأختار الأمراء الأتابك **عز الدين أيبك الجاشنكير** فبويع بالسلطنة وتزوجته في نفس اليوم .

(المقريزي – السلوك 469)

إن دولة سلاطين المماليك قد خلقت في رحم الأخطار .

(قاسم عبده قاسم – دولة سلاطين المماليك 2)



الفصل الخـامس :
رحلــة الى العـصــر

ومصطلح السلطان والسلطنة لقب أستخدمه المماليك من بعد الأيوبيين .

الهيكل الاداري للسلطنة :

نائب السلطنة : ساعده الثاني والسلطان الثاني ويشترك مع السلطان في منح الألقاب وصناعة القرار وتوزيع الإقطاعات وتوقيع المراسيم والمنشورات و هناك نائب للحضرة ونائب للغيبة .

الأتابك : هو القائد العام للجيش , والوزير والولاة وأكبرهم والي القاهرة.

أما الدواوين :

ديوان الجيش : حفظ الأوراق والأسماء والمهام وتسجيل الإقطاعات والمساحات ونفقات الجنود ويرأس ديوان الجيش ناظر الجيش .

أما ديوان الإنشاء : فهو أهم الدواوين ويوجد بالقلعة وله قاعة الإنشاء رئيسه من المصريين يلقب بصاحب الإنشاء أو كاتم السر أو كاتب السر وظيفته تبادل المكاتبات الرسمية الخاصة للدولة والتي ترد للسلطان من مختلف الدول والرد عليها وإعداد الرسائل التي يبعث بها السلطان إلى مختلف الأمراء والملوك .

ديوان الأحباس أو الأوقاف : الأشراف على المساجد والروابط والجوامع والزوايا والعقارات المحبوسة عليها والأحسان للفقراء والمعذورين وطلبة العلم .

ديوان النظر : يشبه وزارة المالية يقوم بمراقبة حسابات الدولة والإشراف على الإيرادات والمصروفات ويرأسه ناظر الدواوين أو ناظر المال

وهناك ديوان الخاص وديوان القضاء والمظالم .

يشرف قاضي القضاة الشافعي على أحوال اليتامى والأوقاف وقضايا بيت المال , وكان لقاضي القضاة حق في عزل بعض موظفى الدولة عن وظائفهم , و للجيش **قضاة**

العسكر يفصلون بين العسكر والمدنيين .

يحضر قضاه العسكر مع القضاه الأربعة بدار العدل ويصحبوا السلطان في أسفاره وتعقد المحاكمات في المساجد او دور القضاة .

وهناك محكمه أسمها محكمة المظالم وهي بمثابة محكمة الإستئناف تنظر في المظالم وهي القضايا التي ينظر السلطان فيها بنفسه يومين في الأسبوع .

يجلس السلطان في دار العدل أو الايوان ويجلس على يمينه قاضيان **الشافعي والمالكي** وعن يساره **الحنفي والحنبلي** ومع هؤلاء مفتوا العدل وكاتب السر وناظر الحسبة ويقف وراء السلطان مماليك صغار وإلى مكان قريب أمراء المشورة ويقف دون جلوس أرباب الوظائف وسائر الأمراء وخلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان يقف الحجاب والدواداريه لعرض أوراق القضايا المطلوب النظر فيها ثم تتلى الشكاوى والقصص على السلطان ويشاور القضاة فيها عند الحاجة .

(العصر المملوكي – مفيد الزيدي 226)

أما المجتمع المصري والشامي فكان عدة طباق :

الطبقه العسكرية وطبقة العلماء " اهل العمامة " وطبقة التجار وطبقه العامة أو العوام وتشمل العمال والصناع والباعة والسقائين وطبقه الفلاحون .

الأعياد الدينية :

صار **المماليك** على خطى الأيوبيين في العناية بالأعياد والمناسبات والمواسم "**عاشوراء والمولد والمحمل والعيد**"

وأعياد غير دينية مثل تولية السلطان الجديد وشفاء السلطان من مرضه وعوده السلطان ووفاء النيل , أما أعياد الأقباط فكان " **عيد النيروز وعيد الشهداء** "

بلاد الشام :

كانت بلاد الشام قبيل **القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي** تتقاسمها ثلاث سلطات فيما بينهما وهى سلطة **الصليبيين الغربيين والأرمن المسيحيين والحكام المسلمين** من امراء البيت الأيوبي .

كان امراء بني أيوب قد أنقسموا على أنفسهم منذ وفاة **الناصر صلاح الدين** , سارع **الناصر يوسف** صاحب حلب في الإستيلاء على دمشق التابعة لمصر **1250م /648هـ** , كما ان **المغيث عمر** أعلن إستقلالة بالكرك والشوبك , اما شمال الشام فكان خاضعا لسلطة **الأرمن المسيحيين** اللذين جاؤا إليها عقب توسع السلاجقة في هضبة أرمينيا وأشتدت أكثر هجرتهم عقب موقعة ملاذكرد الشهيرة 463هـ/1071م فلجأ كثير منهم إلى جبال **طرطوس** واقليم **كيليكيا** وشمال بلاد الشام مثل **أنطاكية واللاذقية** حتى أصبحت تلك المناطق التي نزحوا اليها تسمى **بأرمينيا الصغرى** .

(على الغامدي – بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي 323)

ونيابة **دمشق** كبرى النيابات الشامية وأعظمها قدرا فهي النيابة العظمى ونائبها أعظم رجال المملكة سلطة .

ونيابة **حلب** ثاني أهم نيابات الأراضي الشامية نظرا لاهمية موقعها ووقوعها على الأطراف الشمالية للدولة المملوكية مما جعلها تشكل حزاما أمنيا يحمي أراضي الدولة وأهلها من الد خصومها وهم المغول الذين كانوا يهددون حدودها تارة عن طريق نهر الفرات وتارة أخرى عبر الأناضول , أنتهت بإستئصال شافتهم من على مسرح الوجود

(العصر المملوكي مفيد الزيدي226)

بعد **عين جالوت** حمت دولة **المماليك** كيان مصر والشام من الخطر المغولي وأكدت هذه

الدولة أنها جديرة بحكم المنطقة في الوقت الذي فشل فيه الأيوبيين , فأنتهى التنافس بينهما حتى من بقي من الأيوبيين في مكانه كالمنصور صاحب حماة والأشرف موسى صاحب حمص أصبحوا تابعين لسلطنة المماليك في مصر .

اظهر المماليك أنفسهم حماة المسلمين وزعماء حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين وورثة الأيوبيين سواء في حكم المنطقة أو مواجهة الأعداء وأستمروا في مواجهة الصليبيين حتى تمكنوا خلال عدة عقود من طردهم من الشام وأصبحت القوة الرئيسية المهيمنة على الشام .

تم تقسيم بلاد الشام من الناحية الإدارية في عهد **المماليك** إلى ستة أقسام أو نيابات تخضع لمركز صنع القرار في القاهرة .

وهي **دمشق وحلب وحماة وطرابلس وصفد والكرك** وهي وحدات كانت معروفة منذ العهود السابقة لها تركيبتها الإقتصادية والإجتماعية والسكانية .

أنشئت نيابتي **دمشق وحلب** بعد **عين جالوت** مباشرة **والكرك 1263 م** في عهد بيبرس **وصفد 1266 وطرابلس 1289م** .

أما **دمشق** فكانت لها نيابات صغيره مثل **غزة والقدس وصرخد وعجلون وبعلبك وحمص ومصياف وولايات الرملة وبيسان وبقاع وبيروت وصيدا.**

ونيابة **حلب** وهي محور العلاقات المتوترة بين المماليك وجيرانهم **المغول والتركمان والعثمانيين**

نيابتها **قلعة الروم وكركر وسيمساط وعنتاب ودربساك** ونيابات أخرى تبع نيابة حلب تقع داخل بلاد الأرمن **وملاطية ودندرة والأبلستين وإياس وطرسوس وأذنة**

أما **طرابلس** فأصبحت تضم **حمص والأكراد وعكا وبلاطنس وصهيون واللاذقية**

ونيابات كانت تابعة لجماعة الإسماعيلية " **الرصافة والخوابي والقدموس والكهف و العليقة** " ونيابات تابعة لها مثل **أنطرطوس** والمنيطرة وبشرية وجبلة وأنفة .

وحماة ولاياتها بر حماة وبارين والمعرة .

وصفد وولاياتها بر صفد والناصرة وطبرية و تبنين وهونين وعثليت وصور والشاغور والأقليم والشقيف وجنين .

والكرك ولاياتها الشوبك وزعر ومعان .

وكل نائب من حكام النيابات الشامية كان سلطانا صغيرا رغم تبعيته لسلطان مصر ولكل نائب حاشيتة وأتباع ويقوم بمقام السلطان في التصرف وقيام الأمراء على خدمته كخدمة السلطان .

ولكل نائب أمراء بوظائف كوظائف أمراء السلطان ووزير , وكل نيابه لها أربعة قضاة على المذاهب الأربعة .

الباب الثاني :
عصر قيام دولة المماليك البحرية

"لقد أبقى المماليك الترك على سائر شعائر الأيوبيين وأقتدوا بهم في جميع أحوالهم ، دائما ما يفتخرون بالأنتماء اليهم "

{ المقريزي –السلوك }

الفصل الأول



المعز عز الدين ايبك

1– ترجمة السلطان :

ومعنى أسم " **أي بك** " أي امير قمر .

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين وامراء المماليك 68)

كان **عز الدين أيبك** قد أنتقل إلى ملك السلطان **نجم الدين أيوب** من بعض أولاد التركماني فعرف **بأيبك التركماني** حتى صار أحد أمراء الصالحية وعمل **جاشنكيرا** (متذوق الطعام) وكان مشهورا بدين وكرم وجودة في الرأي .

وعند ورود خبر أستيلاء **الناصر يوسف** على دمشق أجتمع الأمراء البحرية للمشهورة فأتفقوا على أقامته في السلطنة ولقبوه **بالملك المعز** بعد تنازل **عصمت الدين أم خليل** ثم تزوجها في نفس اليوم .

أجلسوه على الملك ونودي بالزينة فزينت القاهرة ومصر ثم رأوا أنه لابد من أقامة شخص من بيت **نجم الدين أيوب** ليجتمع الكل على طاعته ويطيعه الملوك من أهله .

فأجتمع الأمراء وأتفقوا على أقامة **الملك الأشرف موسى بن الملك المسعود يوسف بن الكامل** وله من العمر ست سنين شريكا **لأيبك** في الحكم على أن يقوم **أيبك** بتدبير الدولة وأن ليس **للأشرف** من الشراكة إلا الإسم وجميع الأمور بيد **المعز عز الدين أيبك** .

ثم نودي بعدها بثلاث أيام في القاهرة أن البلاد للخليفة **المستعصم بالله العباسي** وأن الملك **المعز عز الدين أيبك** نائبا له .

(المقريزي – السلوك 464/1)

ثم ركب **الأشرف والمعز** بالصناجق السلطانية وسط القاهرة كل ذلك والأمراء لم ينتخبوه إلا لكي يتمكنوا من عزله متى شاءوا .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة)

إن أهل مصر لم يرضوا سلطان مسه الرق وظلوا إلى أن مات السلطان **عز الدين أيبك** وهم يسمعونه ما يكره حتى في وجهه إذا ركب ومر بالطرقات ويقولون لا نريد إلا سلطانا رئيسا مولودا على الفطرة

(ابن تغري بردي– النجوم الزاهرة)

2- حوليات الملك المعز :

(الحوليات برواية المقريزي في السلوك)

- **سنة ثمانية وأربعين وستمائة .**
- **ربيع الآخر : أتفق أمراء البحرية على إقامة الأمير عز الدين أيبك مقدم العسكر في السلطنة ، ولقبوه بالملك المعز ونودي بالزينة .**
- **وفيه ورد الخبر تسليم الملك المغيث عمر الكرك والشوبك ، وبتسلم الملك السعيد قلعة الصبيبة فلما كان ذلك تجمع الأمراء ، وقالوا : لابد من إقامة شخص من بيت الملك مع المعز أيبك ليجتمع الكل على طاعته ويطيعه الملوك من أهله . فأتفقوا على إقامة الملك الأشرف موسى بن الملك المسعود ابن الكامل وله من العمر نحو ست سنين ، شريكاً للملك المعز ، وأن يقوم الملك المعز بتدير الدولة**
- **جمادى الآخرة : كان بغزة جماعة من العسكر ، عليهم الأمير ركن الدين خاص ترك فرجعوا إلى الصالحية وأتفقوا مع عدة من الأمراء على إقامة الملك المغيث عمر بن العادل ، صاحب الكرك وخطبوا له بالصالحية**
- **وفيه : ورد الخبر بذلك ونودي في القاهرة ومصر أن البلاد للخليفة المستعصم بالله العباسي ، وأن الملك المعز عز الدين أيبك نائبه بها .**

- وفيه : وقع الحث على خروج العساكر ، وجددت الأيمان للملك الأشرف موسى والملك المعز أيبك .
- وفيه : ركب الملكان الأشرف والمعز بالصناجق السلطانية ، وشقا القاهرة ، والمعز يحجب الأشرف ، والأمراء تتناوب في حمل الغاشية .
- رجب : قدمت عساكر الملك الناصر إلى غزة ، فخرج الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار بألفي فارس وسار إلى غزة ، وقاتل أصحاب الناصر وهزمهم .
- وفيه : أتفق أهل الدولة على نقل تابوت الملك الصالح نجم الدين أيوب من قلعة جزيرة الروضة ، إلى تربته التي بنيت له بجوار مدارسه الصالحية .
- وفيه : خرج الناس إلى قلعة الروضة ، وحملوا السلطان منها ، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة وجميع العسكر قد لبسوا البياض ، وقطع المماليك شعورهم ، وأقيم عزاؤه ودفن ليلاً .
- وفيه : غلقت الأسواق بالقاهرة ومصر ، وأقيم المأتم بالدفوف بين القصرين ، وأستمر الحضور للعزاء إلى يوم الإثنين . وجعل عند القبر سناجق السلطان وبقجه وقوسه وتركاشه ، وترتبت القراء يقرءون عند قبره .
- شعبان : وقع الهدم في مدينة دمياط ، بإتفاق أهل الدولة على ذلك ، وخرج الحجارون والصناع والفعلة من القاهرة ، فأزيلت أسوارها ومحيت آثارها ، ولم يبق منها سوى الجامع .
- رمضان : أخذ الملك الناصر صاحب الشام في الحركة لأخذ مصر ، بتحريض الأمير شمس الدين لؤلؤ .

- شوال : برز الأمير فارس الدين أقطاي – مقدم البحرية – في جمهور العسكر من الترك . وسارت العساكر في حادي عشره ، وأجتمعت بالصالحية .
- وفيه : أستناب الملك المعز أيبك بديار مصر الأمير علاء الدين البندقدار ، فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع نواب دار العدل ، لترتيب الأمور وكشف المظالم .
- وفيه نودي بإبطال الخمور .
- ذي القعدة : نزل الملك المعز من قلعة الجبل فيمن بقي عنده من العساكر ، وسار إلى الصالحية .
- وكان بجامع القاهرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، فقام على قدميه وخطب خطبتين خفيفتين ، وصلى بجماعة الجمعة ، وصلى قوم صلاة الظهر . فما هو إلا أن انقضت صلاة الجمعة ، حتى وردت البشارة بإنتصار الملك المعز وهزيمة الناصر ، فدقت البشائر .
- وفيه : دخل المعز القاهرة بالأسرى بين يديه ، وسناجقهم مقلبة وطبولهم مشققة ، وخيولهم وأموالهم بين يديه .
- وفيه : قتل الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة الجبل ، وعمره نحو الخمسين
- ذي الحجة : سار الأمير فارس الدين أقطاي من القاهرة في ثلاثة آلاف إلى غزة ، وإستولى عليها .
- سنة تسع وأربعين وستمائة .

- وفيها استولى الأمير فارس الدين أقطاي على الساحل ونابلس إلى نهر الشريعة
- وفيها أمر الملك المعز أيبك بإخلاء قلعة الروضة ، فتحول من كان فيها من المماليك والحرسيه وغيرهم .
- وفيها : توفي الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح – الوزير والشاعر .
- سنة خمسين وستمائة .
- وفيها وردت الأخبار بأن منكوخان ملك التتر سير أخاه هولاكو لأخذ العراق فسار وأباد أهل بلاد الإسماعيلية قتلاً ونهباً ، وأسراً وسبياً ، ووصلت غاراته إلى ديار بكر وميافارقين ، وقتلوا ما ينيف على آلاف ، وأسروا مثل ذلك وقتلوا الشيوخ والعجائز ، وساقوا النساء والصبيان معهم فقطع أهل الشرق الفرات ، وفروا خائفين .
- عند ذلك أزال الملك المعز اسم الملك الأشرف موسى من الخطة ، وانفرد بالسلطنة
- وفيها : أقطع الفارس أقطاي ثغر الإسكندرية ، وكتب له به منشور . وتعدى شر البحرية ، وكثر تمردهم وطغيانهم .
- سنة إحدى وخمسين وستمائة .
- فيها تقرر الصلح بين الملك المعز أيبك وبين الملك الناصر صاحب دمشق ، بسفارة نجم الدين البادرائي . على أن يكون للمصريين إلى الأردن ، وللناصر ما وراء ذلك ، وأن يدخل فيها للمصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله ، وأن المعز يطلق جميع من أسره من أصحاب الناصر . وحلف كل منهما على ذلك .

- وفيها : تسلم المصريون قلعة الشوبك ، فلم يبق مع الملك المغيث سوى الكرك والبلقاء وبعض الغور .
- وفيها : ثارت العربان ببلاد الصعيد وأرض بحري ، وقطعوا الطريق براً وبحراً ، فامتنع التجار وغيرهم من السفر .
- سنة اثنتين وخمسين وستمائة .
- شعبان : أرسل أيبك إلى أقطاي ليحضر إليه بقلعة الجبل في مشورة يأخذ رأيه فيه فخرج عليه جماعة بالدهليز قد أعدوا لقتله فهبروه بالسيوف حتى مات .
- وفيها : وقع الصلح بين الملك الناصر وبين الفرنج أصحاب عكا .
- وفيها : سفر الملك المعز أيبك الأشرف موسى بلاد الأشكري منفياً .
- وفيها : درس الشيخ عز الدين بن عبد السلام بالمدرسة الصالحية .
- وفيها : مات ملك التتر طرطق خان بن دوشي خان بن جنكز خان . فقام بعده بركة خان بن جوشي ،
- سنة ثالث وخمسين وستمائة .
- فيها أخرج الملك الناصر عسكراً إلى جهة ديار مصر ، ومعهم البحرية : وهم الأمير سيف الدين بلبان الرشيد ، وعز الدين أزدمر ، وشمس الدين سنقر الرومي ، وشمس الدين سنقر الأشقر ، وبدر الدين بيسري ، وسيف الدين قلاوون ، وركن الدين بيبرس البندقداري ، وعدة من مماليك الفارس أقطاي .
- وفيها : أمر المعز ألا تخرج امرأة من بيتها ، ولا يمشي رجل بلا سراويل .
- سنة أربع وخمسين وستمائة .

• فيها ورد الشيخ نجم الدين البادرائي ، من قبل الخليفة المستعصم بالله ، ليجدد الصلح بين الملك الناصر والملك المعز , فقرر الصلح على أن يكون للملك المعز ما كان للملك الصالح نجم الدين أيوب من الساحل ببلاد الشام ، مع ملك مصر ، وأن الملك الناصر لا يأوي عنده أحداً من البحرية ، فمضوا إلى المغيث بالكرك .

• وفيها : سار الأمير شمس الدين سنقر رسولاً إلى الخليفة ببغداد ، وصحبه الشيخ البادرائي ، يلتمس تشرفه بالتقلد والخلع والأولوية للملك المعز ، أسوة من تقدمه من ملوك مصر .

• وفيها بعث الملك المعز إلى الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة وإلى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، يخطب ابنتيهما لنفسه . فشق ذلك على زوجته شجر الدر وتغيرت عليه ، فتنكر لها وفسد ما بينهما ، فأخذت تدبر في قتله .

• وفيها قوي أمر هولاكو ، وظهر اسمه ، وفتح عدة قلاع بالشرق .

• وفيها : دخل مقدم من التتار إلى أرض الروم السلاجقة ، ففر منه السلطان غياث الدين كيخسرو ومات في فراره ، فقام من بعده أولاده الثلاثة ، وأخذ التتار قيسارية وما حولها ، فصار لهم من بلاد الروم مسافة شهر .

• وفيها : وصلت جواسيس هولاكو إلى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ببغداد ، وتحدثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد مواعيد ، والخليفة في لهوه لا يعبأ بشيء من ذلك .

• وفيها ولي تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أبي القاسم ابن بنت الأعز قضاء القضاة ، عوضاً عن بدر الدين يوسف السنجاري .

• سنة خمس وخمسين وستمائة .

- **فيها تزايدت الوحشة بين الملك المعز وبين شجر الدر ، فعزم على قتلها .**
- **ربيع الأول : دخل المعز إلى الحمام ليلاً ، فأغلق عليه الباب محسن الجوجري ، وغلام كان عنده شديد القوة ومعهما جماعة . وقتلوه .**

3- مجريات أيبك :

1) أيبك والأيوبيين :

في بداية عام 648 هـ قدمت عساكر **الناصر يوسف** الى غزة فخرج اليها **الفارس أقطاي** مقدم المماليك البحرية بألفي فارس فلم يرجع إلا وهو منصور على **الناصر** ورجاله (المقريزي- السلوك 1/466)

وفي آخره أتحد الناصر يوسف مع أبناء البيت الأيوبي ورجالاته عماد الدين أسماعيل بن العادل والأشرف موسى بن ابراهيم بن أسد الدين شيريكوه والملك المعظم توران شاه وأخوه نصرة الدين الظاهر شادي بن الناصر داوود وأخوه الملك الأمجد حسن والملك تقي الدين عباس بن العادل وعدة من الملوك فخرجوا جميعا في إتجاه مصر لأخذها من المعز .

عندما ورد الخبر الى **القاهرة** أضطربت الدولة ورفع التهيؤ للحرب وأحضرت الخيول ثم سارت العساكر وأجتمعت **بالصالحية** ثم لحق بهم **الملك المعز** مع من بقي عنده من العسكر في **قلعه الجبل** تاركا **الأشرف موسى** بالقلعة .

كان في ظن كل أحد أن النصرة أنما تكون **للملك الناصر** على البحرية لميل أكثر عسكر مصر إليه ولكن عندما ألتقى الجمعان في العباسية وقع ما لم يخطر في خيال أحدهم .

في ذلك اليوم كانت الكرة في البداية لعساكر مصر ولكن سريعا ما أفاق الشاميين وكانت

الكرة لهم فأنقضوا على ميسرة **المصريين** فولوا أمامهم منهزمين حتى فروا الى بلاد الصعيد **دخلت العساكر الشامية مصر وخطب للملك الناصر بالقاهرة والقلعة وأستقر الجيش الشامي المنتصر في العباسية وضرب الدهليز الناصري هناك ولكن الغريب أن ميمنه الشاميين قد أنكسرت من عسكر مصر وقتل منهم كثير وأسروا أكثر مما قتلوا وهم لا يشكون أن أمر المصريين قد بطل وزال حتى أحمي الحمام للملك الناصر وجهز له للاقامة .**

كانت فئه المماليك المنصورة تضم **المعز عز الدين والفارس أقطاي** ومعهما ثلاثمائة من البحرية فخامروهم وهزموهم هزيمه منكرة وبدد **المعز** شملهم وأحلامهم بل أنتهى الأمر أن أسر الملوك **توران بن صلاح الدين وأخاه والصالح عماد الدين بن العادل** وخلقا كثيرا وتمزق أهل الشام كل ممزق .

وفي القاهرة أنتظر **الشاميين** المنتصرين قدوم **الملك الناصر** , وبينما هم كذلك إذ وصل إليهم خبر هروب **الناصر** وقتل الأمراء وأسر الملوك , فتشاوروا فيما بينهم حتى أنتهى أمرهم بترك **القاهرة** والرجوع الى **الشام** .

وردت الأنباء للناس بأنتصار **الملك المعز** وهزيمة **الناصر** فزفت البشاير ودخل **المعز** القاهرة والأسرى بين يديه وصناجقهم مقلبه وطبولهم مشققه وخيولهم وأموالهم بين يديه فلما وصلوا أمام تربه **الملك الصالح** التي بين القصرين لعبت المماليك بالرماح والمعز في الموكب وقدامه الملك **الصالح اسماعيل** فنادت المماليك على **الملك الصالح نجم الدين** في تربته :

" **ياخوند اين عينك ترى عدوك اسماعيل** " ثم صاروا الى القلعة .

ثم أكتمل النصر حين أفرج **الملك المعز** على من قبض عليهم من عسكر **الناصر** وسيرهم

الى **دمشق** على حمير وكانوا نحو الثلاثة ألاف رجل .

(المقريزي– السلوك 468/1)

وفي العام التالي سير الملك **المعز عز الدين الفارس أقطاي** إلى **غزة** ثانيه فملكها وبعد عام أستولى على **الساحل ونابلس** .

في عام 650 هـ وردت الأخبار أن **هولاكو** سار لأخذ **العراق** ووصلت غاراته إلى **ديار بكر وميافرقين** وقتلوا نيف على الألف وأسروا مثل ذلك وقتلوا الشيوخ والعجائز وساقوا النساء والصبيان معهم فقطع أهل الشرق الفرات وفروا خائفين .

عند ذلك أزال **المعز** أسم الملك **الأشرف موسى** من الخطبة وأنفرد باسم السلطنة وسجن الأشرف وأستولى على الخزائن ورتب مملوكه **سيف الدين قطز** نائبا للسلطنة بديار مصر وأمَّر عدة من مماليكه .

(المقريزي –السلوك 478/1)

ثم ما تزال رسل الخليفة العباسي على رأس كل عام تـجيء وترحل من القاهرة إلى بغداد للصلح بين **المعز والناصر** حتى تم ذلك في عام **651 هـ** على أن يكون للمصريين إلى الأردن **وللناصر** ما وراء ذلك وأن يدخل فيما للمصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله وأن يطلق المعز جميع من أسره من أصحاب **الملك الناصر** .

نجح الخليفه , على أن تكون سلطة **المماليك** من **نهر الاردن والقدس ونابلس والساحل** وتكون بقيه مناطق الشام **للأيوبيين** فكان هذا الأتفاق بمثابة الأعتراف الرسمي من الدوله الايوبية بدولة المماليك .

(العصر المملوكي190 – مفيد الزيدي)

سجن **الأشرف** ، وأستولى **المعز** على الخزائن ، وشرع في تحصيل الأموال فأحدث وزيره

شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي حوادث ، وقرر على التجار وعلى أصحاب العقار أموالاً ، ورتب مكوساً وضمانات سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية ، وأخذ الجوالي من الذمة مضاعفة ، وأحدث التصقيع والتقويم وعدة أنواع من المظالم ، ورتب الملك المعز مملوكه الأمير سيف الدين قطز نائب السلطة بديار مصر ، وأمر عدة من مماليكه فقويت شوكة البحرية وزاد شرهم ، وصار كبيرهم ، الأمير فارس الدين أقطاي ملجأ لهم ، يسألونه في حوائجهم ، ويكون هو المتحدث مع المعز .

(المقريزي –السلوك 478/1)

بعد مقتل أقطاي وهروب **البحرية** تجاه **الشام** تجددت الحملات ضد مصر ولكن المغيث عمر الأيوبي فشل مرتين في محاولاته **1257 و 1258م** .

(العصر المملوكي 190– مفيد الزيدي)

2) أيبك والعربان :

قام الشريف حصن الدين ثعلب وتبعه كثير من أصحابه بثورة ضد الملك المعز عز الدين ايبك وقالوا :

" نحن أصحاب البلاد ونحن أحق بالملك من المماليك وإنما هم عبيد للخوارج وقد كفى أنا خدمنا بني أيوب ، وهم خوارج خرجوا على البلاد "

أجتمع العرب وهم يومئذ في كثرة من المال والخيل والرجال ، إلى الأمير حصن الدين ثعلب ، وأتوه من أقصى الصعيد ، وأطراف بلاد البحيرة والجيزة والفيوم ، وحلفوا له كلهم . فبلغ عدة الفرسان أثني عشر ألف فارس ، وتجاوزت عدة الرجالة الإحصاء لكثرتهم .

سير إليهم الملك المعز أيبك الأمير فارس الدين أقطاي ، والأمير فارس الدين أقطاي المستعرب ، في خمسة آلاف فارس . فاقتتل الفريقان من بكرة النهار إلى الظهر . فقدر

الله أن الأمير حصن الدين تقنطر عن فرسه ، فأحاط به أصحابه وأتت الأتراك إليه ، فقتل حوله من العرب والعبيد أربعمائة رجل ، حتى أركبوه . فوجد العرب قد تفرقوا عنه ، فولى منهزما.

تبعهم فرسان المماليك يقتلون و يأسرون حتى حال بينهم الليل ، ثم تبعوا عرب الغربية والمنوفية فأوقعوا بهم وسبوا حريمهم وقتلوا الرجال ، وتبدد كل عرب مصر وخمدت جمرتهم من حينئذ .

(المقريزي – السلوك)

3) المعز ايبك والفارس اقطاي :

" لما عظم قدر أقطاي في الديار المصرية وأستولى على الأمور كلها ، وصار ليس للمعز مع البحرية أمر ولا نهي ولا حل ولا عقد ، ولا يسمع أحد منهم له قولاً .

فإن رسم لأحد بشيء لا يمكن من إعداده وإن أمر لأحد منهم بشيء أخذ أضعاف ما رسم له به .

اجتمع الكل على باب الأمير فارس الدين أقطاي ، وبقيت الكتب إنما ترد من الملك الناصر وغيره إليه ، ولا يقدر أحد يفتح كتاباً ، ولا يتكلم بشيء ولا يبرم أمراً ، إلا بحضور أقطاي لكثرة خشداشيته " .

(المقريزي – السلوك 493/1)

ثم جاءت القاضية عندما تزوج **أقطاي** بأبنة **المظفر** صاحب **حماة** فطلب القلعة من **المعز** ليسكن فيها فغضب المعز وغضبت زوجته , وشق عليه ذلك, **هنا ثقل أقطاي على المعز واخذ يتحيل لقتله .**

لم يحفظ المعز أيبك للفارس صنعته التي حفظ بها البلاد , نسي له بطولاته يوم

المنصورة وقيادته للجيش في معركة غزة بل نسي له أنتصاراته على العربان .

يوم الأربعاء ثالث شعبان أرسل **أيبك** الى **أقطاي** ليحضر إليه **بقلعة الجبل** في مشورة يأخذ رأيه فيها فركب على غير أهبه ولا أستعداد فلما دخل من باب **القلعة** وصار بداخلها أغلق الباب ومنع مماليكه من العبور فخرج عليه **قطز وبهادر وسنجر** فقتلوه فركب في الحال من أصحابه **سبعمائة** فارس ووقفوا تحت **القلعة** وفي ظنهم أنه لم يقتل إنما قبض عليه وأنهم يأخذونه من **المعز** .

وقف **بيبرس وسنقر الأشقر وبيسري وسكز وبرامق** فلم يشعروا إلا ورأس **أقطاي** قد رمى بها **المعز** اليهم فسقطت في أيديهم فتفرقوا جميعا وخرجوا من الليل من **القاهرة** فحرقوا باب **القراطين** فعرف بعدها بالباب المحروق .

وجدير بالذكر أن حادثة قتل أقطاي ستلقي بظلالها على الدولة المملوكية حتى سقوطها ، وعلى الرغم من أن دماء أقطاي ذهبت أدراج الرياح إلا أنها كانت الحبر الذي كتب به قانون الدولة المملوكية ، من ترسيخ لمبدأ سيادة الأقوى دون خجل أو مواربة , مما جعل الشرعية للذي يستطيع أن يفرض نفسه .

(هاني فخري – النظام العسكري /34)

4) ايبک والبحرية :

لما جرى ما جرى في الليلة التي قطعت فيها رأس **أقطاي** وهرب المماليك **البحرية** من الديار **المصرية** عبر **الباب المحروق .**

أصبح **المعز** وقد بلغه هروبهم من المدينة فأمر بالحوطة على أملاكهم وأموالهم ونسوانهم وغلمانهم وأتباعهم وذخائرهم .

(بيبرس المنصوري – زبدة الفكرة 360)

قبض على من بقي منهم ، وقتل بعضهم وحبس باقيهم ، وظفر للفارس أقطاي بأموال عظيمة . ونودي في القاهرة ومصر بتهديد من أخفى أحد من البحرية ، **فتمكن عند ذلك الملك المعز .**

لم يكتفي **المعز** بتشريدهم في البلاد ولا بمصادرة الأموال والأملاك بل راح يلاحق من بقي منهم بالسجن وأما من فر فقام بمراسلة من لجأوا أليه بالتحذير منهم والتشديد على طردهم .

فلما علم **المعز** بوصول **بيبرس وبلبان وقلاوون** وغيرهم إلى **الناصر يوسف** خاف غائلتهم ، وكتب إلى الناصر يوهمه منهم ، ويخوفه عاقبة شرهم , وما زال به حتى فرض عليه تسريحهم .

وأما من كانوا عند سلطان الروم فكتب الملك **المعز** :

" بأن البحرية قوم مناحيس أطراف ، لا يقفون عند الأيمان ، ولا يرجعون إلى كلام من هو أكبر منهم ، وإن استأمنتهم خانوا ، وإن استحلفتهم كذبوا ، وإن وثقت بهم غدروا . فتحرر منهم على نفسك ، فإنهم غدارون مكارون خوانون ، ولا أمن أن يمكروا عليك ".

5) ايبك وشجر الدر :

كانت **شجر الدر** مستولية على **السلطان** في جميع أحواله وليس له معها كلام فما زالت تخاطب بالسلطنة وتخرج تواقيعها بإبطال الحوادث وكف المظالم فتنفذ كنفوذ التواقيع السلطانيه .

بل إن **أيبك** أثناء حربه ضد **الأيوبيين** في الشام كانت **أم خليل** تتصرف في المملكة وتأمر وأمرها يمتثل .

ولكن سرعان ما تعاظمت أدوار أيبك فتغير عليها فأخذ يستبد بالأمور بعدما كان لا يقطع أمرا دونها وأخذ لا يدخل إليها إلا ثلاث ليالي في الجمعة ثم حاول إنزالها من القلعة وإسكانها دار الوزارة .

وذات يوم . وفي الطريق الى جب القلعة سار مسجون في زمرة المساجين فنظر نظرة لأعلى فوجد الخوند زوجة السلطان المعز عز الدين أيبك في شباك القصر وعليها حلة الملك , رفع الرجل رأسه مخاطبا إياها قائلا :

"والله ياخوند ما عملنا ذنبا يوجب مسكنا ولحمنا من نعمتك ونعمة السلطان الشهيد الملك الصالح الا أن السلطان سير يخطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وأتفق أن يتزوجها فلما بلغنا ما هان علينا لأجلك فعتبناه فتغير علينا فمسكنا فكان هذا كل ذنبنا " .

تفاجأت **السلطانة** وجن عقلها فهي حتى تلك اللحظة لم تكن تعلم بما هم **السلطان** بفعله , أشارت إلى الرجل بمنديلها من الشباك إشارة منها أنها قد سمعت ما قال .

بخطوات متسارعة ونبضات قلب مقبوض وعقل لا يهدأ , ظل هكذا حال **السلطانة** حتى جاء **الشيطان** .

جاء **الشيطان** ليشعل في قلبها نارا لم تستطع إخمادها , لم تكن نارا للغيرة كما يظن البعض فمن كانت في عصمت **نجم الدين** لم يكن أبدا أن تغير على **عز الدين** ولكن النار التي أشعلها كانت كرسي الملك الذي طمع فيه **أيبك** والآن جاء الدور ليتخلص منها لينفرد به لنفسه , هكذا وسوس إليها

في وجود **الشيطان** الذي لم يكن له من قبل عند **أم خليل** مكان قامت بالترتيب لقتله .

في البداية أرسلت **نصر العزيزي** بهدية إلى الملك **الناصر يوسف** وأعلمته أنها قد عزمت

على قتل المعز والتزوج به وتمليكه مصر .

(المقريزي– السلوك 493/1)

ثم قامت بالأتفاق مع **بلكان** مملوك **أقطاي** السابق **ومحسن الجوجري** وبعض المماليك والجواري لمشاركتها في التخلص منه .

كان **أيبك** قد أحتطاط منها خصوصا بعدما أخبره أحد المنجمين أنه سيموت مقتولا على يد أمرأة فترك لها القلعة وأقام في مناظر باب **اللوق** فأرسلت إليه **تاج الدين ابن بنت الأعز** تتلطف به وأبلغه أن **شجر الدر** تستحلفه الصفح عنها والصلح وتدعوه إلى القلعة , قبل **ايبك** وآمن لها ثم صعد الى القلعة .

جاء إليها **السلطان** وعندما أراد الحمام تبعته هي وجواريها فلما دخله وجد **بلكان** و**محسن الجوجري** بداخله وأغلق الباب فأنقضوا عليه جميعا فخنقوه , ناداها فقالت أتركوه قال **الجوجري** :

" لو تركناه لا يبقي علينا ولا عليكي فخنقوه ثم تركوه حتى مات "

مات **أيبك** . مات بعدما مهد حكم البلاد للمماليك على مدار سبع سنين إلا ثلاثة وثلاثون يوما , مات وعمره ستون سنة .

مات بعدما خلص البلاد من كل طامع ومتمرد وحسود .

تخلص في الشام من ملوك وأمراء الأيوبيين وهزمهم ورسم لهم الحدود , وتخلص من الطفل الأيوبي الذي كان له شريك في الملك وتخلص من **فارس الدين أقطاي** فلم ينازعه في الملك بعده أحد وتخلص من المماليك البحرية وشردهم ما بين الشام والكرك وسلاجقة الروم , **الآن أستتب له الملك فلما أستتب له تركه ومات .**

فلما سقط بين يديها أرسلت إلى **أبن مرزوق** على لسان **المعز** فركب حماره وصعد إلى

القلعة , فلما دخل رآها جالسة **والمعز** بين يديها ميت .

أخبرته بالأمر وأستشارته فيما تفعل فعظم الأمر عليه وقال لها :

" لا أعرف ماذا أقول لقد وقعت في أمر عظيم ما لك منه من مخلص "

فلما أسيئست منه أرسلت إلى **الأمير جمال الدين أيدغدي بن عبد الله العزيزي** وعرضت عليه السلطنة فأمتنع .

ثم بعثت في تلك الليلة إصبع **المعز** وخاتمه إلى **الأمير عز الدين أيبك الحلبي** وقالت له :

" قم بالأمر " فلم يجسر على ذلك .

جاء الأمراء وكانوا قد فارقوه بالعشي سليما فألقوه في الصباح عديما .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان)

قام **سنجر الغتمي** والامراء فقبضوا على الخدام والحريم وعاقبوهم فأقروا .

(المقريزي – السلوك1/494)

ألقي القبض على محسن الجوجري وغلامه وصلبا على باب القلعة أما نصر فقد فر إلى البلاد الشامية وقبض على الصاحب بهاء الدين بن حنا ثم نقلت شجر الدر إلى البرج الأحمر بالقلعة لما حماها المماليك الصالحية من القتل .

الفصل الثاني



المنصور عليِ بن ايبك

1- ترجمة السلطان المنصور علي :

أقامه أمراء الدولة سلطانا بقلعة **الجبل يوم الخميس 16 ربيع الاول 655 هـ** وعمره خمسة عشرة سنة , ما عدا **الأمير عز الدين أيبك الحلبي** المعروف **بأيبك الكبير** فإنه توقف وأراد الأمر لنفسه ثم وافق خوفا عليها وأقيم **سيف الدين قطز** نائبا للسلطنة على عادته وسار مدبر دوله الملك **المنصور علي** وصار الأمير **فارس الدين أقطاي المستعرب** أتابك العسكر عوضا عن **علم الدين سنجر الحلبي** .

ووراثة العرش مبدأ غير موجود في الذهنية المملوكية والفكر السياسي وسيطرت على المسرح السياسي المملوكي فكرة أن الحكم للأقوى والأكثر شجاعة ونفوذا .

كان أغتصاب العرش من قبل الأتابك أو أمير كبير بحكم وجود سلطان طفل تحت الوصاية لا يقوى على مواجهة الأتابك وحماية حقوق السلطنة فأغتصب الأمراء الأقوياء العرش من السلطان الشرعي .

وأدت الفتن والمؤامرات دورا في ذلك بوصول العديد من الأمراء والسلاطين إلى العرش .

تعددت الأساليب والوسائل في عزل السلاطين سواء بالمؤامرة أو الخلع أو القتل أو العزل أو السجن أو النفي .

كان **المنصور** شابا أهوج كثيرا ما كان يشغله لعبه بالحمام ومناقرة الديوك ومعالجته بالحجارة وركوبه الحمير ومناطحته الكباش .

فلما قدم القاهرة " **ابن العديم** " رسول الملك **الناصر يوسف** وأعلمهم بما علموا من قرب قدوم التتار مصر , عقد المجلس في القلعة عند **الملك المنصور** وفي حضور الأمراء وقاضي القضاة **السنجاري والشيخ ابن عبد السلام** فسئل يومئذ شيخ الأسلام عن أخذ مال العامة ونفقتها على العساكر فأجاب **العز** :

" اذا لم يعد في بيت المال شيء أو أنفقتم الحوائص الذهب ونحوها من الزينة وساويتم العامة في الملابس سوى ألات الحرب ولم يبقى للجندي إلا فرسه التي يركبها ساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء " فأنفضوا .

2- حوليات ابن ايبك :

- سنة خمس وخمسين وستمائة .
- ربيع الأول : أقامه أمراء الدولة سلطاناً بقلعة الجبل ، وعمره خمس عشرة سنة
- ربيع الآخر : ركب الأمير قطز هو والأمراء وقبض على الأمير سنجر الحلبي ، واعتقله فركب الأمير أيبك الحلبي الكبير في الأمراء الصالحية فلم يوفق ، وتقنطر عن فرسه خارج باب زويلة ، فأدخل إلى القاهرة ميتاً . وأقيم الأمير سيف الدين قطز نائب السلطة على عادته ، وصار مدبر لدولة الملك المنصور .
- وفيها : بلغ البحرية الذين كانوا ببلاد سلاجقة الروم موت الملك المعز ، فساروا في البر والبحر ، ووصلوا إلى القاهرة . فلم تطل مدتهم حتى كرهوا المنصور بن المعز ، لكثرة لعبه بالحمام ومناقرته بالديوك .
- وفيها وقعت الوحشة بين الملك الناصر وبين من عنده من البحرية ، ففارقوه في شوال ، وقصدوا الملك المغيث صاحب الكرك . فأخرج الأمير سيف الدين قطز العسكر الصالحية ، فواقعوهم وأسروا الأمير سيف الدين قلاوون ، وغيره . وانهزم عسكر الكرك وفيهم بيبرس البندقداري ، فضمن الأمير شرف الدين قيران – المعزي وهو أستادار السلطان – الأمير قلاوون وأطلقه . فأقام قلاوون بالقاهرة قليلاً ، ثم اختفى بالحسينية عند سيف الدين قطليجا الرومي ، فزوده وسار إلى الكرك .

• وفيها : قوي هولاكو وقصد بغداد وبعث يطلب الضيافة من الخليفة فكثر الإرتجاف ببغداد ، وخرج الناس منها إلى الأقطار . ونزل هولاكو تجاه دار الخلافة وملك ظاهر بغداد ، وقتل من الناس عالماً كبيراً .

• سنة ست وخمسين وستمائة .

• صفر : ملك هولاكو بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم بالله وقتل الناس وتمزقوا في الأقطار ، وخرب التتر الجوامع والمساجد والمشاهد ، وسفكوا الدماء حتى جرت في الطرقات ، واستمروا على ذلك أربعين يوماً ودخل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في طاعتهم .

• رمضان : سقطت إحدى مسال فرعون التي بعين شمس ، فوجد فيها نحو المائتي قنطار نحاس ، وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار .

• وفيها : أنفذ الملك الناصر صاحب دمشق ابنه الملك العزيز إلى هولاكو وسأله على لسان أبيه في نجدة ليأخذ مصر من المماليك ، فأمر هولاكو أن يتوجه إليه بعسكر فيه قدر العشرين ألف فارس .

• وفيها : توفي الصاحب بهاء الدين زهير الكاتب الشاعر الماهر ، صاحب الإنشاء

• سنة سبع وخمسين وستمائة .

• فيها نازل التتار ماردين فلم ينالوا شيئاً ، فرحلوا إلى ميافارقين وحاصروا أهلها ، حتى أكلوا من عدم الأقوات جلود النعال التي تلبس في الرجلين .

• و فيها سير الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري إلى الملك الناصر يلتمس منه الأمان ، فحلف له وحضر ركن الدين بيبرس إليه على بركة زيزاء ، ومعه بدر الدين

بيسري ، وإيتمش المسعودي وكثير من البحرية .

- **وفيها قدم الملك العزيز بن الملك الناصر من عند هولاكو ومعه منه كتاب فانزعج الناصر وسير حريمه إلى الكرك وبعث الصاحب كمال الدين عمر بن العديم إلى مصر ، يستنجد بعسكرها .**
- **وفيها قدم ابن العديم إلى القاهرة**
- **ذي القعدة : خرج الأمير علم الدين سنجر الغتمي ، والأمير سيف الدين بهادر ، وغيره من المعزية لرمي البندق فقبض قطز على المنصور وعلى أخيه قاقان وعلى أمهما ، واعتقلهم في برج بقلعة الجبل .**

3- مجريات ابن ايبك :

1) المنصور وشجر الدر :

ظلت السلطانة حبيسة سجنها بالقلعة حتى جاء اليوم الذي ضربها فيه الجواري بالقباقيب حتى ماتت بأيعاز من زوجة أيبك الأولى **أم المنصور علي** حين أحضرت بين يديها فألقوها من سور القلعة إلى الخندق وليس عليها سراويل وقميص فبقيت في الخندق أيام حتى أخذ اراذل العامة تكة سراويلها.

وبعد أيام قد نتنت فحملت في قفة ودفنت بتربتها عند المشهد النفيسي .

ومما يذكر أنها كانت من قوة نفسها لما علمت أنها قد أحيط بها أتلفت شيئا كثيرا من الجواهر واللآلي فكسرته في الهون .

(المقريزي – السلوك1/494)

ماتت شجر الدر ولكن لازالت صحائفها تتلى مع توالي القرون .

2) المنصور والأيوبيين :

655 هـ فارق **البحرية الناصر يوسف** ، وقصدوا الملك **المغيث صاحب الكرك** .

فحسنوا له أخذ مصر فتصدى لهم الأمير **سيف الدين قطز** فواقعوهم وانهزم عسكر الكرك .

فلما جاءت سنة **656 هـ** ودخل **التتار** بغداد هرول اليهم **الناصر يوسف** صاحب **دمشق** وأرسل **ابنه الملك العزيز** إلى **هولاكو** يسأله في نجدة ليأخذ مصر من **المماليك**

فلما قدم **الملك العزيز بن الملك الناصر** من عند **هولاكو** ، وعلى يده كتابه ونصه : " **الذي يعلم به الملك الناصر صاحب حلب أنا نحن قد فتحنا بغداد بسيف الله تعالى ، وقتلنا فرسانها وهدمنا بنيانها وأسرنا سكانها ، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : " قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون " ، واستحضرنا خليفها وسألناه عن كلمات فكذب ، فواقعه الندم واستوجب منا العدم . وكان قد جمع ذخائر نفيسة ، وكانت نفسه خسيسة فجمع المال ولم يعبأ بالرجال . وكان قد نمى ذكره وعظم قدره ، ونحن نعوذ بالله من التمام والكمال .**

إذا تم أمر دنا نقصه . . . توق زوالا إذا قيل تم

إذا كنت في نعمة فارعها . . . فإن المعاصي تزيل النعم

وكم من فتى بات في نعمة . . . فلم يدر بالموت حتى هجم

إذا وقفت على كتابي هذا ، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه روي زمين ، تأمن شره وتنل خيره ، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : " وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى " ، ولا

تعوق رسلنا عندك كما عوقت رسلنا من قبل ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحريمهم إلى كروان سراي فإن كانوا في الجبال نسفناها ، وإن كانوا في الأرض خسفناها . "

فإنزعج **الناصر** وسير حريمه إلى الكرك وخاف الناس بدمشق خوفاً كثيراً لعلمهم أن التتر قد قطعوا الفرات ، وسار كثير منهم إلى جهة مصر وبعث **الناصر** ، عندما بلغه توجه **هولاكو** نحو الشام **بالصاحب كمال الدين عمر بن العديم** إلى مصر ، يستنجد بعسكرها .

(المقريزي – السلوك)

3) المنصور والتتار :

أنبثق فجر القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي والشرق الإسلامي يستعد لإستقبال تلك الجيوش **المغولية** الجرارة التي إندفعت نحوه من شمال أسيا الشرقية .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 62)

والمغول شعب كبير من الأمة التركية تتكون من مجموعة من القبائل الرحل التي نشأت في هضبة **منغوليا** وهذه القبائل كانت دائمة الحرب مع جيرانهم التتر .

(السيد الباز العريني – المغول 41)

كانوا خليطا من عباد الشمس ومسيحيين وبوذيين ومسلمين .

(عصر سلاطين المماليك – قاسم عبده قاسم 55)

كانت المنطقة الواقعة في شمال بلاد الصين منذ بدء التاريخ عبارة عن ينبوع يخرج منه القبائل الرحل التي لا تلبث أن تتجمع في شكل هجرات عامة تكتسح ما جاورها من البلاد تحت تأثير عوامل عدة, وكان الموطن الأصلي للعنصر التركي في جبال أوتاي في

منطقة تدعى **كين شاق** , وكانت تعيش بطبيعة الحال عيشة جافة قوامها الرعي والتنقل من مكان إلى مكان سعيا وراء الرزق القليل من العشب ويحدث أن تتجمع بعض القبائل التركية وتتوحد بفضل مجهود شخص قد يبرز في وقت ما ثم تندفع في هجرة عامة تكتسح الأقاليم المجاورة .

فقر يدفعها من الخلف وجشع مادي يستميلها من الأمام فينتهي بها المطاف إلى حضارة تبهر أبصارها فتندفع إلى أراضيها في جماعات تدفع بعضها بعضا .

(الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي20 – حافظ احمد حمدي)

حتى جاء **كابل خان** فقام بتنظيم تلك القبائل في حلف مفكك , غير أن مملكته تداعت بعد وفاته .

وبعد سنين ورثه حفيده " **يسكاي** " وراح يزيد من سلطانه بإنزال عدة هزائم على قبائل التتار المتجاورة .

وبعد وفاته حفظت زوجته لإبنه الصغير **تيموجين** قدرا من السيطرة على قبائل أبيه .

نبغ **تيموجين** وهو لا يزال صغيرا حتى بدأ نجمه يلمع وهو في سن السابعه عشر حتى أستطاع بذكائه أن يستقطب كبار رجال المغول تحت لوائه وإخضاع القبائل تحت سيطرته فأختارته القبائل المغولية أمبراطورا عليها فأتخذ لنفسه أسم **جنكيز خان** اي فاتح العالم .

نجح **جنكيز خان** في بناء إمبراطورية مترامية الأطراف من حدود بلاد الصين شرقا وحتى البحر الأسود غربا ثم ما لبث حتى بدأ في العمل على أتساع رقعة مملكته حتى وصل على حدود البلاد الإسلاميه وتحديدا عند حدود أقاليم بلاد ما وراء النهر وأتخذ **قراردم** عاصمة له .

(عصر سلاطين المماليك – قاسم عبده قاسم 54)

كانت تلك البلاد خاضعة لحكم **الخوارزميين** الذين اخذت رقعتهم تتوسع على حساب دوله **السلاجقة** الذين نشؤوا في كنفهم . وبايعاز من الخليفة العباسي الذي كثيرا ما أستغلهم في حروبه ضد السلاجقة فنجحوا في ذلك .

حلت دولة **الخوارزميين** مكان دوله **السلاجقة** في إيران والعراق . ولم يكتفوا بذلك بل صاروا يتدخلون في أمور الخلافة وعزموا الإستيلاء على بغداد .

إزاء ذلك قام الخليفة العباسي **الناصر** من الحد من أطماع **الخوارزميين** بالإستعانة بالزعيم المغولي **جنكيز خان** .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 64)

فكان **الناصر** بذلك الفعل هو الذي أطمع التتار في بلاد الإسلام فهو الطامة الكبرى الذي يصغر عندها كل ذنب عظيم .

(ابن الأثير– الكامل 2/9)

رغم هذا الفعل الشنيع من خليفة المسلمين إلا أن **جنكيز خان** لم يعر بمراسلات الخليفة أي إلتفات وقام بعقد معاهدة تجارية مع **الخوارزميين** . غير أن أطماع **علاء الدين بن خوارزم شاه** في القضاء على **المغول** حالت دون سريان تلك المعاهدة .

فيذكر أن أحد قوافل **المغول** حطت رحالها ذات يوم للإتجار في الأسواق **الخوارزمية** وبالتحديد في مدينه **أوتار** الواقعة على نهر **سيحون** فقام حاكمها بقتل جميع أفرادها وسلب البضاعه .

غضب قائد المغول لذلك وأرسل الرسل طالبا من السلطان **علاء الدين بن خوارزم شاه** تسليمه حاكم المدينة .

رفض **علاء الدين** وقام بقتل الرسول الموفد وأهان رفيقه بحلق لحيته

فكانت المواجهة التي لا مفر منها , أندفع بعدها **المغول** كالسيل الجارف تحدوهم الرغبة في الإنتقام من ولاة الأمور في البلاد الإسلامية .

جيش جرار عتاده **مائتي ألف** مقاتل **مغولي** توجهوا نحو الأقاليم الإسلامية الخوارزمية .

هرب **علاء الدين خوارزم شاه** إلى **خراسان** تاركا بلاده لقمة سائغة في فم **المغول** فدخلوها بعد ثلاثه أيام من الحصار .

لجأ **محمد خوارزم شاه** إلى جزيرة في بحر قزوين ومات هناك ثم عاد **جنكيز خان** إلى بلاده .

خلف **محمد** ابنه **جلال الدين** . لقد كان **جلال الدين** ملكا شجاعا مقداما كثيرا ما صد هجمات التتار على بلاده , وطالما كانت معاركهما سجال , ولكن كان وحيدا بطانته واهية بل مات غيلة على يد أحد الرعية ولكن يحمد له أنه أخر أجتياح التتار لعاصمة الخلافة مدة ليست باليسيرة .

كثيرا ما أذاق **المغول** العذاب ولقى هو وجنده الأهوال في البراري الواقعة بين **الهند وكرمان** وأستولى على **أذربيجان** ونقل رفاة أبيه الى قلعة **اردهان** ودفنه فيها قبل أن ينبش **المغول** قبره ويحرقوا جثته بعد ذلك .

دفع عائلة **جلال الدين** ثمن جهاده وأنتقم منهم **جنكيز خان** يبيع بعضهم كرقيق وبقتل الأخر حتى إن ابن **جلال الدين** قد قتل بين يديه .

وبعد **ثلاث** سنوات قضى **المغول** على كل أراضي **الخوارزميون** وقتل **جلال الدين خوارزم شاه** .

(ابن واصل – مفرج القلوب 314)

سار التتار بعد مقتل **جلال الدين** فأحتلوا **فارس** كلها دون أن يجدوا مقاومة تذكر .

ثم عاد **جنكيز خان** بجيشه إلى بلاده تاركا بلاد المسلمين خرابا خاوية على عروشها , فلما عاد أنشغل في صراعاته الداخلية حتى مات **624 هـ** .

أنتخب مكانه ابنه **أكتاي** خانا أعظم **626 هـ- 1229 م** , فعمل على المضي قدما في إتجاه ما بدأه أبوه في التوسع نحو الغرب لإخضاع ما بقي من العالم الاسلامي .

ما بين عامي **1229 و 1249 م** وفي خلال حكمي **أكتاي خان وكيوك خان** توجهوا نحو **أذربيجان** فاستولوا على **فراغة وتبريز** ثم أجهزوا على المدن الواحده تلو الأخرى حتى أضافوا إلى أملاكهم شمالي **فارس واذربيجان** ثم استأنفوا زحفهم نحو أواسط آسيا وبلاد **الكرج والقوقاز وروسيا وأسيا الصغرى** , غير أنهما لم ينجحا في حروبهما ضد الخليفة العباسي .

وبعد وفاه **كيوك خان 647هـ -1259م بعام** أنتخب **منكو خانا** اعظم للمغول فجعل نصب عينيه السيطرة على ما تبقى من العالم الاسلامي حتى أقاصي مصر , بدأها بعاصمة الخلافة .

كانت الأوضاع في العراق آنذاك سيئة للغاية يشوبها صراعات بين **مجاهد الدين ايبك** وبين **مؤيد الدين ابن العلقمي** الشيعي وزير **المستعصم** .

فعمد **ابن العلقمي** الى مراسلة **هولاكو** وأطمعه في ملك بغداد .

(ابن كثير – البداية والنهاية 201/13)

دخل قائد **المغول بغداد** متخفيا في زي تاجر عجمي ومعه حمل حرير فأجتمع بالوزير **ابن العلقمي وابن الدردسوس** نديم الخليفة وأكابر الدولة وكانوا قادرين على مسكه ولكنهم خانوا الله ورسوله ودين الإسلام قاتلهم **الله** ثم خرج بعدما أتفق معهم .

عقد الاتفاق السري والخليفه في لهوه لا يعبأ بشيء

(ابن أيبك الدوادار – التحفة الملوكية 29)

كان **منكو خان** قد عهد إلى أخيه الأصغر **هولاكو** بالمسير تجاه بلاد **المسلمين** ليفتح غرب **إيران وبغداد والشام ومصر** قائلا له :

" إنك الآن على رأس جيش كبير وقوات لا حصر لها فأفعل بإسمك إلى الشمس الساطعة وحافظ على تقاليد جدنا جنكيز خان وقوانينه وخص كل من يطيع اوامرك ويتجنب نواهيك في الرقعة الممتده من نهر جيحون وحتى أقاصي بلاد مصر بلطفك وبأنواع عطفك وإنعامك أما من يعصيك فأغرقه في الذلة والمهانة مع نسائه وأبنائه وكل ما يتعلق به وأبدأ بإقليم قهستان في خراسان فخرب القلاع والحصون .

فاذا فرغت من هذه المهمة فتوجه إلى العراق فإذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة فلا تتعرض لها مطلقا , أما إذا تكبر وعصى فألحقه بالآخرين من الهالكين "

تحرك **هولاكو** نحو **بغداد** وفي طريقه إليها دخل **تركستان** فسارع صاحبها الأمير **مسعود** بتقديم فروض الطاعة ثم نزل **سمرقند** فأقام له الامير المذكور خيمة منسوجة بالذهب حتى عبر نهر **جيحون** قاصدا اسوار **المنصورية** حتى وصل إلى **قهستان** فأباح فيها القتل والغارات ثم إستولى على **طوس وقوجان** .

عند ذلك أظهر نيته بضم بلاد **الاسماعيليه** بلاد **حسن الصباح** فراسل صاحبها **خرشاه** يطلب منه الطاعة وتسليم القلاع فأظهر الخضوع والطاعة وأكرم الرسل فراسله أخرى يطلب منه أن يخرب قلاعه فخربها وكانت تزيد عن المائة قلعة .

وفي ذي القعده سنه 654هـ أستلم **هولاكو** البلاد والأموال والخزائن فأرسل لأخيه يبشره بالنصر فرد عليه يأمره بقتل **خورشاه** وأفراد أسرته وأهله فقتله ولم يبقى منهم أثر وكان

ملك الإسماعيلية مائة وسبعة وسبعون عام .

ثم سار **هولاكو** نحو همذان **سنه 655 هـ** فأرسل للخليفه يقول :

" لقد ارسلنا اليك رسلا وقت فتح قلاع الاسماعيليه وطلبنا مددا من الجند ولكنك اظهرت الطاعه ولم ترسل الجند والتمست العذر ومهما تكن اسرتك عريقه وبيتك ذا مجد تليد فان لمعان القمر قد يبلغ درجه يخفي معها نور الشمس الساطعه ولابد انه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام ما حل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولي ومع هذا فقد مضى ما مضى فاذا اطاع الخليفه الحصون وردم الخنادق وسلم البلاد لابنه ويحضر لمقابلتنا فاذا استجاب لامرنا فلن يكون من واجبنا ان نكن الحقد وسنبقي له على جيشه ودولته ورعيته واذا لم يصغ فليعبئ الجند وليعين ساحه القتال فاننا متأهبون لمحاربته وحينما اقود الجيش الى بغداد مندفعا بثوره الغضب فانك لو كنت مختفيا في السماء او في الارض فسوف انزلك من الفلك الدوار وسالقيك من عليائك الى اسفل ولن ادع حيا في مملكتك وساجعل مدينتك واقليمك واراضيك طعمه للنار" .

رد الخليفة بالهدايا والرسل فأمرهم بالرحيل إلى أرض المغول فردهم **هولاكو** وأرسل معهم رسالة أخرى :

" لقد فتنك حب الجاه والمال والعجب والغرور بالدولة الفانية بحيث أنه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير وإن في أذنيك وقرا فلا تسمع نصح المشفقين ولقد أنحرفت عن طريق آبائك وأجدادك .

إذا فعليك أن تكون مستعدا للحرب والقتال فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد

لما جاء الرسل إلى **الخليفة** أجتمع برجاله فأشار **ابن العلقمي** بالخنوع أمام ملك التتار وإرسال الهدايا له وقال **سليمان بن يرحم** :

" إذا فليقدم الخليفة على دفع هذا الخصم جيش المغول على بغداد وهؤلاء لا يرحمون اي مخلوق قويا كان او ضعيفا " .

أرسل الخليفة **لهولاكو** الرسل يحذره أن الجيوش العباسية المظفرة كانت قد أخضعت كل الذين تمردوا عليها أمثال **الصغار والبساسيري ومحمد السلجوقي ومحمد خوارزم شاه**

لما وصلت الرسالة إلى **هولاكو** أستشار غضبا وأعاد الرسل قائلا لهم :

" ليذهب خليفة بغداد وليصنع من الحديد والمدن والأسوار وليرفع الأبراج من الفولاذ وليجمع جيشا من المردة والشياطين فلسوف التقي به وبجيشه وسأنزله ولو كان في السماء وسادفع به قهرا الى أفواه السباع "

في التاسع من المحرم 656 هـ أستولى **هولاكو** على جانب شاطئ نهر دجله , تدفق الجيش المغولي كالجراد من كل جهه وناحية وحاصروا أسوار **بغداد** , عندئذ أرسل الخليفة بوزيره **ابن العلقمي لهولاكو** وقال له :

"ان الملك قد أمر بأن أبعث له بالوزير وها أنا ذا قد لبيت طلبه فينبغي أن يكون الملك عند كلمته " رد **هولاكو** :

" ان هذا الشرط طلبته وأنا على باب همذان أما الآن فنحن على باب بغداد "

صادف المغول خلافة فقدت سلطانها القديم بحيث أصبح نفوذها نفوذا قاصرا على العراق العربي ومع ذلك فقد كان نفوذهم في هذه الرقعه الضيقه ايضا لا يعد أن يكون نفوذا دينيا .

إذ كانت العناصر الفارسية والتركية فضلا عن الحركات الدينية الهدامة قد حدت تدريجيا من نفوذ الخلفاء ففقدوا نفوذهم السياسي في أقاليم الدولة العباسية بل وفي بغداد نفسها وتعاقب على حكم هذه الأقاليم عدد كبير من الحكام والأسرات تنازعوا السلطة فيما

بينهم دون ان يقيموا وزنا للخليفة

نتج عن ذلك أن أصبحت البلاد الإسلامية عندما تطلع إليها المغول أشبه ما تكون بأشلاء متناثرة .

(الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي7 – حافظ احمد حمدي)

سته أيام من الحرب الطاحنة حتى **جاء الثامن والعشرين من المحرم لعام 656هـ** تسلم المغول جميع الأسوار الشرقية .

وبعد حصار ضار ومحاولات لصدهم يئس الخليفة واعلن أنه سيستسلم وأرسل **فخر الدين الدامغاني** إلى **هولاكو** بصحبة الهدايا وجماعه من رجال الدولة وابنه **عبد الرحمن** فردهم **هولاكو** جميعا ثم خرج جمع من رجال الدولة وعدد كبير من الجنود معلنين طاعتهم , تقسموا الوفا ومئات وعشرات فردهم المغول جميعا .

هرب أهل **بغداد** إلى الأنفاق ومواقد الحمامات **وفي يوم الاحد 4 صفر سنه 656 هـ** خرج الخليفة بابنائه الثلاثة ومعه ثلاثة الاف من السادات والقضاة والأكابر والأعيان إلى **هولاكو** فسلم نفسه له دون قيد أو شرط , فلما قابلهم كلم الخليفة بالحسنى ووعده بالأمان ثم أمر سكان المدينة أن يضعوا أسلحتهم وان يخرجوا لكي يحصيهم .

ألقى الناس أسلحتهم زمرا زمرا فقام المغول بقتلهم جماعة بعد جماعة

أمر **هولاكو** بإقامة خيمة للخليفة ببوابة **كلوداي** وأن ينضم إليه أبنائه وأتباعه ثم دخل **المغول بغداد** .

في السابع من صفر بدأ السلب وراح الجنود يحرقون الأخضر واليابس ويلقون بالكتب في نهر دجلة .

دخل **هولاكو** قصر الخليفة وأمر بإحضاره , قال له إنك مضيف ونحن الضيوف أحضر

لنا ما يليق بنا ففتحوا الخزائن وأخذوا الثياب والدنانير والنفائس والمرصعات والجواهر فوزعت على القوات والأمراء .

وفي يوم الخميس خامس عشر صفر قتل الخليفة وجرت جثته تحت أسوار **بغداد** تماما كما فعلوا في **بخارى وسمرقند ونيسابور** وغيرها

رأى المسلمين أن العالم على وشك الانتهاء وأن الساعة آتية قريب .

وفي اليوم التالي قتلوا جميع الذين مع الخليفة في **كلوداي ببغداد** ثم قضوا على كل من وجدوه حيا من العباسيين وأبقى هناك على **ابن العلقمي** وأمره بالقيام بشؤون الدولة .

بعد سقوط **بغداد** إتجه **هولاكو** نحو **آمد ونصيبيين وحران** . فأما امد فقد تسلمها دون قتال من **سيف الدين ابن محلى** نائب الملك **الكامل الأيوبي** صاحب **ميافارقين** .

كان **الملك الكامل الأيوبي** أثناء حصار **بغداد** قد خرج لملاقاة **الملك الناصر يوسف** لحضه على مناصرة الخليفة فقال له :

" إن هؤلاء التتار لا تفيد معهم مداراة ولا تنجح فيهم خدمة وليس لهم غرض إلا ذهاب الأنفس والإستيلاء على البلاد ومولانا السلطان قد بذل لهم الأموال من سنه اثنتين وأربعين إلى اليوم فما الذي أثرت فيهم فلا يغتر مولانا بكلام بدر الدين لؤلؤ ولا بكلام رسوله فإنهما جعلاكا خبزا ومعيشة وأحذرك كل الحذر من رسولك فإنه لا يناصحك ولا يختارك عليهم وغرضه إخراج ملكك من يدك أما انا فقد علمت أنني مقتول سواء كنت لهم أو عليهم فأخترت أن أكون باذلا مهجتي في سبيل الله ولما الأنتظار وقد نزلوا بغداد وإني أرى أن المصلحة في خروج السلطان الناصر بعساكره لإنجاد المسلمين وأنا بين يديه فإن أدركناه عليها فبها ونعمت وكانت لنا عندئذ عند الخليفة اليد البيضاء وإن لم ندركه أخذنا بثأره "

رد **الناصر** : " إن شئت أرسلت لك رسولا من طرفي ليشفع لك عند **هولاكو** "

قال **الكامل** : **" جئتك في امر ديني تعوضني عنه بأمر دنياي "** .

قال **الناصر** متى نزلوا عليك أرسلت إليك عسكر .

قال **الكامل** : **"هذا لا ينفعني حينئذ لا وصول لهم الي "** .

(الصلابي – قطز وعين جالوت 93)

رجع **الكامل** إلى **ميافارقين** رافضا كل عروض **الناصر** خائبا ظنه ضاربا عرض الحائط بنصائح الناصحين له بإخراج حريمه من **ميافارقين** .

وكما سبق ظنه أسرع جيش التتار إليه فلما بلغوا حدودها أرسلوا إليه يدعونه بالخضوع .

ما كان **للكامل** أن ينخدع بكلامهم المعسول فأختار أن يصارعهم ضاربا بالسيف ما دام حيا .

امام هجمات التتار الوحشية وقف **الكامل** مع جيشه وأفراد شعبه مستبسلين , للشهادة طالبين

صمدت المدينة الباسلة بمقاومة ضارية وشجاعة نادرة , لم تدخل مدينتهم أسلحة ولا أطعمة ولا أدوية حتى طال الحصار فنفذت الأرزاق من داخلها .

عم القحط وأنتشر الوباء وحدثت المجاعة حاصروا أهلها حتى أكلوا جلود النعال التي تلبس في الرجلين .

(المقريزي – السلوك)

تهدمت الأسوار من ضرب المنجنيقات فدخلوها , لم يجدوا فيها غير سبعين رجلا فقتلوهم أما **الكامل** فسيق إلى كلب التتار فعاقبه على شجاعته وجهاده فأمر بتقطيعه قطعا قطعا , صاروا يطعمونه منها غصبا , يأكل جسده حتى مات عليه رحمة **الله** , ثم

أخذوا رأسه وحملوها على رمح وطافوا بها البلاد حتى وصلوا دمشق فعلقت على باب الفراديس .

توجه المغول بعدها نحو **ماردين** ورغم بسالة صاحبها **الملك السعيد نجم الدين** وصموده على أبوابها إلا أنها لحقت بسابقيها بعدما مات من الطاعون فسلمها لهم ابنه **المظفر** .

عندئذ أصبح الهدف القادم للتتار بلاد **الناصر يوسف** وجاء وقت الندم على عدم إنصياعه لنصح الشهيد **الكامل** .

وكأن المصائب تاتي إلى الناصر تترا ابنه **العزيز** الذي قد أرسله منذ مدة **لهولاكو** يستعطفه في أرسال الجنود لمساعدته في محاربة مماليك مصر , عاد اليه بخفي حنين , عاد ومعه رسالة يبشره فيها بقدومه للإستيلاء على بلاده .

" والذي يعلم به الملك الناصر أنا قد فتحنا بغداد بسيف الله وقتلنا فرسانها وهدمنا بنيانها وأسرنا سكانها وأستحضرنا خليفتها وسألناه عن كلمات فكذب فوقعه الندم وأستوجب منا العدم فاذا وقعت على كتابي هذا فسارع برجالك وأموالك وفرسانك بطاعة شاهنشاه تأمن شره وتنل خيره "

عقد الناصر مجلسه للمشورة , كان من ضمن الحضور بعض رجال البحرية على رأسهم سيدهم **الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري** .

رأى رجالات **الناصر** مدارات **المغول** والدخول تحت طاعتهم فصاح **بيبرس** وردهم ثم رحل هو ومن كان معه من البحرية الى غزة ومنها أرسل رسوله إلى **سيف الدين قطز** ليحلفه على إعطائه الأمان وبه يرجع إلى أرض الوطن للإستعداد لملاقاة الأعداء .

4) المنصور و سيف الدين قطز :

لما وصل **الصاحب كمال الدين عمر بن العديم** رسول الملك **الناصر يوسف** إلى مجلس السلطان **المنصور** , عندئذ وجد الأمير **سيف الدين قطز** سبيلا للقول وأخذ ينكر على الملك **المنصور** وقال : " **لابد من سلطان ماهر قاهر يقاتل هذا العدو والملك المنصور صبي صغير لا يعرف المملكة** "

كانت مفاسد الملك **المنصور علي بن أيبك** قد كثرت وأستهتر في اللعب وتحكمت أمه فأضطربت الأمور فطمع الأمير قطز في أخذ السلطنة لنفسه .

أنتظر خروج الأمراء الى الصيد وقبض على **المنصور** وأخيه وأمهما واعتقلهم في برج القلعة . فكانت مدة حكم **أبن أيبك** سنتين وثمانية شهور .

(المقريزي –السلوك 507/1)

والملك المظفر قطز هو أول مملوك خلع ابن أستاذة من الملك وتسلطن عوضه ولم يقع ذلك قبله من أحد من الملوك وتمت هذه السنة السيئة في حاصد إلى يوم القيامة وبهذه الواقعة فسدت أحوال مصر .

(ابن تغري بردي – النجوم 56/7)

الفصل الثالث



المظفر سيف الدين قَطز

> بينما كان هولاكو يجتاح أقاليم العالم
> الإسلامي ، كان سيف الدين قطز يزداد سطوعا
> وتزداد قامته السياسية .
> فكبير البيت ونائب الملك وأتابك الجيش
> كان على موعد مع كتابة التاريخ
> وأكتملت حلة المملوك صوب العرش
> (قاسم عبده قاسم - قطز ٥٠)

1- ترجمة السلطان المظفر :

ومعنى أسم " **قطز** " الثور الوحشي .

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين وامراء المماليك 112)

تبدو السيرة الباكرة لسيف الدين غامضة وضبابية .

(قاسم عبده قاسم – قطز)

لما كان **قطز** في رق **ابن الزعيم** أتفق أن أستاذه غضب عليه يوما على شئ جرى منه فلعنه ولعن والديه ثم إنه جلس يبكي وينتحب وزاد في بكائه على حد القياس وحضر الطعام فأمتنع عن الأكل وظل طول اليوم يبكي .

قال **ابن ابي الفوارس الجزري** صاحب هذه الرواية :

" كان قطز عنده عزيزا بخلاف غيره من مماليكه فأوصى عليه الحاج علي الفراش فقال :" يا حاج أستوصي بهذا المملوك خيرا ولاطفه وخذ بخاطرة وأطعمه واسقية "

قال الحاج علي فأتيته وهو يبكي بعد ركوب أستاذه فقلت له :

" ما هذا البكاء العظيم , من لطشة تعمل هذه العمايل , فلو وقع فيك جرح سيف أو نشاب كيف كنت تصنع " .

فقال قطز : "والله يا حاج ما بكائي وغيظي من لطشة فإن السيوف والله ما تعمل في وإنما غيظي على لعنته لوالدي وجدي وهم والله أخير من أبائه وأجداده "

فقلت : ومن هو أبوك وجدك , أنت مملوك تركي كافر ابن كافر؟

فقال قطز :"لا تقل كذا يا حاج والله ما أنا إلا مسلم ابن مسلم إلى عشرة جدود أنا محمود بن ممدود ابن اخت خوارزم شاة السلجوقي ولابد ما أملك وأكسر التتار "

قال الحاج علي : " فضحكت من قوله وطايبته , وتقلبت الأحوال الى ان ملك مصر وكسر التتار ودخل قطز دمشق وطلبني فاحضرني وأعطاني خمسمائة دينار ورتب لي راتبا جيدا رحمة الله " .

(ابن ايبك الدواداري – الدرة الزكية 39)

ويقول ابن تغري بردي عن الزكي ابراهيم استاذ الفارس اقطاي أنه قال :

" كنا عند سيف الدين قطز لما تسلطن استاذه المعز ايبك فأمرنا قطز بالقعود ثم أمر المنجم فضرب الرمال ثم قال له قطز اضرب لمن يملك بعد استاذي ايبك ومن يكسر التتار فضرب وبقي زمانا يحسب فقال يطلع معي خمس حروف بلا نقط فقال له قطز لم لا تقول محمود بن ممدود فقال يا خوند لا ينفع غير هذا الإسم فقال انا هو انا محمود ابن ممدود وأنا اكسر التتار وأخذ بثار خالي خوارزم شاه فتعجبنا من كلامه وقلنا يا خوند يكون هذا ان شاء الله فقال أكتموا وأعطى المنجم ثلاثمائة دينار " .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 84/7)

وكان رحمه الله يقول :

" رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي أنت تملك الديار المصرية وتكسر التتار وقول النبي صلى الله عليه وسلم حق لاريب فيه "

ولكن الدولة التي يحكمها **سلطان** في سن الصبى بدت واهنة وضعيفة غير قادرة على تحمل مؤمرات الصغار ولعبهم بأقدار البلاد والعباد ثم بدأ صدى طبول الحرب التترية يتردد على حدود السلطنة الوليدة .

(قاسم – قطز – المقدمة)

لم يترك للأسلام سوى **مصر** , خيل للناس أن عصر الإسلام يوشك على الأفول.

لم يكن بوسع السلطان الصبي أن يفعل شيئا إزاء هذا الخطر الداهم فقد كان يقضي وقته في ركب الحمير والتنزه في القلعة ويلعب بالحمام مع الخدم .

ومع كل خبر جديد عن وحشية التتار كانت الأحوال تزداد أضطرابا والقلق يفترس النفوس .

كانت الاحوال على قدر من التردي والتمزق , عندها تعين على الامير **سيف الدين** أن يخطو الخطوة الأخيرة نحو العرش .

"حان الوقت ان يكون صاحب النصر وصاحب سلطان مصر وأن يجلس على سرير الملك , فالتتار القادمين إلى بلادنا لابد لهم من قتال والقتال لا يتأتى بغير ملك "

هكذا قال للأمراء الظانين بطمعه في السلطنة وقال لهم أيضا :

" اذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم أقيموا في السلطنه من شئتم "

بهذا أخذ سيف الدين يرضي الأمراء حتى يتمكن فرضي من رضي , وأما من أستعصى عليه فكان السجن ملجأ له فقبض على **الاتابك سنجر الحلبي** حينما سولت له نفسه بالسلطنة فحبسه وقبض على كثير فأذاقهم مثل **سنجر** اما **عز الدين ايبك الرومي**

وسيف الدين بلبان وبدر الدين بكتوت فقد ضرب أعناقهم بحجه ميلهم **للمغيث عمر** حاكم الكرك .

يحكي **ابن يبك الدوادار** نقلا عن **القاضي عز الدين ابن شداد** أن **الملك المظفر** كان عازما على التوجه الى **حلب** ليكشف أحوالها ويصلح ما خرب منها على أيدي التتار فوشى إلية واش أن الأمير **ركن الدين بيبرس** مع جماعة من الأمراء البحرية متنكرين له ومتغيرين علية فضرب وجهه نحو الديار المصرية .

حدث **بيبرس** جماعة من الأمراء في قتل **السلطان** منهم **سيف الدين بلبان الرشيدي وسيف الدين بهادر المعزي وبكتوت الجوكندار المعزي وبيدغان الركني وبلبان الهاروني وبدر الدين انس الاصبهاني** .

(المقريزي – السلوك 435/1)

أخذ الأمراء يتحينون الفرصة لقتله إلى أن وصل القصير .

قالوا متى فاتنا هذه المنزلة ووصل إلى القلعة وأعجزنا عن قتله لم نأمن أنتقامة .

(الدواداري – زبدة الفكر 73/9)

يقول ابن أيبك : " وحكى لي والدي عن مخدومة **سيف الدين بلبان الدوادار الرومي قال** : " **فلما أنتصر الإسلام تنمر عليهم السلطان المظفر ووبخهم وشتمهم وتوعدهم فأضمرا له السوء وحصلت الوحشة منذ ذلك اليوم ولم تزل الضغائن تتراءى في صفحات الوجوه وغمزات العيون وكل منهم يتربص من صاحبة الفرصة .**

(أبن ايبك – كنز الدرر 60/8)

اما **بيرس الدوادار فقال** : " ان **قطز** لما رحل من **دمشق** عائدا إلى الديار المصرية وفي نفوس البحرية منه ومن استاذه ما فيها لقتلهما **الفارس اقطاي** واستبدادهما بالملك

وإلجائهم إلى الهرب والهجاج والتنقل في الفجاج إلى غير ذلك من أنواع الهوان التي قاسوها والمشقات التي لبسوها وإنما أنحازوا إليه لما تعذر عليهم المقام بالشام والتناصر على صيانة الإسلام لا لأنهم أخلصوا له الولاء أو رضوا له الإستيلاء "

(الدواداري – زبدة الفكرة 73/9)

فلما أنفرد عن الموكب لتصيد الأرانب وسار وراء أرنب عرض له . وهم يرمقونه فلما رأوه قد بعد عن الأطلاب ساقوا في أثره ركضا وجاؤوا يتلوا بعضهم بعضا فتقدم إليه **أنس الاصفهاني** كأنه يشفع عنده في إصلاح حال **ركن الدين** لأنه قام في خدمته مدة ولم يتعين له وخرج الى الغزاة برمحة وبذل فيها غاية نصحة . فأجابه **المظفر** إلى سؤاله ووعده بإصلاح حاله فأهوى إلى يده يقبلها فأمسكها فضبطها ضبطا شديدا وعلاه **الامير ركن الدين** بسيفه .

وفي رواية **المقريزي** :

" فلما فرغ **السلطان** من صيده وعاد يريد الدهليز السلطاني , طلب منه **بيبرس** امرأة من سبي التتار فأنعم بها عليه فاخذ **بيرس** يد السلطان ليقبلها وكانت إشارة بينه وبين الأمراء فابتدره **بكتوت** بالسيف وضرب عاتقة وأختطفه **الأمير انس** وألقاه عن فرسه ورماه **الامير بهادر** بسهم أتى على روحه ودفن بالقصير ثم حمل بعد ذلك إلى القاهرة فدفن بالقرب من زاوية **الشيخ تقي الدين** قبل ان تعمر ثم نقله **الحاج قطز الظاهري** الى القرافة ودفن قريبا من زوية **ابن عبود** " .

(المقريزي – السلوك 435/1)

والخلاصة :

اتفق **بيبرس** مع جماعة من أصحابة على قتل **المظفر** غيلة وهو في طريقه الى مصر .

لما وصل المظفر الى القصير ولم يبق بينه وبين الصالحية الا مسافة قليلة سمح لعساكرة بالتقدم إلى الصالحية وبقي هو في بعض خواصه بالقصير وخرج للصيد فتبعه بيرس ومعه جماعة من أصحابة فقتلوه **في السابع من ذي القعدة 658 هـ** .

فكان الطريق الى العرش مفروشا بدماء الخاسرين في الصراع .

(ابن ايبك – الدرة الزكية 39)

لم يلبث أن تولى الحكم ليقوم بإنجاز مهمة تاريخية جسيمة خبأها له التاريخ فقد كان إنجازه التاريخي عظيما بالقدر الذي حقق له المكانة في تاريخ المسلمين .

(قاسم عبده قاسم / قطز)

2- حوليات الملك المظفر :

- **سنة سبع وخمسين وستمائة .**
- **ذي القعدة : جلس الملك المظفر قطز على سرير الملك بقلعة الجبل**
- **وفيها سار هولاكو من بغداد بنفسه إلى ديار بكر ، ونزل على آمد يريد حلب ، ونازل حران – وكانت في مملكة الناصر يوسف حتى أخذها .**
- **وقطع بعض جيشه الفرات وعاثوا في البلاد ، فأجمع أهل حلب على الرحلة منها ، وخرجوا جافلين . فاحترز نائبها المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف ، وجمع أهل الأطراف . وتقدم التتار حتى دنوا من حلب ، فقتلوا كثيراً من عسكرها الذين خرجوا إليهم ، ثم رحلوا عنها عاجلاً . فاضطرب الناصر وعزم على لقاء هولاكو ، وخيم على برزة , وكتب إلى الملك المغيث صاحب الكرك ، وإلى الملك المظفر قطز ، يطلب منهما نجدة . ومع هذا فكانت نفس الناصر قد ضعفت وخارت ، وعظم خوف الأمراء والعساكر من هولاكو : فأخذ الأمير زين الدين الحافظي يعظم شأن**

هولاكو ، ويشير بألا يقاتل وأن يداري بالدخول في طاعته . فصاح به الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ، وضربه وسبه وقال : أنتم سبب هلاك المسلمين وفارقه إلى خيمته فمضى زين الدين الحافظي إلى الملك الناصر ، وشكى إليه ما كان من الأمير بيبرس , فلما كان الليل هجم طائفة من المماليك على الملك الناصر ، ليقتلوه ويملكوا غيره ، ففر هو وأخوه الملك الظاهر إلى قلعة دمشق .

● وفيها ركب بيبرس وسار إلى غزة ، وبها الأمير نور الدين بدلان كبير الشهرزورية ، فتلقاه وأنزله . وسير بيبرس إلى الملك المظفر قطز علاء الدين طيبرس الوزيري ليحلفه ، فكتب إليه الملك المظفر أن يقدم عليه . ووعده الوعود الجميلة . ففارق بيبرس الناصرية

● وفيها نزل هولاكو على البيرة وأخذ قلعتها – وأخذ منها الملك السعيد بن العزيز عثمان وله بها تسع سنين في الاعتقال ، وولاه الصبيبة وبانياس .

● وفيها : سير الملك المغيث من بقي عنده من البحرية مقيدين على الجمال ، وهم نحو الخمسين : منهم الأمير سنقر الأشقر .

● وفيها سار أربعة من البحرية إلى مصر . وهم قلاوون الألفي ، وبكتاش الفخري ، وبكتاش النجمي ، والحاج طيبرس الوزيري .

● وفي شعبان : قبض على رجل يعرف بالكوراني . وضرب ضرباً مبرحاً بسبب بدع ظهرت منه ، وجدد إسلامه الشيخ بن عبد السلام ، وأطلق من الاعتقال فأقام بالجبل الأحمر .

● سنة ثمان وخمسين وستمائة .

- المحرم : نزل هولاكو على مدينة حلب وراسل متوليها الملك المعظم تورانشاه بن الملك الناصر يوسف ، على أن يسلمه البلد ، فلم يجبه إلى طلبه وأبى إلا محاربته . فحصرها التتار سبعة أيام وأخذوها بالسيف ،
- صفر : أخذ هولاكو قلعة حلب ، وخربها وخرب جميع سور البلد وجوامعها ومساجدها وبساتينها ، حتى عادت موحشة .
- ووجد هولاكو من البحرية تسعة أنفس في حبس الملك الناصر ، فأطلقهم وأكرمهم . منهم سنقر الأشقر .
- وفيه : ورحل الملك الناصر يريد غزة ، وترك دمشق خالية ، وبها عامتها قد أحاطت بالأسوار ، وبلغت أجرة الجمل سبعمائة درهم فضة ، وكان الوقت شتاء . فلم يثبت الناس عند خروج الناصر ، ووقعت فيهم الجفلات حتى كأن القيامة قامت , ولحق الملك الأشرف موسى بن المنصور صاحب حمص بهولاكو ، وسار الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة إلى مصر بحريمه وأولاده .
- بعد أخذ حلب بستة عشر يوماً ، قام الأمير زين الدين سليمان بن المؤيد وأغلق أبواب دمشق ، وجمع من بقي بها وقرر معهم تسليم المدينة إلى هولاكو.
- وفيها غار التتر على الشام ، حتى وصلت أطراف غزة وبيت جبريل والخليل وبركة زيزاء والصلت ، وعادوا إلى دمشق فباعوا بها المواشي وغيرها .
- ربيع الأول : قدم الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري إلى القاهرة ، فركب الملك المظفر قطز إلى لقائه ، وأنزله في دار الوزارة بالقاهرة ، وأقطعه قصبة قليوب .
- وفيها : ملك هولاكو ماردين ، وقتل أمراءها وخرب أسوار قلعتها .

- وفيها رحل هولاكو عن حلب يريد الرجوع إلى الشرق ، وجعل كتبغا نوين نائباً عنه بحلب ، وبيدرا نائباً بدمشق .
- وأخذ هولاكو معه من البحرية سبعة منهم : سنقر الأشقر ، وسكز ، وبرامق ، وبكمش المسعودي .
- وفيها وصلت رسل هولاكو إلى مصر فجمع قطز الأمراء ، واتفقوا على قتل الرسل والمسير إلى الصالحية .
- شعبان : خرج الملك المظفر بجميع عسكر مصر ، ومن أنضم إليه من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم ، من قلعة الجبل يريد الصالحية .
- وفيه أحضر قطز رسل التتر ، فوسط واحداً بسوق الخيل تحت قلعة الجبل ، ووسط آخر بظاهر باب زويلة ، ووسط الثالث ظاهر باب النصر ، ورسط الرابع بالريدانية . وعلقت رءوسهم على باب زويلة
- وفيه نودي في القاهرة ومصر ، وسائر إقليم مصر ، بالخروج إلى الجهاد في سبيل الله ، ونصرة لدين رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- فلما كان يوم الجمعة خامس عشري شهر رمضان : التقى الجمعان ، وذلك بعد طلوع الشمس . وقد امتلأ الوادي وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين وحمل الملك المظفر بنفسه وبمن معه حملة صادقة ، فأيده الله بنصره
- وفيه ورد الخبر إلى دمشق بانهزام التتر وحملت رأس كتبغا إلى القاهرة
- شوال : خرج السلطان المظفر قطز يريد مصر
- خامس عشر ذي القعدة ، قتل السلطان قطز على يد بيبرس وبعض الأمراء .

3- مجريات المظفر :

1) قبل مجئ التتار :

لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة أستعظاما لها كارها لذكرها فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى فمن الذي يسهل علية أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك , فياليت أمي لم تلدني وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا .

الحادثة العظيمة والمصيبة الكبرى التي لم تشهد الأيام والليالي مثلها , عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فان التواريخ لم تتضمن ما يقابلها ولا ما يدانيها .

(ابن الأثير –الكامل في التاريخ 329/9)

إن التتار لعنهم **الله** تم استيلائهم على معظم بلاد المسلمين وإنهم ما قصدوا إقليما إلا فتحوه ولا عسكرا إلا هزموه .

لم يبق خارج حكمهم في الجانب الشرقي إلا **مصر والحجاز واليمن** .

فهرب الناس خارج **مصر** , هرب جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر إلى **المغرب** وهرب جماعة من الناس الى **اليمن والحجاز** والباقون بقوا على وجل وخوف شديد يتوقعون دخول العدو وأخذ البلاد .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 87/7)

وصلت الأخبار إلى القاهرة وأشيع بين الناس أن **هولاكو** نزل مدينة **حلب** وأرسل إلى متوليها المعظم **توران شاه ابن الناصر** فأبى إلا محاربته فحاصروها سبعه أيام وأخذوها

بالسيف وقتلوا خلقا كثيرا واسروا النساء ونهبوا الاموال وأستباحوا دماء الخلق حتى أمتلأت الطرقات بالقتلى فصارت عساكر التتر تمشي على جيف من قتل .

(المقريزي – السلوك 511/1)

وان الناصر وعسكره قد تركوا دمشق وتركوا أهلها يدعون عليهم :

" تركتمونا طعمه للتتار لا كتب الله عليكم السلامة "

وإن أمراء **دمشق** سلموا المدينة ومفاتيح أبوابها إلى **هولاكو** وأظهروا له الطاعة فدخل **دمشق** بلا حصار ولا قتال .

وأن **هولاكو** ملك **ماردين** وقتل أمراؤها وخرب الأسوار .

وأن **المغول** قد زاروا بجرمهم **نابلس وغزه وبيت جبريل وبعلبك وبانياس**.

علموا ما فعله النصارى بالمسلمين لما مال أليهم التتار .

حكي في شوارع **القاهرة** ان مسيحي الشرق تجولوا في البلاد وصلبانهم مرتفعه يرشون الخمر على ثياب **المسلمين** وأبواب المساجد وقالوا جهرا **ظهر الدين الصحيح دين المسيح** .

(المقريزي – السلوك 5/2)

أيقن الناس بعد وقوع **حلب ودمشق وحماه** أن استيلاء المغول على بقيه بلاد الشام مسأله وقت , وأن الجميع واقع بأيديهم لا محاله , عندئذ خيل للناس ان العالم على وشك الإنتهاء وأن الساعه اتيه عن قريب وصار القلق يفترس النفوس وعم الرعب .

بات المغول لا يفصلهم على القضاء على حكام المسلمين سوى **مماليك مصر** فالذي يليهم دويلات متشرذمة في شمال **افريقيا** قد تمزق شملهم بعد سقوط دولة الموحدين في المغرب .

فبعدهم قسمت بلاد المغرب بين عشائر بني مرين فأتخذ **ابو يحيي** فاس والمغرب الأقصى **وبنو عبد الواحد** المغرب الأوسط **وبنو ابي حفص** افريقية.

(المقريزي – السلوك 501/1)

صارت **القاهرة** قبلة أهل الإسلام وتمزق شمل الشام ولم يتبقى الا أم البلاد .

كان **السلطان قطز** قد أرسل **للناصر يوسف** رساله قائلا له فيها :

" إن أخترتني خدمتك وان اخترت قدمت ومن معي نجدة لك على القادم عليك فإن كنت لا تأمن حضوري سيرت لك العساكر صحبة من تختار مقسما بالأيمان المغلظة إن تنازع الناصر في الملك لا يقاومه وأنه نائبا عنه بديار مصر ومتى حل أقعده على كرسي العرش " .

فلما جاء الميعاد , طرق أبواب القلعة رسل التتار برسالة فيها :

" من ملك الملوك شرقاً وغرباً ، القان الأعظم ، باسمك **اللهم** باسط الأرض ورافع السماء , يعلم الملك **المظفر قطز** ، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم ، يتنعمون بإنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك .

يعلم الملك **المظفر قطز** ، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته ، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند **الله** في أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه . فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فأتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ .

فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكى ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم البلاد ، فعليكم بالهرب ، وعلينا بالطلب .

فأي أرض تأويكم ، وأي طريق تنجيكم ، وأي بلاد تحميكم . فما من سيوفنا خلاص ،

ولا من مهابتنا مناص . فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال . فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعائكم علينا لا يسمع فإنكم أكلتم الحرام ، ولا تعفون عن الكلام ، وخنتم العهود والأيمان ، وفشا فيكم العقوق والعصيان . فأبشروا بالمذلة والهوان " **فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** " ، " **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** " ، فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم . فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم ، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإن خالفتم هلكتم ، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم . فقد حذر من أنذر ، وقد ثبت عندكم أن نحن الكفرة ، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة ، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقدرة والأحكام المدبرة ، فكثيركم عندنا قليل ، وعزيزكم عندنا ذليل ، وبغير الأهنة لملوككم عندنا سبيل . فلا تطيلوا الخطاب ، وأسرعوا برد الجواب ، قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترمى نحوكم شرارها ، فلا تجدون منا جاهاً ولا عزاً ، ولا كافياً ولا حرزاً . وتدهون منا بأعظم داهية ، وتصبح بلادكم منكم خالية . فقد أنصفنا إذ راسلناكم ، وأيقظناكم إذ حذرناكم ، فما بقي لنا مقصد سواكم . والسلام علينا وعليكم ، وعلى من أطاع الهدى ، وخشي عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى .

ألا قل لمصر ها هلاون قد أتى . . . بحد سيوف تنتضى وبواتر

يصير أعز القوم منا أذلة . . . ويلحق أطفالاً لهم بالأكابر .

أمر داعي الجهاد بالنداء في كافة الديار المصرية وأعلن النفير العام إلي الجهاد في سبيل الله . طاف بالمدينه منادى يبلغ الناس بجمع الزكاة لتجهيز مؤن الجند وأحتياجات الجيش , دينارا واحدا عن كل امرئ صغيرا كان او كبيرا تحت سماء مصر وأجره شهر مقدم من

أصحاب الأملاك وزكاة حول مقدم من الأغنياء ومثله من اصحاب السواقي والغيطان .

هل يا ترى سيكفي هذا ؟ ربما إذا أضفنا إليهم أموال أرباب الدولة والأمراء . الأمراء ؟ أستجابوا لدعوى سلطان العلماء الشيخ **العز بن عبد السلام** وجمعوا حلي نسائهم وأتوا به للسلطان قطز كي ينفق على الجيش او يضرب سكا .

الحمد لله تسابق الناس في بذل الجود بكل ما هو موجود في سبيل الله حتى بلغ المال أقصاه وبلغ المطلوب , مال حلال لا ظلم فيه ولا عدوان . بلغ جملة ما جمعه من الأموال أكثر من **ستمائة الف دينار** .

لم يكتفي **المظفر** بذلك بل عمل على استقطاب وحدات من جيش الناصر كما ضم إلى قواته من تبقى من القوات الخوارزمية وقوات من قبل أمير الكرك الأيوبي .

قام بإستقبال كثير من المماليك البحرية بقيادة بيبرس البندقداري اضافة الى جموع الخوارزمية وعسكر بلاد الشام الفارين من وجه المغول فاجتمع عنده من العساكر أربعين الفا .

نفذ فتوى سلطان العلماء وأحضر هو والامراء ما عندهم من حلي وأموال ووضعها بين يدي الشيخ

(ابن واصل – مفرج القلوب 392/2)

2) قطز والطريق الى سهل عين جالوت :

قرأ **سيف الدين قطز** الرسالة على الأمراء , فلما انتهى قال لهم ماذا ترتئون رد **ناصر الدين قميري** :

" ان **هولاكو** فضلا على انه حفيد **جنكيز خان** فان شهرته وهيبته غنية عن البيان وان البلاد الممتده من تخوم الصين الى باب مصر كلها في قبضته الان فلو ذهبنا نطلب منه

الامان فليس في ذلك عيب ولا عار ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت امران بعيدان عن حكم العقل انه ليس للانسان ان يطمئن اليه فهو لا يتورع عن احتراز الرؤوس ولا يفي بعهده وميثاقه فانه قتل فجأه الخليفة وعددا من الامراء بعد ان اعطاهم العهد والميثاق فاذا سرنا اليه فسيكون مصيرنا هذا السبيل "

قال قطز : "والحاله هذه فان كافه **ديار بكر وربيعه والشام** ممتلئه بالمناحات والفجائع واصبحت البلاد من **بغداد** وحتى **الروم** خرابا يبابا وقضى على الجميع فلو اننا تقدمنا لقتالهم وقمنا بمقاومتهم تخرب **مصر** خرابا كغيرها , وينبغي ان نختار مع هذه الجماعه التي تريد بلادنا واحدا من ثلاث **" الصلح او القتال او الجلاء عن الوطن "** اما الجلاء فامر متعذر لانه لا يمكن ان نجد مفرا الا **المغرب** وبيننا وبينهم مسافه كبيرة "

قال قميري : " ليس هناك ايضا مصلحة في مصالحتهم انه لا يوثق بوعودهم"

فرد عليه عدد من الامراء :

" ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومتهم فمر بما يقضيه رأيك "

قال **قطز** : **" ان الرأي عندي ان نتوجه جميعا الى القتال فان ظفرنا فهو المراد والا فلن نكون ملومين امام الخلق "** .

قال **بيبرس** : "ارى ان تقتل الرسل ونقصد كتبغا متضامنين فاذا انتصرنا او هزمنا فسوف نكون في كلتا الحالتين معذورين " فأيد الامراء هذا الرأي .

(الصلابي – عين جالوت216, 217)

كان رسل التتار **خمسة** أمر **السلطان** بتوسيط أربعة منهم بالسيف نصيفين احدهم في سوق الخيل تحت القلعة والاخر بظاهر باب زويلة وثالث عند باب النصر اما الرابع فعند الريدانية ثم أمر بتعليق رؤسهم عند باب زويلة واما الخامس فأحتفظ به لنفسه وألحقة

بمماليكه .

اصدر **السلطان** اوامره الى ولاة امور الاقاليم المصرية بجمع الجيوش وحث الناس على الخروج للجهاد في سبيل **الله** ونصرة دين رسوله صلى **الله** عليه وسلم بل وطالب الولاة بضرب من رأوه قد اختفى من الاجناد بالمقارع .

كان **قطز** سياسيا حكيما قائدا بارعا بل وقبل ذلك كان خيرا دينا احتاج المال لتجهيز الجيش فأستفتى شيخ الاسلام **العز بن عبد السلام** في ذلك فأفتاه اذا أراد أن يأخذ من الرعية مال لذلك يجوز بشرط الا يبقي في بيت المال شيء من السلاح والسروج والذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب وان تبيعوا ما لهم من ممتلكات والات ويقتصر كل منهم على فرسه وسلاحه ويتساووا في ذلك هم والعامه اما اخذ اموال الناس مع بقاء ما في ايدي قاده الجند من الاموال فلا .

(ابن اياس – بدائع الزهور 302/1)

ثم ان **السلطان** خرج في **الخامس عشر من شعبان** بعسكره الى **الصالحية** فأجتمع باكابرهم فلما رآهم غير راضيين بالخروج كراهة لقاء التتر قال :

" يا امراء المسلمين لكم زمان تاكلون اموال بيت المال وانتم للغزاة كارهون وانا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته فان الله مطلع عليه وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتاخرين"

(المقريزي – السلوك 515/1)

عاود بعد الامراء الشك وسيطرت عليهم المخاوف من التتر فعاود **السلطان** تذكيرهم بما وقع في اراضي الاسلام وقال لهم : **" انا القي التتار بنفسي "** .

فلما جادلوه استشاط غضبا وقال لهم :

" يا مسلمين قد سمعتم ما جرى لاهل الاسلام من القتل والسبي والحريق وما منكم من احد الا وله مال واولاد وحريم وقد علمتم ان ايدي التتار قد تحكمت في الشام وقد اوهنوا قوى دين الاسلام وقد لحقني على نصرته الحميه .

يا مسلمين يا عباد الله يجب عليكم القيام في جهاد اعداء الله حق القيام يا قوم جاهدوا في الله بصدق النية تجارتكم رابحة وانا واحد منكم وانا وانتم بين يدي رب لا ينام ولا يفوته فائت ولا يهرب منه هارب "

عند ذلك ضجت الامراء بالبكاء وتحالفوا انهم لا بقاء لهم في الدنيا الا ان تنكشف هذه الغمه

3) قطز والانتصار العظيم :

كان كل امراء المدن العربية يكتفون بتقوية الحصون عندما تصلهم تهديدات التتار ويؤثرون السلامة في الدفاع من وراء الاسوار , اما الملك **المظفر** فأختار طريقة أخرى أختار موقع خارج الديار المصرية في الحرة فلسطين يسمى **عين جالوت** .

وعين جالوت اسم لبلدة في الريف الفلسطيني تقع بين بيسان ونابلس واسمها يرتبط بالاسطورة التي تقول ان **داود** قتل **جالوت** في هذا المكان .

حينئذ امر **السلطان** الامير **ركن الدين بيبرس** ان يتحرك بمجموعة من العساكر في اتجاه الاراضي الشامية .

تحرك الامير بجيش جرار يفيض حماسه فيضيء القلوب فضاقت عن حمله يومئذ الارض وكأنها تسير ومع جنده تدور , جيش لا يقدر على كسره ملك ولا سلطان جيش ذلت لعظمته شياطين الانس ومردة الجان , لو نظرت اليه لرأيت عجبا فلم ترى يومئذ مصرا مثل مصر .

عند **غزة** وجد **بيبرس** تجمعات لحامية مغولية فتحرش بها حين ذاك علم التتار ان للمسلمين جيش من نار يدافع عن عرض اهله ويصون حدود أراضيه .

كان جيش التتار في **غزة** يقوده **بيدرا** نائب **هولاكو** هناك وعهد الى **كتبغا** نائبا عنه في **دمشق** ثم اتجه هو نحو عاصمته **قراقوردم** لحضور اجتماع **القورلتاي** لانتخاب الخان الاعظم بعد موت اخيه **منكوخان** .

ركب **السلطان** وحرك كوساته , تحرك بالجيش فأتخذ ساحل **بحر الروم** طريقا له , عندما مر جيش الاسلام بسواحله القى بسلامه اليه ففرح بقدومه واستأنس جنده بدفء شطآنه , ثم واصل مسيرته الى سواحل **عكا** وهي يومئذ في ايدي الفرنج فقال لهم : **والله من تبعهم منكم فارس او راجل يريد اذى عسكر المسلمين قاتلكم قبل ملتقاي التتار**

ثم واصل المسير .

وكان الصليبين على يقين أن وصول المغول لساحل الشام لا ينبئ بحدوث تغييرات وشيكه في اقدارهم .

(جيمس واترسون – فرسان المماليك 108)

عند غزه بلغ المراد , جاء جيش الاسلام للجيش السابق فوافاه التقى الجمعان والتئما فصارا وحدة واحدة على قلب رجل واحد مشمرون لخوض غمار المعركة .

هنالك أمر **المظفر** الامراء فجمعوا , حضهم على قتال التتر وذكرهم بما وقع بأهل الاقاليم من القتل والسبي والحريق وحذرهم من وقوع مثل ذلك وحثهم على استنقاذ الشام ونصرة الاسلام والمسلمين , فضجوا بالبكاء وتحالفوا على الاجتهاد في قتالهم ودفعهم .

بموكب بهيج لأعدائه مهيب تابع الجيش مسيره نحو هدفه , قاصدا قطع الرقاب فعبدت الارض يومئذ تحت أقدامهم .

لما علم **كتبغا** بهزيمة **بيدرا** تحول الى كتلة متحركة من الغضب اللاهب وهو الجيش الذي لا يهزم .

في جيش المسلمين قراء يقراون القرآن وجنود يزين ايديهم وظهورهم سيوف ونشاب ورماح ودروع وخيول يزينها لجم وسروج وطبول وكوسات وضاربون وابواق في ايدي النافخون , يكبرون ويهللون , يهزجون ويشكرون لربهم حامدون . عازمون ان يخرجوا عدوهم من باقي بقاع الاسلام , فطوبى ثم طوبى لعساكرنا المنصورة .

استئناسا بهدي رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم ورحمة **الله** للعالمين واقتداء به , حدد سلطان المسلمين بدء الهجوم عندما تدور الشمس وتضيء الظلال وتهب الرياح ويدعوا الخطباء والناس في صلاتهم .

ووفق خطة **ركن الدين** الذي لطالما كان في تلك المعركة ركنه وحصنه سبق **بيبرس** بجيشه الجيش الرئيسي فلمحه **كتبغا** فتبعه بجيش التتار .

واصل القائد الامين استدراج جيش الاعداء داخل **سهل عين جالوت** حتى نزلوا فيه جميعا فلما جمعهم خلفه عن بكره أبيهم تظاهر بيبرس بالهزيمة والتراجع الى الوراء , ولكن ربما في اسرع من ذلك وجد المغول انفسهم تحت وطأة هجمات وضغط معدات ثقيلة من قوات قطز الخاصة .

(فرسان الاسلام –جيمس واترسون)

جاء **السلطان** بباقي الجيش فحاصروهم فاصبح السهل عليهم صعبا عندئذ قرعت طبول الحرب وتتابع ضرب الكوسات ايذانا ببدء الهجوم .

حينذاك امتلأ الوادي بالناس واهل القرى من الفلاحين , كثر صياحهم وارتفعت الاصوات بالدعاء والتكبير والتهليل .

نشب القتال وهم في قلوبهم يومئذ وهم عظيم من التتار , نشب القتال ضاريا داميا ونشبت المعارك . في البداية قد دهمنا عدونا وزحف الينا التتار كالسيول فحدثت البلبلة في الجيش وأختل عسكره واصابت السهام الخيول وقذفت فرسانها على الارض , هنالك سكن الخوف في نفوس الجند وظنوا ان الهلاك محيط بهم .

عندما اقبل الجيش على اعتاب الهزيمة نزل القائد **قطز** من على جواده ومرغ وجهه في التراب ثم دعا **اللهم انصر جندك اللهم انصر عبدك** **قطز** ثم نادى " **واإسلاماة واإسلاماة واإسلاماة** "

وكأن الارض قد استجابت لندائه فايقظت من فوقها فبعثوا من جديد . فجعل **الله** من العسر يسرا ومن الضيق فرجا ومن المازق مخرجا فاقبل جيش الاسلام عليهم فضحرهم اقتلع من فوق اجسادهم الرؤوس , قطعوهم إربا إربا .

وبعد قليل قتل فرس السلطان فجاءه احد الامراء يعرض عليه فرسه وحلف عليه ليركبنها فأمتنع وقال له : " **لا حرم الله المسلمين من نفعك** "

فقال الامير :" **ياخوند لو بعض الاعداء راك لقتلك وهلك الاسلام بسببك**".

قال **السلطان** : " **أما انا فكنت أروح إلى الجنة واما الاسلام فله رب لا يضيعه لقد مات فلان وفلان وفلان ولم يضع الاسلام** "

ظل الامير يحرسه حتى جاءت الوشاقيه بالخيل فركبها .

مره اخرى اختل الجيش وانكسرت ميسرته كسرة شنيعة وزلزل المسلمون زلزالا شديدا , فجبر السلطان بنفسه كسرها حتى أستقامت , وظل يحث الناس على القتال ويحسن لهم الموت في سبيل **الله** فعادت رؤوس التتار تتراقص على الارض .

اقبل العسكر وقد أمتلات أيديهم بالغنائم والأموال الطائلة وخيول كثيرة .

كان الامير **جمال الدين اقوش** قد لمح في خلسة من الزمن قائد التتار **كتبغا نوين** يترجل بين كلابه فانتهز الفرصة وسهل **الله** اليه الوصول ومكنه منه حتى وقع في يده اسيرا .

فلما ذهب به الى سلطان المسلمين مكبل اليدين والرجلين بسلاسل واغلال , مسربل بسربال من حديد فقال له **السلطان** :

" ايها الرجل الناكس العهد ها انت بعد ان سفكت كثيرا من الدماء البريئة وقضيت على الابطال والعظماء بالوعود الكاذبة وهدمت البيوتات العريقة بالأقوال الزائفة المزورة , قد وقعت أخيرا في الأسر "

قال **كتبغا** : " لا تتباهى كثيرا بيوم النصر هذا فإني إذا قتلت على يديك فأعلم ان ذلك من **الله** لا منك فلا تنخدع لهذه المصادفة العاجلة ولا بهذا الغرور العابر فإنه حين يسمع حضرت **هولاكو** نبأ وفاتي فسوف يغلي بحر غضبه وستطأ سنابك خيل المغول البلاد من اذربيجان حتى ديار مصر ان **لهلاكو** ثلاثمائة الف فارس مثل **كتبغا** فافرض انه نقص واحد منهم

قال **السلطان** : " لا تفخر لهذا الحد بفرسان **توران** فانهم يزاولون اعمالهم بالمكر والخداع لا بالرجولة والشهامة "

ثم أمر به فقتل . **فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.**

قضت الحرب اوزارها بفتح مبين مستبين وقهر **المغول** فنزل **المظفر** الى الارض ومرغ وجهه بالتراب ثم صلى ركعتين شكرا **لله** عز وجل .

الحمد **لله** لم نبقي منهم احدا كم من قرية دخلوها فدمروها وأجتاحوا وفتكوا باهلها فتكا ذريعا وامعنوا فيها قتلا ونهبا , اقبلوا كالظلمات , قتلوا النساء والاطفال , قتلوا الاجنه في بطون الامهات فعلوا وفعلوا حتى عم ضررهم وتغشت بايديهم المفاسد حتى جاء الابطال

لدنياهم بالحق فجعلوا من ظلام ليلهم صبحا واعادوا شمسها مشرقه ونهارها مضيئ **فلله** الحمد ملء السماوات وملء الارض وملء ما شاء من شيء بعد .

ثم ارسل السلطان **المظفر** الى اهل **دمشق** يبشرهم :

" اما النصر الذي شهد الضرب بصحته وأن التتار خذلهم الله استطالوا على الايام وخاضوا بلاد الاسلام واستنجدوا بقبائلهم عليه فهذه عساكرنا مستوطنة في مداخلها ما تزلزل لمؤمن قدم الا وقدم الايمان راسخة ولا نطق كتاب إلا أخرسه القرآن , ولا تزل اخبار المسلمين تتنقل الى الكفار واخبار الكفار تتنقل الى المسلمين الى ان خلط الصباح فضته بذهب الاصيل وصار اليوم كأمس ونسخت آية الليل بصورة الشمس الى أن تراءت العين بالعين وادمرت نار الحرب بين الطرفين وقتل كل جبار عنيد ذلك بما قدمت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد " .

(الصلابي – عين جالوت 124)

وفي صبيحة يوم النصر اتبع **ركن الدين** وجماعه من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان الى ان وصلوا **حلب** وهرب من **بدمشق** منهم .

(ابن كثير –البداية والنهاية 402/17)

ثم تتبع الفارين من التتار وطهر مدن الشام الأخرى من الحاميات التترية وطاردهم في أعالي البلاد حتى لحق بهم في حمص ففروا بحياتهم والقوا ما كان معهم من متاع وغيره وأطلقوا الأسرى وعرجوا نحو طريق الساحل فتخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقا كثيرا واسروا اكثر حتى انه لم يسلم من التتر من يبلغ هولاكو هلاك جنده .

(الصلابي – عين جالوت 125)

وأما **المماليك** فاصبحت يومئذ الوريث الشرعي لكل من **الايوبيين والعباسيين** سواء

وأصبح قطز أول من ملك البلاد الشامية من ملوك الترك .

(ابن تغري بردي –النجوم 83/7)

لو تم للمغول النصر في عين جالوت والسيطرة على مصر والنفاذ بعدها الى شمال افريقيا حيث الصحراء الكبرى التي هي الطريق التقليدي المعروف لدى الغزاة والفاتحين الذين قاموا بغزو اوروبا من الجنوب في العصور المختلفة لتمكنوا من الوصول الى اوروبا عبر جزيرة صقلية وجبل طارق .

(العبادي – قيام دولة المماليك الاولى 169)

وثمة اهمية اخرى لانتصار عين جالوت فقد تم للمماليك القضاء نهائيا على المعارضة الايوبية لهم واعادوا الوحدة بين مصر والشام .

(الباز العريني – المغول 262)

فما كان للمسلمين بعدما رأوا حكام بني ايوب يتقاعسون في الدفاع عن المسلمين ضد التتار بل ان بعضهم حارب ضمن صفوفهم كل هذا أفقد بني ايوب اي حق شرعي في الملك وباتوا في صورة قوة متداعية غير جديرة بحكم المسلمين .

(سعيد عاشور – العصر المماليكي 36)

في الوقت الذي ابدى فيه المماليك ثباتا وصلاحية في البقاء .

(العبادي – قيام دولة المماليك الاولى 316)

فحصلوا على ماكان ينقصهم من مجد كان لابد منه لتثبيت اركان دولتهم , فنسي الناس اصلهم غير الحر وتناسوا لهم انهم اغتصبوا الحكم من سادتهم الايوبيين ولم يعد المسلمون يذكرون الا شيئا واحدا هو :

" ان المماليك انقذوهم من المغول وان بقائهم في الحكم بات ضرورة لابد منها للمحافظة على كيان المسلمين " .

بعد مهاجمة **هولاكو** للشام عجز الايوبيين عن الدفاع عن اراضيهم بل سارع بعضهم للانضمام للمغول مثل **الاشرف موسى** صاحب حمص وهروب اخرين الى مصر **كالملك المنصور** صاحب حماة وكان **الناصر يوسف** في طريقه لمصر ولكن قبض علية .

(العصر المملوكي – مفيد الزيدي)

صارم الدين أزبك :

كان **صارم الدين ازبك** من قادة المسلمين في الشام وكان قد وقع في أسر التتار يقول **صارم الدين** :

"بعثت غلاما لي في صفة جاسوس وأمرته ان يجتمع بالملك **المظفر** والامير **بيبرس وبلبان الرشيدي وسنقر الرومي** ويعرفهم ان التتار لاشئ فلا تخافوا منهم وان تكون ميسرة المسلمين قوية بالخيل والرجال وعرفهم ان التتار في عسكر قليل واوصيه ان يراعي المسلمون ان يكون الملتقى عند طلوع الشمس .

فلما وصل غلامي الى عسكر المسلمين وجدهم خائفين من التتار خوفا عظيما فاجتمع ببعض الامراء الذين عرفته بهم وعرفهم ما اوصيتهم به وكنت قلت في كلامي قل للامراء لا تخافوا ها انا واصحابي والملك الاشرف ننهزم بين ايديكم والله وكذلك كان

فلما كان ملتقى الجمعين على عين جالوت طلعت الشمس علينا وظلت عساكر الاسلام كان اول سنجق سبق احمر وابيض وكانوا لابسين العدد المليحة واشرقت الشمس على تلك العدد فطلبني كتبغا وقد بهت هو والتتار الذين معه لكثرة تلك العساكر وحسن ما عليهم وجمالهم وهم ينحدرون من الجبل وقال لي يا صارم الدين هذا رنك من قلت سنقر الرومي

ثم ظهرت سناجق صفر قال هذا رنك من قلت بلبان الرشيدي ثم تتابعت الاطلاب اولا

فاولا وانحدر من سفح الجبل ودقت الكوسات والطبلخانات وامتلأ الوادي والبر من العياط وجاء الفلاحون واهل القرى والبلدان من كل جانب وكنت أقرأ رنوك المسلمين فصار كتبغا يسألني هذا رنك من فصرت اي شئ طلع على لساني قلته

ثم ان التتار انحازوا الى الجبل وفتح الله ونصر هذه الملة المحمدية بالمماليك الترك البحرية ولم يسلم من التتر من يرد الخبر الى هولاكو ولكن قتل الجميع .

ومما اتفق في هذه الواقعة ان الصبي الذي ابقاه السلطان من رسل التتار واضافه الى مماليكه كان راكبا وراءه حال اللقاء فلما التحم القتال وجه سهمه نحو السلطان فبصر به بعض من كان حوله فامسك وقتل مكانه

واستولى الملك المظفر على بلاد الشام كلها من الفرات الى حد مصر

(المقريزي – السلوك 433/1)

وأما اسياد المنطقة الجدد بعد عين جالوت فقد اعطى السلطان **الاشرف موسى** الذي تخلى عن **المغول** عندما نشب القتال امرة **حمص** و **المنصور محمد** حكم **حماة وعلاء الدين** حكم لحلب **واخيه للموصل وسنقر الحلبي** حكم **لدمشق** .

> فالبطل الذي ظهر فجأة في سماء تاريخ المسلمين
> أنطفأ فجأة كالشهاب أيضا ، وإن ومضته القصيرة
> كانت كافية لحرق جموع المتخاذلين
> من أمراء المسلمين من ناحية ، وجموع المعتدين
> من جند المغول من ناحية أخرى .
> (قاسم عبده قاسم – المظفر – المقدمة)

الباب الثالث:
عصر تأسيس الدولة البحرية

لقد كانوا مصدر قوة الاسلام ودرع الحماية والحصن المنيع والقلاع الغير قابلة للإختراق بل كانوا مثل الدروع التي يتم أرتدائها تحت العباءة .

(الجاحظ)

الفصل الاول



الظاهر ركن الدين بيِبرس

1- ترجمة الملك الظاهر :

وأسم " **بيبرس** " معناه أمير فهد .

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين وامراء المماليك 76)

الملك المجاهد ناصر الدين ونصرة الاسلام عدة الملك وعمدة الممالك كهف الجيوش وقائد العساكر خادم الحرمين قسيم أمير المؤمنين السلطان **ركن الدين بيبرس البندقداري** .

خرج من طيات المجهول لاعتلاء العرش , انتقل من تاجر لاخر حتى وصل الى **حماة** ببلاد الشام .

فأراد **المنصور محمد الايوبي** صاحب حماة شرائه ولكن أمه حظرته منه :

" لا يكون بينك وبينه معاملة فان شرا في عينه لائحا "

(ابن ايبك– كنز الدرر 61/8)

فعدل عن شرائه وبيع بدمشق بثمانمائة درهم ، فرده مشتريه لبياض في إحدى عينيه ، فاشتراه الأمير **علاء الدين أيدكين البندقدار** مملوك الملك **الصالح أيوب** ، وهو **بحماة** معتقل بها ، وأقام في خدمته مدة ثم أخذه منه **الملك الصالح** فترقي في الخلع ، وتنقلت به الأحوال إلى ملك مصر والشام .

قفجاقي الأصل ، طويل القامة أسمر اللون ، في عينيه زرقة وبإحدى عينيه نقطة صغيرة ، صوته جهوريا .

(المقريزي – السلوك)

الطريق الى العرش

كان **ركن الدين** كثير المواقف المشهودة في الأسلام ابتدأها بيوم **المنصورة** الشهير ثم أتبعها

بأياديه البيضاء في ملحمة **عين جالوت** الخالدة .

صار الملك **المظفر** وسائر عساكره فوجدوا مولانا **السلطان** قد مهد لهم البلاد وسكن من بقي فيها من الرعايا ووصل **الملك المظفر** الى **دمشق** بغير تعب ولا نصب .

لم يبق **الظاهر** قدامه أحد في بلاد **الشام** ولا **حلب** وسير الى **حماة وحمص** من امنها وطمأنها .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 66)

لما توجه **الملك المظفر** الى مصر والسلطان بصحبته صار يظهر تكبرا وتغيرت نيته .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 66)

فاخذ المملكه باليد .

(ابن اياس – بدائع الزهور 307/1)

وأخذ ثأر أخيه **الامير فارس الدين اقطاي** .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 79)

فلما وصل الأراضي المصرية وألتقى بأتابك العسكر هو وصحبه ,فقال لهم **الاتابك الأمير أقطاي المستعرب** :

اسمعوا يا اصحابنا **والله** لو كان الملك **المظفر** حيا او له ولد له في عنقنا يمين اول ما كنت اقاتلكم بسيفي وانما الساعة قد فات فيها الفوت ولا شك ان الذي قتله وغرر بنفسه وفعل هذا الامر العظيم ما فعله لغيره ولا بذل نفسه وخاطر بها ليكون الامر والنهي لغيره فمن قتله أحق بمكانه

قال السلطان : انا الذي فعلت هذا الامر .

قال الأتابك : " **يا خوند اجلس في رتبه السلطنه مكانه** " , فجلس ثم بايعه وتابعه الامراء والجند وهو لا يزال بالصالحية .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 87)

قال **الاتابك** : المصلحه الركوب لا تتم السلطنة الا بدخولك إلى قلعة الجبل

قال **السلطان** : نقعد حتى تحضر بقية الامراء المتأخرين في الطريق ونكمل حلفهم .

فقال **الأتابك** : إن تاخر **السلطان** ارتقى الناس وتشاوروا ولكل احد غرض وهوى والمصلحة ركوب **السلطان** .

توجه **بيبرس** بصحبة الأمراء الى القلعة فلقيهم نائب السلطنه بديار مصر الأمير **ايدمر الحلي** وكان قد خرج الى لقاء **الملك المظفر** فعلمه **بيبرس** بما جرى فحلف له وتقدمه الى القلعة .

تقدم الامير **عز الدين الحلي** إلى القلعة فتحدث مع النواب بها وأستمال قلوبهم وهم يعلمون دينه وأمانته وأنه لا يقول إلا الحق فأخبرهم بوفاة **المظفر قطز** وان الناس قد اجتمعوا وحلفوا للسلطان الملك **الظاهر** فرجعوا الى قوله وركنوا الى وفاء وعده .

جلس **الحلي** على باب القلعة حتى قدم **بيبرس** والأمراء في الليل .

فتسلم منهم القلعة والخزائن وحلف الناس الذين بالقلعة للسلطان **ليله الاثنين تاسع عشر ذي الحجه سنه 658 هـ**

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 69)

كانت القاهرة قد تزينت لقدوم **الملك المظفر** والناس في فرح ومسارات بقتل التتر فلما طلع النهار وبينما الناس يستعدون لاستقبال **قطز** اذا بالمنادي يطوف في شوارعها ترحموا على **الملك المظفر** وادعوا لسلطانكم **الملك القاهر ركن الدين بيبرس** .

(المقريزي – السلوك 437/1)

حضر الصاحب الوزير **زين الدين يعقوب ابن الزبير** واشار علي السلطان بيبرس ان يغير

لقب الملك القاهر فإنه ما تلقب به احد فأفلح فاستقر لقبه الملك الظاهر .

(المقريزي – السلوك 520/1)

كان **قطز** قد احدث في هذه السنة حوادث كثيرة عند حركته لقتال التتر فأبطل **الملك الظاهر** جميع ما أحدثه قطز وكتب به توقيعا وقرئ على المنابر فسر الناس بذلك وزادوا في الزينة .

وفي يوم الاثنين سابع صفر 659 هـ ركب **السلطان** من قلعه الجبل بشعار السلطنه فنزل الامراء ومشوا بين يديه الى باب زويله ثم ركبوا الى القلعه وقد زينت ونثرت الدنانير والدراهم على السلطان وكان هذا اول ركوبه .

(المقريزي –السلوك 225/1)

الان فقط رد البحرية **للملك الظاهر** الجميل فلطالما كان مادة سعادتهم , فهو الذي حماهم من الملك **المعظم توران** ولولاه ما ابقى منهم احدا ولما حضروا **دمشق** وصل ارزاقهم واكلوا الخبز بسيفه لا ينيبه في ذلك الا قباء وسيف وفرس .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 76)

الان اوصلوه الى سده الملك فاحسن الى كبيرهم وصغيرهم وقدمهم بعد ان اعتقد كل منهم انهم لا تقوم له قائمة ابدا فجمع منهم الشريد وقرب البعيد وقدم المتأخر وولى المعزول ورد عليهم ما كان غصب من اموالهم واملاكهم .

كتب باحضار البحريه من البلاد فجمعهم في ارض الميلاد بعد أن تهججوا في البلاد , ووفى ما كان على **فارس الدين أقطاي** من الديون وعمر له تربه قرب باب القلعه ووقف عليها وقفا يقوم بكفلها .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 79)

واعاد اعمار قلعة الروضة بعد ان هدمها **الملك المعز** , هدمها **ايبك** لا لغرض ولا

لمصلحة واباح رخامها واصنافها للناس .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 94)

بعدما استتب له الأمر ما كان له غير الجهاد شغل فقد جاء البلاد ملك يرد الأعداء ويطهرها من كل معتدي ويذود عن الحمى ويحفظ بيضة الإسلام , "**والقائد الذي يشرع في الجهاد يتوقع ان يسانده رجال الدين وان يستفيد من خدمات الرعاية الدينية التي يقدمونها له والاكثر من ذلك ان الجنود المقاتلين يضمنون الجنة** " .

(جيمس واترسون –فرسان الاسلام 135)

عندما ولي **بيبرس** السلطنة كانت اراضي الفرنجه تمتد بطول الساحل من غزه الى كيليكيا وعلى مدى حكمه التي استمرت **سبعة عشر عاما** حصر الفرنج في مدن **قليلة "عكا وصور وصيدا وجبيل وطرطوس واللاذقية وقلعتي عثليت ومرقب** ولم يطل به العمر ليشهد ازالتها وجرد الإسماعيلية من جميع قلاعهم فضلا على ما أسترده من التتار .

ففتح في هذه المدة فتوحات كثيرة : قيسارية وأرسوف ويافا والشقيف وأنطاكية وبغراس وطبرية والقصير وحصن الأكراد وحصن عكار والقرين وصافيتا وغير ذلك من الحصون المنيعة التي كانت بأيدي الفرنج ، ولم يدع مع الإسماعيلية شيئا من الحصون ، وناصف الفرنج على المرقب وبانياس وبلاد أنطرطوس ، وسائر ما بقي بأيديهم من البلاد والحصون ، وولى في نصيبه مما ناصفهم عليه النواب والعمال ، وفتح قيسارية من بلاد الروم وأوقع بالروم والمغول على البلستين بأسا لم يسمع بمثله من دهور متطاولة ، واستعاد من صاحب سيس بلادا كثيرة ، وجاس خلال ديارهم وحصونهم ، واسترد من أيدي المتغلبين من المسلمين بعلبك وبصرى وصرخد وحمص وعجلون والصلت وتدمر والرحبة وتل باشر وغيرها ، والكرك والشوبك ، وفتح بلاد النوبة

بكمالها من بلاد السودان ، وانتزع بلادا من التتار كثيرة منها شيزر والبيرة ، واتسعت مملكته من الفرات إلى أقصى بلاد النوبة .

(ابن كثير – البداية والنهاية)

وافتتح من البلاد قيسارية وأرسوف وهدمها ، وفتح صفد وعمرها ، وفتح طبرية ويافا والشقيف وأنطاكية وخربها . واستولي على بغراس والقصير وحصن الأكراد والقرين وحصن عكار وصافيتا ومرقية وحلبا ، وناصف الفرنج المرقب وبانياس وأنطرسوس ، وأخذ من متملك سيس دربساك ودركوش وتلميش وكفر دنين ورعبان ومرزبان ، وملك دمشق وعجلون وبصري ، وصرخد والصلت وحمص ، وتدمر الرحبة وتل باشر ، وصهيون وبلاطنس ، وقلعة الكهف والقدموس والدينقة العليقة والخوابي والرصافة ومصياف ، والكرك والشوبك وبلاد الحلب وشيزر وبلاد النوبة وبرقة ، وسائر إقليم مصر والشام ، وملك قيسارية من بلاد الروم .

(المقريزي – السلوك)

مرحبا بالملك الظاهر ركن الدنيا والدين وقسيم أمير المؤمنين مرحبا بيبرس مرحبا بالملك المجاهد والسلطان العظيم .

دين السلطان :

جاء **السلطان** الذي ينتظره الناس بصبر نافذ فيرفع عن كواهلهم الظلم ويرد عنهم غاشيه العدو ويوزع الامر بينهم بالقسط

اصبح السلطان راعيا للاخلاق بين رعيته يطعم في كل ليلة خمسة الاف نفس في رمضان ويكسو في كل سنه ستمائة كسوة ويخصص وقفا لدفن الفقراء , كان يتصدق في كل سنه بعشره الاف اردب من القمح يرتب لايتام الاجناد ما يكفي لمطالبهم في الحياه ووقفا

يشتري به الخبز ويفرق على فقراء المسلمين والف قنطار من السكر الابيض ويعتق ثلاثون عبدا سنويا , وابطل المحدثات وكتب بإقامة الشريعة المطهرة واخذ يستهوي القلوب ويكف عن السيئات .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 47)

نصب دار العدل وأقام فيها الامير **فارس الدين الاتابك** ينصف بين الناس .

كان الناس قد هلكوا من الظلم فأبطل الله هذه المظالم على يديه وقرأت على المنابر , أبتهل الناس بالدعاء وأستقرت الأحوال .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 77)

ما رفعت إليه مظلمة إلا كشفها , شكى أهل الغربية واليها **ابن الهمام** فصار السلطان يركب للصيد ثم ينفرد وحده متخفيا ويسأل عن حال الوالي المذكور وحال نوابه وغلمانه والمباشرين فلما تحقق سوء اعتماده امسكهم وادبهم وعزلهم وولى غيرهم .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 186)

قال ذات يوم : **"اعلموا انني تركت لله ستمائة الف دينار فعوضني الله من الجهات الحلال اكثر منها وطلبت جرائد الحساب فزادت بعد حط المظالم جملة ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا "**

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 176)

غير أن ارباب الملاهي والمغاني فإنهم لم ينفق لهم في ايامه سلعا ولا لهم بالارزاق بذلك طمع .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 425)

لما غلت الاسعار رسم **السلطان** بالتسعير طلبا للرفق فأشتد الحال وعدم الخبز فأمر السلطان بالنداء بأجتماع الفقراء تحت القلعة .

وفي يوم الخميس نزل **السلطان** الى دار العدل فأول ما تحدث فيه ابطل التسعير وكتب ببيع خمسمائة اردب كل يوم لا يشتري منه الخزان بل يباع للضعفاء والارامل .

ثم نزل حجابه الى تحت القلعه وكتب اسماء الفقراء وسير الى كل جهه حاجبا لكتب الاسماء في القاهرة ومصر وضواحيها

وقال للناس : " **والله لو كانت عندي غله تكفي هذا العالم لفرقتها** "فلما عد العالم وحصروا واحضر ديوان الجيوش المنصورة وكتبت الاسماء واعطى لكل امير جماعة يتكفل بهم على قدر عدته وفرق الفقراء على الامراء والاجناد ثم رسم بأن يعطى لكل فقير كفاية مؤنته ثلاثة شهور وتسلم نواب الامراء الفقراء وكذلك الاكابر والتجار والناس على اختلاف احوالهم ثم قال السلطان " **هؤلاء الناس المساكين جمعناهم اليوم وقد انقضى نصف النهار فليعطي كل منهم نصف درهم يتقوت به خبزا ومن غدا يتفرد الحال** "

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 189)

اخذ الصاحب جماعه العميان واخذ الاتابك التركمان ولم يبقى احدا من الخواص ولا من الحجاب والولاة واصحاب النواصي وذوي المراتب والثروه الا اخذ جماعة .

ولم يبق من لا شمله إحسانه من سائر الطوائف ، إلا المغاني وأرباب الملاهي فإنه لم تنفق لهم في طول أيامه سلع , ولا نالهم منه رزق ألبتة .

قال السلطان لوالي القاهرة **صارم الدين المسعودي** : "خذ مائة فقير اطعمهم **لله** " فقال فعلت ذلك اخذتهم دائما فقال **السلطان** : " **ذلك فعلته ابتداء من نفسك وهذه أفعلها لاجلي** " . فاخذ مائة فقير اخرى .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 189)

قال السلطان لأمراءه ذات يوم :

"ما جمعت هذه الأموال الا لمهم يحصل للمسلمين ومن احتاج منكم ومن العساكر المنصورة اعطيته ومن عدم واسيته وانا ينوبني فرس وجميع ما عندي من خيل وجمال كله لكم ولمن يجاهد في سبيل الله"

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 203)

وكان اذا اصبح ينظر في امور دولته و يصلي الصبح ويخرج من باب دهليزه ويجلس على الكرسي ظاهرا للناس كافة يقرب منه الفقير والمرأة والضعيف ويقضي حوائج الناس ويسمع قصص الرعايا ثم يقوم عند مجيء أمراءه من سوق الخيل فيجلس في مرتبه السلطنه لقضاء حوائج الناس .

ليعلم ان هذا السلطان اوقاته مستغرقة في مصالح المسلمين ولذاته في الاهتمام بأمور الدين .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 225)

مر على قنطرة فوجد جماعه من الرعية عابرين على القنطرة في ليلة شاتية فوقف وأمر أن لا يعبر أحد حتى يعبر الضعفاء .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 228)

كتب الى **الامير عز الدين الحلي** :

" ان بعض الصالحين تحدث معي ان القمح الذي جعله الله قوت العالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله بابطاله ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه فاني اشتهي لاجلي ان تزيل هذا المنكر " .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 228)

جمع **السلطان** اهل البلاد وطلع الجبل الذي عند جرود وصحبته الامراء وكان يوما شديد الحر واشتد العطش فكاد الناس يهلكون فدلهم شخص من الجبلية على عين ماء جارية

لكنها يسيرة النبع فوقف السلطان عندها وصار يسقي الناس بيده .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 264)

رسم **السلطان** بإبطال الخواطئ من الديار المصرية فطهرت الديار من هذا المنكر وأمر بحبسهن وتزويجهن وكتب الى جميع البلاد بذلك .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 350)

استهلت 670 هـ فأستفتحها السلطان بتبطيل المنكرات وارقة الخمور .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 390)

وامر ببناء الجوامع والمساجد واظهار شعائر الاسلام وازالة المنكرات .

ونودي بالقاهره ومصر ان امرأه لا تتعمم بعمامة ولا تتزى بزي الرجال ومن فعلت ذلك سلبت ما عليها من الكسوة .

(المقريزي –السلوك 3/2)

جاءته ورقه مع خادم اسود ان **شمس الدين** شيخ الحنابلة يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته لأنه ما جعل للحنابلة نصيبا في المدرسة التي انشأها بجوار قبه الملك الصالح ولا ولى حنبليا قاضيا وذكر اشياء فادحه فيه .

فبعث **السلطان** بها الى الشيخ فأقسم أنه ما جرى منه شيء وإنما هذا الخادم طردته من خدمتي

فقال **السلطان** ولو شتمتني انت في حل وامر بضرب الخادم مائة عصا .

(المقريزي –السلوك 3/2)

واسلم عالم كبير على يد **السلطان** من التتار الواصلين ومن الفرنج المستأمنين والاسرى من النوبة القادمين من عند ملكها .

(المقريزي –السلوك 7/2)

نزل **السلطان** من قلعه الجبل بالليل متنكرا وطاف بالقاهره ليعرف احوال الناس فرأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأه وعراها سروالها ولم يجسر أحد ان ينكر عليه فلما أصبح السلطان قطع ايدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين والخفراء واصحاب الرباع بالقاهرة .

(المقريزي –السلوك 28/2)

افتك قُصر المسلمين من بلاد الفرنج فحضر عدة من النساء والأطفال فسيرت النساء الى دمشق ليزوجوهن القاضي من اكفائهن .

(المقريزي –السلوك 32/2)

ابطل **السلطان** ضمان الحشيشه الخبيثه وامر بتاديب من اكلها .

(المقريزي –السلوك 36/2)

اشتد انكار السلطان للمنكر واراقة الخمور وعفى اثار المنكرات ومنع الحانات والخواطئ بجميع اقطار مملكته فطهرت البقاع .

(المقريزي –السلوك 38/2)

امر **السلطان** بجمع اصحاب العاهات فجمعوا بخان السبيل ظاهر باب الفتوح من القاهرة ونقلوا الى مدينة الفيوم وافردت لهم بلدة تغل عليهم ما يكفيهم فلم يستقروا بها وتفرقوا ورجع كثير منهم الى القاهرة

(المقريزي –السلوك 83/2)

سلبت جميع احوال المفسدات وحبسن حتى يتزوجن .

(المقريزي –السلوك 59/2)

رسم بألا يؤخذ بمكة من أحد مكس ولا يمنع احدا من زيارة البيت ولا يتعرض لتاجر .

(المقريزي –السلوك 59/2)

لما وصل مكه في رحلة الحج اعطى خواصه جملة من المال ليفرقوها سرا وفرق كساوي على

اهل الحرمين وسار كواحد من الناس لا يحجبه احد ولا يحرسه الا الله وهو منفرد يصلي ويطوف ويسعى و غسل البيت وصار في وسط الخلائق وتعلق بعض العامة بأطرافه فقطعه وهو مستبشر بجميع ذلك

(المقريزي –السلوك 61/2)

وكتب إلى صاحب اليمن كتابا ينكر عليه أمورا ، ويقول فيه :

سطرتها من مكة المشرفة ، وقد أخذت طريقها في سبع عشرة خطوة يعني بالخطوة المغزلة ويقول له : " **الملك هو الذي يجاهد في الله حق جهاده ، ويبذل نفسه في الذب عن حوزة الدين** " .

قالوا عن بيبرس :

لكن **السلطان الملك الظاهر ركن الدين ابو الفتوح الصالحي النجمي بيبرس البندقداري** كان في حقيقه الأمر مثالا مجسدا للرجل العصامي الذي صنع مجده بنفسه .

كان يحكم من فوق فرس الجهاد اكثر منه من القصر .

(فرسان الاسلام249 –جيمس واترسون)

وكحاكم كان من أعظم حكام زمانة .

(رانسيمان – الحملات الصليبية 401/3)

صنع مجده بنفسه ملء العين والوجدان , وفي النهايه أصبح مملوك الأمس نبيلا وملكا عظيما اليوم .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 59)

كانت دولة منهكة حائرة مليئة بالخوف ولكن الدولة التي تركها دولة تتيه فخرا بجيشيها القوي المنظم وبحدودها الآمنة وبعلاقتها المنتظمه مع الدول الاجنبية وبجهازها الاداري

والقضائي عالى الكفاءة وبقاعدة اقتصادية ترتكز على أسس ثابتة , ولكنه ترك ايضا لخلفائة ما هو اكثر من ذلك لقد ترك لهم نموذجا يقومون بالأقتداء به .

(فرسان الاسلام246 –جيمس واترسون)

يمتد سلطانه من النيل إلى الفرات ومن تخوم أسيا إلى سواكن البحر الأحمر , بات أعظم السلاطين الذين تبوءوا عرش مصر .

بطل همام وشجاع مقدام قويت بقوته البلاد ورفع أكاليل الغار فوق العباد .

(خليل – المماليك المفترى عليهم)

رحمه الله له اياما بيضاء في الاسلام ومواقف مشهورة وفتوحات متعدده .

سريا غازيا مجاهدا مؤيدا عظيم الهيبة خليقا بالملك يضرب بشجاعته المثل له أيام بيض في الاسلام وفتوحات مشهورة .

(الذهبي – العبر في اخبار من غبر 308/5)

لقد كان رجل متدينا متمسكا بأهداب الدين وبأمره ونواهيه حارب البدع والمفاسد وتشدد في تطبيق أحكام الشريعة فحرم شرب الخمر واغلق الحانات , كان ملازما للصلوات وألزم حاشيته بها ولما حج رؤي بباب الكعبة محرما يأخذ بأيدي ضعفاء الرعية لينهضوا ووضع ستائر الديباج للكعبة وللحجرة النبوية .

(ابن الوردي – تاريخ ابن الوردي322/2)

شهما شجاعا عالي الهمه بعيد الغور مقداما , معتنيا بأمر السلطنة يشفق على الاسلام , متحليا بالملك , له قصد صالح في نصره الاسلام وأهله واقامة شعائر الملك . مناجز لأعداء الإسلام وأهله ، ولم شعثه واجتماع شمله . وهو الذي أنشا الدولة العباسيه بعد قصورها وبقي الناس بلا خليفة نحو من ثلاث سنين , وهو الذي اقام من كل مذهب قاضيا مستقلا وقاضي قضاه وكان رحمه الله متيقظا شهما لا يفتر عن اعدائه ليلا ونهارا .

وبالجمله اقامه الله في هذا الوقت المتأخر عونا ونصرا للإسلام وأهله وشجا في حلوق المارقين من الفرنج والتتار والمشركين وابطل الخمور ونفى الفساق من البلاد وكان لا يرى شيئا من الفساد الا سعى في ازالته بجهده وطاقته .

(ابن كثير – البداية والنهاية 275/13)

ولكن البلاد قد فقدت أسدها بل الذي بلغ اشدها واذا انفتحت ثغرة من سور الاسلام سدها وكلما انحلت عقدة من عرى العزائم شدها وكلما راقت فرقة مارقة من طوائف الضغام ان تلج حومة الإسلام صدها وردها فسامحه الله وبل بالرحمه ثراه وجعل الجنه متقلبه ومثواه .

(ابن كثير – البداية والنهاية 275/13)

ملكا شجاعا مقداما غازيا مجاهدا مرابطا خليقا بالملك خفيف الوطأ سريع الحركة يباشر الحروب بنفسه .

يحب ان يطلع على احوال امرائه واعيان دولته حتى لم يخف عليه من احوالهم شيء وكان يميل الى التاريخ واهله ميلا زائدا ويقول سماع التاريخ اعظم التجارب .

(ابن تغري بردي – النجوم 177/7)

ليس بعجب ان يكون هذا الرجل محبوبا لدى الشعب الذي اتخذه مثالا للملك الذي تحل فيه صفات الكرم والشهامة والذي لا يزال يصغى بشغف تام الى القصص التي تروى في مقاهي القاهرة عن بيبرس وحتى رجال الدين كانوا يعجبون به ويرون فيه ملكا يرعى الاصول الدينية ويعادل بين المذاهب الأربعة المختلفة التي جعل لكل منها قاضيا خاصا بها .

(ستان لين بول – سيرة القاهرة 181)

وبالجمله فقد كان من خير ملوك الإسلام .

(المقريزي –السلوك 637/1)

لم يؤاخذ احدا بما جرى في الايام الماضيه ولا عاتب صغيرا ولا كبيرا .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 95)

اشتهرت سيرته في مجالسهم ومسامراتهم دون سائر السلاطين فصاغ الوجدان الشعبي سيرة رائعة لهذا **السلطان** .

اجلسوه فيها منزله هامة ورائعة وجعلوا كافه شخصيات تلك الفترة التاريخية وما سبقتها شخوصا ثانوية في خدمة البطل **الظاهر بيبرس** .

لقد صور الوجدان الشعبي في هذه السيرة الشعبية الظاهر كأنه عصر بأكمله وليس مجرد انسان .

وهكذا الشعوب تمنح حبها وتمجيدها بلا حدود لمن اعطى وبذل في سبيل تحقيق أهدافها ومصالحها .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 113)

تحت قيادة سلطانهم **الاعظم بيبرس** شنو هجماتهم الباسله على قلاع الصليبيين حتى تلك التي استعصت على حروب صلاح الدين .

برز **بيبرس** كواحد من عباقرة القادة العسكريين في العصور الوسطى شديد القسوة متوقد الذكاء سواء في الشؤون العسكرية او السياسية خاض العديد من الحروب وفي جبهات متعددة ضد مغول فارس و ارمينيا والدول الصليبية والنوبة .

كما كان دبلوماسيا حاذقا يتواصل مع بيزنطه ومع القبيلة الذهبية وصقلية واسبانيا , ويشق الترع وتحسين الموانئ , كما حذا حذوا المغول في ادخال خدمات البريد عن طريق رجل البريد الفارس و الحمام الزاجل الذي يمكنه توصيل الرسائل عبر ممالكه في ثلاثه ايام.

كما كان يملك من رجاحة العقل ما جعله يبادر الى إضفاء الشرعية على سلالته عن

طريق تأسيس دار الخلافة في القاهرة و إعادة تأسيس القيادة الدينية بعد تدمير بغداد على يد المغول .

(فرسان الاسلام –جيمس واترسون)

موته :

جلس **السلطان** لشرب **القمز** (**شراب نبيذ من لبن الخيل**) وقد عظم سروره وفرحه وتناهز سعده فاكثر من الشرب وانفض المجلس فتوعك بدنه واصبح يشكو فتقيأ في بطنه واستعمل دواء لم يكن عن راي طبيب فزاد المه فاستدعى الاطباء فانكروا استعمال الدواء ثم مات فكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما وملكه سبعة عشر سنه وشهرين و واثني عشر يوم مات متجاوزا الخمسين

(المقريزي –السلوك 104/2)

لما مات **السلطان** كتم الامير **بيليك الخازندار** نائب السلطنة موته عن العساكر وحمله في محفة من **القصر الابلق** خارج **دمشق** الى القلعة وجعله في تابوت واشاع انه مريض ثم خرج يريد **مصر** فلم يجسر احد ان يتفوه بموته .

استمر الحال على ذلك حتى وصلت العساكر الى **القاهرة** وصعدت الخزائن والمحفة الى **القلعة الجبل** فاشيع حينئذ موته .

(المقريزي –السلوك 107/2)

وذكر ركن الدين **بيبرس المنصوري** المؤرخ أن القمر خسف جميع جرمه ، ودل على موت رجل جليل القدر ، فلما بلغ الملك الظاهر هذا خاف ، وقصد صرف ذلك إلى غيره ، فسم الملك القاهر في كأس قمز ، وأحس الملك القاهر بالشر فقام ، وغلط الساقي فملأ الكأس وسقاه **السلطان** ، فأحس بالنيران وأقام أياما يشكو ولا يعلم الأطباء ، حتى تمكن

منه ومات .

هكذا جاءت نهايه بطل من ابطال الاسلام وتاريخ المسلمين كان ملء العين والقلب احبه الناس ولهجوا بسيرته واضافوا اليها الكثير من خيالهم لانه كان يسير على طريق تحقيق اماني الأمة ومحاربة اعدائها .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 112)

ذكر أولاده رحمه الله تعالى :

الملك السعيد ناصر الدين بركة وأمه بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمي والملك نجم الدين خضر وأمه أم ولد والملك بدر الدين سلامش , وله من البنات سبع من بنت سيف الدين ماجي التتري .

(الصفدي – فوات الوفيات 1/ 256)

وتزوج السلطان ايضا من خوند التطمش .

(سجى التميمي – المرأة في العصر المملوكي) لم اجده في المصادر

2- حوليات الملك الظاهر :

- سنة ثمان وخمسين وستمائة :
- يوم السبت سابع عشر ذي القعدة : تلقب بيبرس بالملك القاهر .
- فحضر إليه الصاحب الوزير زين الدين يعقوب بن الزبير واشار اليه ان يغيره فإنه ما تلقب به أحد فأفلح ، فاستقر لقبه الملك الظاهر .
- ذي القعدة : تسلم القلعة وكانت القاهرة قد زينت لقدوم الملك المظفر قطز ، والناس في فرح ومسرات بقتل التتر . فلما طلع النهار نادى المنادي في الناس : ترحموا على الملك المظفر ، وادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس . ثم في

آخر النهار أمر بالدعاء للملك الظاهر . فغم الناس لذلك ، وخافوا من عودة دولة المماليك البحرية ، وسوء مملكتهم وجورهم . فأبطل الملك الظاهر جميع ما أحدثه قطز وكتب به توقيعاً قرئ على المنابر ، فسر الناس ذلك ، وزادوا في الزينة .

- وفيه : جلس الملك الظاهر بيبرس بالإيوان من القلعة ، وحلف العساكر وكتب إلى الملوك والنواب يخبرهم بسلطنته ، فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة , خلا الأمير سنجر الحلبي نائب دمشق ، أنف من طاعة بيبرس .
- ذي الحجة : دعا الأمير سنجر الحلبي لنفسه وحلف الأمراء وتلقب بالملك المجاهد
- وفيها : ثار جماعة ، وشقوا القاهرة وهم ينادون يآل علي ، وفتحوا دكاكين السيوفيين بين القصرين وأخذوا ما فيها من السلاح ، واقتحموا اصطبلات الأجناد وأخذوا منها الخيول وكان الحامل لهم على هذا رجل يعرف بالكوراني ، أظهر الزهد بيده سبحة وسكن قبة بالجبل
- سنة تسع وخمسين وستمائة :
- وفيها : اجتمع من التتار ستة آلاف فارس ، وقاموا بحمص . فبرز إليهم الملك الأشرف موسى صاحب حمص ، والملك المنصور صاحب حماة ، فأفنوهم قتلاً وأسراً ، ووردت البشارة إلى مصر بذلك .
- صفر : دخل الأمير أيدكين البندقدار – أستاذ الملك الظاهر – إلى دمشق وملكها ، وحلف الناس للملك الظاهر وقام بأمرها . وخاف المجاهد على نفسه ففر .
- وفيها أحضر الأمير سنجر وهو مقيد إلى مصر . فندب الملك الظاهر إلى لقائه الأمير بيسري ، وأدخله ليلاً من باب القرافة على خفية واعتقله بالقلعة

- وفيها جهز الملك الظاهر بيبرس لعمارة الحرم النبوي بالمدينة ، وبعث الصناع والآلات لعمارة قبة الصخرة بالقدس ، وكانت هوت .
- وفيها : رسم بعمارة ما تهدم من قلعة الروضة ، فرم ما فسد منها وأعاد لها حرمتها ، وفرق أبراجها على الأمراء : وهم الأمير قلاوون ، والأمير عز الدين الحلي والأمير بيسري ، وغيرهم – لكل أمير منهم برج ، وأمرهم أن تكون اصطبلاتهم وبيوتهم فيها ، وسلمهم مفاتيح القلعة .
- جمادى الأولى : فوض قضاء القضاة لتاج الدين عبد الوهاب المعروف بابن بنت الأعز
- وفيها : سار الأمير أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيئ بالله العباسي يريد دمشق , وكان قد فر من بغداد لما قتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله , فوردت مكاتبة الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار ، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيري نائب دمشق : بأنه ورد رجل ادعى أنه عم المستعصم وأخو المستنصر فكتب السلطان إلى النواب بالقيام في خدمته وتعظيم حرمته ، وأن يسير إلى جهة مصر .
- وكان منصب الخلافة شاغراً ثلاث سنين ونصف منذ قتل الخليفة المستعصم .
- وفيها قلد السلطان الأمير علم الدين سنجر الحلبي نيابة حلب
- ذي الحجة : وفوض السلطان إلى الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الوزيري نيابة دمشق ، وفوض قضاءها للقاضي شمس الدين أبي العباس بن خلكان .
- وفيها : كتب السلطان إلى الملك بركة خان يغريه بقتال هولاكو .

- سنة ستين وستمائة .
- ربيع الأول : وصل الأمير أبو العباس أحمد الذي تلقب بالحاكم بأمر الله الى مصر ، فاحتفل السلطان للقائه ، وأنزله في البرج الكبير داخل قلعة الجبل .
- رمضان : أعاد قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ، فصار بيده قضاء القضاة بديار مصر كلها . وكان متشدداً في أحكامه ، فرسم له في ذي القعدة أن يستنيب عنه مدرسي المدرسة الصالحية من الحنفية والمالكية والحنابلة ، فاستنابهم في الحكم عنه ، ولم يعرف ذلك عصر قبل هذا الوقت .
- وفيها : سار صندغون مقدم التتار إلى الموصل ، ونصب عليها خمسة وعشرين منجنيقاً ، فخرج إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ ، فقبض عليه وعلى من معه . وقد اطمأن أهلها ، ثم اقتحموها ووضعوا السيف في الناس تسعة أيام ، ووسطوا ابن الملك الصالح ، ونهبوا المدينة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والذرية ، وهدموا المباني وتركوها ، ورحلوا بالملك الصالح إسماعيل ، ثم قتلوه وهم في طريقهم إلى هولاكو .
- وفيها : توفي شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام عن اثنتين وستين سنة
- سنة إحدى وستين وستمائة .
- ذي القعدة : جلس السلطان بدار العدل ، وأمر بتطهير الثغر من الخواطي الفرنجيات .
- سنة اثنتين وستين وستمائة .
- المحرم : نودي بالقاهرة ومصر أن امرأة لا تتعمم بعمامه ولا تتزيا بزي الرجال ،

ومن فعلت ذلك بعد ثلاثة أيام سلبت ما عليها من الكسوة

● صفر : اجتمع أهل العلم بالمدرسة الظاهرية بين القصرين عند تمام عمارتها ، وحضر القراء وجلس أهل كل مذهب في إيوانهم وجعل السلطان بهذه المدرسة خزانة كتب جليلة ، وبني بجانبها مكتبا للسبيل ، وقرر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز في كل يوم والكسوة في فصل الشتاء والصيف .

● وفي هذه السنة : ارتفعت الأسعار . بمصر ، فبلغ الأردب القمح نحو المائة درهم نقرة ، فأمر السلطان بالتسعير فاشتد الحال وعدم الخبز . ثم اشتد الحال بالناس حتى أكلوا ورق اللفت والكرنب ونحوه .

● ربيع الآخر : نزل السلطان إلى دار العدل وأبطل التسعير ، وكتب إلى الأهراء ببيع خمسمائة أردب كل يوم لضعفاء الناس ، و لا يشتري من يخزن .

● شعبان : أمر السلطان الأمراء والأجناد والمماليك بعمل العدد الكاملة ، فوقع الاهتمام من كل أحد بعمل ذلك ، وكثر الازدحام بسوق السلاح ، وارتفع سعر الحديد وأجر الحدادين وصناع آلات السلاح ، و لم يبق لأحد شغل إلا ذلك ، حتى صار العسكر لا ينفق متحصله في شيء سوي السلاح ، ولا يشتغل أحد منهم إلا بنوع من أنواع الحرب كالرمح

● رمضان : تنجزت كسوة قبر النبي صلي الله عليه وسلم ، وتعين سفرها مع الطواشي جمال الدين محسن الصالحي . ووقع الشروع في تجهيز الشمع والبخور والزيت والطيب .

● وفيه جري السلطان على عادته في إجراء الصدقات لمطابخ القاهرة ومصر برسم الفقراء ، فكان يصرف في كل ليلة من ليالي رمضان جملة كبيرة من الخبز

واللحم المطبوخ ، وجري أيضاً على عادته في عتق ثلاثين نسمة على عادة ملوك الماضين ، سوي من أعتقه من مماليكه .

- شوال : أركب السلطان ابنه الملك السعيد بشعار السلطنة ،
- وفيها توفي الرجل الصالح أبو القاسم بن منصور بن يحيي القباري بالإسكندرية .
- سنة ثالث وستين وستمائة .
- جمادى الأولى أمر العسكر كله فلبسوا آلة الحرب وسار الي قيسارية فوافاها على حين غفلة من أهلها ،
- جمادى الأولى : سلم الفرنج القلعة . فتسلق المسلمون من الأسوار ، وحرقوا الأبواب ودخلوها من أعلاها وأسفلها ، وأذن بالصبح عليها .
- وفيه : سار السلطان إلى عثليث ، وسير الأمير سنقر السلاح دار ، والأمير عز الدين الحموي ، والأمير سنقر الألفي إلى حيفا . فوصلوا إليها ، ففر الفرنج إلى المراكب وتركوا قلعتها ، فدخلها الأمراء
- جمادى الآخرة : نزل على أرسوف ، ونقل إليها من الأحطاب ما صارت حول المدينة كالجبال الشاهقة وعمل منها ستائر ، وحفر سردابين من خندق المدينة إلى خندق القلعة وسقفه بالأخشاب
- رجب : فتحها الله في ذلك اليوم عندما وقعت الباشورة . فلم يشعر الفرنج إلا بالمسلمين قد تسلقوا وطلعوا القلعة .
- وفي شعبان : وعك السلطان فتداوى بالصدقة وأعطى الفقراء مالا جزيلا .
- وفيها : نزل السلطان من قلعة الجبل بالليل متنكرا ، وطاف بالقاهرة ليعرف

أحوال الناس ، فرأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعراها سروالها بيده ، و لم يجسر أحد ينكر عليه . فلما أصبح السلطان قطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين ، والخفراء وأصحاب الرباع .

- سنة أربع وستين وستمائة .
- وفي جمادى الأولى : قدم فخر الدين بن جلبان من بلاد الفرنج بعدة من الأسرى ، قد افتكهم بمال الوقف المسير من جهة الأمير جمال الدين النجيبي نائب دمشق . فحضر عدة من النساء والأطفال ، فسيرت النساء إلى دمشق ليزوجهن القاضي من أكفائهن .
- وفي رجب : اهتم السلطان بأمر الغزو ، وسير إلى أعمال مصر بإحضار الجند من إقطاعاتهم ، فتأخروا . فأرسل سلاح داريته إلى سائر الأعمال ، فعلقوا الولاة بأيديهم ثلاثة أيام تأديبا ، لكونهم ما سارعوا إلى إحضارهم .
- في شعبان : سار السلطان إلى عين جالوت ووصل العسكر إلى حمص ، وأغاروا على الفرنج ونزلوا على حصن الأكراد ، وأخذوا قلعة عرقة وحلباء والقليعات وهدموها . فأغارت العساكر على الفرنج من كل جهة ، وكثرت المغانم بأيديهم حتى لم يوجد من يشتري البقر والجاموس وصارت الغارات من بلاد طرابلس إلى أرسوف . ونزل عسكر السلطان على صور ، وأقام السلطان في جهة عكا ، والأمير ناصر الدين القيمري في عثليث ، فاهتم السلطان بأمر صفد ، وأحضر العساكر المجردة ، ورحل الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح بالدهليز السلطاني ونزل على صفد ، وتبعه الأمير البندقدار والأمير عز الدين أوغان في جماعة ، وحاصروها .

- رمضان : نزل على صفد وحاصرها ، فقدم عليه رسول متملك صور ورسل الفداوية ، ورسول صاحب بيروت ورسول صاحب يافا ، ورسل صاحب صهيون . وصار السلطان يباشر الحصار بنفسه ، وقدمت المجانيق من دمشق إلى جسر يعقوب وهو منزلة من صفد وقد عجزت الجمال عن حملها ، فسار إليها الرجال من الأجناد والأمراء ، وسار السلطان بنفسه وخواصه ، وجر الأخشاب مع البقر هو وخواصه ، فكان غيره من الناس إذا تعب استراح ثم يعود إلى الجر ، وهو لا يسأم من الجر ولا يبطله ، إلى أن نصبت المجانيق رمي بها في سادس عشريه ،
- يوم عيد الفطر نودي في الناس من شرب خمرا أو جلبها شنق .
- وفيه : وقع الزحف على صفد ووعد السلطان الحجارين إنه من أخذ أول حجر كان له مائة دينار ، وكذلك الثاني والثالث إلى العشرة . وأمر حاشيته بألا يشتغلوا بخدمته . فاشتد الزحف من الليل إلى وقت القائلة ، فتفرق الناس من شدة التعب ، فغضب السلطان من ذلك وقال . المسلمون على هذه الصورة ، وأنتم تستريحون؟ ، فأقيموا ، وقبض السلطان على نيف وأربعين أميرا ، وقيدهم وسجنهم بالزردخاناه ، ثم شفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم ، وضربت الطبلخاناه واشتد الأمر إلى أن طلب الفرنج الأمان ،
- هذا والسلطان راكب على باب صفد حتى نزل الفرنج كلهم . وتسلم المسلمون صفد ، فلما أصبح حضر إليه الناس ، فشكر اجتهادهم واعتذر إليهم مما كان منه إلى بعضهم ، وإنه ما قصد إلا حثهم على هذا الفتح العظيم ، وقال : من هذا الوقت نتحالل

- وفي ذي القعدة استولي السلطان على هونين وتبنين وعلى مدينة الرملة ،
- وفيه أبطل السلطان ضمان الحشيشة الخبيثة ، وأمر بتأديب من أكلها ،
- وفيها أمر السلطان بجمع أصحاب العاهات ، فجمعوا بخان السبيل ظاهر باب الفتوح من القاهرة ، ونقلوا إلى مدينة الفيوم وأفردت لهم بلدة تغل عليهم ما يكفيهم ، فلم يستقروا بها وتفرقوا ورجع كثير منهم إلى القاهرة .
- وفيها اشتد إنكار السلطان للمنكر ، وأراق الخمور وعفي آثار المنكرات ، ومنع الحانات والخواطيء بجميع أقطار مملكته . بمصر والشام .
- سنة خمس وستين وستمائة .
- ربيع الأول : بعث السلطان الأتابك فارس الدين أقطاي المستعرب ، والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين بن حنا ، لكشف مكان يعمله جامعا بالحسينية . فسارا واتفقا على مناخ الجمال السلطانية ، فلما عادا قال السلطان : لا والله لا جعلت الجامع مكان الجمال ، وأولى ما جعلت ميداني الذي ألعب فيه الكرة وهو نزهتي جامع .
- في ربيع الآخر : ركب السلطان ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة إلى ميدان قراقوش ، ورتب بناءها جامعا ، وأن يكون بقية الميدان وقفا عليه .
- وفيه : أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة ، وكانت قد بطلت منه منذ ولي قضاء مصر صدر الدين عبد الملك بن درباس ، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد ظل كذلك إلى أن سكن الأمير عز الدين أيدمر الحلي بجواره ، فانتزع كثيرا من أوقاف الجامع كانت مغصوبه بيد جماعة ، وتبرع له بمال جزيل ، واستطلق

له من السلطان مالا ، وعمر الواهي من أركانه وجدرانه وبيضه وبلطه ورم سقوفه ، وفرشه واستجد به مقصورة وعمل فيه منبرا ،

- فتنازع الناس فيه هل تصح إقامة الجمعة فيه أم لا ، فأجاز ذلك جماعة من الفقهاء ، ومنع منه قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز وغيره ، فشكي الحلي ذلك إلى السلطان ، فكلم فيه قاضي القضاة فصمم على المنع ، فعمل الحلي بفتوى من أجاز ذلك وأقام فيه الجمعة .
- وسأل السلطان أن يحضر فامتنع من الحضور ما لم يحضر قاضي القضاة ، فحضر الأتابك والصاحب بهاء الدين وعدة من الأمراء والفقهاء ، ولم يحضر السلطان ولا قاضي القضاة تاج الدين .
- وفيها : جلس منكوتمر بن طغان بن باتوتان بن دوشي خان بن جنكيزخان على كرسي مملكة القفجاق ، عوضاً عن الملك بركة خان ، بعد وفاته هذه سنة .
- وفيها : مات قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب المعروف بابن بنت الأعز
- سنة ست وستين وستمائة .
- وفيها : سار السلطان من العوجاء إلى يافا ، وحاصرها حتى ملكها من يومه
- في شهر رجب : جهز السلطان عسكرا إلى الشقيف ، ثم سار إليها بنفسه فنزل عليها وقدم الفقهاء للجهاد ، ونصب السلطان عليها ستة وعشرين منجنيقا ، وألح عليها حتى أخذها يوم الأحد سلخ رجب
- رمضان : السلطان مغير على أنطاكية فلم يرفع السيف عن أحد من الرجال وكان بها فوق المائة ألف ، وأحاط الأمراء بأبواب المدينة حتى لا يفر منها أحد ، واجتمع بالقلعة من المقاتلة ثمانية آلاف سوي النساء والأولاد ، فبعثوا

يطلبون الأمان فأمنوا ، وصعد السلطان إليهم ومعه الحبال ، فكتفوا وفرقوا على الأمراء ، والكتاب بين يدي السلطان ينزلون الأسماء .

- وكان بالقرب من أنطاكية عدة حصون ، فطلب أهلها الأمان ، فتوجه إليهم الأمير بيليك الأشرفي وتسلمها ، وأسر من فيها
- وفيه : تسلم الأمير آقسنقر الفارقاني حصن بغراس من الفرنج الداويه وكانوا قد فروا عنها وتركوا الحصن خاليا حتى لم يبق بها سوي عجوز واحد ، فوجدها الأمير شمس الدين عامرة بالحواصل والذخائر ،
- سنة سبع وستين وستمائة .
- وفي صفر . جلس الملك بركة في مرتبة الملك ، ، وجلس الأمير عز الدين الحلي والأمير فارس الدين الأتابك بين يديه ، والصاحب بهاء الدين وكتاب الإنشاء والقضاة والشهود ، وحلف له الأمراء والعساكر .
- وفي شعبان : مات الأمير عز الدين الحلي بدمشق .
- وفيها : كتب السلطان بإزالة الخمور وإبطال الفساد والخواطئ من القاهرة ومصر وجميع أعمال مصر فطهرت كلها من المنكر ، ونهبت الحانات التي جرت عادة أهل الفساد الإقامة بها ، وسلبت جميع أحوال المفسدات وحبسن حتى يتزوجن
- وفيه : تسلم نواب السلطان بلاطنس من عز الدين عثمان صاحب صهيون ، وهي حصن عظيم ،
- شوال : السلطان على عزم على الحركة الى الحجاز .
- سنة ثمان وستين وستمائة .

• جمادى الآخرة : ركب السلطان بمائتي فارس من غير سلاح ، وأغار على حصن الأكراد وصعد الجبل الذي عليه حصن الأكراد ومعه قدر أربعين فارسا ، فخرج عليه عدة من الفرنج ملبسين ، فحمل عليهم وقتل منهم جماعة ، وكسر باقيهم وتبعهم حتى وصل إلى خنادقهم ، وقال يستخف بهم : خلوا الفرنج يخرجوا ، فما نحن أكثر من أربعين فارسا ، وعاد إلى مخيمه ، ورعى الخيول مروجها وزروعها .

• في شوال : تمت عمارة الجامع الظاهري بالحسينية خارج القاهرة ، فرتب السلطان أوقافه ، وجعل خطيبه حنفي المذهب ،

• سنة تسع وستين وستمائة .

• في المحرم : ورد كتاب نوغاي قريب الملك بركة ملك التتار ، وهو أكبر مقدمي جيوشه ، يخبر فيه أنه دخل في دين الإسلام ،

• وفيه ورد الخبر بمسير الفرنسيس وملوك الفرنج إلى تونس ومحاربة أهلها ، فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة له على الفرنج ، وكتب إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته ، وأمرهم بحفر الآبار في الطرقات برسم العساكر ، وشرع في تجريد العساكر ، فورد الخبر . بموت الفرنسيس وابنه وجماعة من عسكره ، ووصول نجدات العربان إلى تونس وحفر الآبار ، وأن الفرنج رحلوا عن تونس في خامس صفر .

• وفي صفر : توجه السلطان إلى عسقلان ليهدم ما بقي منها خوفا من مجيء الفرنج إليها ، فنزل عليها وهدم بنفسه ما تأخر حتى سوى بها الأرض .

• وفي عاشر جمادى الآخرة : سار السلطان من القاهرة ومعه ابنه الملك السعيد إلى الشام ، فدخل دمشق في ثامن رجب ، وخرج إلى طرابلس فقتل وأسر .

واتصلت الغارات إلى صافيتا وتسلم السلطان صافيتا من الفرنج الديوية وأنزلهم منها ، وعدتهم سبعمائة رجل سوي النساء والأطفال ، وتسلم الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد مثل تل خليفة وغيره .

- وفي رجب : نازل السلطان حصن الأكراد ، وقدم عليه صاحب حماة وصاحب صهيون ، وصاحب دعوة الإسماعيلية الصاحب نجم الدين .
- وفيه : نصب السلطان عدة مجانيق على الحصن ، إلى أن أخذ القلعة
- وفي رمضان : نازل السلطان حصن عكار ونصب عليه المجانيق .
- وفيه : سأل الفرنج الأمان ، ورفعت السناجق السلطانية على الأبراج ، وخرجوا منه وعيد السلطان بالحصن ، ورحل إلى مخيمه بالمرج ، وكتب إلى متملك طرابلس يحذره وينذره .
- شوال : استولي السلطان على حصن العليقة من حصون الإسماعيلية
- في ذي القعدة ، نزل القرين وساق إليه ونازله حتى أخذه
- وفيه : أمر السلطان بإهراق الخمور ، وأبطل ضمانها
- سنة سبعين وستمائة .
- أهلت والسلطان متشدد في إراقة الخمور وإزالة المنكرات ، فكان يوما مشهودا
- وفيها : قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية ، فقبض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر ، واستمرت مضايقة حصونهم حتى تسلم نواب السلطان حصن الخوابي .
- وفي ربيع الأول : ركب السلطان من ظاهر حماة بعد عشاء الآخرة ، من غير أن

يعلم أحد قصده ، وسار على طريق حلب ، ثم عرج من شيزر وأصبح على حمص ، وتوجه إلى حصن الأكراد وحصن عكار وكشف أمورهما ، وسار إلى دمشق ، وكتب إلى مصر كتابا يقول فيه لأكابر الأمراء : ولدكم - ولبقيتهم أخوكم - ووالدكم يسلم عليكم ويتشوق إليكم ، وإيثاره ألا يفارقكم . وإنما قدمنا راحتكم على راحتنا ، . فطالما تعبوا واسترحنا ونعلمهم بالمتجددات ليكونوا لا كالمشاهدين وكمشاركينا في أكثر المجاهدين : فمنها حديث الإسماعيلية وحديث العربان ، وقد ورد الخبر بحركة التتار ، ولو عدنا لجفلت أهل البلاد . وأما الفرنج فعملوا سلالم من حديد ، وعزموا على مهاجمة صفد ووردوا بيروت ، فلما وصلنا البلاد انعكست آمالهم ومما يدل على التمكين تارة بالسيف وتارة بالسكين ، أن صاحب مرقية الذي أخذنا بلاده توجه إلى التتار مستصرخا ، وسيرنا وراءه فداوية ، وقد وصل أحدهم وذكر إنهم قد قفزوا عليه وقتلوه وأنا والله لا أبيت إلا وخيلي مشدودة ، وأنا لابس قماشي حتى المهماز

- وفي رجب : كثر اشتغال السلطان بعمل النشاب بيده ، فاقتدي به جميع الأمراء والخواص ، فلم يبق أحد إلا وهو متوفر على العمل . وعمل السلطان جملة نشاب بيده ، نحتها وريشها ونصلها .

- سنة إحدى وسبعين وستمائة .

- جمادى الأولى : ورد الخبر بنزول التتار على البيرة ونصبهم المجانيق عليها وإنهم قد حفظوا محاوض الفرات ونزلوا عليها ، ليعوقوا من يصل إليهم .

- فجهز السلطان الأمير فخر الدين الحمصي بعدة من عسكر مصر والشام إلى جهة حارم ، وجهز الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الرزبري في جماعة ، ورحل هو من ظاهر دمشق في ثامن عشر جمادى الأولى ، ومعه مراكب مفصلة محمولة

. وجد للسلطان في المسير حتى وصل إلى الفرات ، فوجد التتار على الشط ، فألقى المراكب التي حملها معه في الفرات وأشحنها بالمقاتلة . واقتحم الأمير قلاوون الألفي الصالحي الفرات ، فخاض ومعه عدة وافرة ، وصدم التتار صدمة فرقهم بها ومزقهم ، فألقت الأطلاب أنفسها في الفرات ، وساقوا فيها عوما الفارس إلى جانب الفارس ، وهم متماسكون بالأعنة ومجاديفهم ورماحهم ، وعليهم وعلى خيولهم الحديد ، وازدحموا في الماء ، فكان لقعقعة السلاح وأمواج الماء هول مفزع وطلع السلطان في أولهم ، وصلي في منزلة العدو ركعتين شكراً لله تعالي ، وبث العساكر يميناً وشمالا ، فقتلوا وأسروا عدداً كثيراً .

- وفي عشري ذي الحجة : استولي السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية : وهي الدينقة والقدموس والكهف ، وأقيمت هناك الجمعة وترضي عن الصحابة بها ، وعفيت المنكرات منها ، وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره .
- وفيها : استولي السلطان على عامة مدن برقة وحصونها .
- وفيها : تنجزت عمارة صخرة بيت المقدس .

(سنة اثنتين وسبعين وستمائة .)

- وفي المحرم : وردت الأخبار بحركة الملك أبغا ، فخرج السلطان من قلعة الجبل ، ومعه الأمير سنقر الأشقر ، والأمير بيسري ، والأمير أنامش السعدي . فلما وصل السلطان عسقلان كتب إلى القاهرة بخروج العساكر جميعها والعربان من ديار مصر ، صحبه الأمير بيليك الخازندار ، ورسم بأن كل من في سائر مملكته له فرس فإنه يخرج إلى الغزاة ، وأن تخرج كل قرية من قري الشام رجالة يركبون الخيل على قدر حالهم ، ويقوم من بالقرية بكلفة من يتوجه ، ودخل السلطان إلى دمشق

- جمادى الأولى : مات الأمير فارس الدين أقطاي الصغير المستعرب الصالحي النجمي ، أتابك العساكر بديار مصر ، عن سبعين سنة
- سنة أربع وسبعين وستمائة .
- وفيها : حضر ابن أخت ملك النوبة واسمه مشكد متظلما من داود ملك النوبة ، فجرد السلطان معه الأمير آقسنقر الفارقاني ،
- وفيها : اجتمع القضاة والأمراء والأعيان بقلعة الجبل ، وعقد للملك السعيد على غازية خاتون ابنه الأمير قلاوون الألفي ،
- وفيها : شنق السلطان الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز من أجل أنه شرب الخمر ، وعلقه تحت قلعة الجبل .
- سنة خمس وسبعين وستمائة .
- ربيع الأول : ورسم بتجهيز مهمات العرض ، فأخذ الناس في التجهيز ، وغلت الخيول والأسلحة ، وعدم صناع صقل العدد من القاهرة لاشتغالهم بالعمل عند الأمراء ، وعز وجود صناع النشاب ومقومي الرماح .
- وفي جمادى الأولى : وقع العرض ، فركبت العساكر بكمالها وقد لبسوا أجمل العدد ، وقصد السلطان بركوبهم في يوم واحد حتى لا يستعير أحد من أحد شيئا
- وفيه : رحل السلطان يريد قيسارية الروم ، فاستولي في طريقه على عدة بلاد
- وفيه : تلقاه أهل قيسارية من العلماء والأكابر والنساء والأطفال ، واحتف به الفقراء الصوفية ، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل ، وأقبل الروم من كل جهة ، وضربت نوبة آل سلجوق على عادتها ، وحضر أصحاب الملاهي كما هي عادة الروم

، فنهوا عن الضرب بالآلات وعن الغناء ، وقيل لهم : هذه الهيئة لا تتفق عندنا ، وما هذا موضع الغناء ، بل موضع الشكر .

- سنة ست وسبعين وستمائة .
- يوم الخميس سابع عشري المحرم بعد الزوال وفاة السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري .

3 مجريات بيبرس :

1) بيبرس والدين القديم :

أتفق الامراء على أتابكية **عز الدين أيبك التركماني** على ان يكون الرأي والتدبير **لأم خليل** .

عندما ثار العربان بعد العودة من المنصورة ومالوا الى الفتنة ونهب البلاد بعث السلطان **المعز** بمئتان فارس **وبيبرس** يومئذ بينهم فأوقع بهم أشد نكال وأرمل الحلائل وفتك بالرجال وهجم بنفسه على **ابن حاتم** قائد العربان وزعيمهم فقتله وأحضر رأسه على رمح

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 51)

ثم حدث ما حدث وتسلطن وتسمى بالملك **أيبك** فبات يضمر السوء **لفارس الدين أقطاي** وهو يومئذ كبير البحرية .

فلما كان يوم الأحد طلب **السلطان** بحضور **الفارس** فحضر فطلع عليه **قطز** فارداه قتيلا بمساعدة جماعة .

لما **بلغ ركن الدين** أن أمرا ما قد وقع بالقلعة قطع بموت **الأمير فارس الدين أقطاي .**

أجتمع **ركن الدين** بالامراء فجعل كل أحد يشير إلى رأي فلما أصبح الصبح سافر في

جماعة من أهل النجدة يتبعونه في الرخاء والشدة وأصبح الصبح ولم يقع أحد له على خبر ولا رأى احد له ولا لهم اثر .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 54)

أصبح كل متأخر يؤخذ ويهان حرمته وحريمه ويسلب الحاضر ويقيد والغائب يرسل خلفه فيمسك فأمتلات بهم الأحباس والأجبان .

فلما زال ظل **الفارس أقطاي** أحرقتهم شموس الحتوف وتجاسر عليهم من كان لا يتجاسر أن يكلم أحدا منهم بكلمة وصارت الأرض لا تسع الهارب ويود كل منهم لو قبر حيا حتى يستريح من تلك الذلة وذلك الخوف , فأستغنى بأموالهم كل فقير وسكن أملاكهم كل طريد .

فنزل **السلطان الظاهر** عند **الملك الناصر يوسف** صاحب دمشق هو وجماعة من اصحابه البحرية ففتحوا له الكثير من البلاد واستولوا عليها كل ذلك **والملك الناصر** يحسن اليهم حتى وصل **نجم الدين البادرائي** رسول بغداد فأصلح بين **الناصر وبين الملك المعز** فأشتغل **الناصر** عنهم وتغير عليهم وضاقت بهم الأموال ثم خرجوا إلى الكرك عند **الملك المغيث** فقصدوا ملك مصر حتى وصلوا العريش فقابلهم **قطز** في طليعة جيشه ففعل بهم **ركن الدين** ما لم يفعله عنتره في الجاهلية ولا ابطال الاسلام فشفي غليله .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 61)

صار يوم في ثلاثة انفس بغير زاد لا يأكلون الا الشعير ويستفون الدقيق .

وأقام ثلاثه أيام ما أكل شيء ووجد قطعة سكر فلم يجد شيئا يذيبها فجعلها في فمه وبلها بريقه فأرسل **الله** سبحانه وتعالى مطرا ولم يكن معه ما يشرب به والأرض رمل لا يجتمع فيها ماء فوجد السلطان حافر فرسه قد اجتمع فيه ماء فشرب منه ووجد يسير تبن

في مكان لو كانت فيه جبال رمال لأذهبتها الرياح كأن **الله** أرسله له رفقا به ولطفا فنزل السلطان وشكر **الله** وجعل ذلك في طرف قبائه وأطعمه فرسه وكان ذلك سبب السلامة

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 61)

فلما توالت اخبار العدو التتري بقصد الشام صار يعرض نفسه على **الملك الناصر** ويقول له لو جهزت معي عسكرا فيه ثلاثة الاف فارس الى العدو والمكان الذي هم فيه فلم يقبل **الناصر يوسف** .

لما يئس **السلطان** من **الناصر** صار الى غزه ثم سير الى الديار المصرية الامير **علاء الدين طيبرس الوزيري** الى الملك **المظفر سيف الدين قطز** فاستوثق منه وحضر إليه وفي صحبته جماعة من خشداشيته تحدث **الملك المظفر** معه في امر الجهاد فقوي نفسه وثبت جأشه .

اتفق ما اتفق من خروج **الملك المظفر** الى الصالحيه واوقع **الله** في قلبه الخروج الى الغزاة فسار يجتمع بالسلطان في هذا المعنى فيشير عليه بما فيه مصلحة الإسلام .

فخرج صحبته العساكر وسار **السلطان** بصحبته يركب بركوبه وينزل بنزوله ولم يبقى وجها من وجوه الخدمه الا بذلها له .

طلع الى الجبل الذي يعلو **عين جالوت** واقام طول ليله هو ومن معه على ظهور الخيل والتتار قريبا منهم حتى جاء جيش **المظفر** فأعلمه بقرب العدو ويظهره على عوراته ويقلله في اعينهم .

فلما وصلت العساكر وقف في صدر العدو وصبر على نكاية صدمته الاولى حتى رأى العدو منه شجاعة ما سمع بمثلها ورآه المسلمون فثبت فيهم فجسروا على الأعداء .

لما خلع العدو الى الجبل منهزما طلع الملك راحلا خلفه ووقف قبالته والناس تتسامع بوقوفه ويطلعون إليه من كل جانب وهو يقاتل قتال من أستقتل وصارت الرجالة تطلع

وتأخذ رؤوس من يقتل وتحمل إلى الملك **المظفر** .

ولما نزل لم يشغله ما قاساه من نصب وساق خلف العدو وتبعه الناس ولم يزل سائقا ليله ونهاره لا يصبر وهو يقتل ويأسر والعدو بين يديه منهزم

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 64)

لم يبق **الظاهر** أمامه أحد في بلاد الشام ولا حلب وسير الى حماة وحمص من أمنها وطمأنها

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 66)

لما توجه الملك **المظفر** الى مصر **والسلطان** بصحبته صار يظهر تكبرا وتغيرت نيته .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 66)

فاخذ المملكه باليد .

(ابن اياس – بدائع الزهور 307/1)

" وأخذ ثأر أخيه الأمير فارس الدين اقطاي " .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 79)

والأحداث بمجملها لا تدين بيبرس بقدر ما تعبر عن واقع موجود وحالة عامة كانت بين الأمراء المماليك يتحمل وجودها كل الأمراء بلا استثناء سواء القاتل أو المقتول .

فالقاتل يريد البقاء والسيطرة لأنه يعتقد أنه الأفضل من خلال تربيته وعقليته ووضعه الاجتماعي والعسكري ، والمقتول أيضًا يتحمل المسؤولية كونه أقر بواقع المؤامرات واقتناعه بقاعدة ضرورات الحكم.

فسياسة الاغتيالات والمؤامرات ، لم تبرأ فيها ذمة أحد ، فكلهم أتقنوا نظرية ضرورات الحكم ووجدوا لها من المبررات ما يقيهم عقدة الذنب .

فالمملوك الذي نشأ في النظام العسكري منذ طفولته وأتقن لعبة الموت ولم يعش داخل

أسرة فيها الأب والأم والإخوة ، كان لابد أن يختلف تفكيره عن تفكير من نشأ في ظروف طبيعية ، ولذلك فمن غير المعقول أن نغفل تلك النشأة ، ولو كان ما حدث بين المماليك إجراما لوجدنا من المصادر المعاصرة لهم ما يفيد بذلك ، لكن الكتابات في معظمها ذكرت الأحداث دون الإشارة إلى الإجرامية ، بل ربما اعتبرت ذلك قوة وحنكة عسكرية ، أو من ضرورات الحكم فيجب على كل من يتولى الحكم آنذاك أن يكون حازما قويا ، ليحافظ على العرش والنظام العام .

(هاني فخري – النظام العسكري 47)

حرص الظاهر الا يظهر بصورة السلطان الذي يفتك بالامراء المماليك بعد حادثة **المظفر قطز** فكان دائما ما يبدو كريما مع مخالفيه وواقع الامر ان ذلك **السلطان** الداهيه اراد الظهور بمظهر الكرم والتسامح مع المتآمرين على الرغم من مقدرته التامة على اتباع سياسة دموية حيالهم من اجل كسب الأنصار والأتباع .

(قاسم عبده قاسم –عصر سلاطين المماليك)

2) بيبرس والثورات الداخلية :

كان مبدأ الحكم لمن غلب هو الذي جاء **بالسلطان** الى العرش وكان يحرك الطامعين في العرش ومن ثم كان على بيبرس ان يعاني هذا المبدا ايضا في بدايه سلطنته .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 88)

ففي نشبت عدة ثورات داخلية في آن واحد :

سنجر الحلبي نائب **دمشق** الذي استاء كثيرا من اغتيال **قطز** ورفض الاعتراف بسيطرة **بيبرس** وبادر بنفسه ملكا على **دمشق** واتخذ لقب **الملك المجاهد** وركب بشعار السلطنه وضربت السكة بأسمه وانف الطاعة .

(المقريزي –السلوك 521/1)

ثم بعث لاصحاب **حلب وحماه وحمص** ليدخلوا في طاعته فرفضوا .

بعث له **بيبرس** لاقناعه بالعدول عن موقفه ولزوم الطاعة . ثم بعث **بيبرس** بحمله عسكرية بقيادة استاذه **علاء الدين البندقداري** حتى نجح في اخماد الفتنة واستاقه الى القاهرة مكبلا وعين استاذه على دمشق .

المغيث عمر صاحب الكرك فتحرك **بيبرس** اليه فبعث يستنجد **بالخليفه العباسي** بالقاهرة **الحاكم بامر الله** يسأله الشفاعة فشفع فيه وقبل **الظاهر** شفاعته وابقاه على الكرك .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 106)

شمس الدين البرلي الذي حاول الاستقلال **بحلب** ولكن الفشل كان من نصيبه , جمع معه التركمان والعرب فاقام نحو اربعه اشهر ثم توجه الى البيرة وأخذها ومضى الى حران فاقام بها وصار يقرب من حلب ويبعد عنها خوفا من السلطان حتى أعلن ولائه **للملك الظاهر** .

حصن الدين ثعلب جدد ثوره العربان ولكن **بيبرس** كتب لثوراته النهايه وشنقه في الاسكندرية

(القلقشندي – صبح الاعشى 69/4)

تمرد الكوراني :

رجل شيعي اظهر الورع والتقوى والزهد وسكن قبه جبل المقطم وجمع حوله بقايا الجنود السود الذين كانوا موالين للشيعة فأخذ يحرضهم على الاطاحة **ببيبرس** واقامة حكم شيعي وانسابوا في شوارع القاهره وهم يصيحون **يا آل علي** .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك)

ثم اقتحموا اسطبلات الجنود واخذوا ما فيها من خيل ففتحوا دكاكين السيوفيين بين القصرين وأخذوا ما فيها من السلاح واقتحموا اسطبلات الاجناد واخذوا منها الخيول فلما صاروا في الليل ركب العسكر وأحاطوا بهم وربطوهم فاصبحوا مصلبين خارج باب زويلة وسكنت الثائرة .

(المقريزي – السلوك 522/1)

3) بيبرس والمعاهدات الدوبلوماسية :

ما الذي يجب ان تفعله اذا ما كان الجيش ضعيفا وجيش العدو قويا ؟

ان مواجهته في عنفوان قوته وهو على هذا الحال خطأ لا يغتفر ويشبه ذلك من يقوم بإستثارة ثعبان مختبئ في وجاره بينما هو غير مسلح بما يمكنه ان يقوم بمواجهته بقتله وبذلك يعرض نفسه لخطر ومغازلة الموت بما صنعت يديه . وتأخيرك للقتال فإنك تفعل ما هو نافع لك .

(فرسان الاسلام 253 –جيمس واترسون)

ورث بيبرس إرث ثقيل من أسلافة فكان علية أن يتقن دور الحاكم الدبلوماسي كما كان دائما يجيد أداء أدوار الفارس العسكري الذي لا يشق له غبار .

هجمات يشنها المغول من الشرق وأخرى تأتي من الصليبيين من الغرب , لم يكن المسلمون في أي يوم في وضع اشد ضعف طوال تاريخهم مثل ذلك اليوم , الله فقط الذي ينقذهم من هذه المحنة .

(ابن الأثير – الكامل في التاريخ)

فأقامه الله عز وجل في تلك الحقبة للقيام بدور سيخلده له التاريخ ويجعله أعجوبة زمانه ويجري ذكره على لسان الحاضرين والمتأخرين .

حينئذ جاءهم الموت من فوقهم ومن أسفل منهم واصبح ثغرهم الذين ظنوه عاصما لهم .

اصبح لا يغني عنهم شيئا واصبح قتالهم قتال مستقبل لا يرى من الموت بد امام من قدموا انفسهم رغبه الى الله لا لشيء , رأوا الجنة تحت ظلال السيوف فلم يروا دونها وتحققوا ما وعده الله اهل الشهادة .

ومصر لا يعوزها مال ولا رجال وإنما يعوزها ايمان وعمل , والايمان بعون الله راسخ والعمل باذن الله سيجري على قدم وساق .

(نور الدين خليل – المماليك المفترى عليهم 74)

بالاضافة الى ما كان يمتاز به **بيبرس** من مهارة قتاليه ودهاء عسكري لقد تميز ايضا ببعد نظر سياسي وقدر كبير من الدبلوماسية جعله جديرا بالمكانه التي احتلها في صفحات التاريخ وفي قلوب ابناء مصر والمنطقة العربية , وكان يمهد لكل عملية من عملياته العسكرية بمعاهدات واتفاقيات دولية كان يعقدها مع القوى المعاصرة .

لقد استخدم بيبرس كل امكانياته الدبلوماسية لكي ينفرد بأمراء المستوطنات الصليبية في بلاد الشام وفلسطين .

(قاسم وعبد قاسم– عصر سلاطين المماليك 96)

1262م ارسل الى **ميخائيل فاليو لوجوس الثامن** قائد **الامبراطورية البيزنطية** سفارة على رأسها **الامير فارس الدين اقوش المسعودي** وتضم عدد من الاساقفة المسيحيين الارثوذكس فرحب بهم في **القسطنطينية** واكرمهم بل ان حاكم **القسطنطينية** ركب يوم **بفارس الدين اقوش المسعودي** ليريه عمائرها . فأراه جامع وقال **"جامع قد أبقيته يكون ثوابه للسلطان "** , فلما سمع السلطان ذلك فرح واعجبه كون **الله سبحانه وتعالى** قد هيأ هذه الحسنة في ايامه وأمر لوقته بتجهيز الحصر والقناديل المذهبة والسطور المرقومه والمباخر

والسجادات والمسك وماء الورد والعنبر والعود .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 129)

وحصل بموجب المعاهدة على اذن بمرور سفينتين تحملان المماليك عبر مضيق **البوسفور** الى **البحر الاسود** ذهابا وايابا مرة في كل سنة .

(نور الدين خليل – المماليك امفترى عليهم 77)

كذلك كانت له علاقات ودية مع " **الفونسو العاشر** " **ملك قشتاله الاسباني**

وفي الشرق كان لابد من محالفات ضد **مغول فارس** الخاضعين **لهولاكو** وبنيه , فبسط حالة صداقه مع **بركه خان** زعيم **القبيلة الذهبية** الذي كان اول من اعتنق الاسلام من ابناء **جينكيز خان** .

كانت بلاد الخان المسلم من تركستان شرقا حتى شمال البحر الاسود غربا وهي " بلاد القفجاق " كما تزوج بيبرس من ابنته وأمر بالدعاء له على منابر القاهرة والقدس والحرمين بمكه والمدينة .

(قاسم وعبد قاسم– عصر سلاطين المماليك 97)

استقبل التتار المستأمنة " **الوافدية** " وأنشا لهم باب **اللوق** وبذلك ضمن حلفاء اقوياء ليحمي ظهره من ناحيه مغول فارس .

اقام الظاهر علاقات طيبة مع الامارات الأوروبية الواقعة على حوض البحر الابيض المتوسط .

تبادل الهدايا مع **مانفريد** حاكم **صقلية** حين ارسل وفدا **عام 660 هـ – 1261م** برئاسة **ابن واصل المؤرخ** وحمله هدايا جليلة من **الزرافات** وبعض اسرى **عين جالوت** .

اضافه الى العلاقات التجارية الطيبه بين **الظاهر وجمهوريات ايطاليا** الثلاث " **البندقية**

وجنوة وبيزا " .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك – 148)

فأضحى بأستطاعته ان يواجه الصليبيين في بلاد الشام وهو مطمئن .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك112)

4) بيبرس والزعامة الدينية :

إن فكرة الزعامة الدينية تعمل في الرؤوس مالا تعمله اساليب السياسة أيا كان نوعها ومالا تناله أسنة السيوف مهما كانت أراقت من دماء .

(جمال الدين سرور – دولة الظاهر بيبرس 61)

من هذا المنطلق عمل بيبرس كثيرا ليحيط عرشه بسياج من الحماية الروحية ويبعد منافسيه من امراء المماليك وان يظهر أمام العالم بمظهر الحامي للخلافة وحامي الاسلام

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 93)

ففضلا على ما نالته دولة سلاطين المماليك من مكانة ابان نصر **عين جالوت** العظيم حتى ان **المظفر شمس الدين** سلطان دولة **بني رسول في اليمن** حج بجيش كبير في العام التالي للمعركة وفي ارض **الحجاز** طلعت اعلامه الشريفة واعلام سلطان مصر فقال له احد امرائة : " **هلا اطلعت اعلامك يا مولانا قبل اعلام المصريين** " , فرد سلطان اليمن قائلا : "**اترابي أؤخر اعلام ملك كسر التتار بالأمس واقدم اعلامي لحضوري** "

(الخزرجي –العقود اللؤلؤية 69)

ليس له غير الجهاد شغل , متمسك بأهداب الشرع , حريص على إقامة اوامره , يتودد الى الرعية ويرعى مصالحها , مهتم بترميم أماكنها المقدسة يقوم بزيارتها ويعمر المساجد

والمدارس وفوق كل ذلك أعاد الخلافة العباسية حتى ظفر في النهاية بكل ما سعى اليه يوما يقول (ابن شاهين الظاهري) : ولا يطلق **سلطان** الا لصاحب مصر نصره الله فانه الان اعلى الملوك و اشرفهم لرتبة سيد الاولين والاخرين و تشرفة من امير المؤمنين بتفويض السلطنه له على الوجه الشرعي لعقد الأئمه الأربعة .

وصل **السلطان** الى بيت المقدس وزار مواضع الزيارة وطلع على القبة التي على الصخرة من خارجها هو وشيخ الحرم وشاهد ما ذكر انه يحتاج الى العماره و رأى ذلك بنفسه .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 162)

ثم نزل الى غزة راجعا فقام ليسبغ الوضوء سحرا على عادته وتفرقت الخاصكيه للوضوء والتهيئ لصلاة الجماعه وقام السلطان يتركع قبل الاذان.

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 168)

كان قد بلغته اخبار ان التتار قد جهزوا ركبا الى الحجاز وقصدوا كشف الطرقات والتلصص واستباحة دم الحجاج في الحرم فأقدم وتقدم وعزم الجمع بين الحج والجهاد .

هذا وقاضي القضاة مرافقه طول الطريق يستفتيه ويفهم منه امر دينه

جلس على باب الكعبه واخذ بأيد الناس ليطلع بهم الى الكعبة .

علق كسوة البيت الشريف بنفسه وسبل البيت لسائر الناس وتردد الى الصالحين . **ما ترك مزارا ولا اغفل منسكا** .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 355)

راح **بيبرس** يحمل الناس على اتباع **المذاهب السنية الاربعة** ومنع الناس من اتباع ما عداها كما حرص على حصر وظائف القضاء ومهام التدريس والخطابة وامامة المسجد على اتباع هذه المذاهب .

سأل الظاهر **الشيخ العز بن عبد السلام** عما ينبغي ان يفعله ويكون فيه صلاح للدولة

فأجابة: " **ان الدولة لا تقوم الا بأمرين احدهما قيام الشرع الشريف والثاني تحصيل الاموال من وجوهها ولا ارى لمنصب القضاة مثل** **تاج الدين** **يريد** **ابن بنت الاعز** **وللوزارة مثل** **بهاء الدين علي** "

(النويري – نهاية الأرب 46/30)

ثم قام **بيبرس** بتطوير القضاء , كان في عهد **الايوبيين** من يقوم على اعمال الديار **المصرية** قاضي واحد على المذهب **الشافعي** له حق تعيين نواب عنه في الاقاليم .

فلما جاء **بيبرس** أمر **القاضي ابن بنت الاعز** ان ينيب عنه مدرس **المدرسة الصالحية** من **الحنفية والمالكية والحنابلة** للفصل في بعض القضايا ولم يكن هذا تدبير معروفا في مصر من قبل .

وما زال **السلطان** يطور النظام القضائي حتى ثبته وجعله مبدأ رسميا **في ذي الحجة 663 هـ** فعين اربعة قضاة يمثلون المذاهب **الاربعة** رسم لهم ان يعينوا لهم نوابا في الديار المصرية .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 15)

5) بيبرس والخلافة العباسية :

بعد وفاة النبي صلى الله علية وسلم لم يكن للإسلام إلا دولة لا تتجاوز حدودها **شبه الجزيرة العربية** , ولكن سرعان ما بدأ التوسع في سرعة لا يصدقها عقل .

أستطاع الإسلام ان يقتطع رقعة دولته في مدى قرن واحد , انتزع **الشام** من **البزنطيين** ثم **مصر** ثم وضعت **معركة نهاوند** حد لكل مقاومة من **بلاد فارس** ثم تقدموا نحو **افريقية** حتى تمكنت ايدي **المسلمين** منها , مما مكنهم من استخدامها كقاعدة للانطلاق نحو **الاندلس** ثم آنس **المسلمين** من انفسهم قوة على عبور جبال **البرانص** ثم وجد انصار جدد في **الهند واسيا الوسطى وافريقية** .

كانت **المسيحية اللاتينية** قد فازت **بأوروبا الشمالية** واقتحمت المناطق الممتدة على سواحل بحر **البلطيق** .

ونشرت **المسيحية اليونانية** الوية الأنجيل على مناطق كبيرة من **البلقان** ثم توغلت الى **روسيا** .

كانت الدولة آنذاك وظائفها محصورة على حماية أراضيها والذود عن عقيدتها والسلطة تتركز في حاضرة الدولة حول شخص " **الخليفة** " .

ظلت **الخلافة** قائمة بدور حامي حمى العقيدة دون ادخال اي تطور على مجموعة التعاليم الدينية ولا حتى مجرد تأويلها .

عكس ما جرى في **اوروبا** إذ استمر الصراع بين **الدولة والكنيسة** عنيفا لجوجا من جيل الى جيل , كل من **المسيحية اللاتينية واليونانية** تدعي انها الوارثة الشرعية **لروما القيصرية** .

ظلت وحده الإسلام سليمة في الاذهان على الرغم من تجزأ الخلافة إربا .

(حضاره الاسلام 15 إلى 19–جوستاف فون)

فلما توالت السنين وقوي نفوذ الأتراك في الدولة العباسية وضعف الخلفاء, في هذه الفترة من تاريخ بني العباس لا يخرج عن كونه سلسلة مستمرة من المنازعات بين الخلفاء من جهة وبين الاتراك من جهة اخرى على ان نتيجة هذا النزاع كانت واحدة دائما وهي الفوز للاتراك والذله للخلفاء .

قام الخليفة المعتضد بأعادة مركز **الخلافة العباسية** من **سامراء** الى **بغداد** ولكن لم يتغير تيار الحوادث وأستمرت القوى الحقيقية في ايدي قوات الجيوش من **الاتراك** .

حاول **الخليفة الراضي** ان يقيل الخلافة من عثرتها فأوجد منصبا جديدا اطلق على

صاحبه **امير الامراء** وهو منصب يعلو **الوزير** لصاحبه الحق في التصرف في كل شؤون الدولة ويرأس الجيش ويسيطر على مالية الدولة وله ان يولي ويعزل من الحكام ما يشاء كذلك يذكر اسمه في خطبة الجمعة فاصبح **الخليفة** لا يملك من الخلافة الا اسمها .

ففاقت هيبة الخلافة وسطوتها ونشأت في انحائها المختلفة دويلات مستقلة انفصلت عن جسم الخلافة العباسية .

استطاع بعض ذوي النفوذ الديني والسياسي ان يؤسسوا انفسهم في بقاع الدولة المختلفة منتهزين فرصة ضعف الخلافه العباسية في بغداد .

(الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي23 , 24– حافظ احمد حمدي)

أستمر هذا الوضع حتى جاء التتار فما أبقوا للمسلمين على خليفة ولا خلافة وبقي الناس بلا خليفة نحو من ثلاث سنين .

والخليفة هو الذي يستخلف ممن قبله والجمع خلفاء وخلائف .

والخلافة : الامارة وفي العرف العام تطلق على الزعامة العظمى وهي الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها .

والذي عليه العرف المشاع من صدر الاسلام وهلم جرا اطلاق اسم الخليفة على كل من قام بأمر المسلمين القيام العام إما ببيعة من أهل الحل والعقد وإما بعهد ممن قبله الا ان بعض السلف قد خصص ذلك بما اذا كان جاريا على منهاج العدل وطريق الحق .

(القلقشندي –ماثر الاناقة 9/1)

وبعضهم يعرفها بأنها حراسة الدين وسياسة الدنيا .

(الماوردي – الاحكام السلطانية 15)

وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع والادلة على وجوبها كثيرة منها ان طبيعة البشر تستلزم وجودها لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل

بينهم عند التنازع . ولولا ذلك لكانوا فوضى مهملين .

(القلقشندي –ماثر الاناقة 29/1)

فلابد للأمة من امام يقيم الدين وينصر السنة وينصف المظلومين من الظالمين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها .

(القلقشندي –ماثر الاناقة 29/1)

وبعد عين جالوت وتحقيق النصر العظيم . . . . . .

استمر **بيبرس** في سياسته لتوطيد حكمه فلم يكلفه من الجهد الا قليلا وبقي عليه ان يضفي على حكمه رداء **الشرعية** , رأى الحل السعيد في احياء **الخلافة العباسية بالقاهرة** ومن ثم الحصول على تفويض من الخليفة بالحكم .

لم يكن **بيبرس** أول من فكر في مشروع أحياء **الخلافه العباسية** ولكنه اول من نجح في تحقيق ذلك والتاريخ تصنعه الافعال لا النيات .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك)

ان **بيبرس** ليس اول من فكر في ذلك من الملوك والسلاطين الذين تداولوا حكم مصر والشام وانما هو الذي نجح في تحقيق ذلك فقط .

ففي عام 882 م في ولاية **ابن طولون** لمصر سار **المعتمد** نحو ام البلاد وكان سبب ذلك انه لم يكن له من **الخلافة** غير اسمها ولا ينفذ له توقيع لا في قليل ولا في كثير وكان الحكم كله **للموفق** والاموال تجبى اليه فضجر **المعتمد** من ذلك وانف منه فكتب الى **احمد بن طولون** يشكو اليه حاله سرا من اخية **الموفق** فاشار عليه **ابن طولون** باللحاق به بمصر ووعده النصرة

(ابن الاثير – الكامل في التاريخ)

كذلك جرت محاولة اخرى من الاخشيد عندما تأزم الموقف بين المتقي وبين الحمدانيين

والأتراك (333هـ-944م) .

والناصر يوسف أول من فكر في أحياء الخلافة ولكن لم يمكن من ذلك .

(عاشور – العصر المماليكي 342)

لم ينسى **بيبرس** والمماليك انهم انتزعوا الحكم من سادتهم الايوبيين فراحوا يبحثون عن سند شرعي يبرر حكمهم للبلاد .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 92)

كان **قطز** قد فكر في احياء **الخلافة** عام **658** هـ بعد انتصار **عين جالوت** ولكن موت **السلطان** حال دون ذلك .

كان **قطز** قد أمر بالارسال الى امير **عباسي** يدعى ابا **العباس احمد** من **دمشق** وامر بارساله الى **مصر** تمهيدا لارساله الى **بغداد** وتذكر الروايات ان **المظفر** بالفعل بايعه وهو في **دمشق** .

(السيوطي – تاريخ الخلفاء 530)

ثم بدأ **ركن الدين بيبرس** بأتخاذ اجراءات التنفيذ فأستدعى الامير **ابو العباس احمد** الذي كان **قطز** قد بايعه من قبل فلم يحضر وفي نفس الوقت جاء امير عباسي اخر يدعى **ابا القاسم احمد** فكتب الاميران **علاء الدين طيبرس** نائب **دمشق وعلاء الدين البندقدار** كتابا الى الملك **الظاهر** يعلمانه بذلك فكتب اليهما يوصيهما به خيرا وان يقوما بخدمته ويعظمنن حرمته وارساله الى القاهرة .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 94)

خرج **السلطان** الى لقائه ومعه الوزير الصاحب **بهاء الدين ابن حنا** وقاضي القضاة **ابن بنت الاعز** وسائر الامراء وجميع العسكر وجمهور اعيان القاهرة ومصر ومعظم الناس من الشهود والمؤذنين وخرجت اليهود بالتوراة والنصارى بالانجيل فسار **السلطان**

به الى باب النصر ودخل الى القاهرة وقد لبس الشعار العباسي وخرج الناس الى رؤيته وكان من اعظم ايام القاهرة وبالغ **السلطان** في اكرامه واقامة ناموسه .

(المقريزي –السلوك 529/1)

ولكن **الخليفة** الجديد ما نسي تاره القديم وحسن له البعض مهاجمة بغداد واسترجاع ملك آبائة القديم فصار بصحبة الأمير ابو العباس احمد وبعد العربان والتركمان وبعض الأمراء لمهاجمة المغول ولكن . . . .

سار قرابغا الذي استخلفه هولاكو في بغداد للقاء الخليفة فلقيهم الخليفة ولكن خذله العرب والتركمان فلم يقاتلوا معه وفروا فاحاط التتار بالخليفة ومن بقي معه لم يفلت منهم سوى الامير ابي العباس احمد ولم يعرف للخليفه خبر .

(المقريزي –السلوك 541/1)

ثم وصل الى القاهرة **ثاني محرم عام 661** الحاكم بأمر **الله ابي العباس احمد** , جلس السلطان مجلس فيه جميع الناس وحضر الامام الحاكم سلام **الله** عليه فاقبل السلطان عليه وبايعه على كتاب **الله** ورسوله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد اعداء **الله** واخذ اموال الناس بحقها وصرفها في مستحقها والوفاء بالعهود واقامة الحدود ثم اقبل على **السلطان** وقلده امور البلاد والعباد ووكل اليه تدين الخلق وجعله قسيمه في القيام بالحق وفوض اليه سائر الامور ثم اخذ الناس على مبايعته على اختلاف طبقاتهم ولم يبقى ملك ولا امير ولا وزير ولا قاضي ولا فقيه الا وبايعه .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 142)

وبعد ان تمت بيعة **الخليفة** الجديد قلد **الخليفة الظاهر بيبرس** حكم البلاد والعباد وجعل اليه تدبير الخلق واقامة قسيمه في القيام بالحق وفوض اليه سائر الامور , فلما كان يوم

الجمعة خطب الخليفه في الناس : " الحمد لله الذي اقام لال العباس ركنا وظهيرا وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا حتى قال ايها الناس اعلموا ان الامامة فرض من فروض الاسلام ثم ذكر اهوال التتار في بغداد وانهى خطبته **قائلا : " وهذا السلطان الملك الظاهر الاجل العالم لعادل المجاهد المرابط ركن الدنيا والدين قد قام بنصر الامامة عند قلة الانصار فاصبحت البيعه منتظمه العقود والدوله العباسيه به متكاثرة فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة "**

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 145)

ان الظاهر **بيبرس** حقق للأمم الاسلامية في الشرق الاسلامي ما كانت تصبوا الية اذ كانت في ذلك الوقت متعلقة بأهداب الخلافة ناظرة الى الخليفة نظرة اكبار واجلال كما كان المسلمون في الوقت نفسه ينظرون الى من يحقق فكرة اقامة الخليفة بنفس العين التي كانوا ينظرون بها الى الخليفة.

(جمال الدين سرور – دولة الظاهر بيبرس 61)

ان **السلطان** من ملوك بني ايوب ومن قام بعدهم من ملوك الترك لابد اذا استقر في سلطنة ديار مصر ان يلبس خلعة السلطنة ويدخل الى القاهرة راكبا والوزير بين يديه على فرس وهو حامل عهد السلطان الذي فوضه له الخليفة بسلطنة مصر على راسه وقد امسكة بيديه وجميع الامراء ورجال العساكر مشاه بين يدية .

(المقريزي – الخطط 106)

ان مصر من حين صارت دار الخلافة عظم امرها وكثرت شعائر الاسلام فيها وعلت فيها السنه وعفت منها البدعة وصارت محل سكن العلماء ومحط رجال الفضلاء وهذا سر من اسرار الله اودعه في الخلافه النبوية حيث ما كانت يكون معها الايمان والكتاب

(السيوطي – حسن المحاضرة 92/2)

والحقيقة ان **بيبرس** لم يردها ان تكن خلافه ظل كما يرى البعض , **قال ذات يوم** : "الذي انفقته على الخليفه الف الف وستين الف دينار ذهب كل هذا رعايه لحق **الله** ورغبه في تعظيم شعائره ولكن الاقدار لا تعاند وما النصر الا من عند **الله** اذا اراد شيئا امضاه .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 76)

صار من بعده ملوك مصر الاتراك يقيمون رجلا يسمونه الخليفة ويلقبونه بلقب الخلفاء وليس له امر ولا نهي ولا نفوذ كلمة , بل يتردد الى أبواب الامراء واعيان الكتاب والقضاة لتهنئتهم بالأعياد والشهور .

(المقريزي – السلوك)

الاستعانة بالخلافة واجهة دينية وشرعية دون ان يكون للخليفة سوى الدعاء على المنابر في صلاة الجمعة والخلافة خلافة صورية ليس له منها امر ولا نهي وحسبه ان يقال له امير المؤمنين .

(قاسم وعبد قاسم– عصر سلاطين المماليك 91)

ليس لهم من الملك الا الرسم بل الموجود منهم مع سلطان مصر كالصفر المثبت في احد مراتب الاعداد .

(يحيي ابن الحسين – غاية الاماني 447/1)

والذي استقر علية حال الخلفاء بالديار المصرية ان الخليفة يفوض الامور للسلطان ويكتب له عنه عهد بالسلطنة ويدعى له قبل السلطان على المنابر الا بمصلى السلطان خاصة في جامع مصلاه بقلعة الجبل المحروسة .

6) بيبرس وتكوين الجيوش :

الحمد لله منمي النفوس ومزين سماء المملكه باحسن الاهله واضوأ البذور واشرق الشموس و الذي شد ازر الاسلام بملوك يتعاقبون مصالح الانام ويتناوبون تدبيرهم كتناوب العينين واليدين في مهمات الاجساد وملهمات الاجسام .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 204)

ما زال البعد الديني للدوله الناشئه بحاجة الى عناصر جديدة لاستكمالها والحقيقة التي تفرض نفسها بأستمرار على تاريخ المنطقة مؤداها ان كل دولة ارادت ان تبني لنفسها القوة والزعامة كان لابد لها من ان تبسط سلطانها على البحر الاحمر والحجاز حيث يوجد الحرمين الشريفين في مكه والمدينة .

ماكان لبيبرس ان يشذ عن هذا المنطق الذي يفرضه التاريخ وتحتمه الجغرافيا .

(قاسم وعبد قاسم– عصر سلاطين المماليك 92)

كان **الظاهر** دائما ما يتذكر امجاد **صلاح الدين** واياديه البيضاء على الأمه وما انجزه في توحيد العالم العربي الاسلامي .

كان **صلاح الدين** قد نجح في اقامة امبراطورية حكمها ثم توارثتها اسرته من بعده والان جاء دور **الظاهر** كي يسير على دربه ويحذو حذوه , لقد آن للدولة الاسلامية أن تسترجع مجدها الذي كان , لقد جاء الظاهر يا صلاح الدين . لقد جاء سلطان يديم الجهاد أناء الليل وأطراف النهار .

فكان الظاهر يحكم من فوق فرس الجهاد اكثر منه من القصر .

(قاسم وعبد قاسم– عصر سلاطين المماليك 249)

كان المبرر لقيام دولة **سلاطين المماليك** هو قيامها بدور القوة المدافعة عن دار الاسلام , لقد ولدت من رحم الصراع ضد **الفرنج الصليبيين** الذين كانوا ما يزالون يحتلون بعض اجزاء من الارض العربيه في بلاد الشام وتأكد وجودها من خلال ذلك

النصر المدوي الذي احرزته ضد **الفيالق المغوليه في عين جالوت , ولكن الدولة التي يجلس على عرشها بيبرس ظلت رهينة بأدائها للدور التاريخي المنوط بها اي بالقضاء على الاخطار الخارجية وحماية العالم الاسلامي .**

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك)

اما داخليا فشرع **السلطان** في اقامه الدوله **الصالحية** على ما كانت عليه من نواميس ورسوم وولي من اموره غلمان الشهيد **الملك الصالح** مثلما كان قد اختارهم فعظمت حرمة بابه واستبشر الناس بأن **الله** ولى عليهم من يعرف امور المملكة وقوانينها وأبطل المحدثات وكتب باقامه الشريعة المطهرة .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 71)

ثم شمر **الظاهر** عن ساعده وافلح في ترتيب البيت المصري وراح يصلح النقاط العسكرية وتقويتها , ويرمم ما بلي منها وقام ببناء ترسانات جديدة لكل من السفن الحربية وسفن النقل البحري للبضائع وبنى الجسور وقنوات الري وقنوات الملاحة كما عزز من الموانئ وبنى المساجد واعاد بناء كل القلاع الشامية التي دمرها المغول , لقد أهتم بتحصين أطراف الدولة وثغورها واعاد بناء قلاع الشام التي خربها المغول من **حمص الى حران** بالمقاتَلة وشحنها بالمقاتِلة وزودها بالموؤن والذخيرة فأمن بذلك خطا دفاعيا من الاردن الى نهر العاصي .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك – دولة المماليك 93)

استطاع السلطان تكوين جيش قوي بلغ عدته اربعين الف فارس .

كان فيما تقدم من الجند ينفقون ماالهم فيما لا يرضي الله من الامور المحبطة للاعمال اما الان وفي عهد السلطان فالجند ليس لهم هم الا في تهذيب عدة الحرب ولا يقضي

وقته الا في حسنة قد سطر الله اجرها وكتب .

والناس على دين الملك ولو حلف حالف أن احدا من العسكر ما انفق شيئا في شيء من ذلك لصدق .

واذا عبر الانسان بسوق السلاح لا يقدر على العبور من كثرة الخيل للأجناد الواقفين به ولم يبق لاحد همه في شئ الا تكملة عدته النافعة وما بقي لاحد رغبه الا في الاشتغال بعدة الحرب .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 199)

حتى بلغ عسكره اذا صفوا لكان اولهم في الفرات وآخرهم في عيذاب .

نودي في العسكر بأن من جلب خمرا او شربها شنق .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 258)

بل شنق الطواشي صدر الباز من اجل انه شرب الخمر وعلقه تحت القلعة.

(المقريزي –السلوك 95/2)

فاذا نودي بالجهاد لبس السلطان ولبست مماليكه لامة الحرب حتى لا يعرف **السلطان** من بينهم فلا يخلعها حتى يصلي بمنزلة العدو شكرا لله .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 432)

والمماليك في عهد **بيبرس** صاروا بارعين في حروب الحصار .

(فرسان الاسلام –جيمس واترسون)

فكانت السنوات **1265** و **1266** م قد اصبحت سنوات رعب بالنسبه للصليبيين والمغول وحلفائهما .

(فرسان الاسلام –جيمس واترسون)

زاد حجم الجيش في عهد **بيبرس** الى اربعين الف جندي .

(فرسان الاسلام 260–جيمس واترسون)

بل إن **بيبرس** هو مؤسس البحرية المملوكية فقد احيا الاسطول المصري بأن بنى أربعين سفينة حربية .

كما انه هو الذي أسس البريد فكانت القلعة المركز الرئيسي لابراج الحمام الزاجل .

كانت الرسائل تشد تحت أجنحة الحمام أو الى ذيلها على ورق يكتب بخط الغبار .

كانت الوظائف التي عرفها **المماليك** واخذوها من **الفاطميين والايوبيين** لا تفي بحاجه **الجيش** الأخذة في التطور والتوسع فأنشأ **الظاهر** وظائف جديده لم تكن معروفه في ديار **مصر** من قبل

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 150)

مثل **امير السلاح** وهو الذي يتولى سلاح السلطان او الامير و**امير المجلس** وهو الذي يتولى امر مجلس السلطان او الامير و**امير اخور** مسؤول اصطبلات السلطان اوالامير و**امير جندار** الذي يستاذن على الامراء وغيرهم ويتولى ادخال الناس على السلطان ويدخل امامهم .

راس النوبه زعيم المماليك السلطانيه واكبر طائفه الامراء مقاما وهو الذي يتحدث على مماليك السلطان والامير وينفذ حكمه فيهم .

نقابه الجيوش يقوم بمراقبة الامراءِ الذين يود السلطان القبض عليهم

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 152)

7) بيبرس والأمارات الصليبية :

بعد موقعة **ملاذكرد 1071 م** اتخذت الدعوة في غرب اوروبا لمحاربة **المسلمين** طابعا حماسيا اصطبغ بالدين صبغة واضحة .

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

لا جدال ان المعركة افقدت **البيزنطيين** السيطرة على البوابة الشرقية **لأوروبا المسيحية** وقلبت موازين القوة .

ولا مبالغة انها رفعت من قدر ومكانة **السلاجقة** امام القوى المعاصرة انذاك وخاصة ان **السلطان ملك شاه** مد نفوذ **السلاجقة** من حدود **الصين** شرقا حتى بحر **مرمرة** وبحر **ايجة** غربا .

(الشرق الاسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين)

ثم ان خلفاء **الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع** طرقوا باب **البابوية** في **روما** وشرعوا يرسلون سفارة بعد اخرى الى بابوات **روما** يستحثونهم للدفاع عن الكنيسة واهلها واسترداد الارض المقدسة من **المسلمين** .

برز من هؤلاء الاباطرة **كومنين 1081-1118م** الذي اتجه في حماسة نحو محاصرة **البابا اوربان الثاني 1088-1099** م متبعا معه سياسة مرنة ذات مسحة دينية قوية .

آمن **اوربان** بفكرة شن حرب صليبية ضد **المسلمين** وارسال حملة الى الشرق لاسترداد الارض المقدسة .

ظهر نوع من التقارب بين الكنيستين الارثوذكسية في القسطنطينية والغربية الكاثولوكية في روما .

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

رغم ان مسيحي الشرق **الارثوذكس** ومسيحي الغرب **الكاثوليك** لا يجمعهم مذهب ولا عقيدة ولا حياة ولا فكر وكلاهما يرى الاخر **كافرا هرطيقيا** .

(بيزنطة والحروب الصليبية / عبد العزيز رمضان)

تحقق الترابط بين الكنيستين لنصرة المسيحية وكشف **اوربان** عن فكره ومشاعره فوقف

امام اقطاب الكنيسة الغربية وطالب المسيحيين ان ينبذوا المشاحنات القائمة فيما بينهم وان يوجهوا جهودهم ضد المسلمين , فولدت الحركة الصليبية بين احضان الغرب الاوروبي

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

25 نوفمبر 1095 م وفي مدينة **كلير مونت جنوب فرنسا** وفي الجلسة الاخيرة من جلسات مجمع كنسي شهدته المدينة راح **اوربان الثاني حبر روما الاعظم** يوجه دعوة عامة **لمسيحي** الغرب حاضرهم وغائبهم كي يحملوا **الصليب** ويولوا وجوههم شطر الشرق لانقاذ اخوانهم المسيحيين هناك من ويلات العذاب التي يتعرضون لها واستخلاص القبر المقدس من الانتهاكات التي تلحق بهم على يد المسلمين :

" عليكم ان تسارعوا لمد يد العون لاخوانكم القاطنين في المشرق الذين يحتاجون الى مساعدة طالما التمسوها , ان الاتراك قد هاجموهم وقتلوا واسروا الكثيرين وهدموا الكنائس ودمروا مملكة الله , لذا وبصلاة خاشعة فإنني . لا بل الله وليس انا يدعوكم يا جنود المسيح ان تسارعوا لسحق هذا الجنس الخسيس من اراضينا وتقدموا يد العون للسكان المسيحيين قبل فوات الاوان "

بهدف ديني زائف , راح **اوربان** ينسج خيوط فكرة الحرب المقدسة واعدا جنود المسيح بغفران خطاياهم .

(بيزنطة والحروب الصليبية14 / عبد العزيز رمضان)

بدات الحركة **الصليبية** في **القرن الحادي عشر الميلادي** وهو القرن الذي شهد استيلاء القوى **المسيحية** على كثير من الممتلكات والمراكز **الاسلامية بالاندلس مثل طليطلة** .

دأبت السنين تحمل المحاربين من **الغرب الاوروبي** الى **غرب اسيا** عبر البحر المتوسط , فلا يكاد يمر عام خلال القرنين الا وتخرج من الغرب الاوروبي حملة **صليبية** وان كانت صورتها

واهدافها واسلوب عملها قد اصابها واعتراها بعض التغيير .

مما جعل العديد من تلك الحملات لم تظهر برقم في التاريخ وجعلها تهمل في حقبة النسيان .

اما التي زينت برقم فيرجع ذلك لكونها حققت نجاحا عظيما او انها ابتليت بفشل ذريع او كانت بقيادة احد المشاهير ذات المكانة البارزة .

والمسيحية شأنها شأن غيرها من **الديانات السماوية** ولدت بين افاق الشرق , وبما أن الهدف الاساسي استعادة المقدسات **المسيحية** واستردادها من ايدي **المسلمين** فإن هذة المقدسات وجدت كلها في **الشرق** .

انتشر الدعاة في المدن والقرى والطرق يدعون الاهالي للخروج لتخليص مقدسات المسيح و فشت الدعوة الصليبية غرب اوروبا كالنار في الهشيم.

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

حتى تكونت حملة العامة بقيادة **بطرس الناسك ووالتر المفلس** يناصرهم **مائة وخمسة وعشرون** الفا بين **كهول وشيوخ ورجال واطفال ونساء** اغلبهم معدمين **فقراء** آثروا الموت في الأراضي المقدسة على حياة الضنك في اوروبا .

كان الصليبين فريقين الاول حملة الامراء بدون ملوك اوروبا , والثاني حملة العوام وهي جموع شبه غوغائية لا ضابط لها .

من قلب اوروبا اتخذت الجموع طريقها الى الشرق سالكة طريق **البلقان** .

اصطدمت حملة **العامة** بفرسان **السلاجقة** بعدما سهل **الامبراطور البيزنطي** لهؤلاء العوام العبور الى الشاطئ الاسيوي .

الحق **السلاجقة** بهم هزيمة منكرة ساحقة عند " **نيقيا** " فتحولوا الى كومة من الاشلاء ولم

ينج منهم الا القليل .

اما حملة الامراء فتمكنت من التغلب على العقبات التي اثيرت امامهم سواء من **الامبراطور البيزنطي** في **القسطنطينية** او **الاتراك السلاجقة** وغيرهم من **مسلمي** الشرق.

دأبت تلك الحملة على تسليم الاراضي التي تستردها من السلاجقة في الاناضول **للقوات البيزنطية** ويكفيهم على حد تعبيرهم انهم طهروا الارض من ايدي الاعداء .

لما وصل **الصليبيون كيليكيا** عند دولة الارمن اخذوا في اظهار اطماعهم في تأسيس كل امير منهم امارة لنفسه في الشرق وهكذا قامت **امارة الرها**

ثم سارعوا في حصار **انطاكية** حتى سقطت في ايديهم **1098 م** .

والانتصارات التي حققها **الصليبيون** انما مرجعها ما كان بين القوى **الاسلامية** من تنافس وعداء . **لقد كانت الجبهة الاسلامية مفككة** .

فكانت **الخلافة الفاطمية** في **القاهرة** العدو الاكبر **للخلافة العباسية** حتى انهم استمالوا **الصليبيين** ضد اهل السنة واقتسام الممتلكات في المنطقة بحيث يكون **للصليبيين انطاكية** ويكون بيت **المقدس للفاطميين** .

وبينما الصليبيين متعثرين في انطاكية خرج الوزير الافضل الفاطمي وانتزع بيت المقدس .

ثم ارسل **الفاطميون للصليبيين** وهم في طريقهم الى هدفهم المنشود يعدونهم بتسهيل مهمة الحجاج **النصارى** لبيت **المقدس**

ولكن كشف **الصليبيون** عن نواياهم واجابوهم بأنهم سيباشرون الحج فعلا ولكن ليس بمعونة انسان وإنما بمعونة **الرب** وارادته .

ثم كان الصدام بين الطرفين الذي أسفر عن استيلاء **الصليبيين** على **بيت المقدس**

1099 عندما احدثوا مذبحة مريرة بين **المسلمين** حيث قاموا بقتل ما يزيد عن **سبعين الف مسلم** لاذوا **بالمسجد الاقصى** فذبحوا بداخله .

ثم انزل الصليبيون بالفاطميين هزيمة ساحقة عند عسقلان ثم اخذوا من المسلمين الجليل وطبرية وبيسان ويافا وبعض المدن الاخرى .

وفي العام التالي **1100** استولوا على **ارسوف ويافا** ثم **عكا 1104**م **وبيروت وصيدا** 1110 م .

اكتملت صورة الكيان الصليبي في ارض الشام بقيام امارتي الرها وانطاكية ومملكة بيت المقدس واكتملت اكثر بقيام امارة طرابلس .

حتى انقضى الربع الاول من **القرن الثاني عشر** ودولة **الصليبيين** في **الشرق** قد بلغت اوجها .

وفي ذلك الوقت امن الصليبيون على انفسهم في الشرق عندما اخذت تتداعى امامهم كافة القوى الاسلامية " **السلاجقة و الفاطميين والخلافة** " اضافة الى ظهور **الحشيشة الباطنية** الذين استهدفوا قتل ما يجدونه من زعماء اهل السنة .

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

غدت بلاد الشام وكأنها بحر من الفوضى وعدم الاستقرار إذ انقسموا الى خمس ممالك متنافسة مما سهل وساعد **الصليبيين** فيما بعد ليلتهموا هذه القوى كل على حده .

حتى غدا ساحل الشام بأكمله في ايدي الصليبيين 1131 م مع نهاية عهد بلدوين الاول .

(الشرق الاسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين)

في وسط كل ذلك ظهر على مسرح الاحداث **عماد الدين زنكي** اتابك **الموصل**

1127 م لتبدا مرحلة جديدة في مسيرة **الحركة الصليبية** .

كان عماد الدين يؤمن بأن ما حققه **الصليبيون** لم يرجع لقوتهم بقدر ما يرجع الى تفكك الجبهة الاسلامية فراح يعمل على اقامة وحدة اسلامية من الفرات الى النيل .

بدا رحلته من **الموصل** ثم استولى على **نصيبين** ثم **حران** ثم **حلب** , وكان لاستيلاء زنكي على **حلب** اول رباط الوحدة الاسلامية .

ثم جاء من بعده أبنه نور الدين محمود فلعب دورا عظيما حتى تم له الاستيلاء على **دمشق** وادخالها تحت سيادته **1154** م .

وبذلك نجح نور الدين في اقامة جبهة اسلامية في شمال الشام تضم حلب وحماة وحمص ودمشق فأغلق الباب أمام أي محاولة صليبية للتوسع شمالا , فلم يبقى لهم سوى مصر في الجنوب الغربي .

ثم ان تطور الاحداث في تلك الحقبة ساعد في ظهور صلاح الدين في الربع الاخير **من القرن الثاني عشر** فكان حريص على ان ينظر بعين الى الشام وبعين اخرى الى مصر .

غدت القوات الصليبية في بلاد الشام تحت رحمة صلاح الدين بعد حطين دمر كثير من حصونهم وخرب العديد من قلاعهم في عامي **1187-1190**م .

واستولى الناصر على **الناصرة وقيسارية وحيفا** وغيرها من الموانئ والحصون , **واستولى على صيدا وبيروت وعسقلان وبيت المقدس .**

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

وفي خلال اقل من عامين جرد صلاح الدين الصليبيين من ممتلكاتهم في الشرق لم يترك لهم سوى طرابلس وانطاكية وصور .

(الشرق الاسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين)

كان لوقوع **الرها** خاصة في ايدي **المسلمين** صدى عميق في الغرب الاوربي مما ادي الى **حملة صليبية** جديدة ضد **المسلمين** في الشرق .

تألفت من شطرين الاول بقيادة **كونفراد الثالث** والثاني **بقيادة لويس السابع** .

(**الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور**)

لويس السابع – الملك الشاعر بالذنب والراغب في تطهير روحه من الدنس الذي حل به من جراء احراق **كنيسة فيترى** في مقاطعة **شمباني 1147** م وبها جموع المصلين وجد في **الصليبية** الجديدة فرصة للتكفير عن خطيئته .

خرج كحاج على رأس رحلة مقدسة لنصرة بيت المقدس والدفاع عن المسيحية الشرقية واعلاء شأنها .

(**بيزنطة والحروب الصليبية** 35/ **عبد العزيز رمضان**)

راح يخطب : " **ايها الرفاق تلك هي معركتنا من اجل المسيح وذلك هو طريقنا الذي اخترناه لأنفسنا من اجل مجد الرب لا مجد البشر واذا كان المسيح قد مات من اجل خلاصنا أفليس من العدالة الحقة ان نلقى الشهادة من اجلة ولتكن تلك جائزتنا في هذه الرحلة المقدسة** "

كان ما حدث بالفعل اكبر بكثير مما اوصت به مضامين الاشاعات والاقاويل , وكان شعور قد ساد بين صفوف **الجيش الفرنسي** مؤداه انه لايمكن وضع **البزنطيين** في عداد **المسيحيين** الحقيقيين بل ينبغي قتلهم دون تانيب ضمير .

راح الحزب المعادي **لبيزنطة** تحت قيادة **جودفري** يروج لفكرة الهجوم على **القسطنطينية** .

على ابواب **القسطنطينية** راح **جودفري** يلح على **لويس** في ضرورة الاستيلاء عليها مبررا ذلك بأنها ليس لها من **المسيحية** الا اسمها فلابد من الاستيلاء على مدنها وقلاعها وان

لابد من تذكر فعلتهم حين هاجموا **انطاكيا الصليبية** وان حاكمها الحالي وريث هذه الجريمة المخزية ولا يزال يحتفظ لنفسة بأملاك استولى عليها أبوه بالعدوان .

راح رجل الاخلاق المقدسة والبالغ الحكمة يتفنن الى اقصى مدى في اختلاق الادلة على ان فتح عاصمة بيزنطة لن يلحق بالصليب اي ضرر بل ان فتح القسطنطينية بات عملا لا ينقض المسيحية في شئ .

(بيزنطة والحروب الصليبية **40**/ عبد العزيز رمضان)

كان البيزنطيون يخشون الاغريق حتى وهم يحملون لهم الهدايا يعلمون جيدا نظرتهم اليهم "كنيسة مارقة ودوله خائنة "

فأختاروا ان يكونوا مائلين الى الحذر في تعاملهم معهم وان يغلقوا ابواب مدينتهم وقراهم امام وجوههم ويبيعوا لهم ما يحتاجون اليه من طعام بادلال السلاسل المربوطة بالحبال من فوق الاسوار .

(بيزنطة والحروب الصليبية **45**/ عبد العزيز رمضان)

يقول رانسيمان :

كانت تلك خاتمة ملائمة **للحملة الثانية** , ما من حملة في العصور الوسطى تضارع تلك الحملة التى خرجت , وقد انعقدت عليها امال بالغة الروعة اذ وضع خطتها **البابا** ودعا اليها واوصى بها **القديس برنارد** بما اشتهر به من فصاحة وقادها **اعظم ملكين** في الغرب فبدت وكانها تبشر بمجد **العالم المسيحي** وخلاصه غير انها لما بلغت نهايتها المشينة المذلة كان كل ما انجزتة انها جعلت العلاقات بين المسيحيين في الغرب والبيزنطيين من المرارة ما يؤدي الى القطيعة بينهم .

(بيزنطة والحروب الصليبية48 / عبد العزيز رمضان)

تعرضت الاولى بقيادة كونفراد الثالث امبراطور **المانيا** الى ضربة قاسية على ايدي **السلاجقة** .

واما **الشطر الثاني** بقيادة لويس السابع ملك **فرنسا** فقد استطاع الوصول الى بيت المقدس وبدا الهجوم على دمشق ولكنهم تعرضوا لمقاومة شديدة من المسلمين فاضطروا الى الأنسحاب وفشلت في تحقيق اهدافها .

الحملة الصليبية الثالثة :

اخذ **الصليبيون** يستنجدون **بالبابوية** وملوك وامراء الغرب لانقاذ الجبهة **المسيحية** من وطأه صلاح الدين .

كان على رأس من استجابوا لتلك الدعوة **فريدريك بربروسا** امبراطور **المانيا** **وريتشارد قلب الاسد** ملك **انجلترا** **وفيليب اغسطس** ملك **فرنسا**

في تلك الحملة وقفت عكا موقفا صلبا وقاومت الحصار حتى اضطرت الى الاستسلام **1191م** .

ثم استولوا على **ارسوف** مما بث في الجبهة **الصليبية** قدرا كبيرا من الثقة والقدرة على الثبات غير ان محاوله **ريتشارد** لاسترجاع **بيت المقدس** لم تفلح حتى جائته الاخبار بان الاوضاع في بلده في غرب اوروبا تتطلب عودته **فعقد صلح الرملة مع المسلمين 1192** وانصرف عائدا الى بلادة .

كان صلح الرملة ينص على ان يكون للصليبيين من **صور** الى **يافا** بما فيها **قيسارية وحيفا وارسوف** وتكون **عسقلان** للمسلمين واما **الرملة واللدّ** , فتكون مناصفة بين **المسلمين** و **الصليبيين** .

صار بعده مملكة **بيت المقدس** مقرها **عكا** التي غدت قاعدة المملكة .

الحملة الصليبية الرابعة :

بعد موت **صلاح الدين** حرص **الصليبيين** على استرداد **بيت المقدس** ومحو اثار حروب **الناصر** , فأخذ **البابا انوسنت الثالث 1198** م يعد **الحملة الصليبية** الرابعة على ان تكون **مصر** هي وجهتهم .

اتجهوا نحو موانئ الدولة **البيزنطية** واقتحموها ونسوا ان اهلها مسيحيون مثلهم فنهبوا دورهم .

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

وهكذا انحرفت الحركة الصليبية عن طريقها وبعد ان كان هدفها استعادة بيت المقدس صار الهدف ضرب المسيحيين بعضهم البعض .

ان هذ الشكل من الحروب المقدسة كان مقيتا بالنسبة للبيزنطيين .

حان الوقت لمسيحي الغرب ان يتحقق لهم هدفهم المنشود وحلمهم الاثير الذي طالما تاقوا الية منذ اللحظات الاولى لقيام مشروعهم المقدس .

واما بيزنطة فما هي الا كنيسة ضالة مهرطقة واتباعهم اعداء للمسيح والعذراء وأن الاوان قد آن لتخليص صليب الصلبوت من ايديهم ولابد من يساهم في غزو القسطنطينية ان تغفر له خطاياه .

استولى الصليبيون على كل شئ جميل احتوته المدينة لم يفلت من ايديهم احد , اغتصبوا الراهبات في عقر اديرتهن ودخل الجند السكارى كنيسة **آيا صوفيا** واجلسوا عاهرة على العرش **البطريركي** وجعلوها تغني اغاني بذيئة وترقص رقصات رخيصة امام المذبح وركلت الكتب المقدسة ووقعت تحت الاقدام بينما استخدمت الاواني الطاهرة اقداحا للخمر .

انكشف زيف **جند الرب** وبهتان **الصليبيات** والحرب المقدسة واثبت الغرب الاوروبي نفسه ان حركتة تلك لم تكن الا مشروع استعماري استهدف من خلاله احتلال اراضي المسلمين والمسيحيين على السواء .

(بيزنطة والحروب الصليبية 65/ عبد العزيز رمضان)

الحملة الصليبية الخامسة :

ازداد احساس دعاة الحروب الصليبية والمتحمسين لها بأن مفتاح بيت المقدس موجود في القاهرة وان اذا ما اراد الصليبيون اقامة آمنة في بلاد الشام فان عليهم ان يبداوا بالاستيلاء على مصر .

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

وان مصر رأس الافعى وان مفاتيح بيت المقدس في مصر وليست في الشام

(الشرق الاسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين)

سيطرت هذه الافكار على ملك **عكا** فخرج على رأس حملة قاصدا **دمياط 1218** م , لم تستطع دمياط الثبات اكثر من تسعة اشهر لصغر حاميتها وضخامة جيش الفرنجة .

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

عرض **الكامل** على الصليبيين كل فتوحات **صلاح الدين** فيما عدا الكرك والشوبك مقابل الخروج من دمياط ولكنهم رفضوا .

(الشرق الاسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين)

ثم كان الفيضان وعندما اتجه **الصليبيون** جنوبا بحذاء النيل فتح الاهالي الجسور فغرقت الارض حتى انهم لم يتمكنوا من الانسحاب من دمياط والعودة الى بلاد الشام الا بصعوبة .

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

طلبوا صلح وهدنة من خلاله يخرج **الصليبيون** من دمياط مقابل اطلاق سراح اسراهم .

(الشرق الاسلامي بين شقي رحى المغول والصليبيين)

الحملة الصليبية السادسة :

خرج الامبراطور **فردريك الثاني** على رأس حملة صليبية **1228**م قاصدا بلاد الشام , كان الامبراطور قد ارتبط بروابط صداقة بين السلطان الكامل .

وبعد مباحثات ومصادمات انتهى امر هذه الحملة بعقد **صلح يافا بين فريدريك والكامل الايوبي 1229 م , على ان ياخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم وتبنين والناصرة وصيدا .**

ادى استيلاء الصليبيين على بيت المقدس بتلك السهولة الى موجة عارمة من السخط في العالم الاسلامي .

(الحركة الصليبية في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور)

القلاع الصليبية في الشام :

كان الصليبيين قد استفادوا من الموانع الطبيعية من بحار والنهار وجبال وتلال من اجل اتخاذها كحد طبيعي يجلب لهم الامان قدر الامكان .

ثم دعموا تلك الحصانة الطبيعية بأخرى صناعية من خلال اقامة العديد من القلاع والحصون على الاراضي الواقعة في حدود املاكهم التى اغتصبوها في بلاد الشام .

ونظرا لقلة اعداد الغزاة في مواجهة اهل البلاد المسلمين لم يكن امامهم سوى تشييد القلاع والحصون من اجل تثبيت اقدامهم في المنطقة ومن اجل تغيير معالم الارض واشعار المسلمين بالاذلال والمهانة وان واقعا سياسيا جديدا يفرض امام اعينهم .

ولا ريب بان تلك القلاع وفرت نوعا من الأمن النفسي للغزاة واشعرتهم بالأمن وسط

ذلك المحيط المعادي لهم بالاضافة ان تلك القلاع بنيت على طراز محاكي لما في اوطانهم .

ان تشييد القلاع امرا ضروريا بالنسبة للغزاة **الصليبيون** من اجل ادارة الاقطاعات العسكرية التي اقاموها ولتحصيل الرسوم المفروضة على القوافل التجارية التي كانت تمر بالارض التي اخضعوها لسيطرتهم

بل ان من اهم الاسباب لتشييدها حرص الغزاة على اخضاع منابع ومصبات ومسارات الانهار والبحيرات العذبة قدر المستطاع من اجل حرمان المسلمين من ميزة التفوق المائي .

ثم انها بعد ذلك عملت على جذب جموع المستوطنين لتلك المستعمرات من الغرب الاوروبي لمواجهة الكثافة السكانية لاهل البلاد الاصليين .

لقد ساعد انشاء القلاع **الصليبيين** في استقدام **المستوطنين الاوروبيين** الذين استقروا في المستعمرات التي شيدت في **الضفة الغربية** مثل **البيرة والصبيبة وكفر مالك** .

وعلى الرغم من ضيق المساحة التي اقام عليها **الصليبيين قلاعهم** إلا انهم اقاموا اكثر من **مائة قلعة** بعضها قام على بقايا قلاع بيزنطية واسلامية .

لم يتأخروا يوما في اقامتها بل كانوا في سباق محموم مع الزمن من اجل فرض واقع عسكري على المنطقة لا يستطيع المسلمون له دفعا .

حشد الصليبيون لها الاموال الطائلة والأعداد الغفيرة من اسرى المسلمين وعملوا على تحصينها بالابراج والأسوار والسقاطات والمزاغل والمتاريس كل هذا ادى الى دعم الكيان الصليبي في المنطقة .

ويعد الملك **الصليبي** **بلدوين الاول** **1100م** المؤسس الفعلي لمشروع تشييد القلاع , كما ان **عموري الاول** قد اتجة ان يعهد للتنظيمات الدينية الحربية الصليبية بعدد من القلاع **1167 م** وشاركه نفس السياسة بعض القوى السياسية الصليبية الاخرى .

من امثلة تلك القلاع الصليبية في ساحل الشام :

1- قلعة بغراس:

في قرية بين انطاكية وكيليكيا بجوار قلعة دربساك ودربساك وبغراس والقصير خطا دفاعيا عن امارة انطاكية.

2- قلعة القصير :

كان لها مكانة خاصة اذ كانوا يميزونها ويؤثرونها على غيرها من القلاع .

3- قلعة اركاس :

جنوب جزيرة ارواد قريبة من بعلبك اللبنانية بين قلعتي انطرسوس وطرابلس .

4- قلعة عكار :

شمال طرابلس نقطة الاتصال بين حصن الاكراد وبقية الحصون والقلاع على طريق مدينة حمص .

5- قلعة القرين :

غرب الجليل شمال شرق عكا قريبة من صفد حرست مدينة صور وصيدا ووفرت قدرا من الحماية للصليبيين في منطقة الجليل الأعلى .

امنع المعاقل , حصن صعب المرام.

6- قلعة صفد :

بالقرب من بحيرة طبرية تطل على كافةالاراضي الواقعة في منطقة الجليل.

7- قلعة ارسوف :

على ساحل فلسطين بين قيسارية ويافا على رابية صغيرة احاطتها الرمال بالقرب من الساحل .

8- حصن الاكراد :

بالقرب من دمشق في الممر الواقع بين سهول نهر العاصي والبحر المتوسط حصن جليل وقلعة شماء لا تبعد عن السماء.

من اكبر واكمل العمائر الصليبية التي لا تزال قائمة .

9- صافيتا :

بين طرسوس وحصن الاكراد استصغرها لويس بعد عودته من مصر فزاد عمارتها .

10- الشقيف :

على جبل بجوار نهر الليطاني باقرب من صور .

11- عثليت :

بين حيفا وقيسارية اقامها الصليبيون بعد بناء العادل ابو بكر الايوبي قلعة الطور فوق جبل الطور لمواجهة الصليبيين .

12- تبنين :

في مواجهة ساحل صور في الجنوب الشرقي بانياس من اتفاقية يافا المشئومة وافق على منحها الكامل الايوبي لفردريك .

13- هونين :

على جبال عاملة على حدود مملكة بيت المقدس الشمالية .

14- الفولة :

الشمال الغربي من بيسان جنوب غرب الطور وهي ذخاير كنايسهم وسبايك نضايرهم وكرايم اعلاقهم -العماد الاصفهاني

15- الصبيبة :

بالقرب من مرتفعات الجولان قدمها الصليبيون للحشاشين نكاية في اهل السنة

(تاريخ القلاع الصليبية في بلاد الشام – محمد مؤنس عوض)



لقد اثبت **عماد الدين زنكي ونور الدين محمود** انه يمكن اكتساب المزيد من الارض من الفرنجة ولكن نجاح **صلاح الدين** الساحق في **حطين** هو الذي اذن بنهايه الممالك الصليبية ولكن مات **الناصر** ففاق الصليبيين من انتكاستهم وازدادوا تمسكا بعناد على الاراضي الساحلية لبلاد الشام ولكنهم فقدوا **القدس** فكان يتعين على الاسلام ان ينتظر فتره اطول من اجل ان يبرز مثل ذلك البطل في صوره السلطان المملوك وليكون مؤهلا لقياده حملة الجهاد ليوجه ضرباته القوية من اجل دحر الكفار من حصونهم المنيعة .

(جيمس واترسون – فرسان الاسلام 74)

1. قيسارية :

لما بلغ **السلطان** أن **التتار** قد جمعوا ونزلوا **البيرة** وثب وثبة الاسد المفترس واندفع اندفاع السيل المحتبس واخذته الحمية للاسلام ومنع جنبه ان يضجع وعينه ان تنام .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 222)

فلما نزل **السلطان** **غزة** ورده خبر ان العدو نصب على **البيرة** سبعة عشر منجنيقا فكتم ذلك وكتب الى **الامير ايغان** :

" متى لم تدركوا قلعه البيره والا سقت اليها بنفسي "

ثم رحل السلطان عن **غزة** ونزل قريبا من **صيداء** فورد البريد من **دمشق** وهو في الحمام فلم يمهل وقرأ عليه الكتاب وهو عريان فاذا هو يتضمن ان **المنصور** **صاحب حماة** قد وصل **للبيرة** لمساندة الأمير **ايغان** وان التتار عندما شاهدوه هربوا ورموا مجانيقهم واغرقوا مراكبهم .

(المقريزي –السلوك 17/2)

فأتجه الى قيسارية ثم كتب السلطان للأمراء : **" الا يتحركوا من مكانهم حتى ينظفوا جميع الخندق وينقلوا الحجاره التي فيه "**

وبينما كان السلطان يحارب في البحر كان الحماس بالغا اشده في الفقراء والدراويش والنساء الذين تجمعوا بحفر الخنادق .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 52)

فوردت كتب **الأمراء** وهم يصفون ما يجدونه من حمل التراب بأنفسهم ونقل الحجارة , فصادف ذلك ان **السلطان** واقف على سور **قيسارية** وهو يهدم بنفسه وفي يده القطاعة وقد تجرحت يده فكتب على الجواب :

"انا نحمد الله تعالى ما تخصصنا عنكم براحة ولادعة ولا انتم في ضيق ونحن في سعة , وما منا الا من هو مباشر الحروب الليل والنهار وناقل الحجارة ومرابط الكفار فقد تساوينا في هذه الأمور وما ثم ما تضيق منه الصدور " .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 226)

سقطت المدينة على الفور واستسلمت حاميتها بعد اسبوع واما المدينة والقلعة فقد دمرهما بيبرس وسواهما بالارض .

2. صفد :

ثم انطلق **السلطان** بجيش يقوده بنفسه نحو عكا ولكن سرعان ما تحول فجاة الى صفد التي كانت حينئذ في حوزة فرسان المعبد " الداوية – هي طائفة نشأت على أساس حربي سنة **1118م /512 هـ** واتخذت من ساحة **المسجد الاقصى** مقرا لها . تابعة للبابوية مباشرة "

(رانسيمان – تاريخ الحروب الصليبية 250/2)

في البدايه تمكنت الحامية الصليبية من صد أول الهجوم ثم تمكنوا ايضا من صد الثانى والثالث , فلما وصلت المجانيق وعجزت عن حملها الجمال جهز السلطان الامراء والجند وسائر الناس لحملها على الرقاب وخرج السلطان بنفسه يجر أخشاب المجانيق مع البقر .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 257)

لو رأيت كيف نقلنا المجانيق اليها في جبال تستصعبها الطيور وكيف سرنا في جرها

على مناكدة الاوصال ومكابدة الامطار , وكيف نصبناها على أمكنة ينزلق عليها النمل اذا مر .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 380)

وعد الحجارين انه من اخذ أول حجر كان له مائة دينار وكذلك الثاني الى العشرة وأمر حاشيته الا يشتغلوا بخدمته .

تفرق الناس من شدة التعب فغضب السلطان وقال :

" المسلمون على هذه الصورة وانتم تستريحون "

قبض على **نيف واربعون** اميرا وقيدهم وسجنهم ثم شفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم .

(المقريزي –السلوك 34/2)

ارسل السلطان المنادين يعلنون منح العفو لكل من يستسلم

سرعانا ما اكتشف **فرسان المعبد** استحالة الصمود فأرسلوا الى السلطان يعرضون الاستسلام .

اعيد بناء **صفد** ونقش على جدرانها قصه تدل على الفخر :

اسكندر زمانه وعماد الدين الذي حول الكنائس الى مساجد . ورنين النواقيس الى اصوات المؤذنين وقراءة الانجيل الى ترتيل القرآن .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 54)

استولى السلطان على صفد ومن ثم استولى على الجليل كله

وأضحت حدود عكا على مرأى من الجند

قسمت عمارة صفد على الأمراء ، وأخذ **السلطان** لنفسه نصيبا وافرا ، وأقيم في عمارة

القلعة وأبراجها الأمير سيف الدين الزيني ، وعمل لها أبواب سر إلى الخندق ، فلما كملت كتب على أسوارها :

" ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون "

أمر بتجديد هذه القلعة وتحصينها ، وتكميل عمارتها ، وبعد ما خلصها من أسر الفرنج الملاعين ، وردها إلى يد المسلمين ونقلها من حوزة الدنيوية إلى حوزة المؤمنين ، وأعادها إلى الإيمان كما بدأ بها أول مرة ، وجعلها للكفار خسارة وحسرة ، واجتهد وجاهد حتى بدل الكفر بالإيمان والناقوس بالأذان والإنجيل بالقرآن ، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه وبخواصه على الرءوس ، السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس ، فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام ، ومن سكنها من المجاهدين ، فليجعل له نصيبا من أجره ، ولا يخله من الترحم في سره وجهره ، فقد صار يقال عمر الله صرحها ، بعد ما كان يقال عجل الله فتحها ، والعاقبة للمتقين إلى يوم الدين .

(المقريزي – السلوك)

3. عثليت :

لما صار **السلطان** الى **عثليت** فر **الفرنج** الى المراكب وتركوا قلعتها فدخلها الامراء بعدما قتلوا عدة من الفرنج وبعدما اسروا كثيرا وخربوا المدينة والقلعة واحرقوا ابوابها وعادوا بالاسرى والرؤوس والغنائم سالمين .

امر **السلطان** بتشعيثها وقطع اشجارها فقطعت كلها اثرا وخربت ابنيتها فلم يدع لها اثرا , ثم استولى على **عرقه وحلباء والقليعات وعكار وصافيتا.**

(المقريزي –السلوك 33/2)

4. عكــا :

كانت من قبل كتبهم مضمونة طلب فسخ الهدنه والندم عليها وكان قد كتب اليهم **السلطان** :

"ان كنتم باقين على العهد والا فما لنا شغل الا الجهاد "

اما الان وقد اقترب منهم جيش السلطان فصارت كتبهم انهم باقون على العهد مستمسكون باذيال المواثيق

وكانوا قد بنوا الحصون وازدادوا في رفع الاسوار فكتب اليهم السلطان ان البلاد لا تحفظ بالاسوار وانما تحفظ بالسيوف والعزائم فإنا جعلنا حصننا خيولنا وخنادقنا سيوفنا واسوارنا رجالنا

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 155)

ثم ارسل الى صاحب المدينة : "ان من يريد ان يتولى امرا ينبغي له ان يكون فيه يقظه ومن خفي عنه خروج هذه العساكر وجهل ما علمته الوحوش في الفلاة والحيتان في المياة من كثرة هذه العساكر , ولعل بيوتكم ما فيها موضع الا ويكنس منه التراب الذي اثارته حوافر خيلنا ولعل وقع سنابكها قد اصم اسماع من وراء البحر من الفرنج والتتار, اذا كانت هذه العساكر تصل جميعها الى ابواب بيوتكم ولا تدرون فأي شيء تعلمون" .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 152)

نحن ما اذينا لكم زرعا ولا غيره وسيرنا الاسرى الى نابلس ومنها الى دمشق ولم تسيروا انتم احد ولم ترحموا اهل ملتكم كل هذا لكي لا تبطل اشغالكم من اسرى المسلمين عندكم ,

فلما اعلمناكم بوصول الاساري اشرتم بتسفيرهم في البحر الى قبرص فاخذوا وقيدوا وضيق عليهم فالآن تردون ما أخذتم للاسلام وتفكون اسرى المسلمين جميعهم وغير ذلك لا اقبل
.

فقالوا لا ننقض الهدنه ونطلب مراحم السلطان في استصحابها واستدامتها ونحن نزيل شكوى النواب جميعهم ونفك الاسرى .

قال السلطان كان هذا قبل خروجي الى هذا المكان في هذه الامطار وهذا الشتاء ووصول العساكر الى هنا , ثم امر بهدم كنيسة الناصره فهدمها الى الارض ولم يجسر احد من الفرنجه ان يخرج من باب عكا ولا يتكلم بكلمه وكانوا من قبل يقولون ان احدا لم يجسر على ان يقرب منها , ثم امر الناس بلبس السلاح ورتب العسكر في الصباح .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 156)

ارسل صاحب عكا للسلطان بهدية وحصل الاتفاق بينهما فتوجه **ابن عبد الظاهر وكمال الدين ابن الشيخ** لاستحلافه فدخلا عكا وقد وصاهما **السلطان** الا يتواضعا .

ولما عاد السلطان إلى الدهليز ركب لما أصبح ، وأركب ناس معه ، وساق إلى عكا . فإذا الفرنج قد حفروا خندقاً حول تل الفضول ، وجعلوا معاثر في الطريق ، ووقفوا صفوفاً على التل ، فلما أشرف السلطان عليهم رتب العسكر بنفسه ، وشرع الجميع في ذكر **الله** وتهليله وتكبيره ، والسلطان يحثهم على ذلك حتى ارتفعت أصواتهم . وللوقت ردمت الخنادق بأيدي غلمان العساكر وبمن حضر من الفقراء المجاهدين ، وصعد المسلمون فوق تل الفضول ، وقد انهزم الفرنج إلى المدينة .

وامتدت الأيدي إلى ما حول عكا من الأبراج فهدمت ، وحرقت الأشجار حتى انعقد الجو من دخانها . وساق العسكر إلى أبواب عكا ، وقتلوا وأسروا عدة من الفرنج ، ساعة

واحدة ، والسلطان قائم على رأس التل يعمل في أخذ رأي المدينة ، والأمراء تحمل على الأبواب واحداً بعد واحد . ثم حملوا حملة واحدة ألقوا فيها الفرنج في الخنادق ، وهلك منهم جماعة في الأبواب . فلما كان آخر النهار ساق السلطان إلى البرج الذي نقب ، وقد تعلق حتى رمي بين يديه ، وأخذ منه أربعة من الفرسان ونيف وثلاثون راجلاً ، وبات السلطان على ذلك . فلما أصبح عاد على بلاد الفرنج وكشفها مكاناً مكاناً ، وعبر على الناصرة حتى شاهد خراب كنيستها وقد سوى بها الأرض ، وصار إلى الصفة التي بناها قبالة الطور ، فوافاها ليلاً وجلس عليها .

(المقريزي – السلوك)

5. قبرص :

وكان السلطان قد كتب إلى مصر بتسفير الشواني لقصد قبرص ، فسارت حتى قاربت قبرص ، فانكسرت كلها . وشعر بهم أهل قبرص فأسروا جميع من كان فيها من الرجال ، وبعث صاحب قبرص كتابا إلى السلطان يقرعه فيه بأن شواني مصر وهي أحد عشر شينيا خرجت إلى قبرص فكسرها الريح ، وأخذتها وأسرت من فيها فلما قرأه السلطان قال :

" الحمد لله منذ ملكني الله تعالى الملك ما خذلت لي راية ، وكنت أخاف من إصابة عين ، فبهذا ولا بغيره "

وكتب إلى القاهرة بإنشاء عشرين شينيا ، وإحضار خمسة كانت بقوص .

كان رجالها بعد ان غرقت راحوا إلى ساحل عكا ، فأسرهم الفرنج فحاول المسلمون افتدائهم فتغالى الفرنج فيهم وقالوا هؤلاء جمرة البحار وفرصة الأعمار وأودعوهم حبسًا حصينًا في قلعة عكا ، واستطاع نائب صفد إغراء سجانيهم بالمال ، وتم تحريرهم في مركب

مهيأ لهم وكان لهم خيل واقفة معدة فركبوها ووصلا إلى القاهرة وقامت بسبب هروبهم فتنة بين الفرنج .

(هاني فخري – النظام العسكري 101)

6. يافا :

سار السلطان من العوجاء الى يافا فملكها في نفس اليوم ثم أمر بهدمها

هدمت القلعه واخذت اخشابها والواح رخامها وسيرت الى القاهرة ورسم بعمل مقصوره في الجامع الظاهري بالحسنية والرخام لمحرابه فعمل ذلك امر ببناء الجوامع والمساجد بها واظهار شعائر الاسلام وازاله المنكرات ورسم ان المال المتحصل من هذه البلاد لا يغمس في غيره وقال هذه بلاد فتحها الله على يدي فأختار ان يكون مأكوله ومشروبه من هذا المال مقتديا بالنبي صلى الله عليه وسلم وغزوه بني النضير وهي أول ارض افاءها الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 293)

7. حيفا:

بعد ايام ظهر **بيبرس** عند **حيفا** وكان اهلها قد شعروا بالخطر مسبقا فهربوا في قوارب تاركين المدينه والقلعه فدمرها الجيش اما من آثر البقاء فكان مصيره القتل .

8. ارصوف :

وفي عام **1265** انطلق **السلطان** نحو ارصوف ولم يمضي سوى ثلاثه ايام حتى استسلم قائد القلعة بعد ان فقد ثلث فرسانه فأسروا جميعا .

اباح **السلطان** القلعة للمسلمين وكان في اسر الفرنج جماعة من المسلمين خلصوا تلك

الساعه واخذت قيودهم فقيد بها الفرنج .

ثم شرع في هدم قلاعها باحضار الاساري لاخرابها فكانوا كما قال **الله** تعالى : " **يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين** "

(ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 239)

حضر العباد والزهاد والفقراء والفقهاء الى هذه الغزاه المباركه التي ملات الارض بالعساكر واصناف العالم ولم يتبعها خمر ولا شيء من الفواحش بل النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال ويجرون في المجانيق .

(ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 239)

فاستمر العمل ، **والسلطان** بنفسه ملازم العمل بيده في الحفر وفي جر المنجنيقات ورمي التراب ونقل الأحجار ، أسوة لغيره من الناس , وكان يطوف بين العساكر في الحصار بمفرده ، ولا يجسر أحد ينظر إليه ولا يشر إليه بإصبعه .

وأباح **السلطان** القلعة للناس ، وكان بها من الغلال والذخائر والمال شيء كثير ، وكان فيها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض السلطان لشيء منه ، إلا ما اشتراه ممن أخذه بالمال .

(المقريزي –السلوك)

ثم اكرههم على العمل في تخريب حصنهم بايديهم ثم اخذهم غنائم حرب ليزين بهم موكبه وهو راجع القاهره صلبانهم مكسره واعلامهم منكسه

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 52)

ثم كتب الى قسطلان يافا ان يكتب الى صاحبه :

" **انا اذا اسر لنا فلاحا اسرنا الفا من المقاتله لابسه السلاح واذا هدموا جدارا هدمنا اسوارا** "

(ابن عبد الظاهر- الروض الزاهر 243)

بعد ضياع حيفا وارصوف ومن قبلهما قيسارية اصيب الصليبيون بالرعب والهلع فبدأوا بالاستعداد للهروب قبل فوات الاوان .

9. طرابلس :

ثم اغار **الظاهر** على طرابلس وضواحيها فأرسل اليه صاحبها يقول ما مرادك من هذه الارض فرد قائلا : "**جئت لأرعى زروعكم واضرب بلادكم ثم اعود الى حصاركم في العام التالي** "

(ابن كثير – البداية والنهاية 259/13)

الواقع ان **الظاهر** كان ينوي استعادة **طرابلس** ولم يصده عنها سوى وصول حمله **صليبية انجليزية** بقيادة **الامير ادوارد** ولي عهد **انجلترا** فأظهر الاتزان والتعقل تجاه سياسة **بوهموند** وعقدت الهدنة بين الطرفين بعد توسط **شارل كونت** على ان يحتفظ **بيبرس** بما فتحه من بلاد حديثه وان تستمر الهدنه مدة عشره اعوام .

(سهيل طقوش- تاريخ المماليك 128)

10. قلعه الاكراد :

شهر كامل هي مدة حصار القلعه بثلاثمائة فارس فقط بجانب فصائل من الحشاشين و جيش المنصور صاحب حماة يقوده المنصور بنفسه .

وبعد ايام امطر السلطان اسوار القلعة بوابل كثيف من القصف المركز نجح من خلاله في احداث ثغرة في الاسوار دخل منها المسلمون القلعة .

راحوا يقتلون من هناك ويأسرون من بقي من الجنود .

كانت تحت حمايه الاسبتارية " طائفة من الفرسان الطبية التي نشأت منذ فجر الحروب الصليبية كجمعية هدفها العناية بالمرضى وايواء الحجاج ورعايتهم ولكن سريعا ما اكتسبت الصفة الحربية وارتدي اصحابها زي الرهبان واخذوا يقاتلون من على ظهور الجبال "

وضرب عليهم حصارا مركزا فدخلها بعد ثلاثه اسابيع من الحصار وسمح لافراد الحامية للجوء الى طرابلس

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 127)

توالت هزائم العدو وتهاوت معاقلهم معقلا وراء معقل واوشكت ان تطهر الشام من فلول الصليبيين .

8) بيبرس وارمينيا الصغرى :

بعدما استولى السلاجقه على مواطن الارمن في بلادهم الاصلية ارمينيا عند منابع نهر الفرات في القرن **الحادي عشر ميلادي** هاجروا الى **بيزنطة** فرحبت بهم ومنحتهم ضياعا واسعا في **كبادوكيا** .

مما ادى الى ازدياد هجرتهم الى موطنهم الجديد ثم راحوا يسكنون مضيق **كيليكيا** بين **طرسوس وبلاد الروم** وتركزوا في الجهات المحيطه **بملاطيه والرها وانطاكية** .

(عاشور – الحركة الصليبية97/1)

ثم حصنوا معاقلهم بالابراج .

أصبح الأرمن قوه كبيرة حتى اطلق على اقليم **كيليكيا** اسم **ارمينيا الجديدة** او **مملكة ارمينيا الصغرى** واتخذوا **سيس** عاصمة لهم

ثم ان **هيثوم** ملك البلاد ارسل الى قائد **المغول** في **اسيا الصغرى** كتابا وتلقى على أثره

منشور التبعية للخان الاكبر **عام 1244 م** وتوطدت العلاقات بيت الطرفين وتاكيدا لمبدأ التحالف بين الطرفين شارك في الهجوم التتري على عاصمة الخلافة ثم شارك **هولاكو** في وضع خطة غزو الشام .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 132)

انطاكية :

امر **بيبرس بوهمند** حاكم **انطاكية** وهو يومئذ خارجها بتدبير ترتيب استسلام الحامية المدافعة عنها .

لما حاول اقناع من داخل المدينة بالاستسلام رفضوا الانصياع لرأيه .

وفي حركه طائشة تهور **الكونستابل** وقاد بعض جنوده خارجا من المدينة محاولا التفاوض مع **بيبرس** غير ان جنود بيبرس اسروه .

قامت الألات وراجمات الأحجار المملوكية في احداث فجوة داخل الأسوار فدخلها المسلمون ثم امر السلطان باغلاق ابواب المدينة لكي لا يمكن احد من الهروب ثم امر جنوده بقتل من يقابلونه من الجنود

فوقعت مذبحة عظيمة وانتهى امر المدينة بين قتيل واسير .

اما المعقل فأشتعلت فيه النار وفيه امتد اللهيب الى جميع انحاء المدينه فتركها اثرا بعد عين .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 56)

غنم ما لا يحصى كثرة وطرحت الغنائم بمرج **انطاكية** فملأته طولا وعرضا .

(المقريزي – السلوك 617/1)

حتى بيع رأس البقر بدرهمين ولم يوجد من يشتريه .

(المقريزي – السلوك 552/1)

قال السلطان والله ما خبات شيئا مما حمل الي ولقد بلغني ان غلاما لأحد مماليكي خبأ شيئا لا قيمة له فأدبته الأدب البالغ فأحضر الناس الاموال والمصاغ والذهب والفضة وقسمت في الناس

طال الوزن فقسمت النقود بالطاسات وقسمت الغلمان على الناس فلم يبقى غلام الا وله غلام .

اقام السلطان يومين وهو يباشر القسمة بنفسه فما ترك شيئا حتى قسمه

(المقريزي –السلوك 50/2)

كانت انطاكية اغنى المدن الصليبية وكانت ذات كنوز هائلة وجد المنتصرون فيها اكواما من الذهب والفضة وعملات وفيرة .

وزع الاسرى بحيث لم يكن هناك جندي في جيش السلطان الا وكان له عبدا وما بقي بيع حتى وصل سعر الصبي اثني عشر درهما والبنت خمسة دراهم .

كان يستولى على معاقلهم معقلا فمعقلا رغم ما كان يصل اليهم من المدد من اوروبا .

ثم يكتب اليهم : " **ان رايتنا الصفراء قد هزمت رايتكم الحمراء وان الله اكبر قد اسكتت نواقيس كنائسكم** " .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 56)

كان سقوط انطاكية اعظم الفتوح التى حققها المسلمون على حساب الفرنج منذ ان استرد صلاح الدين **بيت المقدس 1187** م .

وهكذا اكد بيبرس جدارته وجدارة دولته بالدور التاريخي الذي تعلق بهما

فلقد كان أسترداد انطاكية المسمار الذي دقه المسلمون في نعش الوجود الصليبي على الارض العربية وكذلك كان بمثابة اعلان جديد لحركة الجهاد الكبرى .

(قاسم عبده قاسم– عصر سلاطين المماليك)

ثم ارسل الى **بوهمند** رساله تهكم وشاطره فيها الحزن والاسى على حاضرة ملكه المضيع .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 56)

من رساله السلطان لبهموند بعد انطاكيا:

اخرناك وما كان تأخيرك الا لأجل معدود لو تعلم كيف فارقنا بلادك وما بقيت ماشية الا وهي من ايدي المعاول سارية ولا زروع الا وهو محصود ولا موجود الا وهو منك مفقود وكيف لم يسبقنا الى مدينتك انطاكيا خبر وكيف وصلنا اليها وانت لا تصدق اننا نبعد عنك وان بعدنا فسنعود على الاثر وهنا نعلمك بما تم ونفهمك بالبلاء الذي عم

كان رحيلنا عنك وعن طرابلس رابع عشر شعبان ونزولنا انطاكيا في مستهل رمضان , خرجت عساكرك للمبادرة فكسروا وتناصروا فما نصروا وجاءهم الموت من كل مكان وفتحناها بالسيف في الساعه الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان وقتلنا من اخترته لحفظها والمحاماة عنها وما كان احد منهم الا وعنده شيء من الدنيا فما بقي منا الا عنده شيء منهم ومنها . فلو رأيت خيالتك وهم صرعى تحت ارجل الخيول وديارك والنهابة فيها تصول والكسابة فيها تجول واموالك وهي توزن بالقنطار ولو رأيت كنائسك وصلبانك قد كسرت ونشرت وصحفها من الاناجيل المزورة قد نشرت وقبور البطاركه قد بعثرت ولو رأيت عدوك المسلم وقد داس مكان القداس والمذبح وقد ذبح فيه الراهب والقسيس والشماس ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تخترق والقتلى بنار الدنيا قبل نار الاخرة تحترق وقصورك واحوالك قد حالت وكنيسة بولس وكنيسة القسيان قد زلت وزالت لكنت تقول يا ليتني كنت ترابا ويا ليتني لم اوتى بهذا

الخبر كتابا ولكانت نفسك تذهب من حسرتك ولتيقنت ان الاله الذي اعطاك انطاكيا منك استرجعها والرب الذي اعطاك قلعتها منك قلعها ومن الارض اقتلعها وكتابنا هذا يتضمن البشرى لك بما وهبك الله من السلامة بكونك لم يكن لك في انطاكيا اقامه وكونك ما كنت فيها فتكون اما قتيلا واما اسيرا .

كيليكيا :

كانت **البحرية المصرية** تعتمد في بناء سفنها على اخشاب جنوب **الاناضول ولبنان** وكان **هيثوم** وزوج ابنته **بوهمند** يسيطران على تلك الغابات فكان يامـلان في استغلال تلك الغابات كورقه التفاوض .

عام 1260 علم **هيثوم** ان هناك هجوما **مملوكيا** وشيكا فذهب الى بلاط **الخان** في **تبريز** يستجدي مساعدة المغول .

اندلع القتال في **كيليكيا** وكان يقود الجيش الارميني ابنا **هيثوم** فلما نشبت المعارك هلك الجيش الارميني باكمله اما اسيرا او قتيلا اما ابنا هيثوم فقد قتل احدهما واسر الاخر .

دخل المسلمون حلب يجرون **اربعون الف** اسير وقوافل ضخمه من الاسلاب , لما عاد **هيثوم** من بلاط الخان ويجد وريثه اسيرا وعاصمته اطلالا وبلده خرابا .

تفاوض **هيثوم** مع السلطان لاسترجاع ابنه الاسير ومن خلال تلك المفاوضات تخلى **هيثوم** لصالح **السلطان** عن عدة مراكز هامة منها **دربساك ومرزبان ورعبان** وكلها طرق تتحكم في المواصلات بين **ارمينيا وبلاد الشام والعراق** .



9) بيبرس وبلاد النوبة :

النوبة مملكة مسيحية عاصمتها مدينة **دنقله** التي تقع في اعالي النيل كانت تمتد حتى **اسوان** شمالا وبلاد الحبشة جنوبا وتدين هذه المملكه لحكومه وطنيه مسيحية

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 113)

منذ الفتح الاسلامي تدين بالطاعة لسلطان مصر وتؤدي له الجزية طبقا لمعاهده **البقط** غير ان هذه التبعيه كانت اسميه في غالب الاحيان .

لما اضحى الوجود الصليبي مسرحا للاحداث على سواحل الشام وطريق الحج بأتجاه السويس والعقبة ومن ثم سيناء بات محفوفا بالمخاطر .

اتخذ المسلمون طريقا جديدا للحج وللتجارة تتجه جنوبا عن طريق النيل الى قوص ومنها الى عيذاب وجدة على البحر الاحمر فأشتدت اعتداءات النوبيين على المناطق الحدودية

وانتهز الملك داوود ملك النوبه انهماك بيبرس بحروبه ضد **الصليبيين والمغول والارمن** فهاجم جنوب مصر **سنه 671 هـ – 1272 م** ونهب اسوان واسر جماعة من سكانها كما هاجم ميناء عيذاب لتهديد التجارة المملوكية وقطع طريق الحج .

ارسل **بيبرس** حملة بقيادة **اق سنقر الفارقاني** للتصدي لهم وحماية الحدود ثم ان الملك **شكندا** الملك المعزول قد استنجد بالسلطان ضد ابن اخيه **الملك داوود** فأكتملت القوة العسكرية بحملة عسكرية ضخمه تحت قياده الامير المملوكي **عز الدين الافرم** وصحبها الملك **شكندا** .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 115)

اهتم **الظاهر** بهذه المملكة المسيحية القابعة على حدوده الجنوبية والتي اخذت تسبب له من المشاكل ما شغله عن الاهتمام بالقضايا الاكثر حساسية .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 32)

تمكنت الحملة من اختراق مناطق الشلالات وهاجمت القلاع والقرى واضطر **داوود** الى الفرار ولكنه اسر .

نصب المماليك **شكنده** في الحكم بدلا منه وتعهد بالاتي :

يستولي على الاموال الملك السابق ويرسلها الى مصر وبسط سلطان المماليك على الجزء الشمالي لبلاد النوبة .

خير ملك النوبة وشعبه بين الاسلام او الجزيه او الحرب فاختاروا الجزية . أنشأ **السلطان** ديوان خاصا **بالنوبة** يشرف عليه الصاحب **بهاء الدين ابن حنا**.

فلما رفضوا اعتناق الاسلام اضطروا الى دفع الجزية التي تفرض على اهل الذمه وان يقدموا عددا من الفيله والزراف ونصف محصول الاراضي الزراعية.

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 58)

فقرر عليه كل سنة ثلاثة فيلة وثلاث زرافات وخمس فهود اناث .

خربت كنيسة سرس التي يزعم انها تحدثه ما يؤديه وكان **داوود** قد بناها على اكتاف المسلمين الذين اسرهم في عيذاب , يطلق جميع ما لدى النوبيين من الاسرى المسلمين .

ثم تم تحليف شكندا :

والله والله والله وحق الثالوث المقدس وقسم الانجيل الطاهر والسيدة الطاهرة العذراء اني اخلصت نيتي وطويتي من وقتى هذا وساعتي هذه للسلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وان ابذل جهدي وطاقتي في تحصيل مرضاته .

ليثأر منهم لغزواتهم التي كانت على الصعيد فكللت اعماله بالنجاح العظيم واصبحت هذه البلاد منذ ذلك العهد خاضعة تماما لحكم المماليك بعدما لقوا هزيمة منكرة في ملحمة دارت رحاها في دنقله

وأصبحت بلاد النوبة لأول مرة فعليا تحت حكم الأسلام

10) بيبرس والمغول :

ويوم حصار البيرة شرع السلطان في السفر ، ومعه عساكر كثيرة ، فوقع فناء في الدواب هلك منها عدد كثير ، وصارت الأموال مطروحة ، والسلطان لا يقصر في المسير . فلما شكي إليه قلة الظهر قال : **ما أنا في قيد الجمال ، أنا في قيد نصرة الإسلام .**

ونزل **السلطان** غزة ، فورد الخبر بأن العدو نصب على البيرة سبعة عشر منجنيقا ، فكتم ذلك ولم يعلم به سوي الأمير **شمس الدين سنقر الرومي والأمير سيف الدين قلاوون** فقط .

وكتب **السلطان** للأمير إيغان : " **متى لم تدركوا قلعة البيرة وإلا سقت إليها بنفسي جريدة** , فساق الأمير **إيغان** العسكر ، ورحل السلطان من غزة ، ونزل قريبا من **صيداء** ، فركب للصيد فتقنطر عن فرسه وتهشم وجهه ، فتجلد ورحل .

ونزل **السلطان بيبنى** فورد البريد من دمشق وهو في الحمام بالدهليز ، فلم يمهل وقرئ عليه الكتاب وهو عريان : فإذا هو يتضمن بأن بطاقة **الملك المنصور** صاحب حماة سقطت بأنه وصل إلى البيرة بالعساكر ، صحبة **الأمير عز الدين إيغان** وجماعة الأمراء يوم الإثنين ، وأن التتار عندما شاهدوهم هربوا ، ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم .

(المقريزي –السلوك 17/2)

كتب **السلطان** برحيل اهل الشام بأهلهم الى مصر فحضر من تلك البلاد خلق كثير بعدما كتب السلطان بألا يؤخذ منهم زكاة .

صار التتار الى الموصل ونصبوا عليها **خمسة وعشرون منجنيقا** وقع التخريب في سور المدينة ثم اقتحموها ووضعوا السيف في الناس ونهبت المدينة وقتلوا الرجال واسروا النساء وهدموا المباني وتركوها .

(المقريزي –السلوك 548/1)

رساله اباقا بن هولاكو الى السلطان ركن الدين بيبرس :

عندما شرع **اباقا بن هولاكو** في التحرك الى الشرق والحق الهزيمه بكل العالم لقي كل من وقف امامه حتفه , اذا ما كنت في السماء او في الارض فلن ينقذك مني احد وافضل سياسه يمكن ان تلجأ اليها هي ان تبحث عن السلام معي فأنت لا تعدو الا ان تكون مملوكا تم بيعه في سوق سيواس للعبيد فكيف لك ان تتمرد على ملوك الارض

(نور الدين خليل – المماليك المفترى عليهم 196)

رد **السلطان** على تهديد **اباقا بن هولاكو** : **أعلم اني وراءه بالمطالبة ولا ازال انتزع من يده جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفه وسائر اقطار الارض .**

وفي عام **1272 م** هاجم جيش مغولي سلجوكي مشترك قوامه ثلاثين الف مقاتل البيرة بهدف الاستيلاء عليها ونصبوا عليها **ثلاثة وعشرون** منجنيقا .

لما علم **السلطان** بذلك خرج على **حمص** وصادر مراكب الصيادين وحملها على الابل ليعبر الفرات عليها ثم جد في السير حتى بلغ النهر فوجد الجيش المغولي مرابطا على الشاطئ فانزل المراكب وشحنها بالمقاتلة .

كان هذا الحصار في فصل الشتاء , فاستعصت البيرة عليهم بسبب هبوط الثلج وتراكمه واشتداد البرد ففكوا الحصار وعادوا الى بلاد الروم بعد ان دمروا معداتهم واحرقوها حتى لا تقع في ايدي المماليك .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 138)

ولكن مؤخره الجيش اصطدمت بالقوات المملوكية التي عبرت النهر فاسر الجيش المملوكي مائتي جندي ولم ينج منهم الا القليل .

(ابن تغري بردي – النجوم 159/7)

دخل بيبرس البيرة وخلع على نائبها ووزع النقود على اهلها تعويضا لهم عما لاقوه من شده ايام الحصار .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 408)

الأبلستين :

في وسط دوامة الصراع بين **المغول والمماليك** تاهت مساعي امراء سلاجقة الروم بين استمداد العون من المغول وبين الاستنجاد بالمماليك ليحرروهم من سيطره المغول على

بلادهم .

اما في مصر فما زال سلطانها يراوده حلم ضم املاك السلاجقة الى بلاده .

مال الحاكم الفعلي للسلاجقة **بروانا**ه تجاه **بيبرس** وكثيرا ما رغبه في القدوم الى بلاده لتخليصهم من الاستبداد المغولي .

جاء **عام 675هـ - 1277م** ومشروع السلطان ضم بلاد الروم . فخرج في شهر **رمضان** متوجها الى **دمشق** وفي صحبته امراء سلاجقة التجأوا اليه ثم انتقل منها الى **حلب** ومنها الى **جيلان** ثم **عنتاب فمرج الديباج** ثم عبر النهر الازرق كل ذلك والسلطان كلما حط رحاله في بلد من ملكه استنفر قواها لكي يكونوا في احسن استعداد لئلا تتعرض لأي غزو مغولي اثناء غيابه في **الاناضول** .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 142)

عند النهر الازرق كانت بداية مناوشات عندما التقت طليعة الجيش بقياده **الامير سنقر** بطليعة مغولية قوامها ثلاثة الاف مقاتل فهزمها واسر كثيرا من افرادها .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 453)

فلما وصلت انباء توغل القوات المملوكية في بلاد الروم الى مسامع **اباقا بن هولاكو** تحرك للتصدي للمماليك .

وجه **اباقا بن هولاكو** فرقه من جيشه باتجاه الشام استغلالا لغياب **الظاهر** ولكن الهزيمة المنكرة من القوات المملوكيه المرابطة على معابر الفرات قد نالته , ومن جهه اخرى تحركت القوات المغولية الرئيسية بقيادة قائدي المغول **تدان وتوغو اغا** بصحبة قوات **سلجوقية** بقياده **برواناه** نفسه على طريق **البستان** حتى نزل الجيش تحت الجبل على نهر **جيحان** وفي اليوم التالي وصل **بيبرس** بعساكره الى الجبل فرآهم متاهبين في السهل .

في **يوم الجمعه العاشر من ذي القعده سنه 675 هـ 1277 م** في يوم بارد جدا دارت مناوشات بين الجيشين باستخدام السهام ثم حصل الالتحام وتلاقى العسكران .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 143)

عملت ميسرة **المغول** على قلب الجيش **المملوكي** حتى وصلت الى الصناجق واخترقت القلب فشقته ثم انقلبت على الميمنة فلما رآها **بيبرس** اردفها بنفسه ثم لاحت منه التفاته فرأى الميسرة قد اناخت تحت ضغط ميمنة المغول وكادت ان تفنى فاردفها بجماعه من الفرسان وحملت ميمنة **المماليك** في احدى مراحل المعركة على قوة مغولية وابادتها وترجل **المغول** عن خيولهم من شدة وطأة القتال وقاتلوا قتال من يطلب الموت حتى كثر القتل فيهم .

رجحت كفه فرسان المماليك في النهاية وتضعضعت قوات المغول وبدأ افرادها يفرون لا يلوون على شيء فقتل من المغول ستة الاف وسبعمائة وسبعون قتيلا منهم قائدي المغول **تودان وتوغو** .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 144)

ثم ارسل بيبرس **الامير سنقر** لمطاردة فلول الهاربين ثم توجه الى قيصريه ومعه كتاب بالامان الى سكانها فأمر باخراج الاسواق والتعامل بالدراهم الظاهريه

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 462)

دخلت بعض مدن الروم في طاعة الظاهر مثل **لاراندا ودوالو** واستقبله السكان بالترحاب ضرب خيامه في صحراء **مشهر** بالقرب من **دوالو** واقبل عليه **السلاجقه** من مختلف طبقاتهم يهنئونه بالنصر وحضر اصحاب الملاهي كما هي عاده السلاجقه فنهاهم عن الضرب بالألات لان الموقف هو موقف شكر لا غناء

بعدها رتب الامور في البلاد المفتوحه وجلس على عرش السلاجقة وخطب له على المنابر وضربت السكه باسمه

(ابن عبد الظاهر– الروض الزاهر 463)

بعد عشره ايام في **قيسارية** علم **الظاهر** بمراسلة **بروانا‍ه لاباقا بن هولاكو** وحثه على ارسال نجده فخرج **السلطان** من المدينة لأن عساكره قد انهكها التعب ونفذت الاقوات ونقص العلف ونفق معظم خيله .

لما نزل الى **قيرلو** جاءه رسول من **بروانا‍ه** فرد عليه **الظاهر** قائلا ان **السلاجقة** شرطوا شروطا لم يفوا بها وانه عرف الروم وطرفه وما كان جلوسه على التخت رغبه فيه الا ليعلم حكام السلاجقة انه لا عائق له عن شيء يريده وان المسافه التي تفصل بلاده عن الروم وهي مسيره سبعة ايام تعتبر بنظره خطوة يقطعها في اي وقت شاء ثم رحل عائدا الى دمشق .

خرج **اباقا بن هولاكو** غاضبا من الكارثة التي حلت بقواته متوجها الى بلاد الروم فلما وصل البستان عاين مكان المعركه وارسل الى **بيبرس** يدعوه للعوده ثم عاد الى قيصريه فنهبها وانتقم من سكانها

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 145)

11) بيبرس وبركة خان زعيم القبيلة الذهبية :

قسم **جنكيز خان** امبراطوريته قبل وفاته بين اربعه من اولاده هم **جوجي وجغتاي واوكتاي وتولوي** .

كان نصيبه **جوجي** وهو اكبرهم البلاد الواقعة بين نهر **ارتش وبحر قزوين** وتعرف **بالقبجاق** وغالب سكانها **الاتراك والتركمان** كما اطلق على قبيلتهم **القبيله الذهبية** نسبة

الى خيام معسكراتها **ذات اللون الذهبي** .

لما كان **جوجي** قد توفي في حياة ابيه فقد عهد **جنكيز خان** الى حفيده **باطو بن جوجي** اداره هذه المنطقة .

سريعا ما اسلم **بركة خان ابن جوجي** ومن ثم انتشر الدين الاسلامي في الاقليم , مما ادى الى ازدياد التقارب بين **مغول القفجاق والمماليك** من جهه وازدياد العداء بينهم وبين طوائف مغول فارس من جهه اخرى .

كل ذلك ادى الى الهاء **هولاكو** بقتال **بركة خان** على حدود **القوقاز** وصرفه عن الثار لهزيمة **عين جالوت** .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 112)

كتب **بركة الى الظاهر بيبرس** :

" وانني قد كنت انا واخوتي الاربعه لحربه من سائر الجهاد لاقامة منارة الاسلام واعادة مواطن الهدى الى ما كانت عليه من العمارة وذكر الله والامان والقراءة والصلاة واخذ ثأر الأئمة والأمة "

ثم التمس من **السلطان** انفاذ جماعة من العسكر الى جهة الفرات لامساك الطريق على **هولاكو**

كتب اليه **السلطان** الرد في سبعين ورقة بغدادية فيها الأيات والاحاديث في الترغيب في الجهاد وما ورد في مصر من الاحاديث وفي قتال المشركين والاقتداء **بالنبي صلى الله عليه وسلم** في الجهاد ووصف كثرة جنود الديار المصرية وما هي عليه وزيادة عساكرها عن المعتاد وانها كلها موافقة في نصرة الاسلام .

ارسل الهدايا ومعها ختمة شريفة بغلاف اطلس احمر مزركش وكرسي له عاج وابانوس

وقفل فضة وغيره من الهدايا واشياء مستظرفة مستغربة ولطائف لا يوجد مثلها في خزانة ملك كبير كل هذا لمصلحة الاسلام .

(ابن عبد الظاهر – الروض الزاهر 173)

استقبل رسل بيبرس في البلاط المغولي بالحفاوة . ولما عادوا ذكروا مدى اتساع انتشار الاسلام بين مغول القفجاق بحيث ان لكل امير واميرة في البلاط اماما ومؤذنا خاصا وان الاطفال يحفظون القرآن في المدارس .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 112)

12) بيبرس وعمارة المدائن :

بنى في ايامه بالديار المصرية ما لم يبنى في ايام الخلفاء ولا ملوك بني ايوب من الأبنيه والرباع والخانات والقواسير والدور والمساجد والحمامات.

(ابن تغري بردي– النجوم الزاهرة)

وله من الآثار الحسنة والأماكن ما لم يبن في زمن الخلفاء وملوك بني أيوب, مع اشتغاله بالجهاد في سبيل الله .

(ابن كثير– البداية والنهاية 536)

فرم ما فسد منها وبنى مشهدا في عين جالوت عرف بمشهد النصر .

بعث السلطان الاتابك فارس الدين اقطاي والصاحب ابن حنا لكشف مكان يعمله جامع بالحسنية فصاروا واتفقوا على مناخي الجمال السلطانية فلما عادا قال السلطان لا والله لا جعلت الجامع مكان الجمال واولى ما جعلت ميداني الذي العب فيه الكرة وهو نزهتي جامعا فرتب بناء الجامع على ان يكون بقية الميدان وقفا عليه ثم عاد الى المدرسة التي أنشاها بين القصرين وقد اجتمع بها الفقهاء والقراء فقال هذا مكان جعلته لله تعالى

لا تدفنوني هنا ولا تغيروا معالم هذا المكان .

(المقريزي – السلوك 42/2)

رتب **السلطان** البريد في سائر الطرقات صار الخبر يصل من قلعة الجبل الى **دمشق** في اربعة ايام ويعود في مثلها فصارت اخبار الممالك ترد اليه في كل جمعه مرتين ويتحكم في سائر المملكه وهو مقيم في **قلعه الجبل** وانفق في هذا مالا عظيما .

وعمر شيئا كثيرا من الحصون والمعاقل والجسور على الأنهار الكبار ، وبنى دار الذهب **بقلعة الجبل** وبنى قبة على اثني عشر عمودا ملونة مذهبة ، وصور فيها صور خاصكيته وأشكالهم ، وحفر أنهارا كثيرة وخلجانات ببلاد مصر ، منها نهر **السردوس** ، وبنى جوامع كثيرة ومساجد عديدة ، وجدد بناء مسجد **رسول الله** صلى **الله** عليه وسلم حين احترق ، ووضع الدرابزينات حول **الحجرة الشريفة** ، وعمل فيه منبرا وسقفه بالذهب ، وجدد **المارستان** بالمدينة ، وجدد قبر **الخليل عليه السلام** ، وزاد في زاويته وما يصرف إلى المقيمين ، وبنى على المكان المنسوب إلى قبر **موسى عليه السلام** قبة قبلي أريحا ، وجدد**بالقدس** أشياء حسنة ، من ذلك قبة السلسلة ، ورمم سقف الصخرة ، وغيرها وبنى **بالقدس** خانا هائلا ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين من مصر ، وعمل فيه طاحونا وفرنا وبستانا ، وجعل للواردين إليه أشياء تصرف إليهم في نفقة وإصلاح أمتعتهم ، رحمه الله تعالى . وبنى على قبر **أبي عبيدة** بالقرب من **عمتا** مشهدا ، ووقف عليه أشياء للواردين إليه ، وعمر جسر دامية ، وجدد قبر جعفر الطيار بناحية الكرك ، ووقف على الزائرين له شيئا كثيرا ، وجدد قلعة صفد وجامعها ، وجدد جامع الرملة ، وغيرها في كثير من البلاد التي كانت الفرنج قد أخذتها وخربت جوامعها ومساجدها ، وبنى **بحلب** دارا هائلة ، و**بدمشق** القصر الأبلق والمدرسة

الظاهرية وغيرها ، **وضرب الدراهم والدنانير الجيدة الخالصة على النصح والمعاملة الجيدة الجارية بين الناس ، فرحمه الله** .

(ابن كثير – البداية والنهاية 534)

وله عدة أوقاف بمصر :

منها وقف الطرحاء لتغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم ، وهو من أكثر الأوقاف نفعا ، ومنها تربة الظاهرية بالقرافة ، والمدرسة الظاهرية بخط بين القصرين من القاهرة ، والجامع الظاهري خارج باب الفتوح من القاهرة . وعمر السلطان بيبرس الجسر الذي يسلك عليه إلى دمياط ، وأنشأ عليه ست عشرة قنطرة ، وعمر قنطرة بحر انصباب السيل جدد بناء الحرم النبوي , جدد بناء قبه الصخره , بنى المدرسه الظاهريه بين القصرين , اعاد بناء حصن الجزيرة , بنى جامعه في الحسينيه , شيد قناطر السباع , بنى مشهد النصر في عين جالوت , جدد اسوار الاسكندرية , بنى مرقبا في ثغر رشيد, اعاد بناء القلاع التي هدمها المغول في الشام .

13) بيبرس وبلاد الجوار :

وضم **الظاهر بيبرس** بلاد **اليمن** التي كانت تحت **حكم بني رسول** فأضحت البلاد تحت **الحكم المملوكي** , وارتبط **الظاهر** بعلاقاته وديه مع سلطان **اليمن المظفر شمس الدين يوسف ابن عمر ابن علي ابن رسول** .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 109)

وفي **تونس** كان ملوك **بني حفص** تلقبوا بلقب الخلفاء عندما تلقب **ابو عبد الله محمد الاول الحفصي** بلقب خليفة وتلقب بلقب **المستنصر بالله المنصور بفضل الله امير المؤمنين ابي عبد الله بن الامراء الراشدين** .

(القلقشندي– صبح الاعشى 123/5)

مما شجع الشريف **ابو نمى ابن الحسن** على الاعتراف بسيادتهم على **مكة** .

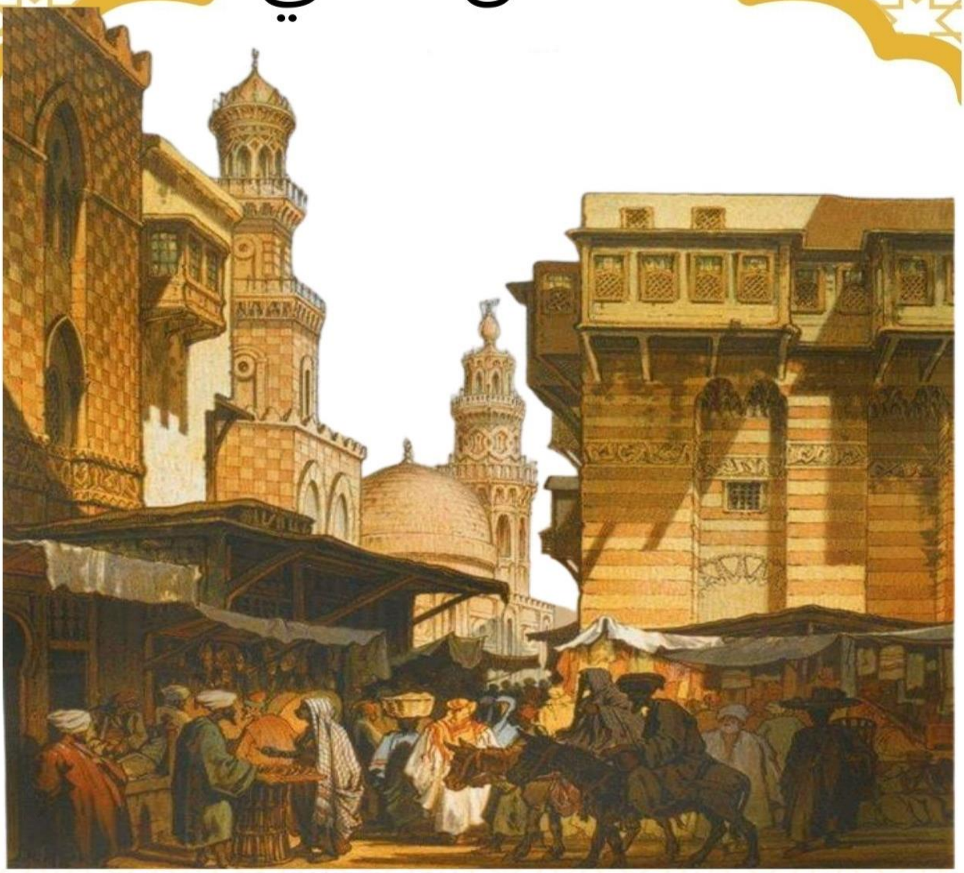
فلما اعاد **بيبرس الخلافه** في **القاهرة** حدث فتورا في العلاقات بين الطرفين ولكن عندما نزل **الصليبيون** الى **تونس** , ارسل **بيبرس** رسالة الى ملك **الحفصيين يخبره بعزمه على ارسال نجده له على وجه السرعه للتصدي للغزاة** .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 110)

ولكن سرعان ما فشلت حمله **لويس** فعادت العلاقات للفتور مجددا ثم انه في **عام 1271م 670 هـ** وصل رسول ملك **الحفصيين** الى مصر ومعه كتاب باسلوب استعلائي مما اثار استياء **السلطان** ففرق الهدايا على الامراء ثم رد على رسالته برساله تنتقد تقاعسه عن **الجهاد** قائلا : **"ان مثلك لا يصلح ان يلي امور المسلمين"** .

(سهيل طقوش– تاريخ المماليك 110)

الفصل الثاني



ابنيِ الملك الظاهر

1. ترجمة الملك السعيد و الملك العادل :

كانت وفاة الظاهر **بيبرس** في **السابع والعشرين من المحرم** بالقصر الأبلق **بدمشق** فحضر نائب السلطنة **عز الدين أيدمر** وكبار الأمراء ، فصلوا عليه سرا , وجعلوه في تابوت في بيت من بيوت البحرية وكتم موته ، فلم يعلم جمهور الناس به ، إلى أن نقل إلى تربته التي بناها ولده له بعد موته .

وكان **الظاهر بيبرس** قد بايع أبنه **السعيد** في حياته فقام في **الملك** من بعده ولم يكمل العشرين من عمره بعد .

وكانت العساكر الشامية قد سارت إلى الديار المصرية ، ومعهم محفة يظهرون أن **السلطان** فيها مريض ، حتى وصلوا إلى القاهرة فجددوا البيعة **للسعيد** بعدما أظهروا موت الملك السديد الذي هو إن شاء **الله** شهيد .

(ابن كثير – البداية والنهاية 536/13)

فلما وصلوا قلعة الجبل جلس **الملك السعيد** بالإيوان ، وسلم إليه **الأمير بيليك** الخزائن والعساكر ووقف بين يديه ، فصاح الحجاب حينئذ . يا أمراء ترحموا على **السلطان الملك الظاهر** . فارتفع الضجيج والعويل .

(المقريزي – السلوك)

خطب في جميع الجوامع بالديار المصرية **للملك السعيد** ، وصلى على والده **الملك الظاهر** ، واستهلت عيناه بالدموع .

(ابن كثير – البداية والنهاية 536/13)

والسعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي . ولد في عام **1260**م في مصر ، وهو الابن الأكبر للسلطان **الظاهر**

بيبرس وهو ابن ابنة الأمير **حسام الدين بركة خان الخوارزمي** من ضمن الخوارزمية التي تحالف **الصالح أيوب** معها وهو غير بركة خان ملك القبيلة الذهبية

في عام **1264**م عينه **الظاهر بيبرس** وليًا للعهد .

زوجه ابيه من **غازية خاتون** ابنة **سيف الدين قلاوون** وفي ظنه انه بذلك يحفظ الملك له بعد وفاته .

اتخذ **الملك السعيد** سياسة ابعاد كبار الامراء وتقريب المماليك الاحداث, مما ادى الى استياء امراء الدولة خاصة بعد موت أتابك العسكر الأمير بيليك وقد أتهم بقتله وقبضه على كثير من الأمراء أمثال **سنقر الأشقر** فأرسلوا اليه " **انك قد افسدت الخواطر وتعرضت الى الاكابر فاما ان ترجع عما انت عليه والا كان لنا شأن اخر** " فلم يرتدع فمازالوا به حتى خلع نفسه وأرتضى أن ينفى في **الكرك** .

لما تم خلع **الملك السعيد** عرض الأمراء السلطنة على الأمير **سيف الدين قلاوون الألفي** فامتنع وقال :

أنا ما خلعت الملك السعيد طمعا في السلطنة ، والأولى ألا يخرج الأمر عن ذرية الملك الظاهر .

فمال الجميع إلى قوله واستدعوا **سلامش بن الملك الظاهر** وعمره سبع سنين واتفقوا أن يكون الأمير **قلاوون** أتابكه إليه أمر العساكر وتدبير الممالك ولقبوه **بالملك العادل بدر الدين** .

كان **قلاوون** صورة أتابك وتصرفه تصرف الملوك فما زال حتى تمكن من الملك ثم جمع الأمراء معهم في صغر سنه ، وقال لهم :

قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل .

اتفقوا على خلع سلامش فخلعوه ، وبعثوا به إلى الكرك وكانت مدة ملكه مائة يوم ، ولم يكن حظه من الملك سوي الاسم فقط ، وجميع الأمور إلى الأتابك قلاوون .

(المقريزي – السلوك)

ومعنى أسم " سلامش " الساعد / المساعد .

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين وامراء المماليك 91)

2- حوليات بركة خان وسلامش :

- يوم الخميس سادس عشر صفر , جلس الملك السعيد بالإيوان ، وسلم إليه الأمير بيليك الخزائن والعساكر ووقف بين يديه ، فصاح الحجاب حينئذ . يا أمراء ترحموا على السلطان الملك الظاهر .
- وفيه : دعا الخطباء على منابر الجوامع بمصر والقاهرة للملك السعيد ، وصلي بها على الملك الظاهر صلاة الغائب .
- وفي ربيع الآخر : مات الأمير بدر الدين بيليك النائب ، واتهم أن السعيد سمه
- وفيه تغير السلطان على الأمراء ، وقبض على الأمير جودي القيمري الكردي فنفرت منه قلوب الأمراء لا سيما الصالحية : مثل الأمير سيف الدين قلاوون ، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير سنجر الحلبي .
- وفيه : قبض السلطان على الأمير سنقر الأشقر ، والأمير بدر الدين بيسري ، وسجنهما بالقلعة ، فزادت الوحشة بينه وبين الأمراء ،
- وفي هذه السنة عم ماء النيل أرض مصر كلها ، ورخص سعر الغلة .
- وفي جمادى الأولى : شرع في بناء الدار التي تعرف بدار العقيقي تجاه العادلية

لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر ، وأسس أساس التربة ، وأسست المدرسة أيضا

- وفيها توفي الشيخ محي الدين أبو زكريا يحيي بن شرف النووي الشافعي ،
- سنة سبع وسبعين وستمائة .
- في المحرم : عمل عزاء الملك الظاهر ، عند تمام سنة من وفاته
- في ذي القعدة : مات الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا
- سنة ثمان وسبعين وستمائة .
- في المحرم : قرر الخاصكية مع الملك السعيد القبض على الأمراء عند عودهم من سيس ، وعينوا إقطاعتهم لأناس منهم
- وكان الأمير كوندك النائب مطلع على ذلك . واستغرق السلطان في لذاته ، وبسط يده بعطاء الأموال لخاصكيته ، وخرج عن طريقة أبيه ،
- في ربيع الآخر : حضر الخليفة والقضاة ، الأعيان ، وأنزل بالملك السعيد ، وأشهد عليه أنه لا يصلح للملك . وخلع السعيد نفسه ،
- في جمادى الآخرة استقر الأمير سنقر الأشقر في نيابة السلطنة بدمشق ،
- وفي رجب : جمع قلاوون الأمراء وتحدث معهم في صغر سن الملك العادل ، , اتفقوا على خلع سلامش فخلعوه ، وبعثوا به إلى الكرك .

2. مجريات الملك السعيد والعادل سلامش :

1) الملك السعيد وأبيه :

كان السلطان **الظاهر** قد سعى في حياته لتوريث السلطنة لابنه **الملك السعيد** ففي **سنه 662هجريا** ركب **بيبرس** وابنه بشعار السلطنة في احتفال كبير حضره الامراء والقضاه

والفقهاء **وفي عام 673 هجريا** ركب به مرة اخرى وزوج السلطان من ابنة الامير **سيف الدين قلاوون** لكي يضمن ولاءه بالشكل الذي يؤمن له عرش السلطنه .

(قاسم عبده قاسم –عصر سلاطين المماليك 113)

وفي عام 667 هجريا جلس **الملك السعيد** بركة في مرتبة الملك وحضر الامراء فقبلوا الارض وحلفوا له وسائر العساكر .

ركب **الملك السعيد** الموكب كما يركب والده وجلس في الايوان وقرئت عليه القصص , قرأ بالايوان تقليد بتفويض السلطنة اليه .

كتب **السلطان الظاهر** الى الامراء والنواب بمكاتبه **الملك السعيد** والاعتماد على اجوبته وهو في بلاد الشام ثم دخل مصر فرأى الأحوال كلها ماشيه كانه حاضر لم يختل شيء من الامور وقصد بما فعل ان يكشف حال مملكته ويعرف احوال ابنه فتم له ما اراد .

(المقريزي – السلوك 58/2)

فلما مات **السلطان** قدم الامراء الى قلعه الجبل **والملك السعيد** بالايوان فسلم اليه الامير بيليك الخزائن والعساكر ووقف بين يديه فصاح الحجاب حينئذ يا امراء ترحموا على **السلطان الملك الظاهر** .

(المقريزي – السلوك108/2)

عمل عزاء **الملك الظاهر** ، عند تمام سنة من وفاته ، بالأندلس من قرافة مصر ، ومدت هناك الأسمطة في الخيام للقراء والفقهاء ، وفرقت الأطعمة على أهل الزوايا ، وكان من الأرقات العظيمة ، لكثرة من اجتمع فيه من الناس على اختلاف طبقاتهم ، وعمل مجمع آخر بجامع ابن طولون ، وفي الجامع الظاهري ، والمدرسة الظاهرية ، والمدرسة الصالحية ، ودار الحديث الكاملية ، والخانقاة الصلاحية سعيد السعداء ، والجامع الحاكمي وعمل للنكارزة والفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير .

كان **السلطان** قد أوصى ولده فقال :

" انك صبي وهؤلاء الامراء الكبار يرونك بعين الصبي فمن بلغك عنه ما يشوش عليك ملكك وتحققت ذلك فاضرب عنقه في وقته ولا تعتقله ولا تستشير احدا , افعل ما امرتك به والا ضاعت مصلحتك " .

(قاسم عبده قاسم –عصر سلاطين المماليك 113)

لم يكن من المنتظر ان يخلص الحكم بطريق الوراثه لابناء **الظاهر** وهكذا مضت الدوله على طريق الحكم العسكري القائم على القوة .

(قاسم عبده قاسم –عصر سلاطين المماليك 115)

ولكن السعيد كان شابا غرا طائشا لم يتجاوز التسعة عشر ربيعا عند اعتلائه العرش وكان منقادا لنفوذ والدته . لم يمضي على قبضه على صولجان الملك بضعه اسابيع حتى سم وزير والده الاتابك وزج بغيره في غيابات السجون ثم اخذ ينقاد لأراء صغار مماليكه وكانت مدة حكمه خاليه من الحوادث العظيمة . وتسببت اخطائه الفادحه على الفور في اثاره عداء كبار الامراء وهو قاعدته السياسيه هشه للغاية .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك –61)

2) الملك السعيد و الأمراء :

اتخذ **الملك السعيد** سياسة ابعاد كبار الامراء وتقريب المماليك الاحداث الية حتى قوي نفوذهم فأصبح منقادا وراء ارائهم تارة ولنفوذ والدته تاره اخرى , مما ادى الى استياء الامراء الصالحيه من ذلك وراحوا يطلقون يدهم في اداره شؤون الدولة فلجاوا الى والدته لتقنعه بالكف عن ذلك .

ثم سرعان ما عظمت الصراعات الداخليه بين السلطان وكبار الامراء فعمد الملك السعيد

الى التخلص منهم فسجن بعضهم وابعد الاخر .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 162)

فلما مات **الأمير بدر الدين بيليك النائب** ، اتهم أن الملك سمه ومن بعده اضطربت أمور **الملك السعيد** , وتوهم منه بقية الأمراء ، وخشوا أن يعاملهم كما عامله مع حفظه له الملك وتسليم الخزائن والعساكر إليه ، فلم يكافئه إلا بأن قتله بالسم .

فتوغرت بينهما الصدور ، ودبت بينهما عقارب الشرور ، وأعمل كل منهما مكره في أذية الآخر .

وأخذ **الملك السعيد** في اللهو واللعب والانبساط مع الخاصكية .

ورموا **الملك السعيد** بأنه قد أسرف وأفرط في سوء الرأي وأفسد التدبير . وقالوا : **الملك لا ينبغي له أن يلعب ولا يلهو ، وإنما همة الملوك في العدل ومصالح المسلمين ، والذب عن حوزتهم كما كان أبوه .**

(المقريزي – السلوك)

ثم قبض **السلطان** على الأمير **سنقر الأشقر** ، والأمير **بدر الدين بيسري** ، وسجنهما بالقلعة ، فزادت الوحشة بينه وبين الأمراء ،

ودخل خاله الأمير **بدر الدين محمد بركة خان** إلى أخته أم السلطان ، وقال لها : **قد أساء ابنك التدبير بقبضه على مثل هؤلاء الأمراء الأكابر ، والمصلحة أن ترديه إلى الصواب ، لئلا يفسد نظامه وتقصر أيامه .**

فلما بلغ **الملك السعيد** ذلك قبض عليه . واعتقله ، فلم تزل به أمه تعنفه وتتلطف به ، حتى أطلقهم وقد تمسكت عداوته من قلوبهم .

اجتمع امراء الصالحيه وارسلوا الى السلطان يحذرونه من عاقبة افعاله اذا لم يرتدع ويقولون :

" انك قد افسدت الخواطر وتعرضت الى الاكابر فاما ان ترجع عما انت عليه والا كان لنا شأن اخر " .

(العيني – عقد الجمان 187/2)

تم الصلح بين الامراء والملك ولكن لم يدم كثيرا حتى شب من جديد .

(النويري – نهاية الأرب 374/30)

ثم وصلت ذروه الخلاف حين خرج الملك الى دمشق وعهد الى الامراء بغزو بلاد الارمن ودبر لهم بالقبض عليهم عند عودتهم .

علم الامراء مراد **السلطان** فتجمعوا عند مرج الصفر واقاموا هناك فأرسل **السلطان** اليهم يتوددهم ويتلطفهم ويستميلهم على وعد بتسويه امورهم فاشترطوا عليه ابعاد احداثه عن اداره الدوله فرفض .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 163)

وأما **السلطان** فإنه لما نزل بلبيس وبلغه خبر الأمراء خامر عليه من كان معه من عسكر الشام وتركوه في بلبيس ولم يبق مع **السلطان** إلا مماليكه

فلما اجتمعوا كلهم بمرج الصفر أرسل **السلطان** أمه إليهم ، فتلقوها وقبلوا الأرض بين يديها ، فأخذت تتألفهم وتصلح الأمور ، فأجابوها واشترطوا شروطا على ولدها **السلطان** ، فلما رجعت إليه لم يلتزم بها ، فسارت العساكر إلى الديار المصرية ، فساق **السلطان** خلفهم ليتلافى الأمور قبل تفاقمها وقد كان أرسل أهله وأولاده وثقله إلى الكرك ، فحصنهم فيها .

(المقريزي – السلوك)

رفض **الملك** شروط امراءه مما زادهم نفورا منه وتباعدا حتى وصل الصراع بين الطرفين الى نقطه اللا عودة , عندئذ قرر الامراء المعارضون التوجه الى مصر والعمل على خلعه .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 163)

فبلغ ذلك الأمراء الذين بقلعة الجبل فامتنعوا بها وحصنوها وتقدموا إلى متولي القاهرة فسد أبوابها , فراسلهم **قلاوون** والأمراء في فتح أبواب القاهرة ليدخل العسكر إلى بيوتهم ويبصروا أولادهم فإن عهدهم بعد بهم ففتحت أبوابها ودخل كل أحد إلى داره وزحفوا إلى القلعة وحاصروها .

(المقريزي – السلوك)

لما علم **السلطان** بنيتهم رحل هو الاخر الى مصر لكنهم قد سبقوه فما دخل القلعه الا بصعوبه .

فلما دخلها حاصروه بها وشددوا عليه الحصار وقطعوا الماء عنها , فعرض عليهم اقطاعهم بلاد الشام فرفضوا واصروا ان يخلع نفسه .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 163)

بعث **السلطان** الخليفة **الحاكم بأمر الله أحمد** ، يقول : **يا أمراء إيش غرضكم؟** فقالوا : يخلع **الملك السعيد** نفسه من الملك ونعطيه الكرك .

(المقريزي – السلوك)

في فترة الحصار الذي استمر مدة أسبوع نزل إلى الأمراء المحاصِرين كثير من الأمراء المحاصَرين بالقلعة وتبعهم المماليك شيئا بعد شيء .

وصار السلطان يشرف من برج الرفرف المطل على الإسطبل ويصيح بهم :

يا أمراء أرجع إلى رأيكم ولا أعمل إلا ما تقولونه فلا يجبه أحد منهم .

حضر الخليفة والقضاة ، الأعيان ، وأنزل بالملك السعيد ، وأشهد عليه أنه لا يصلح للملك .

وخلع السعيد نفسه ، وحلف أنه لا يتطرق إلى غير الكرك ، ولا يكاتب أحدا من

النواب ، ولا يستميل أحد من الجند ، وسفر من وقته إلى الكرك .

(المقريزي – السلوك)

وكان **الملك الظاهر** قد ادخر في **الكرك** اموالا وافرة حفظها رصيدا لاولاده .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 164)

فكانت مدة ملكه من حين وفاة أبيه إلى يوم خلعه سنتين وشهرين وثمانية أيام ، فوصل إلى الكرك وسلمها ، واحتوى على ما فيها من الأموال وكانت شيئا كثيرا .

(المقريزي – السلوك)

3) سلامش و قلاوون :

حلف الامراء والجنود وأعيان الدولة له ولقبوه **بالملك العادل** واختير **قلاوون** اتابكا له .

عاد **الاتابك** لصدارة المشهد وألا يكون **للسلطان** الصغير الا الاسم واللقب فقط وان يصبح العوبه في يديه .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك – 165)

ظهر هذا جليا حين ضرب السكة باسم **الملك العادل** على احد وجهي العمله وبأسم **قلاوون** على الوجه الاخر بل وخطب لهما معا .

(ابن تغري بردي –النجوم الزاهرة 286/7)

بدأ **قلاوون** بالتمهيد لطريق السلطنة , فعزل نواب الشام الموالين لبيت **بيبرس** وولى مكانهم من يثق بهم ثم سجن بعض الامراء في ثغر الاسكندرية .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 166)

كان الأمير **قلاوون** في صورة أتابك وتصرفه تصرف الملوك , فأعطي ومنع وقطع ووصل واستخدم وعزل .

(المقريزي – السلوك 658/1)

ثم جمع **قلاوون** الأمراء وتحدث معهم في صغر سن **الملك العادل** ، وقال لهم : " **قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل**" إلى أن اتفقوا على خلع **سلامش** فخلعوه ، وبعثوا به إلى **الكرك** .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 226/2)

وكانت مدة ملكه مائة يوم ، ولم يكن حظه من الملك سوي الاسم فقط ، وجميع الأمور إلى الأتابك **قلاوون** .

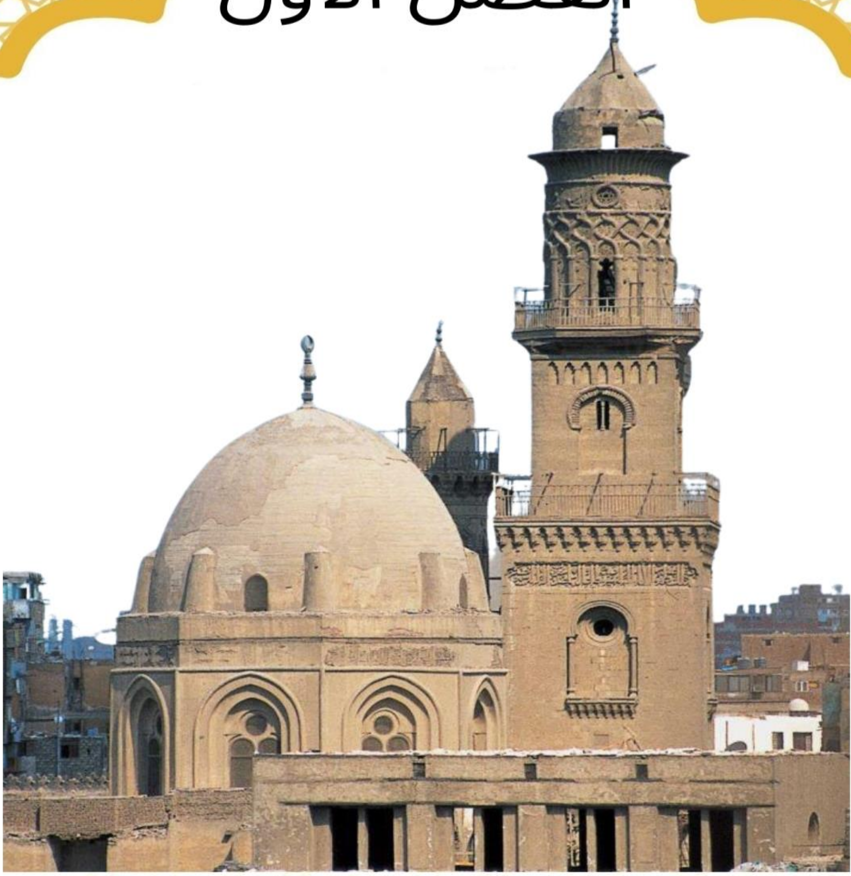
(المقريزي – السلوك 658/1)

الباب الرابع:
الدولة القلاوونية

قَلاوون ، ورد البلاد فيِ أحسن جلبةَ ، وأبهى وأتَمَ خلقةَ وخلقَ فازدحمت عليِه عند وصوله -وهو ابن أربع عشرةَ سنةَ- أرباب الرغبات وبذِلت فيِه الألوف من الذهب ، فكان الألفيِ قَامةَ ، والألفيِ قَيِمةَ ، وأنّه لأعلى وأغلى ، وإن محله لأجلّ وأعلى .

(شافع بن عليِ)

الفصل الاول



المنصور قلاوون

1. ترجمة الملك المنصور قلاوون :

وأسم **قلاوون** معناه البطة .

(عبد الله عطية – معجم اسماء وسلاطين وامراء المماليك 113)

سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي العلائي من جنس القبجاق ، ومن قبيلة **برج أغلي** .

بعدما استولى **المغول** على بلاد **القفجاق 640 هـ 1242 م** اتى المملوك الملك بلاد **مصر** ليسطر تاريخا ما سبقه به احد من قبله وما لحقه من بعده .

جاءها كبيرا ولذلك كان معجم اللسان لا يكاد يفصح بالعربية .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 325/7)

لحسنه وجمال صورته اشتراه **الامير علاء الدين اق سنقر الساقي العادلي** وغالى في ثمنه حتى اشتراه بالف دينار فعرف من بعدها **بقلاوون الالفي** .

وفي سنة سبع وأربعين وستمائة . مات أستاذه **الأمير علاء الدين** فصار إلى **الملك الصالح نجم الدين أيوب** في عدة من المماليك ، عرفوا **بالعلائية** .

ثم سريعا ما جعله **السلطان** من جملة المماليك البحرية الذين أسكنهم قلعة الروضة .

(بيبرس المنصوري– زبدة الفكرة 171)

فلما قام **المعز أيبك** في سلطنة مصر ، وقتل **الفارس أقطاي** ، خرج **قلاوون** من **مصر** فيمن خرج من **البحرية** .

ثم عاد برفقه **الظاهر** لمشاركه الملك **المظفر قطز** في حربه ضد **التتار** .

ثم كان له دور جليل في المعركة الفاصلة التي دارت رحاها في سهل **عين جالوت** .

(محمد حمزة – المنصور قلاوون 18)

ولما قتل **المظفر** وجلس **بيبرس** على تخت السلطنة ارتفعت مرتبة **سيف الدين** في دولة **الظاهر** وارتفعت درجته وعظمة منزلته .

(بيبرس المنصوري– زبدة الفكرة 171)

حتى اعتمد عليه **بيبرس** في كثير من أعماله السلمية والحربية .

(النويري – نهاية الأرب 7/31)

بعد اعادة أعماره لقلعة الروضة رسم **بيبرس** ان يكون برج الزاوية **لقلاوون**, و شارك معه في بناء مشهد **عين جالوت** بل حضر كل حروب **الظاهر** .

فكان يشاركه في عملية صنع القرار اثناء حروبه ضد **المغول** بل انه ايضا سيطر على ادارة قلعة **الروضة** التي كانت تعد يومئذ مركزا للنشاط السياسي للمماليك **البحرية** .

(فرسان المماليك – جيمس واترسون 256)

حين ذاك القي في نفس **الملك الظاهر** ان الملك بعده إليه سائر .

(بيبرس المنصوري– زبدة الفكرة 171)

كان **الظاهر بيبرس** ذو نيه في ان يحصر السلطنة في بيته فعمل على استمالته , فزوج ابنه **الملك السعيد** من ابنة **قلاوون غازية خاتون** ظنا منه انه لن يقدم على انتزاع **السلطنة** من يد زوج ابنته .

(سهيل طقوش – دولة المماليك 169)

كانت بدايه الشقاق من **السعيد** نفسه فما اجمل معه الصحبة ولا رعي له حق القربة وقطع ما بينهما بقلة انصاف وعامله بما كان سببا في انحرافه .

(بيبرس المنصوري– زبدة الفكرة 171)

وفي نفس الوقت كانت اطماع الامير اقوى من رابطة المصاهرة وراح يعمل من وراء حجاب على ازاحة **السعيد** من الملك حتى نجح في خلع **السلطان** .

(سهيل طقوش – دولة المماليك 170)

بعد خلع **الملك السعيد** راح يتظاهر بالزهد : " **انا لم اخلع الملك السعيد شرها الى السلطنة وحرصا على الملك لكن حفظا للنظام وانفة لجيوش الاسلام ان يتقدم عليهم الاصاغر ويمتهنوا منهم الاعيان والاكابر ويضيعوا مصالح العسكر والأولى ألا يخرج الأمر من ذرية الملك الظاهر** " .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 223/2)

ثم تنقلت به الأحوال حتى صار أتابك العساكر بديار مصر في سلطنة **الملك العادل سلامش بن الظاهر** ، وصار يذكر اسمه مع اسم **العادل** على المنابر وتصرف تصرف الملوك مدة ثلاثة أشهر .

تصرف في التدبير في امر المملكه من الامر والنهي والاخذ والعطف .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 222/2)

سريعا ما استغل منصبة لصغر سن **سلامش** فراح يعمل بتئدة حتى مكن لنفسه عن طريق التخلص من الأمراء المنافسين له والامراء الموالون لبيت **الظاهر** وأستمال المماليك **البحرية** بالأحسان إليهم .

(سهيل طقوش – دولة المماليك 170)

جاءت لحظة الحقيقة واراد **الامير** عزل **السلطان** من جديد فقال **للامراء** :

" قد علمتم ان المملكة لا تقوم الا برجل كامل "

(المقريزي – السلوك 658/1)

فقال الامراء :"**ان الرأي جلوس قلاوون في الدست استقلالا ليزداد الملك بهجه وجلالا** "

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 225/2)

وقع الاتفاق على خلع **العادل** وإقامة **قلاوون** .

" **فلما اراد الله امطاه صهوة المماليك** " , فأجلس **قلاوون** على تخت الملك ، وحلف له الأمراء وأرباب الدولة ، وتلقب بالملك **المنصور** .

اما **البحرية** فان **السلطان** قد رفع من قدر خشداشيته وعتقائه وصيرهم ولاة الأمور وقادة العساكر ونوابا في الممالك .

وأحضر من كان من البحرية منسيا وقرب من كان منهم بعيدا مقصيا فاعطاهم الاقطاعات واحسن اليهم ما استطاع .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 225/2)

فقد كان سخيا جدا بل واكثر من سخيا في وعوده التي يبذلها لمؤيديه .

(جيمس واترسون – فرسان الاسلام 255)

ثم جازى الظاهرية بسوء افعالهم واذاقهم وبال امرهم .

جلس السلطان **سيف الدين قلاوون الالفي الصالحي النجمي** على تخت السلطنة وهو في الستين من عمره .

(جيمس واترسون – فرسان المماليك 255)

ثم ارسل **سلامش** مع اخيه بقلعه **الكرك** منفى ابناء السلاطين المعزولين .

(سعيد عاشور – الايوبيين والمماليك 254)

اكمل رساله سلفه **بيبرس** في معركة الجهاد فقلم اظافر **المغول والصليبيين** .

(محمد حمزة– المنصور قلاوون 105)

كان **المنصور** يرى في **الفرنج** عدوا احتل ارض الاسلام , كما كان يرى في بقائهم على هذه الارض نوعا من الاغتصاب والعدوان المستمر الذي لا ينبغي السكوت عنه سواء كانت هناك قيود او هدنة او لم تكن .

فقد كان اللون الصليبي على الخريطة العربية الاسلامية قد تقلص الى حد كبير وكان التاريخ يدخر **لقلاوون** وابنه **الأشرف** شرف القضاء النهائي على الوجود الصليبي فوق الارض العربية .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 120)

اهتم السلطان بالزراعة فشق الترع فصار في حياته يروى ما لم يكن يروى .

(المقريزي – السلوك 713/1)

وصارت الاراضي بعد الضياع تعد من الضياع .

(بيبرس المنصوري– زبدة الفكرة 263)

وغرس الناس الغروس فصارت الاراضي بساتين .

(المقريزي – الخطط 185/2)

واهتم **السلطان** ايضا بالتجارة وازدهرت موانئ **الطور والسويس والاسكندريه ودمياط وعيذاب** والطرق المؤدية الى القاهرة وأنشا في عهد **السلطان** الكثير من الفنادق والوكالات والقياسر والاسواق والخانات كما عمل على حسن العلاقه مع حكام دول حوض البحر الاحمر عن طريق الهدنة والهدايا والمعاهدات .

كما امر نوابه بالثغور بحسن معامله التجار القادمين من بلاد اوروبا الشرقية وتجار جنوة ومنح البنادقة عده امتيازات .

(محمد حمزة – المنصور قلاوون 68)

اسرة المنصور قلاوون :

تزوج السلطان الملك المنصور والدة ولده الملك الصالح علاء الدين على رحمهما **الله** تعالى **خوند فاطمة بنت سيف الدين كرمون** .

(المقريزي – السلوك)

وتزوج من خوند **قطقطية** وأنجبت له ابنه **الأشرف خليل** .

(بيبرس الدوادار – زبدة الفكرة 71)

وتزوج من **خوند اشلون** ابنة الامير **سكتاي بن قراجين بن جنقان** وانجبت له ابنه **الناصر محمد** .

(ابن اياس – بدائع الزهور 351)

وتزوج من رابعة أنجبت له ابنه **الأمير أحمد** وطلقها وتزوجت من بعده **الأمير بيسري** .

(المقريزي – السلوك)

وتزوج من ابنة **الامير شمس الدين سنقر التكريتي** .

(ابن الفرات)

وماتت في حياته ابنته **غازية خاتون** زوجة **الملك السعيد** ,توفيت في العام الذي توفي فيه اخوها **الامير على** .

(المقريزي – السلوك 207/2)

وكان **المنصور** قد أركب ولده **علاء الدين علي** بشعار السلطنة ، ولقبه **بالملك الصالح** وجعله ولي عهده ولكنه قد وافته المنية فمات في حياة ابيه.

اشتد حزن **السلطان** عليه وفيه قد قيل :

الحمد الله على حزن حزنا به الاجور الفاخرة

كنا نريد أن نجعله ملكا في الدنيا

فأراده الله ان يكون ملكا في الاخرة

ترك **الصالح علي** ولدا اسمه **موسى** من زوجته خوند **منكب ابنه الامير سيف الدين نوكية أخت زوجة أخيه خوند اردوكين** .

(المقريزي – السلوك 207/2)

ثم فوض **السلطان** ولاية العهد من بعده لابنه **الأشرف خليل** .

قالوا عن قلاوون :

السلطان الكبير ، الجليل ، الشهيد ، العادل ، الفاضل ، الحافظ ، المؤيد ، المظفَّر ، المعظَّم ، المبجل ، المجاهد ، المرابط ، المثاغِر ، الأوحد ، سيف الدين قلاوون " .

(القلقشندي – صبح الأعشى 89/8)

كان **السلطان** وسيما جسيما حسنا قسيما نبيلا بهيا جميلا من احسن الاتراك صورة واكرمهم هيبة تعلوه جلالة وحشمة وتقارنه مهابة وحرمة .

(بيبرس المنصوري– زبدة الفكرة 171)

مستدير اللحية وخطه الشيب , على وجهه هيبة الملك وعليه سكينة ووقار .

(الصفدي – فوات الاعيان 269/2)

عريض المنكبين قصير العنق فصيحا بلغه الترك والقبجاق قليل المعرفة بالعربية .

(المقريزي – السلوك 756/1)

كان قصير القامة درى اللون عظمي اللسان مقداما في الحروب .

(ابن اياس – بدائع الزهور 361/1)

حليما عفيفا في سفك الدماء مقتصدا في العقاب كارها للاذى .

(بيبرس المنصوري– زبدة الفكرة 172)

مهيبا شجاعا ملكا حليما قليل سفك الدماء كثير العفو شجاعا خيرا حسن السياسة تام الشكل وافر الوقار عليه جلالة وعظمة .

(تذكرة النبية في ايام المنصور وبنيه 135/1)

كريما حليما شجاعا مقداما عادلا مائلا الى فعل الخير والامر بالمعروف .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 326/7)

من اجل ملوك الاسلام .

(نزهة الاساطين 79)

عظيم الحرمة عند مماليكه لا يستطيع الواحد منهم ان ينهر غلامه ولا خادمه خوفا منه ولا يتجاهر احد منهم بفاحشة ولا يتزوج الا ان يزوجه هو بعض جواريه هذا مع كثره عددهم

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 327/7)

وفاته :

توفي السلطان قلاوون وهو مرابط بجيشه عند مسجد تبر , أثناء استعداده للرحيل لمنازلة عكا وعمره نحو سبعين سنة .

وكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوما ،

وترك ثلاثة أولاد : وهم **الملك الأشرف خليل** ، **والملك الناصر محمد** ، **والأمير أحمد** وقد مات في سلطنة أخيه **الأشرف** .

وترك من البنات **ابنتين** : وهما **ألتطمش وتعرف بدار مختار وأختها دار عنبر** وزوجة واحدة وهي **خوند أشلون أم الناصر محمد .**

وبلغت عدة مماليكه **اثنا عشر ألف مملوك ، وقيل سبعة آلاف** وهو الصحيح . تأمر منهم كثير ، وتسلطنت جماعة . وكان قد أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمائة من الآص والجركس ، وجعلهم في أبراج القلعة وسماهم البرجية .

فكان رحمه **الله** عظيم الحرمة عند مماليكه لا يستطيع الواحد منهم ان ينهر غلامه ولا خادمه خوفا منه ولا يتجاهر احد منهم بفاحشة ولا يتزوج الا ان يزوجه هو بعض جواريه هذا مع كثره عددهم .

2. حوليات المنصور قلاوون :

- سنة ثمان وسبعين وستمائة .

- في رجب : أجلس قلاوون على تخت الملك ، وحلف له الأمراء وأرباب الدولة ، وتلقب بالملك المنصور ، وأمر أن يكتب في صدر المناشير والتواقيع والمكاتبات لفظ الصالحي ، وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما وقلعة الجبل ، وأقيمت له الخطبة بأعمال مصر .

- وفيه أفرج السلطان عن عز الدين أيبك الأفرم ، وأقامه في نيابة السلطة

- وفيه : لازم الجلوس بدار العدل في يومي الإثنين والخميس .

- شعبان : استقر الأمير حسام الدين طرنطاي في نيابة السلطنة بديار مصر ، عوضاً عن عز الدين أيبك الأفرم ، بحكم رغبته عن ذلك وسعيه في استقرار طرنطاي .

- شوال : استقر القاضي فخر الدين بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء في الوزارة ،

- وفيه صرف النصارى من ديوان الجيوش ، وأقيم بدلهم كتاب مسلمون .

- وفيه هدم دير الخندق خارج باب الفتوح من القاهرة .

- وفي خامس عشريه : رسم بتضمين الخمر فظهر شرب الخمر ، وكثرت السكاري وزال الاعتراض عليهم

- في سادس عشريه : رسم بإراقة الخمور وإبطال ضمانها ، ومنع من التظاهر بشيء من المسكرات .

- ذي القعدة : مات الملك السعيد بركة قان بن الظاهر بالكرك ، وكان قد ركب في الميدان فتقنطر عن فرسه وهو يلعب بالكرة ، فصدع وحم أياماً ، وعمره نيف

وعشرون سنة ، فاتهم أنه سم فعمل له السلطان عزاء بالإيوان من قلعة الجبل ، وجلس كئيباً ببياض ، وقد حضر العلماء والقضاة والأمراء والوعاظ والأعيان ، فكان يوماً مشهوداً وأقام القراء شهراً يقرأون القرآن .

● وفيه أقيم نجم الدين خضر بن الظاهر ملكا مكان أخيه بالكرك ، فتحكم عليه مماليكه وأساءوا التدبير ، فصار إليهم من قطع رزقه ، وحضر إليهم طائفة من البطالين فساروا إلى الصلت واستولوا عليها ، وبعثوا إلى صرخد فلم يتمكنوا منها ، وأتتهم العربان وتقربوا إليهم ، وأخذوا مالا كثيرا من المسعود ولم يزل المسعود في إنفاق المال حتى فنيت ذخائر الكرك التي كان الملك الظاهر قد أعدها لوقت الشدة ، وبعث المسعود إلى الأمير سنقر الأشقر يستدعيه ، فجرد السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم إلى الكرك .

● وفي ذي الحجة : تسلم الأمير بدر الدين بيليك قلعة الشوبك من نواب الملك السعيد بالأمان

● وفيها ترك السلطان ركوبه مدة ، وسبب ذلك تغير قلوب الصالحية والظاهرية ومكاتبتهم سنقر الأشقر . فلما بلغه هذا عنهم خشي من اغتيالهم إياه ، وأخذ في التدبير عليهم ، فكثرت قالة العامة ، وجهروا بقولهم في الليل تحت القلعة بأصوات عالية يا بو عيشة اركب وكن طيب وصاروا يلطخون رنك السلطان في الليل بالقذر ، فيتغافل عنهم ، وهو يسمع صياحهم في الليل ويبلغه فعلهم برنكه . وزادوا حتى شافهوا أمراءه بالسب ، وهم يعرضون عنهم .

● في ربيع الأول : مات الأمير بدر الدين محمد بن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمي ، خال الملك السعيد بن الظاهر ، بدمشق .

● سنة تسع وسبعين وستمائة .

● المحرم : ركب الملك الكامل سنقر الأشقر بشعار السلطنة من قلعة دمشق إلى الميدان الأخضر ، وبين يديه الأمراء مشاة بالخلع ، ثم عاد .

● وفيه مات الأمير علاء الدين كندغدي الحبيشي من ضربة بسكين ، ضربه بها سنقر الغتمي الأشقر الأستادار ، وقبض عليه وسمر على باب زويلة .

● جمادى الآخرة : وورد الخبر بمسير التتار إلى البلاد الشامية ، وأنهم قد افترقوا ثلاث فرق : فرقة سارت من جهة بلاد الروم ومقدمهم صمغار وتنجي وطرنجي ، وفرقة من جهة الشرق ومقدمهم بيدو بن طوغاي بن هولاكو وصحبته صاحب ماردين ، وفرقة فيها معظم العسكر وشرار المغل منكوتمر بن هولاكو .

● في جمادى الآخرة : كثر الاضطراب في دمشق ، وعزم الناس على تركها والمسير إلى ديار مصر .

● وفيه : هجمت طوائف التتار على أعمال حلب ، وملكوا عين تاب وبغراص ودربساك ، ودخلوا حلب وقد خلت من العسكر ، فقتلوا ونهبوا وسبوا ، وأحرقوا الجامع والمدارس ودار السلطنة ودور الأمراء

● وفيه : أركب السلطان ولده علاء الدين أبا الفتح عليا بشعار السلطنة ، ولقبه بالملك الصالح وجعله ولي عهده ، فشق القاهرة .

● وفيه : عزل السلطان الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان عن وزارة الديار المصرية ، فعاد إلى ديوان الإنشاء ، وفوضت الوزارة بعده إلى الصاحب برهان الدين الخضر بن الحسن السنجاري .

- وفيها توجه السلطان من مصر بالعساكر إلى البلاد الشامية يريد لقاء التتارواستخلف على مصر بقلعة الجبل ابنه الملك الصالح علي . فسار السلطان إلى غزة ، ورحل منها عائداً إلى مصر ، بعد أن بلغه رجوع التتر ،

- رمضان : صرف قاضي القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز عن قضاء القضاة بديار مصر ، وكان قد سلك في ولايته طريق الخير والصلاح ، وتحري الحق والعدل وتصلب في الأحكام

- وفيه كتب السلطان إلى الأمير سيف الدين بلبان الطباخي نائب حصن الأكراد بغزو الفرنج بالمرقب ، لمساعدتهم التتار عند وصولهم حلب ، فجمع التركمان وغيرهم ، وحمل المجانيق والآلات ، ونازل المرقب ، فانهزم المسلمون ونهبهم الفرنج ، وعدم من المسلمين مقدار مائتي فارس وراجل . فكبر ذلك على السلطان ، وتحرك للسفر .

- ذي الحجة : خرج واستخلف ابنه الملك الصالح ، وخيم بمسجد تبر . ورتب السلطان الأمير علم الدين سنجر الشجاعي . في استخراج الأموال وتدبير أمور المملكة ، وجعله في خدمة الملك الصالح مع الوزير برهان الدين السنجاري . وأقام القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر بالقاهرة لقراءة البريد وتنفيذ الأشغال ، وأقر في نيابة السلطنة بديار مصر الأمير زين الدين كتبغا المنصوري .

- سنة ثمانين وستمائة .

- فيها سار السلطان قلاوون من ظاهر القاهرة ، فأتته رسل الفرنج وهو بمنزلة الروحا في تقرير الهدنة ، فتقررت بين مقدم بيت الإسبتار وسائر الإسبتارية بعكا ، وبين السلطان وولده الملك الصالح لمدة عشر سنين

- وفيها تقررت الهدنة أيضاً مع متملك طرابلس الشام لمدة عشر سنين ،
- وفي المحرم : مات قاضي القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعي بمصر ، فاستقر عوضه في نظر التربة الصالحية بخط بين القصرين الطواشي حسام الدين بلال المغيثي اللالا .
- وفي ربيع الأول : صرف الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري عن الوزارة بمصر ، وقبض عليه وعلى ولده واعتقلا بقلعة الجبل .
- وفيها قدمت رسل الملك المسعود خضر بن الظاهر صاحب الكرك في طلب الصلح والزيادة على الكرك ، ليكون له ما كان للناصر داود فلم يجب السلطان إلى ذلك ، فترددت الرسل بينهما إلى أن تقرر أن يكون له من حد الموجب إلى الحسا ، وأن تجهز إليه إخوته الذكور والإناث ، وترد عليهم الأملاك الظاهرية .
- وفيه : خرج مرسوم بإراقة الخمور وإبطال هذه الجهة الخبيثة ، فبطل ذلك .
- وفيه : وصلت أم الملك السعيد ناصر الدين محمد بن بركة قان ابن الملك الظاهر بيبرس وهو معها في تابوت إلى ظاهر دمشق ، فرفع في ليلة الخميس العشرين منه بحبال إلى أعلى السور ، وأرخي وحمل إلى تربة والده الملك الظاهر ، وألحده مع أبيه قاضي القضاة عز الدين بن الصائغ .
- وفي جمادى الأولى : شنق بالقاهرة رجلان . أحدهما مر به سقاء فزحمه بحمله حتى أتلف ثيابه فضربه بسكين قتله ، فشنق ، والآخر جندي طالب خياطا بمتاع له عنده ، فلما مطله ضربه فمات ، فشنق أيضاً .
- وفيه قبض على شخص يعرف بالكريدي في طريق مصر كان يقطع الطريق على الناس ، فسمر على جمل وأقام أياماً يطاف به أسواق مصر والقاهرة ،

فقطع عنه الموكل به الأكل والشرب ، فلما طالب بذلك قال له الموكل به : إنما أردت أن أهون عليك لتموت سريعاً ، حتى تستريح مما أنت فيه ، فقال له : لا تقل كذا ، فإن شر الحياة خير من الموت ، فناوله ما أكله وسقاه . فاتفق إنه وقعت فيه شفاعة فأطلق وسجن ، فعاش أياما ثم مات في السجن .

● جمادى الآخرة ورد الخبر بدخول منكوتمر أخي ابغا بن هولاكو إلى بلاد الروم بعساكر المغل ، وأنه نزل بين قيسارية والأبلستين . فبعث السلطان الكشافة ، فلقوا طائفة من التتر أسروا منهم شخصا وبعثوا به إلى السلطان ، فقدم إلى دمشق فآتاه السلطان و لم ينزل به حتى أعلمه أن التتر في نحو ثمانين ألفا ، وإنهم يريدون بلاد الشام في أول رجب . فشرع السلطان في عرض العساكر ، واستدعى الناس ،

● وفيه : اجتمع الناس بأسرهم في جامع دمشق ، وتضرعوا إلى الله وضجوا وبكوا ، وحملوا المصحف العثماني على الرؤوس ، وخرجوا من الجامع إلى المصلى خارج البلد وهم يسألون الله النصر على الأعداء .

● وفيه : وصل التتار إلى أطراف حلب ، وقدم منكوتمر إلى عين تاب ، ونازل أبغا قلعة الرحبة ، ومعه نحو ثلاثة آلاف فارس . وتقدم منكوتمر قليلاً قليلا حتى وصل حماة ، وأفسد نواحيها وخرب جواسق الملك المنصور صاحب حماة وبستانه فورد الخبر إلى السلطان بذلك وهو على حمص ، وأن منكوتمر في خمسين ألفا من المغل وثلاثين ألفا من الكرج والروم والأرمن والفرنجة ، وأنه قد قفز إليه مملوك الأمير ركن الدين بيبرس العجمي الجالق ودله على عورات المسلمين .

● شهر رجب : ورد الخبر على جناح الطائر في بطاقة من قاقون ، بأن جماعة من ميسرة العساكر المنصورة وصلوا منهزمين من العدو المخذول

• وقد كان أهل مصر صاروا يقنتون في صلواتهم ، وكثرت قراءة صحيح البخاري ، وأقبل الناس على تلاوة القرآن ، وتجمعوا في المشهد الحسيني وفي الجوامع والمساجد ، وكثر ضجيجهم ودعاؤهم . فاشتد القلق عند ورود هذا الخبر ، وجرد الملك الصالح في الحال عسكراً عليه الأمير صارم الدين أزبك الفخري في كثير من العربان إلى قطيا ، لرد المنهزمين وإعادتهم إلى السلطان ، ومنع أحد منهم أن يعبر إلى القاهرة ، فاعتمد ذلك .

• ولم يستمر قلق الناس غير ساعات من النهار ، وإذا بالطيور قد وقعت محلقة تحمل البطائق ، وتخبر فيها بالبشائر العظمي من كسر التتار .

• ثاني عشري رجب قدم السلطان دمشق فكان يوما عظيما إلى الغاية عظم فيه سرور الناس وكثر فرحهم ، وقال فيه الشعراء عدة قصائد .

• وفيه : قدم الأمير بدر الدين الأيدمري بمن معه من العسكر ، بعدما أنكي في التتار .

• وفيه قرر الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد في تدريس المدرسة بجوار قبة الشافعي من قرافة مصر

• شعبان : صعد السلطان إلى قلعته تحت صناجقه ، وأسرى التتار بين يديه ، وقد حمل بعضهم الصناجق التترية وهي مكسورة . فبعث السلطان بالأسرى وطبول التتار من جهة باب النصر حتى شقوا القاهرة إلى باب زويلة ، وساروا إلى القلعة ،

• وفي ذي القعدة : أخرج السلطان جميع نساء الملك الظاهر بيبرس وخدامه من القاهرة ، وبعثهم إلى الكرك .

● ومات في هذه السنة أبغا بن هولاكو بن طلوي بن جنكزخان بنواحي همذان عن نحو خمسين سنة ، منها مدة ملكه سبع عشرة سنة ، وقام في الملك بعده أخوه تكدار بن هولاكو .

● ومات منكوتمر بن هولاكو بن طلوي بن جنكزخان ، بجزيرة ابن عمر مكموداً عقب كسرته على حمص .

● سنة إحدى وثمانين وستمائة .

● في صفر : قبض على الأمير بدر الدين بيسري الشمسي ، والأمير كشتغدي الشمسي . فأغلق باب زويلة وعامة الأسواق ، وارتجت القاهرة حتى نودي : من أغلق دكانه شنق ، ففتحت الأسواق .

● وفي شعبان : حلف الشريف أبو نمي أمير مكة للسلطان وولده بالطاعة

● وفي رمضان وصلت رسل الملك أحمد أغا بن هولاكو أنه مسلم ، وأنه أمر ببناء المساجد والمدارس والأوقاف ، وأمر بتجهيز الحجاج . فأجيب بتهنئته بالإسلام ، والرضي بالصلح ، وأعيدت الرسل وقد أكرموا من غير أن يعلم الناس بدخولهم ولا خروجهم . وساروا سراً كما قدموا سراً

● وفي يوم عرفة : تزوج السلطان الملك المنصور قلاوون بخوند أشلون ابنة الأمير سكناي ابن قراجين بن جنغان نوبن القادم إلى القاهرة في الدولة الظاهرية ، وهي أم الملك الناصر محمد .

● وتزوج الملك الصالح على ابن السلطان بخوند منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكيه ، وكانت تحت الأمير زين الدين كتبغا المنصوري ، فرآها الملك الصالح يوم حضرت مع نساء الأمراء مهم أشلون يوم زفت إلى السلطان ، ففتنه

حسنها حتى كاد يهلك ، فمازال السلطان بطرنطاي النائب حتى ألزم كتبغا بطلاقها فطلقها .

- ومات في هذه السنة بن خلكان الشافعي ، المؤرخ قاضي دمشق
- سنة اثنين وثمانين وستمائة :
- في المحرم : استخرجت الجوالي من الذمة ، وكانت العادة أن تستخرج في شهر رمضان ، فأخر استخراجها إلى المحرم رفقا بهم .
- ربيع الأول : جرت الهدنة بين السلطان وبين الفرنج بعكا مدة عشر سنين .
- وفيها : خرجت تجريدة من قلعة كركر إلى حصار قلعة قطيبا إحدى قلاع أمد ، فأخذوها من أيدي التتار ، وأقيم فيها الرجال وعملت بها الأسلحة والغلال ، فصارت من حصون الإسلام المنيعة .
- وأخذت قلعة كختا من النصارى بسؤال أهلها ، فتسلمها أمراء السلطان . بمدينة حلب ، وشحنت بالأسلحة وغيرها ، وصارت مسلطة على الأرمن .
- وفي جمادى الأولى : خرج أرغون بن أبغا على عمه تكدار المسمى أحمد سلطان بخراسان ، فسار إليه وقتله .
- وفي هذه السنة : غارت العساكر على بلاد الأرمن ، ووصلوا إلى مدينة أياس وقتلوا ونهبوا وحرقوا ، واقتتلوا مع الأرمن عند باب إسكندرونة وهزموهم إلى تل حمدون ، وعادوا سالمين ظافرين بالغنائم .
- وفيها : وصلت رسل تدان منكو بن طوغان بن باطو بن دوشي بن جنكزخان ملك القبجاق ، بكتاب خطه بالقلم المغلي : يتضمن أنه أسلم ، ويريد أن ينعت نعتا

من نعوت أهل الإسلام ، ويجهز له علم خليفتي وعلم سلطاني يقاتل بهما أعداء الدين .

- ربيع الأول . اشتريت الدار القطبية بخط بين القصرين من القاهرة ، من خالص مال السلطان ، وعوض سكانها عنها قصر الزمرد برحبة باب العيد وقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في عمارتها مارستاناً وقبة ومدرسة باسم الملك المنصور ، فأظهر من الاهتمام في العمارة ما لم يسمع بمثله .
- وفيه تزوج الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان باردكين ابنة الأمير سيف الدين نوكيه ، أخت زوجة أخيه الملك الصالح على .
- في شوال توفيت زوجة السلطان الملك المنصور والدة ولده الملك الصالح علاء الدين على ، رحمهما الله تعالي .
- سنة ثلاث وثمانين وستمائة .
- ربيع الآخر : ورد الخبر بحركة الفرنج لأخذ الشام ، فتجهز السلطان للسفر
- ذي القعدة : قبض على علم الدين سنجر الحلبي ، واعتقل بقلعة الجبل .
- وفيها : نجزت عمارة المارستان الكبير المنصوري والمدرسة والقبة .
- سنة أربع وثمانين وستمائة .
- في المحرم : ولد الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان مولده بقلعة الجبل ، فقدمت البشارة بذلك على أبيه وهو بمنزلة خربة اللصوص قبل قدومه إلى دمشق .
- وقدم السلطان دمشق في ثاني عشريه ، ثم سار منها ونازل حصن المرقب ثمانية وثلاثين يوما ، حتى أخذه من الفرنج عنوة

- سنة خمس وثمانين وستمائة .
- في المحرم : سار الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة بعسكر كثيف إلى الكرك ، فتلقاه عسكر دمشق صحبة الأمير بدر الدين الصوابي ، فتوجه معه إليها ، وضايقها وقطع الميرة عنها حتى بعث الملك المسعود خضر ابن الظاهر بيبرس يطلب الأمان . فبعث إليه السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار من قلعة الجبل بالأمان فنزل الملك المسعود وأخوه بدر الدين سلامش إلى الأمير طرنطاي
- وفيه وردت البشارة بأخذ الكرك إلى قلعة الجبل . وقدم الأمير طرنطاي بأولاد الظاهر إلى القاهرة ، فخرج السلطان إلى لقائه
- وأكرم السلطان الملك المسعود وسلامش ، وأمر كل منهما إمرة مائة فارس ، وصارا يركبان في الموكب والميادين ، ورتبا يركبان مع الملك الصالح علي .
- وفيها كانت وقعة بين الأمير بلبان الطباخي نائب حصن الأكراد وبين أهل حصن المرقب ، بسبب أخذهم قافلة تجارة قتل فيها عدة من مماليكه وجرح هو في كتفه ، فكتب بمنازلة الحصن ، فخرج إليه عساكر الشام ،
- سنة ست وثمانين وستمائة .
- وفي هذه السنة : توجه الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطة على عسكر كثير لقتال الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بصهيون .
- وفي ذي الحجة : توجه الأمير علم الدين سنجر المسروري المعروف بالخياط متولي القاهرة ، والأمير عز الدين الكوراني ، إلى غزو بلاد النوبة .
- وفيها : توفي أبو العباس أحمد بن عمر المرسي المالكي ، بالإسكندرية . وتوفي

الشيخ إبراهيم بن أبي المجد الدسوقي ، بناحية دسوق من الغربية ، ، وقبره إحدى المزارات التي تحمل إليها النذور ويتبرك بها .

● سنة سبع وثمانين وستمائة :

● ربيع الأول غضب السلطان على الشجاعي وعزله ، وأمر بمصادرته فبلغه الناس ما اعتمده الشجاعي من الظلم في مصادرة جماعة ، وأن في سجنه كثيراً من المظلومين قد مرت عليهم سنون وهم في السجن ، وباعوا موجودهم حتى أعطوه في التراسيم فرسم السلطان للأمير بهاء الدين بغدي الدوداري بالكشف عن أمر المصادرين ومطالعته بحالهم ، فخرج لذلك وسأل ، فكثرت القالة . بما فيه أهل السجون من الفاقة والضرورة ، ففوض أمرهم إلى الأمير طرنطاي ، فكشف عنهم وأفرج عن سائرهم .

● وفيه : استقر في الوزارة بديار مصر الأمير بدر الدين بيدرا عوضاً عن سنجر الشجاعي ، بعدما عرضت على قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز فامتنع ، وشرط على الأمير بيدرا أنه يشاور ابن بنت الأعز ، ويعتمد ما يشير به . وكان ابن بنت الأعز إذا دخل على السلطان ، وهو يومئذ ناظر الخزانة ، ويقول له : يا قاضي إيش حال ولدك بيدرا في وزارته ؟ فيقول : يا خوند ولد صالح دخلت بولايته الجنة ، وأزلت الظلم ، واستجلبت لك الدعاء ، والذي كان يحصل بالعسف حصل باللطف . وصار ابن بنت الأعز كل يوم أربعاء يدخل على بيدرا ويقرر معه ما يفعل ، ثم استناب بيدرا ضياء الدين النشائي وصار يجلس معه .

● وفيه : أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، بعد ما أخذ منه خمسة وستون ألف دينار عينا ، سوى ما أخذ السلطان وغيره من موجوده .

● وفيه : عزل بيدرا عن الوزارة ، واستدعى قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز ، وخلعت عليه خلع الوزارة ونزل . فتعفف عن التصرف والكتابة في أشياء ، وباشر الوزارة مع قضاء القضاة ونظر الخزانة ، وصار يجلس في اليوم الواحد تارة في دست الوزارة وتارة في مجلس الحكم وتارة في ديوان الحكم ، و لم يوف منصب الوزاره حقه لتمسكه بظاهر الأمور الشرعية . ثم ثقلت عليه الوزارة فتوفر منها ، وأعيد الأمير بدر الدين بيدرا إليها في وكان حينئذ أمير مجلس ، ثم نقل إلى الأستادارية مع الوزارة ، واستقر كذلك

● وفيه كتب إلى الأكابر ببلاد السند والهند والصين واليمن صورة أمان لمن اختار الحضور إلى ديار مصر وبلاد الشام ، من إنشاء فتح الدين بن عبد الظاهر ، وسير مع التجار .

● وفي جمادى الأولى : وردت كتب الأمير علم الدين سنجر المسروري الخياط من دمقلة ، بفتحها والاستيلاء عليها وأسر ملوكها ، وأخذ تيجانهم ونسائهم .

● وفيه : خرج السلطان مبرزا بظاهر القاهرة يريد الشام ، فركب معه ابنه الملك الصالح وحضر السماط ، ثم عاد الصالح إلى قلعة الجبل آخر النهار ، فتحرك عليه فؤاده في الليل وكثر إسهاله الدموي وأفرط ، فعاد السلطان لعيادته في يوم الأربعاء ثامن عشره ولم يفد فيه العلاج ، فعاد السلطان إلى الدهليز من يومه ، فأتاه الخبر بشدة مرض الملك الصالح ، فعاد إلى القلعة . وصعدت الخزائن في يوم الثلاثاء أول شعبان ، وطلعت السناجق والطلب في يوم الأربعاء ثانيه . فمات الصالح بكرة يوم الجمعة رابعه من دوسنطاريا كبدية ، وتحدثت طائفة بأن أخاه الأشرف خليل سمه .

وترك الصالح ابنا يقال له الأمير مظفر الدين موسى ، من زوجته منكبك

ابنة نوكاي . واشتد حزن السلطان عليه ، وجلس للعزاء في يوم الأحد ثالث يوم وفاته بالإيوان الكبير . وأنشئت كتب العزاء إلى النواب بالمماليك ، ورسم فيها ألا يقطع أحد شعرا ولا يلبس ثوب حداد ولا يغير زيه . وفي مدة مرض الملك الصالح جاد السلطان بالمال وأكثر من الصدقات ، واستدعى الفقراء والصالحين ليدعوا له ، وبعث إلى الشيخ محمد المرجاني يدعوه فأبي أن يجتمع به ، فحل إليه مع الطواشي مرشد خمسة آلاف درهم ليعمل بها وقفا للفقراء ، حتى يطلبوا ولد السلطان من الله تعالي ، فقال له : سلم على السلطان ، وقل له متى رأيت فقيراً يطلب أحدا من الله؟ فإن فرغ أجله فالله ما ينفعه أحد ، وإن كانت فيه بقية فهو يعيش . ورد المال فلم يقبل منه شيئا . وطلع الشيخ عمر خليفة الشيخ أبي السعود إلى السلطان ، وقد دعاه ليدعو للصالح ، فقال له : أنت رجل بخيل ما يهون عليك شيء ، ولو خرجت للفقراء عن شيء له صورة لعملوا وقتاً ، وتوسلوا إلى الله أن يهبهم ولدك لكان يتعافى . فأعطاه السلطان خمسة آلاف درهم عمل بها سماعاً ، ثم عاد إلى السلطان وقال : طيب خاطرك ، الفقراء كلهم سألوا الله ولدك ، وقد وهبه لهم . فلم يكن غير قليل حتى مات , فرأي السلطان في صبيحته عمر هذا ، فقال له : يا شيخ عمر أنت قلت إن الفقراء طلبوا ولدي من الله ووهبه لهم ، فقال على الفور : نعم الفقراء طلبوه ، ووهبهم إياه ألا يدخل جهنم ، ويدخله الجنة ، فسكت السلطان .

- وفي شعبان : فوض السلطان ولاية العهد لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل ، فركب بشعار السلطنة من قلعة الجبل إلى باب النصر وكتب له تقليد فتوقف السلطان من الكتابة عليه .

- سنة ثمان ثمانين وستمائة .

• في المحرم : خيم السلطان بظاهر القاهرة ، واستخلف ابنه الملك الأشرف خليلا بالقلعة ، والأمير بيدرا نائباً عنه وكتب إلى سائر ممالك الشام بتجهيز العساكر لقتال طرابلس . فنازلها ، وقد قدم لنجدة أهلها أربعة شوان من جهة متملك قبرص . فوالى السلطان الرمي بالمجانيق عليها والزحف والنقوب في الأسوار ، حتى افتتحها عنوة ، بعدما أقام عليها أربعة وثلاثين يوما ، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقاً ، وعمل فيها ألف خمسمائة نفس من الحجارين والزرافين . وفر أهلها إلى جزيرة تجاه طرابلس فخاض الناس فرساناً ورجالاً وأسروهما وقتلوهم وغنموا ما معهم ، وكثرت الأسرى حتى صار إلى زردخاناه السلطان ألف ومائتا أسير . وأقر السلطان بلدة حبيل مع صاحبها على مال أخذه منه ، وأخذ بيروت ، وجبلة وما حولها من الحصون .

• وفيها ورد على السلطان كتاب ولده الأشرف بأن سلامش وخضرا ابني السلطان الظاهر قد راسلا الظاهرية ، وأنه يخشى عاقبة ذلك . فكتب السلطان بأن يخرجا وأمهما إلى ثغر الإسكندرية ، ويحملوا في البحر إلى بلاد الأشكري

• سنة تسع وثمانين وستمائة .

• وفي شعبان : خرج مرسوم السلطان ألا يستخدم أحد من أهل الذمة اليهود والنصارى في شيء من المباشرات الديوانية ، فصرفوا عنها .

• وفيه ثار أهل عكا بتجار المسلمين وقتلوهم ، فغضب السلطان

• شوال : برز السلطان بظاهر القاهرة ، ونزل بمخيمه بمسجد تبر ، يريد فتح عكا . فأصابه وعك في أول ليلة ، ثم اشتد مرضه وصار الأشرف ينزل إليه كل يوم من القلعة ويقيم عنده إلى بعد العصر ويعود . فكثرت القالة وانتشرت حتى ورد الخبر

بحركة العرب بالصعيد ، فأخرج النائب طرنطاي قراقوش الظاهري والأمير أبا شامة لتدارك ذلك .

- **في ذي القعدة اشتد مرض السلطان إلى أن مات بمخيمه تجاه مسجد تبر خارج القاهرة ، فحمل إلى القلعة ليلا ، وعادت الأمراء إلى بيوتها .**

3. مجريات قلاوون :

1) قلاوون والاضطرابات الداخلية :

سنقر الاشقر :

لم يكد السلطان يبلع ريقه حتى خرج عليه **الامير شمس الدين سنقر** نائب الشام .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 292/7)

حين امتنع عن مبايعة **السلطان** وطمع في تولى السلطنة واعلن نفسه سلطانا في **ذي القعدة 678 هـ** وتلقب **بالملك الكامل** .

لم يكتفي بذلك بل كاتب بعض الامراء الصالحية والظاهرية وارسل قوة عسكرية استولت على غزة .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 171)

كان **سنقر الأشقر** عندما مات **السعيد بركة بن الظاهر** قد جمع الأمراء وأوهمهم أن السلطان قد **سم** وهو يشرب القمز ، ودعاهم إلى طاعته وحلفهم على موافقته . وتلقب بالملك الكامل ، وركب بشعار السلطنة .

ارسل **المنصور** الى **سنقر** القى فيه عليه باللائمة ثم ما لبث ان ارسل جيشا قويا لمحاربته بقيادة **علم الدين سنجر الحلبي** .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 242/2)

وجرد **السلطان** من القاهرة **الأمير بدر الدين بكتاش الفخري** أمير سلاح ، ومعه **الأمير بدر الدين الأيدمري** والأمير **حسام الدين أيتمش بن أطلس خان** في أربعة آلاف فارس

فوقعت الحرب وحمل عليه الأمير **سنجر الحلبي** فانهزم منه وهرب **سنقر**.

ولما انهزم **سنقر الأشقر** تفرق عسكره في سائر الجهات ، وغلقت أبواب دمشق ، وزحف عسكر مصر إليها وأحاطوا بها ، ونودي بإطابة قلوب الناس وزينة البلد ، فوقف البشائر بالقلعة

لم يصمد **سنقر** وجيشه امام جيش **المنصور** وحلت به الهزيمة واضطر افراده الى الانسحاب الى مدينة **الرمله** .

(النويري – نهاية الأرب 17/31)

ثم استمال سنقر بعد امراء الشام وحصل على نجدات من حلب وحماة وبعلبك وبعض امراء العربان وعسكر في الجسورة استعدادا لملاقاة الجيش المصري .

(ابن كثير – البداية والنهاية 291/13)

عاود **قلاوون** الكرة وأرسل اليه قوة عسكرية مرة اخرى في العام الثاني بقياده **عز الدين ايبك الافرم** .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 172)

فبعث **سنقر الأشقر** يطلب الصلح فأجيب ونودي في **دمشق** باجتماع الكلمة .

آلت الامور في النهاية الى الصلح بينهما بشروط اشترطها **سنقر** على **المنصور** منها : ان يلقب بلقب **ملك** وان يحصل على بعض البلاد وان يعينه اميرا على ستمائة فارس دون اتباعه .

وافق **قلاوون** وكتب له تقليدا بولاية البلاد ولكنه رفض ان يلقب **بالملك** .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 172)

فلما نزل السلطان حصن **المرقب** وهي بالقرب من **صهيون** ، لم يحضر إليه **سنقر الأشقر** وبعث إليه ابنه **ناصر الدين صمغار** ، فأسرها **السلطان** في نفسه ، و لم يمكن **صمغار** من العود إلى أبيه وحمله معه إلى **مصر** ، واستمر الحال على ذلك حتى أرسل **قلاوون** جيشا لمحاربته بقياده **حسام الدين طرنطاي** **نائب السلطنة 686 هـ 1287 م**

فبعد فتح حصن **اللاذقية** بقيادة الأمير **طرنطاي** وفي طريق العودة , استعاد الامير **المظفر** بالنصر حصون صهيون وبرذية من يد **سنقر الاشقر** .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 184)

لم يصمد **سنقر** كثيرا واضطر الى طلب الامان فأمنه **طرنطاي** ثم صحبه الى **القاهرة** حيث احتفل **السلطان** بلقائه وعفا عنه ومنحه الخلع وانعم عليه بامرة مائة فارس وتقدمة ألف .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 173)

سار **طرنطاي** إلى مصر ومعه **سنفر الأشقر** حتى قرب من القاهر فنزل **السلطان** من قلعة الجبل ، وهو **وابنه الملك الصالح على** ، وابنه الملك **الأشرف خليل** ، وأولاد **الملك الظاهر** ، في جميع العساكر إلى لقاء **سنقر الأشقر** .

تآمر الامير "كوندك " وبعض الأمراء ضد حكمه :

وفي **عام 680 هـ 1281 م** تعرض **المنصور** لمؤامرة حاكها بعض الامراء وكان **السلطان** حينئذ قادما من بلاد الشام فأخبره الامير **بدر الدين بيسري** بان الامير **سيف الدين كوندك الساقي** وجماعه من الامراء الظاهريه اتفقوا على اغتيال **السلطان** .

فاحترز **السلطان** على نفسه . وهم **كوندك** بأن يغتال **السلطان** وهو بمنزلة الروحا ، فوجده قد تحفظ واستعد ثم إن **السلطان** رحل من الروحا ، ولاطف الأمراء حتى اجتمع

الأمراء عنده في حمراء بيسان ، فواجه **كوندك** ومن معه وذكر لهم ما اعتمدوه من مكاتبة الفرنج ، فلم ينكروا وسألوا العفو . فأمر **السلطان** بهم فقبض عليهم .

قبض **السلطان** على المتآمرين وأمر بإعدامهم , ثم قبض على من شك في ولائهم وسجنهم . بينما فر آخرون قرابة الثلاثمائة فارس الى **صهيون** والتحقوا بالأمير **سنقر الاشقر** .

وأخذ **كوندك** الأمير **حسام الدين طرنطاي** نائب السلطنة ، ومضى به إلى بحيرة **طبرية** ، وضرب عنقه ثم غرقه بها هو والبقية . وأوقعت الحوطة على موجود من قتل ومن هرب .

(المقريزي – السلوك)

2) قلاوون وأسرة الظاهر بيبرس :

كان **المنصور قلاوون** قد مكن **السعيد بركة قان** من الكرك .

ثم أخرج **السلطان** جميع نساء الملك **الظاهر بيبرس** وخدامه من القاهرة ، وبعثهم إلى الكرك .

وبعد ايام بعث **الملك السعيد بركة** إلى جهة الشوبك الأمير **حسام الدين لاجين** رأس نوبة الجمدارية السعيدية ، فتغلب عليها ، وملكها .

فخرج الأمير **بدر الدين بيليك** على عسكر من القاهرة فتسلم قلعة الشوبك من نواب **الملك السعيد** بالأمان .

وفر منها الملك **نجم الدين خضر بن الظاهر** ، ولحق بأخيه **السعيد** .

وبعد موت **السعيد بركة** أجتمع حول الملك **المسعود نجم الدين خضر** من يحرضه على العصيان .

فسار الأمير **حسام الدين طرنطاي** نائب السلطنة بعسكر كثيف إلى الكرك ، فتلقاه

عسكر دمشق صحبة الأمير **بدر الدين الصوابي** ، فتوجه معه إليها ، وضايقها وقطع الميرة عنها حتى بعث **الملك المسعود خضر ابن الظاهر بيبرس** يطلب الأمان فبعث إليه السلطان الأمير **ركن الدين بيبرس الدوادار** من قلعة الجبل بالأمان فنزل **الملك المسعود** وأخوه **بدر الدين سلامش** إلى الأمير **طرنطاي** ووردت البشارة بأخذ الكرك إلى قلعة الجبل .

قدم الأمير **طرنطاي** بأولاد **الظاهر** إلى القاهرة ، فخرج **السلطان** إلى لقائه وأكرم **الملك المسعود وسلامش** ، وأمر كل منهما إمرة مائة فارس ، وصارا يركبان في الموكب والميادين ، ورتبا يركبان مع **الملك الصالح علي** .

(المقريزي – السلوك)

وقبل أيام من موت **السلطان** .

ورد عليه كتاب **ولده الأشرف** بأن **سلامش وخضرا** ابني **السلطان الظاهر بيبرس** قد راسلا الظاهرية ، وأنه يخشى عاقبة ذلك . فكتب **السلطان** بأن يخرجا وأمهما إلى ثغر الإسكندرية ، ويحملوا في البحر إلى بلاد **الأشكري** .

وكان في ذلك أعظم عبرة فإن **الظاهر بيبرس** أخرج **قاقان وعليا** ابني **المعز أيبك** إلى بلاد **الأشكري** ومعهما أمهما ، فعوقب بمثل ذلك وأخرج ولداه وأمهما ليجزي **الله** كل نفس بما كسبت .

(المقريزي – السلوك)

3) قلاوون والجراكسة :

لم يستطع **المماليك** المحافظه على ملكهم الا بفضل ما وضعوه من نظم حربية كفلت لهم جيشا قويا فتيا استطاعوا ان يحققوا به الكثير من الانتصارات الخالدة على **الصليبيين**

والمغول وغيرهم حتى استطاعوا ان يمدوا اطراف مملكتهم في **اسيا وافريقيا** وان يبسطوا سلطانهم على **جزيرة رودس وقبرص** واضحى النظام الحربي عندهم محور الارتكاز الذي قامت عليه سائر نظمهم الادارية والاقتصادية والاجتماعية .

(العريني – الاقطاع الحربي 3)

ما كان هذا ليتم الا بوجود العنصر الأساسي من هذه المعادلة الا وهم : الجنود , ولذلك . . .

في عام **681هـ 1282م** أنشأ **السلطان** طائفة **المماليك الجراكسة** وهم من اصل **قوقازي** يعيش في الشمال الغربي لبلاد **قوقاز** شرق **البحر الاسود** وكان هذا العنصر يتميز بإنخفاض ثمنه بالمقارنة مع غيره من فئات المماليك الاتراك بالاضافة الى وفرة أعدادهم بكثرة في الاسواق .

ظل **السلطان** يعمل على الاكثار من شرائهم حتى اضحى **عددهم ثلاثه الاف وسبعمائة** في اواخر ايامه وانزلهم في ابراج القلعة .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 175)

جيئ بهم من بلاد القسم الشمالي الغربي من القوقاز اي حوض نهر قوبان وقسما من الشاطئ الشرقي للبحر الاسود الى اطراف بلاد الانجاز جنوبا ومن فروعهم الشركس والاركس والكسا والاص .

(حكيم امين – قيام دولة المماليك الثانية 12)

فكان رحمه الله وافر الهيبة بينهم , لا يتزوج الواحد منهم الا ان يزوجه بعض جواريه ولا يتجاهر احدا منهم بفاحشة , وكذلك صنع لهم هيبة بحيث لا يستطيع احد من مماليكه ان ينهر غلامه ولا خادمه خوفا منه .

كما انه احسن تربيتهم وكف شرهم عن الناس ولو لم يكن للسلطان غير ذلك لكفاه عند الله تعالى , وكان بهم منفعة للمسلمين ومضرة للمشركين وقيامهم في الغزوات معروف وشرهم عن الرعية مكفوف ,فجمع خلقا عظيما لم يجمعهم احد قبله .

وكان رحمه الله لا يميل الى جنس بعينه بل كان ميله لمن يتخيل فيه النجابه كائنا من كان ولهذا طالت مدة مماليكه وذريته باختلاف اجناس مماليكه .

(ابن تغري بردي –النجوم الزاهرة 327/7)

فاشتراهم بأنفس الأثمان بل بلغ عددهم ستة الاف مملوك ارباب اقطاعات واصحاب جمكيات وامراء طبلخانات .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 230/2)

يتراوح ثمن الواحد من الجراكسة ما بين **110 و 120 دينارا** في حين كان ثمن التركي ما بين **130 و 140 دينارا** .

(حكيم امين – قيام دولة المماليك الثانية 12)

قال عنهم رحمه الله ذات يوم :

كل الملوك عملوا شيئا يذكرون به ما بين مال وعقار وانا عمرت اسورا وعملت حصونا مانعة لي ولاولادي وللمسلمين وهم المماليك .

كان يتفقد لحمهم ويختبر طعامهم فمتى رأى عيبا اشتد على المشرف والاستادار ونحرهما .

(المقريزي – السلوك 213/2)

لم يزل مشفقا عليهم محسنا اليهم فكانوا جميعا كبنية بل اعز من البنين .

(بدر الدين العيني– عقد الجمان 385/2)

وكان يحضر تدريب مماليكه بنفسه فيرى استخدامهم للرماح ورميهم للنشاب .

(عاشور – العصر المماليكي 136)

لم يعجبه الزي القديم وابدله بزي اخر احسن منه فعد ذلك من محاسنه .

(المقريزي – الخطط 98/2)

فأمر بتغيير زي مماليكه لأحسن صورة .

(محمد حمزة 44– المنصور قلاوون)

أستطاعت البرجيه بفضل وفرة اعدادهم وحسن تدبيرهم وشدة تماسكهم ان تشق طريقها من غير صعوبة كبيرة نحو السلطنة .

(عاشور – العصر المماليكي 137)

كان إذا صار المملوك اميرا جاء الى القبة المنصورية امام قبر استاذه لاداء اليمين وزف من القلعة اليها وحضر الامراء حفل تنصيب الامير وكان من قبله يتم تنصيبه عند قبة **الصالح ايوب** ويحلف عنده منذ عهد **المعز ايبك**

(ابن ايبك الدوادار 64– كنز الدرر)

ثم يمد السماط **السلطان** لمن حضر وشارك الاحتفال .

4) قلاوون وولاية العهد :

لم يؤمن المماليك مطلقا بمبدأ وراثة العرش وإنما آمنوا ايمانا راسخا بفكرة **الخشداشية** (اي الزمالة) فهم جميعا زملاء لا فضل لمملوك على اخر الا بما يتمتع به من المواهب وقوة وصفات خاصه .

وقد أدت هذه الفكرة للمماليك الى بغض مبدأ وراثة العرش لانهم ما داموا جميعا سواسية وزملاء فليس هناك ما يدعو لأن يحتكر احدهم الملك في ذريته **فالملك لأقوى الامراء بعد وفاته .**

واذا وجدت حالات نجحت فيها بعد سلاطين المماليك في تاسيس بيوت احتفظت

بالحكم مدة طويله كما حدث في بيت **قلاوون** فإن هذه الحالات كانت خروجا عن تلك القاعدة وذلك المبدأ .

(سعيد عبد الفتاح عاشور – الظاهر بيبرس 134)

والواقع ان **السلطان قلاوون** نفسه لم يكن يتصور ان السلطنة ستظل في اعقابه طول هذه المدة لأنه كان مملوكا قبل ان يكون سلطانا وحطم مبدأ وراثه العرش بنفسه عندما عزل **ابن الظاهر بيبرس** من السلطنة ليتولي هو الحكم بدلا منه .

(سعيد عبد الفتاح عاشور – العصر المماليكي 99)

ولكن كانت غريزة الأبوه أقوى من أن يتعظ **قلاوون** بما حدث على يديه **لابني الظاهر** ففوض بولاية العرش لابنه **علاء الدين** .

(محمد حمزة – المنصور قلاوون 39)

ففي عام **679 هـ 1280 م** جمع السلطان كبار الامراء وعرض عليهم فكرته بتقليد ابنه **علاء الدين** ولايه العهد فلقي قبولا وقرئ التقليد في قلعة الجبل بحضور الامراء والمقدمين والوزراء وتلقب **بالملك الصالح** .

(النويري – نهاية الأرب 86/31)

ركب ولي العهد **الصالح علاء الدين** بشعار السلطنة وخطب له على المنابر واقيم في سدة الحكم **ثماني سنوات** يدير شؤون البلاد اثناء غياب **المنصور** عن مصر في صده للمغول عن بلاد الشام ولكن توفي **الملك الصالح** في حياه ابيه فحزن عليه المنصور حزنا شديدا .

رفض **المنصور** ان يعهد بولايه العهد لابنه **خليل** على الرغم ان القاضي **ابن عبد الظاهر** كان قد كتب التقليد فرفض **المنصور** التوقيع عليه لانه كان لا يثق به ويعتقد انه غير مؤهل لاداره شؤون الحكم نظرا لما يتصف به من القسوة وعدم التدين وسوء سيرته وقال :

" ما اولي خليلا امر على المسلمين"

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 173)

ولكن من العلماء من ينكر ذلك ويرى انه عهد اليه وأخرون يرون انه فوض اليه ولاية العهد دون التوقيع على التقليد .

5) قلاوون والعمارة :

كان **السلطان** شغوفا بالتشييد ولعا بالبناء دفع بحاسته المرهفة وذوقه الغني حركه الانشاء والتعمير دفعة ما تزال اثارها باقيه حتى يومنا هذا .

(محمد حمزة 76– المنصور قلاوون)

عمل على تجديد القلاع الشامية نظرا لما تعرضت له ارض الشام من احداث فأمر بتجديد **قلعة حلب وقلعة كركر** كما أنشأ مدينة **طرابلس المنصورية** بعد فتح **طرابلس** كذلك امر ببناء جامعها الكبير الذي اشتهر **بالجامع المنصوري** . **كما امر السلطان بناء العديد من المنشآت المعمارية المتعددة كالجب والبرج وايوان دار العدل والقبة الحمراء ودار النيابة وكلهم كانوا بقلعة الجبل .**

وسوق وقيساريه العنبريين وقيساريه بين القصرين والقنطره على الخليج , وجميع هذه العمائر مندثرة .

وأما آثاره الباقية فهي القبة والمدرسة والبيمارستان ضمن مجموعتة التي بين القصرين وقبة ام الصالح بالخليفة .

(محمد حمزة – المنصور قلاوون 83)

وأما عن آثاره الخالدة , فيعد المنصور قلاوون هو أول من وضع قبة فوق قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

6) قلاوون ورفع المظالم :

كان رحمه الله خيرا كثيرا ما حاول تخفيف الاعباء عن كاهل الرعية فعمل على ابطال الكثير من المظالم ومنها :

رسم بابطال **زكاة الدولبة** (هى ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله ابدا ولو عدم منه واذا مات يؤخذ من ورثته) .

(المقريزي– الخطط 106/1)

فكان يؤخذ من ماله كل سنة ما يتقرر عليه فإن مات يؤخذ من أولاده وأولاد أولاده وأقاربه .

(ابن اياس– بدائع الزهور 230/1)

وفي عام 678 هـ 1179 م ابطل **السلطان** مقرر النصارى الذي كان قد احدث في عهد **الظاهر بيبرس** .

(المقريزي – السلوك 664/1)

وابطل **السلطان** ما كان يؤخذ من اهل مصر للمبشرين اذا حضروا ببشارة فتح حصن او نصرة عسكر فيجبى من اهل مصر ويعطى للمبشر .

وابطل جبايه الدينار الذي كان يؤخذ من التجار عند سفر العسكر وما كان يجبى عند وفاء النيل المبارك .

(محمد حمزة – المنصور قلاوون 30)

فغفر الله له بفعله وسطر أجر ذلك في صحيفته .

(ابن اياس– بدائع الزهور 363/1)

7) قلاوون والمغول :

تأسست **الامبراطورية المغولية** على يد **جنكيز خان** وقد دانت بالديانة **الشامانية** وهي نوع من الديانة الوثنية تقوم على عبادة ارواح الاجداد وتؤمن بالسحر

والتنجيم ثم أعتنق **المغول البوذية** نتيجة انتشار الدعاة القادمين من هضبة **التبت** في الجزء الشرقي من اسيا وارتفع شأن **البوذية** في عهد **كوبيلاي** الذي اتخذ **بكين** في **الصين** عاصمه له .

ثم تغلغلت المسيحية داخل صفوف المغول عن طريق النساء فتزوج عدد من حكامهم بنساء مسيحيات حتى ارتفع شأن المسيحيين في عهد **توركيتا خاتون** التي عهدت الى **قداق** المسيحي الاشراف على تربيه ابنها **كيوك** .

وعندما تولى أبنها هذا عرش المغول , ازداد شأن المسيحيين في عهده وسارع الرهبان الى بلاطه من كافة الاطراف وحاول الباباوات استمالته الى المسيحية .

وفي عهد **منكو** تغيرت سياسة **المغول** وتجرد من التعصب الديني متأثرا بوالدته المسيحية التي كانت تغدق الصدقات والعدل والعطايا على أئمه المسلمين ومشايخهم .

وفي عهد اخيه **هولاكو** تعرض مسلمي الشرق للاضطهاد خاصة بعد سقوط بغداد .

استعاد المسلمون اعتبارهم في ملك المغول في عهد **احمد تكودار ابن هولاكو** الذي اعتنق الاسلام وهو في عنفوان الصبا وريعان الحداثة وتأثير شيخ صوفي يدعى **كمال الدين عبد الرحمن الرافعي** .

اتخذ **تكودار** لنفسه اسم **احمد** فكان بذلك اول **اليخاني فارس** اعتناقا للدين الاسلامي

توفي **ابغا** في **680هـ – 1282 م** بسبب افراطه في شرب الخمر وحزنه على هزيمة اخيه

اجتمع امراء المغول واختاروا **تكودار** ايلخانا في **26 محرم 681 هـ** .

فور اعتلاء تكودار بادر بتوطيد علاقته بالعالم الاسلامي والتحالف معهم .

تمكن **احمد سلطان** من تحويل عدد كبير من رعاياه للاسلام بفضل ما بذل لهم من عطايا ومنح والقاب فأثر هذا تاثيرا في نفوس رعاياه من المسلمين وهو من فتح الباب على

مصراعيه امام المغول ليتحولوا الى الاسلام فيما بعد

أرسل **تكودار** الى **المنصور قلاوون** :

قد ظهر بفضل الله تعالى في دولتنا النور المبين وان كان لما سبق من الاسباب فمن يتحرى الآن طريق الصون فان له عندنا لزلفى وحسن مآب وقد رفعنا الحجاب لنرضي الله وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الامة .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 119)

كان اسلام **احمد** سبب في انتقادات شديدة داخل صفوف التتار .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 194/193)

ان **المغول** نقموا على **احمد تكودار** لإسلامه ودارت المعارك حتى انتهى الامر بقتل **السلطان احمد** وتولية ابن اخيه **ارغون ابن ابغا** **683 هـ** .

كان **ارغون** بوذيا معاديا للاسلام والمسلمين مناصرا للمسيحية والمسيحيين بل ان زوجته **اوروك خاتون** مسيحية نسطورية كما انه كان صديقا **لبطريرك** النساطرة .

(احمد عبد الكريم سليمان – المغول والمماليك 22)

فاضطهد المسلمون في بلاده وذاقوا الامرين على ايدي البوذيين المتنصرين وتعرضوا لظلم لم يشهدوه في عهد **ابغا** .

كان لهذه السياسه الخرقاء اسوأ الاثر في نفوس المماليك فعادت العلاقات بين الطرفين الى سابق عهدها من العداء .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 194/193)

وعلى الرغم من حلم **ارغون** في الاستيلاء على **بلاد الشام** وعلى الرغم من استعانته بالقوة الاوروبية وارسال السفارات الى ملوك اوروبا لتحقيق هدفهم من اجل القيام بحملة صليبية مغولية للقضاء على الدولة المملوكية بوصفها حاميه الاسلام والمسلمين الا ان جميع

جهوده باءت بالفشل وخلا عهد **ارغون** من الهجمات على حدود دولة المماليك .

(احمد عبد الكريم سليمان – المغول والمماليك 23)

بيد ان **غازان ابن ارغون بن ابغا ابن هولاكو** صار حاكما مسلما وتبعه كل خلفاءه من بعده

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 119)

كل هذا في بلاد مغول فارس .

ومن المعروف ان المغول دولتان هما دولة **بني هولاكو** وتشمل بلاد **العراق وفارس وخرسان وما وراء النهر** ودولة **بني جوجو ابن جنكيز خان** في الشمال **وتعرف باسم بلاد القفجاق والقبيله الذهبية .**

(محمد حمزة– المنصور قلاوون 88)

واما في بلاد مغول القفجاق فقد دخل الاسلام بلادهم قبل قرابة العقدين من الزمان على يد زعيمهم بركة خان الذي كانت تربطه علاقات جيدة مع الظاهر ركن الدين بيبرس .

وفي جماد الاخر 682 هجريا 1283 ميلاديا :

وصلت القاهرة رسل من ملك القبجاق **منكو** لابلاغ **المنصور** بأن الملك قد اسلم وجلس على التخت واقام شرائع الاسلام وانه يطلب نعتا يسمى به من اسماء المسلمين وعلما من الخليفة وعلما من **السلطان** وشعارات ليركب بذلك ويقابل اعداء الدين .

فرح **السلطان** بذلك فرحا شديدا وارسل الرسل الى مكة لاداء فريضة الحج واجابهم الى ما طلب ملكهم واحسن اليهم ثم عادوا الى بلادهم .

حرص **السلطان** على نشر الدين في بلاد **القبجاق** وارسل المساعدات الماديه من اجل

بناء **مسجد** هناك على ان يكتب عليه القاب **السلطان المنصور** كما ارسل الصناع لنقش ذلك وكتابته بالاصباغ .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 176)

لم يلبث **المغول** ان ذابوا في هذا العالم وصاروا جزءا عضويا منه بعد اقل من جيل واحد فمنذ معركه **عين جالوت 1260 م** وحتى وفاة **هولاكو 1282 م** تبدل الحال وصار التتر الوثنيون المدمرون مسلمين متحمسين يدافعون عن دار الاسلام ويساهمون في بناء حضارته .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 118)

معركة حمص الكبرى " حمص الثانية " :

كان **ابغا** قد استغل اضطرابات السلطنة الداخلية وتنازع الامراء على السلطة بعد موت **الظاهر** فأرسل قوة استطلاعية في **جماد الاولى 679** الى شمال الشام استطاعت ان تحتل **عينتاب وبغراس ودربساك وحلب** .

ارتكبت افرادها اعمالا وحشية على عادتهم فحرقوا المساجد والمدارس ودار السلطنه ودور الامراء .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 190)

وفي شهر جماد الاخر 680 خرج **ابغا** بجيش تعداده **ثلاث الاف جندي** يقوده بنفسه لملاقاة جيش المماليك .

لم يكتفي بذلك بل اخرج جيش اخر عن طريق **عينتاب** قاصدا **حمص** بجيش عدده **اثني عشر الف جندي** بقياده اخوه **منكوتمر** بالاضافة لانضمام الجيش **الارميني** بجيش **منكتمر** .

ارسل **السلطان** قوة عسكرية بقيادة الامير **بكتاش** للتصدي لهذه الحملة , في الوقت نفسه ارسل الى الامير **سنقر الاشقر** يحثه على الانضمام اليه مناشدا إياه بإسم الدين ان يتفق على محاربة **المغول** ودفعهم عن البلاد .

(العيني – عقد الجمان 3/ 245)

وهذه الظاهرة امتاز بها المماليك البحرية خلال تاريخهم السياسي فهم دائموا التنازع فيما بينهم حتى اذا داهمهم خطر خارجي تناسوا ما بينهم من خلاف واتحدوا لمواجهته

.

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 190)

جاء إلى **السلطان** على جناح الطائر بأن التتر **ثمانون ألف مقاتل** ، في القلب منهم **أربعة وأربعون ألفا من المغل** ، وميمنتهم قوية جدا ، فيقوي ميسرة المسلمين .

فسقط الطائر بذلك وعلم بمقتضاه ، وبات المسلمون على ظهور خيولهم .

(المقريزي – السلوك 698/1)

وصل **المنصور قلاوون** الى **دمشق خامس عشري جمادى الآخرة 680 هـ 1281م**

فأجتمعت اليه حشود الجيش من تركمان وعربان وسائر الطوائف حتى صارت القوات جميعا وعسكرت في **حمص** ثم لحق بهم **سنقر الاشقر** بقواته فسر **السلطان** بذلك واكرمه وانعم عليه .

(ابن كثير – البداية والنهاية 294/13)

وقدمت أليه نجدة من الملك **المسعود خضر بن الظاهر** .

ووردت الأخبار بمسير التتر ، وأنهم انقسموا فسارت فرقة مع **أبغا بن هولاكو** إلى **الرحبة** ومعه **صاحب ماردين** ، وفرقة أخرى من جانب آخر ، فخرج **بجكا العلائي** في طائفة من الكشافة إلى جهة **الرحبة** .

تتابع خروج العساكر من **دمشق** فخرج السلطان بمن بقي من العساكر يريد حمص فنزل عليها في حادي عشر **رجب** .

(المقريزي – السلوك)

كان اهل الشام قد خرجوا بعد رحيل **السلطان** بالنساء والاطفال الى الصحاري والجوامع يبتهلون الى **الله** عز وجل ويستمدون منه العون والنصر .

(ابن كثير – البداية والنهاية 295/13)

كانت ميمنة الجيش بقيادة **المنصور** صاحب حماة وللسلطان **قلاوون** قيادة القلب ملتحقا به جيش دمشق بقياده **الامير لاجين** اما الميسرة فكانت من نصيب **سنقر الاشقر** .

ضحوة يوم الخميس رابع عشر شهر رجب 680هـ التقى الجيشان قريبا من **مشهد خالد** عند حمص في معركة طاحنة .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 192)

أشرفت كراديس التتار و لم يعتدوا منذ عشرين سنة مثل هذه العدة ، ولا جمعوا مثل جمعهم هذا

(المقريزي – السلوك 698/1)

اقتتل الفريقان قتالا عظيما لم يرى مثله من اعصار متطاولة .

(ابن كثير – البداية والنهاية 295/13)

فصدمت ميسرة التتار ميمنة المسلمين صدمة شديدة ثبتوا لها ثباتا عظيما ، وحملوا على ميسرة التتار فانكسرت

وصدمت ميمنة التتر ميسرة المسلمين ، فانكسرت الميسرة وانهزم من كان فيها ، وساق التتر خلف المسلمين حتى انتهو إلى تحت حمص وقد غلقت أبوابها ، ووقعوا في السوقة والعامة والرجالة والمجاهدين والغلمان بظاهر حمص ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأشرف الناس

على التلاف

ولم يعلم المسلمون من أهل الميسرة . بما جري للمسلمين أهل الميمنة من النصر ولا علم التتار الذين ساقوا خلف المسلمون ما نزل بميسرتهم من الكسرة .

وأما ميمنة المسلمين فإنها ثبتت وهزمت ميسرة التتار حتى انتهت إلى القلب ، إلا الملك **المنصور قلاوون** فإنه ثبت تحت الصناجق ، ولم يبق معه غير ثلاثمائة فارس ، والكوسات تضرب . وتقدم **سنقر الأشقر** ، **وبيسري** ، **وطيبرس الوزيري** ، **وأمير سلاح** ، **وأيتمش السعدي** ، **ولاجين** نائب دمشق ، **وطرنطاي** نائب مصر ، **والدواداري** ، وأمثالهم من أعيان الأمراء ، إلى التتار ، وأتاهم **عيسي بن مهنا** فيمن معه ، فقتلوا من التتار مقتلة عظيمة .

(المقريزي – السلوك 696/1)

وكان **منكوتمر** مقدم التتار قائماً في جيشه ، فلما أراده **الله** من هزيمته نزل عن فرسه ونظر من تحت أرجل الخيل ، فرأي الأثقال والدواب فاعتقد أنها عساكر ، و لم يكن الأمر كذلك ، بل كان **السلطان** قد تفرقت عنه عساكره ما بين منهزم ومن تقدم القتال ، حتى بقي معه نحو الثلاثمائة فارس لا غير . فنهض **منكوتمر** من الأرض ليركب فتقنطر عن فرسه ، فنزل التتر كلهم لأجله وأخذوه , فعندما رآهم المسلمون قد ترجلوا حملوا عليهم واحدة كان **الله** معهم فيها ، فانتصروا على التتار .

انهزموا هزيمة قبيحة لا يلوون على شيء , وكان ذلك من تمام النصر ، وكان ذلك من تمام نعمة **الله** على المسلمين ، نصر دينه ، وهزم عدوه مع قوتهم وكثرتهم , وانجلت هذه الواقعة عن قتلي كثيرة من التتر لا يحصى عددهم .

(المقريزي – السلوك 697/1)

لولا ثبات قلب الجيش بقيادة **السلطان** في ارض المعركة لأضطربت صفوف الجيش ولكن **الله** سلم فألتفوا حوله واستبسلوا في القتال واضاع **المغول** نصرهم المزيف بتعجلهم جمع الاسلاب فأنقضت عليهم عساكر **السلطان** .

وورد الخبر إلى مصر في يوم الخميس حادي عشري شهر رجب ، على جناح الطائر في بطاقة من قاقون ، بأن جماعة من ميسرة العساكر المنصورة وصلوا منهزمين من العدو المخذول .

وقد كان أهل **مصر** صاروا يقنتون في صلواتهم ، وكثرت قراءة صحيح البخاري ، وأقبل الناس على تلاوة القرآن ، وتجمعوا في المشهد الحسيني وفي الجوامع والمساجد ، وكثر ضجيجهم ودعاؤهم . فاشتد القلق عند ورود هذا الخبر ، وجرد **الملك الصالح** في الحال عسكراً عليه الأمير **صارم الدين أزبك الفخري** في كثير من العربان إلى **قطيا** ، لرد المنهزمين وإعادتهم إلى **السلطان** ، ومنع أحد منهم أن يعبر إلى القاهرة ، فاعتمد ذلك .

لم يستمر قلق الناس غير ساعات من النهار ، وإذا بالطيور قد وقعت محلقة تحمل البطائق المخلقة ، وتخبر فيها بالبشائر من كسر التتار .

زينت القاهرة ومصر وقلعة الجبل ، وكتب إلى أعمال مصر بالزينة .

فصعد **السلطان** إلى قلعته تحت صناجقه ، وأسرى التتار بين يديه ، وقد حمل بعضهم الصناجق التترية وهي مكسورة . فبعث **السلطان** بالأسرى وطبول التتار وجتر **منكوتمر** من جهة باب النصر حتى شقوا القاهرة إلى باب زويلة ، وساروا إلى القلعة .

(المقريزي – السلوك 698/1)

وبذلك اصبحت حمص احدى المعارك الكبرى في تاريخ الشرق الادنى ومصيره اذ لو انعكست نتيجة المعركة لوقعت مصر في ايدي المغول بل ربما كانت ميول ابغا

المسيحية اثرت في تاريخ مصر وبلاد الشام .

(وليم موير – تاريخ المماليك 63)

8) قلاوون والصليبيين :

كان **السلطان** خلال الفتره الأولى من حكمه وحتى عام **1285 م** مشغولا بثورة الامير **سنقر الاشقر** في الشام من جهة , وهجمات المغول على بلاد الشام من جهة اخرى فاضطر الى مهادنة الصليبيين في تلك الفترة .

(محمد جمال سرور / دولة بني قلاوون 232)

وكانت بقايا الوجود الصليبي تتركز في امارة **طرابلس** التي يحكمها امراء **النورمان** وبقايا **مملكه بيت المقدس** التي اخذت **عكا** عاصمة لها , كما كان هناك **حصن المرقب** بايدي فرسان **الاسبتارية وطرسوس** بأيدي فرسان **الداوية** .

فقد كان اللون الصليبي على الخريطة العربية الاسلامية قد تقلص الى حد كبير وكان التاريخ يدخر لقلاوون وابنه شرف القضاء النهائي على الوجود الصليبي فوق الارض العربية .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطن المماليك 120)

وأما **عكا وصيدا وعثليت** بقايا مملكة **بيت المقدس** فكانت بينهم وبين المماليك هدنة من ايام **الظاهر بيبرس** فصار **المنصور** على خطاه نظرا لانهماك قوته في الصراعات الداخلية .

لم يكد يمر اربع سنوات على هذا الصلح الا وزالت مخاوف **قلاوون** من ناحية **المغول** خاصه **بعد وفاة ابغا 680 هـ 1281 م** واعتلاء **احمد تكودار** العرش من بعده فشرع **قلاوون** في فتح المدن الصليبية .

حصن المرقب :

شرع **المنصور** في استعادة **حصن المرقب الكبير** التابع للاسبتارية وكان هؤلاء قد دأبوا على مخالفة المغول واعتراض قوافل التجار المسلمين .

ظهر **قلاوون في صفر 684هـ – 1285 م** بجيش كثيف ظهر الجبل الذي اعلاه **الحصن** , ثم بدأت المجانيق تضرب الاسوار بكثافة **مدة ثمانية وثلاثون يوما** , نجح الجيش فيها في فتح ثقب داخل احد الابراج واشعل فيه النار حتى اخذ يتهاوى .

سريعا ما ادركت الحامية الصليبية عدم قدرتها على الدفاع فأستسلمت **في ربيع الاول 684هـ – 1285م** .

كان دخول **قلاوون** بقواته الى **الحصن** دخولا بمثابة الخطوة الكبرى لأستعادة باقي المعاقل الصليبية .

اضطر امير **طرابلس** ان يسلم **السلطان مرقية** كما اشترت **مارجريت** حاكمة **بيروت** الصلح لمدة **عشر سنوات** وتنازلت عن نصف دخل **صور** .

لقد كان يوما مشهودا فقد كان من الحصون المشهورة بالمنعة والحصانة .

وهكذا بدأت الخطوات النهائية في القضاء على الوجود الصليبي في بلاد الشام .

اللاذقية :

ارسل **السلطان** اوائل عام " **686 هـ 1287 م** " الجيش بقياده الامير **حسام الدين طرنطاي** لفتح برج **اللاذقية** وكان هذا البرج اخر ما تبقى من امارة انطاكيا ففتح **طرنطاي** المدينة بسهولة دون مساعدة للمدينة المفتوحة من جيرانها **الصليبيين** .

وبناء على طلب من **بوهمند السابع** امير **طرابلس** ابرم **السلطان** هدنة اخرى **في ربيع الاول 680 هـ 1281 م** على ان تكون الهدنة **عشر سنوات وعشرة اشهر وعشرة** أيام لا يتعرض فيها الصليبيون في عكا وصيدا وعثليت بأي سوء لاراضي **السلطان** ولا لرعاياه وان يكون جميع رعايا **السلطان** من التجار امنين في بلادهم والا يجدد **الصليبيون** حصنا ولا سورا .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 181)

وفي عام **682 هـ 1283م** واصلت العساكر الإغارة على بلاد الأرمن حتى وصلت مدينة اياس فقتلوا ونهبوا وحرقوا واقتتلوا مع الارمن عند باب **الاسكندرونة** وهزموهم الى تل حمدون وعادوا سالمين ظافرين بالغانم .

(المقريزي – السلوك 716/1)

وكان حاكم ارمينيا **ليون الثالث** كان قد اغار على **حلب** واحرق جامعها .

(محمد حمزة – المنصور قلاوون 96)

طرابلس :

تطلع **المماليك** الى فتح **طرابلس** لموقعها الاستراتيجي بالاضافة الى تحالف حكامها مع المغول وتنكيلهم **بالمسلمين** .

كان **حصن المرقب** يحمي الحدود الشمالية لكونتية **طرابلس** الصليبية , فلما سقط في ايدي المسلمين سارع امراء الصليبيين الى طلب السلام مع **سلطان مصر والشام** .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 120)

وردت الاخبار من اشارة نائب **دمشق** الى **السلطان** يخبره بان **الصليبيين** في **طرابلس**

نقضوا الهدنة واعتدوا على تجار المسلمين .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 279/2)

اعد **المنصور قلاوون** جيشا ضخما **بلغ اربعين الف فارس ومائة الف** من المشاة وخرج باتجاه الشام في **شهر المحرم 1289/688م** .

(المقريزي – السلوك 746/1)

اتحد **الصليبيون** للدفاع عن المدينة فأرسل لهم **الملك هنري الثاني** اربع سفن حربية من قبرص واتحدت الاساطير البحرية التابعة **للجنوية والبيازنة والبنادقة** كما اسهمت **عكا** بنصيب من المساعدات المقدمة للمدينة .

شرع مهندسوا **الجيش المملوكي** في تنقيب الاسوار بإحداث ثغرة فيها حتى انهار احد الابراج نتيجة للضرب المتواصل .

نظرا للتفوق العددي للمسلمين وتوافر ادوات الحصار قرر البنادقة الانسحاب فجمعوا اموالهم وبضائعهم واقلعوا احد موانئ كيليكيا بعد ان ادركوا ان لا فائدة من المقاومة مما ادى الى اثارة حالة من الفوضى داخل المدينة فاستولى اليأس على السكان مما مكن **السلطان** من شن هجوما صبيحة **الرابع من ربيع الاول 688 هـ 1289 م** .

حتى تدفقت جموع الجيش الى داخل المدينة عبر السور الذي تعرض للانهيار.

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 178)

جاء الوقت الذي يجعل الفرصة مواتية لهذا الفتح بعد ان اضطربت اوضاع المدينه وانقسم سكانها على بعضهم البعض .

قتل غالب رجال المدينة وسبيت ذراريهم وغنم المسلمون غنيمة عظيمة ثم أمر **السلطان** بتدمير المدينة بعد ان ظلت بيد **الصليبيين مائة وخمسين عاما** فساووها بالأرض ثم امر بوضع الاساس لمدينة جديدة بجوار النهر .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 186)

فتح السلطان بعدها انفة والبترون دون مقاومة .

(المقريزي – السلوك 747/1)

كانت الشواهد تدل على أن الكيان الصليبي في الشام قد دخل مرحلة الأحتضار ولم يكن ممكنا ان تأتي النجدة من اوروبا لمساندة الفرنج نظرا لأنشغال ملوك اوروبا وأمرائها بمنازعاتهم ومشاكلهم الداخلية .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 121)

عكـــا :

بعد سقوط **طرابلس** انحصر الصليبيون في **عكا وصيدا وعثليث وصور** بعد ان كانت مستوطناتهم قد امتدت لتشمل كل **فلسطين والساحل اللبناني** ووصلت الى الحدود **المصرية** عند خليج **العقبة** .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 121)

ذهبت صيحات **هنري الثاني** ملك قبرص عبثا حين ارسل يستنجد بالغرب الاوروبي موضحا ان **يوم عكا بات قريبا** .

غير ان **السلطان المنصور** استقبل بعدها **هنري الثاني** في **دمشق** واستجاب لطلبه وجدد الهدنه بينهما لمده عشر سنوات وعشره ايام وعشره شهور .

(النويري – نهاية الأرب 49/31)

ثم كثر طمعهم وفسادهم وقطعهم الطريق على التجار .

ما لبث ان وصل **الصليبيون الايطاليون** في **شعبان 689 هـ 1290 م** فأثاروا الارتباك للسلطات بفعل ما اشتهروا به من الفجور والاخلال بالامن فدفعهم جهلهم الى مهاجمة

التجار والفلاحين المسلمين في **عكا** حتى انهم ظنوا ان كل ذو لحية مسلم مما ادى الى هلاك عدد كبير من المسلمين بل ومن المسيحيين السريان .

لما علم **السلطان** بذلك , صدق خوف سكان عكا مما سوف يفعله السلطان , فأستشاط غضبا خصوصا بعدما شاهد قميص أحد الضحايا ملطخة بالدماء **فاقسم ان ينتقم لهم من الصليبيين** .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 189)

سارعت حكومة **عكا** بالاعتذار وتعهدت بمعاقبة المذنبين وارسل **المنصور** وفدا الى المدينة يطالب بتسليمه كل المذنبين فورا فردوا بأن الصليبيين الذين ارتكبوا هذه المذابح هم اجانب وأغراب .

اجاز **الفقهاء للسلطان** الالتجاء للسلاح ونقض الهدنة فبدأت الاستعدادات في القاهرة لتجهيز حملة لمهاجمة **عكا** .

امر **السلطان** الامير **سنقر الاشقر** التوجه الى ساحل **فلسطين** والتمركز قرب قيسارية .

ولكن سارعت المنية **السلطان** فتوفي اثناء الاستعداد لمغادرة **القاهرة** .

9) قلاوون والنوبة :

قام **برك** خليفة **شكنده** بالانتفاضة على الحكم المملوكي وتوقف عن دفع الجزية , إلا أن محاولته انتهت بالفشل وقبض عليه وقتل ثم تقرر الامر مرة اخرى **في عام 685 هـ 1286م** امتنع **سيمامون** ملك **دنقلة** عن دفع الجزية في محاولة منه للأستقلال بلاده .

ارسل **قلاوون** جيش كبير باتجاه **دنقلة** فقسم الجيش الى قسمين لاسباب تكتيكية , احدهما بقيادة الامير **سنجر المسروري** والي القاهرة والآخر بقيادة الامير **عز الدين ايدمر** والي **قوص** فتم النصر ودخل الجيش **دنقلة** وفر **سيمامون** .

عين **المماليك** حاكما جديدا لبلاد النوبة واتفق من جديد على **دفع** الجزية الثانوية المقررة **لسلطان** مصر وبقي في **دنقلة** حامية عسكرية .

بعد رحيل الجيش اغار **سيمامون** من جديد بقواته على الحامية واستعاد سلطانه ففرت الحامية والملك الجديد الى القاهرة .

لما علم **المنصور** ارسل جيشه بقيادة **الامير عز الدين ايبك الافرم** .

على خطى الحملة السابقة صار الجيش بنفس الخطة العسكرية وكالعادة فضل **سيمامون** الهرب خشية ان تحاصره جيوش المماليك وكالذي جرى من قبل اختار المماليك ملكا جديدا للبلاد وتركوا فيها حاميه وغادروها .

ومن جديد اعاد **سيمامون** تجميع قواته واغار على الحامية لاسترداد ملكه فنجح , ولكن هذه المرة ارسل الى **المنصور** يطلب منه العفو ويتعهد بدفع الجزية , فعفى عنه الملك وأقره في مكانه

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 179)

10) قلاوون وبلاد الحجاز :

استطاع **المنصور قلاوون** ان يظفر من شريف **مكة** بالاعتراف بسلطنته والولاء له ولابنه **الملك الصالح** والاستمرار في إفراد الخطبة والسكة لاسم **الشريف المنصوري** والامتثال بأوامر **السلطان** وامتثال النائب المستنيب .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 176)

كان **الظاهر بيبرس** قد استطاع بفضل احيائه الخلافة العباسية في **مصر** على التوفيق بين امراء مكة والمدينة وامداداهما بالمال وان يستعيد مكانه مصر في بلاد الحجاز , فصار الخطباء يدعون له على منابرها وضربت السكة باسمه .

(محمد جمال الدين سرور 117)

ومنذ هذا التاريخ وامر الناس في السفر قد أستقام الى مكه بغير جباية وبطل ما كان يأخذه صاحب مكه من حج مصر والشام وجميع الركوب التي تصل الى مكة المشرفة .

(محمد حمزة – المنصور قلاوون 102)

التزم امير **مكة** بتعليق الكسوة الواصلة من **مصر** على **الكعبة** في كل موسم وانه لا يعلق عليها كسوة غيرها .

(المقريزي – السلوك 706/1)

فصار السلطان خادم الحرمين الشريفين وصاحب القبلتين .

11) قلاوون ودول الجوار :

لم يكن منتظرا من السلطنة المملوكية ذات السيطرة على اهم طرق التجارة بين الشرق والغرب , لم يكن منتظرا ان تعيش مقطوعة الصلة بالدول المجاورة ذات المصالح التجارية والسياسية .

(سعيد عاشور– العصر المماليكي 247)

فحذا **السلطان** حذو سلفه **بيبرس** في اتساع نطاق العلاقات الخارجية .

اصبح بلاط **السلطان** مقصدا للرسل والسفراء القادمين من قبل الملوك والحكام من كل اوروبا واسيا وافريقيا .

كما ارتبطت علاقة **السلطان قلاوون** بصاحب **اليمن** بطابع الود والمحبة , لم تقتصر فقط على تبادل الهدايا بين الطرفين بل وضح اثرها على العمائر الدينية في جنوب اليمن

(محمد حمزة– المنصور قلاوون 104)

كما ان رابط الجوار والاسلام والخلافة وطريق الحج ادت الى علاقة قوية بين مصر وبلاد المغرب .

ادى ذلك الى هجرة بعض افراد وطوائف من أهل **المغرب** الى **مصر** يلتمسون العلم والرزق وكان هؤلاء المغاربة والصوفية جميل الأثر حين تركوا اثرا عميقا على احوال مصر الاجتماعية نتيجة لما ترتب على مجيئهم من انتشار حركه التصوف فيها .

(سعيد عاشور– العصر المماليكي 235)

كما حرص **الامير ابو حفص** صاحب **تونس** على ان يخطب ود **السلطان** حيث ارسل رسولا من عنده ومعه جماعة كثيرة بهدية جليلة من خيول عدتها ثلاثون حصانا عليها الجلالة المذهبة وأحضر ما ينيف عن الثمانين جمل عليها من كل شيء مما يليق بهدايا الملوك من كل نوع .

(ابن عبد الظاهر – تشريف الايام والعصور 175)

كما أن **السلطان** أبرم المعاهدات وتبادل الهدايا مع ملوك دول **اسبانيا** مثل **قشتالة وارغون** .

وكانت علاقه **قلاوون** بالدول البيزنطية طيبة حين تبوء **السلطان** عرش **مصر** فأرسل الى الامبراطور **ميخائيل الثامن** يفيد برغبته بالابقاء على مودة الامبراطور وصداقته , فأجابه بحرصه على الصداقة بين الدولتين .

(محمد حمزة 105– المنصور قلاوون)

ووصلت رسل صاحب بلاد **سيلان** من أرض **الهند** واسمه بكتابه . وهو صحيفة ذهب عرض ثلاثة أصابع في طول نصف ذراع بداخلها شيء أخضر يشبه الخوص ، مكتوب فيه بقلم لم يوجد في القاهرة من يحسن قراءته ، فسئل الرسل عنه فقالوا : " **إنه يتضمن السلام والمحبة وإنه ترك صحبة صاحب اليمن وتعلق بمحبة السلطان ، ويريد أن يتوجه إليه رسول ، وذكر أن عنده أشياء عدها من الجواهر والفيلة والتحف ونحوها ،**

وأنه عبأ تقدمة إلى أبواب السلطان ، وأن في مملكة سيلان سبعا وعشرين قلعة ، وبها معادن الجواهر والياقوت ، وأن خزائنه ملآنة من الجواهر " .

(المقريزي – السلوك)

12) قلاوون والحبشة :

كان **السلطان الظاهر بيبرس** قد ارسل سفارة الى **الحبشة** للاطمئنان على احوال **المسلمين** هناك بوصفه حاكم اقوى دولة اسلامية ولكنها تأخرت في العودة بسبب الحروب التي كانت دائرة هناك مما اغضب **الظاهر** .

لما احس **ملك الحبشة** بغضب **سلطان مصر** لم يجرؤ على طلب مطران منه مباشرة ومن ثم طلب وساطة **سلطان اليمن** لكي يصدر **السلطان** اوامره الى **بطرك الاسكندرية** ليبعث مطرانا الى الحبشة , الا ان **السلطان** امتنع عن اجابه طلبه مما دفع **ملك الحبشة** الى استحضار مطرانا سوريا من الشام .

(سعيد عاشور– العصر المماليكي 296)

لم يرتاح الاحباش **للمطارنة السوريين** فعول ملك الحبشة الجديد على ارسال رسله الى **السلطان قلاوون** وطلب منه انفاذ **مطران** لاصلاح **بلاد الحبشة** التي فيها **النصارى والمسلمين** , كذلك ذكر **ملك الحبشة** انه ليس كوالده وانه يحفظ المسلمين في جميع مملكته كما ان **السلطان قلاوون** يحفظ **النصارى** في بلاده .

(محمد حمزة – المنصور قلاوون 99)

جاء في رسالته : "وهولاء السريان المطارنة الذين عندنا من غير مصر بغضناهم وما احببناهم ولاجل محبتنا في بطركية مصر ما خليناهم عندنا اساقفه وطردناهم . "

(ابن عبد الظاهر – تشريف الايام والعصور 172)

ثم اوضح انه ارسل الى **السلطان** رسولا من اجل السلام , ومعه لأجل بيت **المقدس** ثوب عمل الحبشة ومئه شمعة للوقود في الهياكل وسأل انفاذ ذلك للرهبان المقيمين بالقدس ويوصي عليهم بأن لا يمنعوا من دخول الهياكل .

(محمد حمزة – المنصور قلاوون 100)

كان من اثر رسائل ملك الحبشة المملوءة بالتوسلات والتضرعات استجابة السلطان قلاوون لرجاءه فسمح بترسيم المطران المطلوب وسفره الى الحبشة .

(عاشور – العصر المماليكي 247)

الفصل الثاني



الأشرف صلاح الدين خليل

1. ترجمة الأشرف صلاح الدين خليل :

الاشرف **صلاح الدين خليل بن السطان المنصور قلاوون** .

لقب **بالاشرف** في حياة ابية ولقب ايضا **بصلاح الدين** حين فوض بولاية العهد , ولد سنة **666هـ 1267م** .

(ابن اياس – بدائع الزهور 365/1)

بعد وفاة **الصالح علي ابن المنصور قلاوون** , عهد السلطان لابنه الثاني **خليل** بولاية العهد :

" هذا عهدنا للسيد الاجل الملك الاشرف صلاح الدين والدنيا فخر الملوك والسلاطين خليل امير المؤمنين اعزنا الله ببقائة "

(تشريف الايام والعصور – ابن عبد الظاهر 251)

ركب بشعار السلطنة وشق المدينة فدخل من باب **النصر** وخرج من باب زويلة والعساكر والامراء بين يدية فخطب له في المنابر بعد اسم ابيه .

(المقريزي– السلوك 207/2)

فكان ينوب عن والده اثناء انشغالة بالجهاد ثم يرسل اليه والده مبشرا اياه بالنصر , كما حدث عند فتح حصن المرقب وأخبر الأشرف والده أثناء حصار طرابلس **بمراسلة ابني الظاهر سلامش وخضر** بالظاهرية .

وفي أيام **قلاوون** الاخيرة عندما كان معسكرا عند مسجد **التبر** استعداد للرحيل الى **عكا** , استخلف **المنصور ابنه خليل** في القلعة وعندما مرض كان **الأشرف** يعوده بشكل يومي ثم يرجع الى القلعة يبيت فيها .

(ابن اياس – بدائع الزهور 360)

فلما مات السلطان المنصور جدد الأمراء الأيمان للسلطان خليل .

اعتبر خليل أن جلوسه على العرش هو منحة من الله مما انعكس على تصرفاته السياسية , خاصة فيما يتعلق بمعاملة كبار أمراء الدولة .

ففي السابع من ذي القعده 689 – 1290 م دعا خليل القاضي ابن عبد الظاهر صاحب ديوان الانشاء وقال له : اين تقليدي فأحضره اليه وهو خال من توقيع والده واعتذر له عن ذلك بأن السلطان قلاوون قد شغله امر العدو عن التوقيع على التقليد .

فقال له : " **يا فتح الدين ان السلطان امتنع ان يعطيني فاعطاني الله**" ورمى له التقليد

(سهيل طقوش – تاريخ دولة المماليك 201)

كان ابن عبد الظاهر قد قدمه اليه فلم يرضى ويمتنع كلما عرضه عليه الى ان قال له : " **يا فتح الدين انا ما اولي خليلا على المسلمين** "

لما رأى الاشرف التقليد من غير علامة قال : " يا فتح الدين ان السلطان امتنع ان يعطيني وقد اعطاني الله " ورمى اليه التقليد .

(المقريزي– السلوك 218/2)

قام السلطان بإبطال كثير من المظالم ويقول :

" ولنكشف عن رعايانا هذه الظلامة ، ونستجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة "

اتفق بيدرا مع حسام الدين لاجين على قتله وتحينوا الفرصه لتحقيق مأربهم فلما حانت الفرصة , وخرج السلطان الى الصيد في منطقه في البحيرة , فلما نزل في المكان المراد سمح لامراءه بالتوجه للقاهرة حتى يعود من رحلته . وهنا تحين بيدرا الفرصة وارسل الى الامراء الناقمين على السلطان فحضر حسام الدين لاجين وشمس الدين قراسنقر وسيف الدين بهادر وغيرهم .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 210)

فقتل في **المحرم** من عام **693هـ 1292م** وعمرة **سبعة وعشرين سنة** .

(ابن اياس – بدائع الزهور 377/1)

فكانت مدة حكمه **ثلاثة سنوات وشهرين** .

وكان حاكما قديرا شديد البأس مهيبا في أعين الناس كفؤ لتولي الملك غارقا بأحوال المملكة بطلا لا يكل الحروب ليلا ونهارا موفقا في تحركاته الجهادية لا يعرف من ابناء الملوك من كان يناظره في العزم والشجاعة والاقدام غير انه كان يسمع الكلام في حق الناس بالباطل من وزيره ابن السلعوس وكان ذلك سببا في زوال ملكه .

(النويري – نهاية الأرب 262/31)

ذكر **ابن شاكر الكتبي** انه دفن في تربة والدتة .

(ابن شاكر – فوات الوفيات 201/1)

ووافقة **ابن تغري بردي** .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 32/8)

ويرى آخرون انه دفن بتربته التي عند المشهد النفيسي .

(المقريزي – السلوك) (بدر الدين العيني – عقد الجمان 206/3) (النويري – نهاية الأرب 262/31)

نفذ **الشجاعي** و**كتبغا** بالقاتلين اشد انواع العذاب فجئ **ببهادر واقوش الموصلي** فقطعت رقبتيهما ثم جئ **بأنغاي السلحدار ومحمد خواجا والطنبغا الجمدار واق سنقر الحسامي** فقطعت ايديهم وصلبوا ثم حملوا على الجمال وقد علقت ايديهم في اعناقهم يتقدمهم رأس **بيدرا** على رمح .

شهيدا مظلوما جميع من وافق على قتله كان قد احسن الية ووفاه واعطاه

اليونيني (ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 8/ 27)

كان الاشرف حسن الوجه ابيض اللون بديع الجمال مستدير اللحية ضخم الجسد

(ابن تغري بردي – النجوم 17/8)

تام الشكل واسع الصدر خفيف الركاب .

(ابن ايبك– كنز الدرر 693/8)

على صورته رونق الحسن وهيبة السلطنة يملأ العين ويرجف القلب شجاعا مقداما جسورا قوي البطش .

(ابن تغري بردي – النجوم 17/8)

كثير التأنق حسن المظهر , لما تسلطن لم يختلف فيه اثنان ولا تحركت شفة ولا لسان .

(بيبرس المنصوري – زبدة الفكرة 288)

الا انه لا يفكر في عواقب الامور وعنده استخفاف بأكابر الامراء .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 208/3)

ما رأيت وما سمعت أسبق من ذهن **الملك الاشرف** ولا أدرك منه .

ابن عبد الظاهر (بيبرس المنصوري – زبدة الفكرة 288)

اطلق من في السجون من المصادرين وارباب الدوواوين .

(ابن كثير – البداية والنهاية 46/14)

ضحوك السن يحب المزاح مطلقا للنكات محبا لسماعها , فيه غرور وخيلاء وثقة عالية بالنفس نفرت منه قلوب الكثير .

(المقريزي – السلوك 226/1)

لا يتحرز لنفسه لفرط شجاعته .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 110/3)

سريع الحركة مظفر في حروبة ذو ذكاء مفرط يجالس الادباء .

(المقريزي– السلوك 247/2)

" وذكاء مفرط وذهن متيقظ وادراك حسن ذا تعطف وتلطف وقوي الاحساس "

ابن عبد الظاهر (الصفدي – الوافي بالوفيات 403/13)

كان شجاعا مقداما أقتدا بوالده في اصراره على الخروج لمقاتلة الصليبيين واخراجهم من بلاد الشام .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 68)

مدة حكمة ثلاث سنوات اما الاولى فنازل **عكا** فأفتتحها ثم فتح الساحل كله وفي الثانية خرج لمحاصرة قلعة **الروم** وافتتحها وفي الثالثة خرج لقتال **الأرمن** فجائته مفاتيح قلاعهم وهو **بدمشق**

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 109/3)

يتكلم العربية بفصاحة , كثيرالزيارة لقبر ابيه ويوزع الصدقات على الفقهاء والمساكين ويدعوا الى قراءة القرآن والصحيحين .

(ابن عبد الظاهر – الالطاف الخفية 62/3)

مغرم بالصيد فيصيد الطير والغزال , كثيرا ما يستمتع بلعب الأكرة مع جنده .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 181/3)

مهتما بتجهيز جيشه , كثير الانفاق علية ويلعب معهم القبق .

(ابن تغري بردي –النجوم الزاهرة 165/8)

يشاهد صنع الشواني ويأمر بتجهيزها وحمل السلاح عليها ويملأها بالمماليك المقاتلة فاذا نزلت النيل وقف يشاهدها واصطف الناس لها .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 186/3)

يجالس الادباء والفقهاء والعلماء والقراء والشعراء .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 69/3)

كانت مدة سلطنتة ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام ، وعمره نحو ثلاثين سنة ومات عن

ابنتين ، و لم يترك ولدا ذكرا .

وكان ملكا كريماً شجاعاً مقداماً ، سريع الحركة مظفراً في حروبه فتح عكا وصور وبيروت وبهسنا وقلعة الروم . وكان مع ما فيه من شدة البادرة حسن النادرة ، يطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط .

(المقريزي– السلوك)

2. حوليات الأشرف خليل :

- **سنة تسع وثمانين وستمائة .**
- **يوم ذي القعدة : جلس على تخت الملك بقلعة الجبل وجدد العسكر له الحلف .**
- **وفيه : خلع على سائر أرباب الدولة ، وركب بشعار السلطنة . وعاد إلى القلعة قبل العصر مسرعا ، فإنه بلغه أن الأمير حسام الدين طرنطاي يريد الفتك به إذا قرب من باب الإصطبل .**
- **وفيه : قتل طرنطاي بعد عقوبة شديدة ،**
- **وفيه : تحدث الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في النيابة بعد طرنطاي ، من غير أن يخلع عليه ، ولا كتب له تقليد النيابة ، ثم استقر في نيابة السلطنة الأمير بدر الدين بيدرا ، وخلع عليه .**
- **وفيها : أكثر السلطان من تفرقة الأموال ، وأبطل عدة حوادث ، ومنها ما كان قد تجدد على الغلة بالشام ، وسامح ما تأخر من البراقي بأرض مصر والشام .**
- **سنة تسعين وستمائة .**
- **المحرم : كتب الأشرف إلى شمس الدين بن السلعوس وهو بالحجاز كتابا ، وكتب**

بخطه بين الأسطر : يا شقير يا وجه الخير عجل السير فقد ملكنا .

- وفي هذا الشهر : قدمت رسل عكا يسألون العفو ، فلم يقبل منهم .
- وفي صفر : قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر .
- وفيه : أفرج عن الأمير كتبغا وأعيد إلى إمرته ، وأنعم عليه إنعاما زائداً .
- وفي هذا الشهر : شرع السلطان في الاهتمام بفتح عكا .
- في ليلة الجمعة ثامن عشري صفر : أمر السلطان الملك الأشرف فجمع العلماء والقضاة والأعيان والقراء بالقبة المنصورية بين القصرين من القاهرة عند قبر أبيه ، ، فباتوا هناك ، وحضر الأشرف يوم الجمعة إلى القبة المنصورية ، وتصدق بجملة من المال والكساوي ، وفرق على القراء والفقراء مالاً كثيراً ، وفرق في أهل المدارس والزوايا والخوانك والربط مالاً وثيابا ،
- وفي ربيع الأول : توجه السلطان بالعساكر يريد أخذ عكا ، فنزل عكا .
- يوم الجمعة سابع عشره عزم السلطان على الزحف ، فرتب كوساته على ثلاثمائة جمل ، وأمر أن تضرب كلها دفعة واحدة ، وركب السلطان وضربت فهال ذلك أهل عكا ، وزحف بعساكره ومن اجتمع معه قبل شروق الشمس ، فلم ترتفع الشمس حتى علت الصناجق الإسلامية على أسوار عكا .
- وفي يوم ثامن عشره : وقع الهدم في مدينة عكا ، فهدمت الأسوار والكنائس وغيرها وحرقت ، وحمل كثير من الأسرى بها إلى الحصون الإسلامية .
- وفتحت صور وحيفا وعثليث وبعض صيدا بغير قتال ، وفر أهلها خوفا على أنفسهم ، فتسلمها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في بقيه جمادى .

- جمادى الأولى : قبض السلطان على الأمير حسام الدين لاجين وبعثه إلى قلعة صفد ثم حمل إلى قلعة الجبل بمصر .

- جمادى الآخرة : استقر الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في نيابة دمشق .

- فيه : سار السلطان من دمشق إلى مصر ، فدخل إلى القاهرة من باب النصر في بكرة يوم الإثنين تاسع شعبان ، وخرج من باب زويلة إلى القلعة وقد زينت قبل وصوله بأيام ، فكانت زينة لم يسمع بمثلها ، وكثر سرور الناس ولعبهم .

- وفي رجب : سار الأمير سنجر الشجاعي نائب الشام إلى صيدا ، وحاصر البرج حتى فتحه في خامس عشره ، ، ثم توجه إلى بيروت ، فتلقاه أهلها طائعين فنزل بقلعتها ، وقبض على الرجال وقيدهم وألقاهم في الخندق ، وافتتحها في ثالث عشري رجب ، وعاد إلى دمشق في سابع عشري رمضان .

- وفيه : أفرج السلطان عن الأمير بدر الدين بيسري الشمسي ،

- وفي رمضان : أفرج عن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير حسام الدين لاجين الصغير نائب الشام ، والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا ، والأمير شمس الدين سنقر الطويل ، وأمروا على عادتهم .

- ذي القعدة : عمل ختم بالقبة المنصورية ، حضره الأمير بيدرا النائب والوزير شمس الدين بن السلعوس ، ونزل إليه السلطان والخليفة ، وكان يوماً مشهوداً ، فرقت فيه صدقات .

- شهر ربيع الأول مات ملك التتر بفارس ، وهو أرغون بن أبغا بن هولاكو وملك بعده أخوه كيختو بن أبغا ، وترك أرغون ولدين وهما غازان وخربندا .

• ومات في هذه السنة السلطان الملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس ، ببلد اسطنبول عن اثنتين وعشرين .

• سنة إحدى وتسعين وستمائة . .

• ربيع الأول : نودي بالنفير للجهاد ، وخرج السلطان يوم السبت ثامن ربيع الآخر بجميع عساكره فورد البريد بأن التتار أغاروا على الرحبة واستاقوا مواشي كثيرة ، وخرجت إليهم تجريدة من دمشق .

• في جمادى الآخرة : وخرج السلطان يريد قلعة الروم فنزل عليها يوم الثلاثاء ثامنه ، ونصب عشرين منجنيقا ورمي عليها ، وعملت النقوب وعمل الأمير سنجر الشجاعي نائب دمشق سلسلة وشبكها في شراريف القلعة وأوثق طرفها بالأرض ، فصعد الأجناد فيها وقاتلوا قتالاً شديداً ، ففتح الله عنوة ، وكانت مدة حصارها ثلاثة وثلاثين يوما ، وقد سماها السلطان قلعة المسلمين .

• وفيه : خرج الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر ومعه معظم العسكر إلى جبال كسروان من جهة الساحل ، فلقيهم أهل الجبال وعاد بيدرا شبه المهزوم ، واضطرب العسكر اضطرابا عظيما ، فطمع أهل الجبال فيهم .

• شهر رمضان : توفي محيي الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر

• وفي ليلة عيد الفطر : فر الأمير حسام الدين لاجين الصغير من داره بدمشق ، خوفا من السلطان لما بلغه من أنه يريد القبض عليه ، فنودي بدمشق من أظهر لاجين فله ألف دينار ومن أخفاه شنق ،

• وفيه : استقر الأمير عز الدين أيبك الحموي في نيابة دمشق ، عوضاً عن الشجاعي

- وفي آخر ذي الحجة : قبض على الأمير سنقر الأشقر ، والأمير جرمك الناصري ، والأمير سيف الدين الهاروني ، والأمير بدر الدين بكتوت ، واعتقلوا .
- سنة اثنين وتسعين وستمائة . .
- في المحرم : أخرج من في الجب من الأمراء : وهم سنقر الأشقر وجرمك والهاروني وبكتوت وبيبرس وطقصوا ولاجين ، وأمر بخنقهم قدام السلطان ، فخنقوا بأجمعهم حتى ماتوا عدا لاجين .
- وفيه رسم بتجهيز العساكر إلى دمشق فأمر بالتجهيز إلى بهسنا وأخذها من الأرمن أهل سيس فقدم رسل سيس يطلبون العفو ، فاتفق الحال معهم على تسليم بهسنا ومرعش وتل حمدون .
- شهر رمضان : أفرج عن تقي الدين ابن بنت الأعز ، بعدما اشتد به البلاء .
- وفي ذي الحجة : رسم بعمل المهم لختان الأمير ناصر الدين محمد أخي السلطان ، فنصب القبق تحت القلعة مما يلي باب النصر .
- وفي هذه السنة : خطب الشريف أبو نمي بمكة للملك الأشرف ، بعدما كان يخطب فيها لصاحب اليمن ، ونقش السكة أيضاً باسمه .
- وفيها : قدم رسل كيختو ملك التتار بكتابه يتضمن إنه يريد الإقامة بحلب ، فإنها مما فتحه أبوه هولاكو ، وإن لم يسمح له بذلك أخذ بلاد الشام .
- وفيها : مات الأمير علم الدين سنجر الحلبي الثائر بدمشق ،
- سنة ثلاث وتسعين وستمائة . .
- يوم الإثنين ثاني عشر المحرم قتل السلطان الأشرف خليل

3. مجريات خليل :

1) الاشرف خليل والصليبيين :

عكـــا :

عاجلت المنية **المنصور قلاوون** اثناء اعداده الجيش لفتح **عكا** .

وعكا اخر قلاع **الصليبيين** الكبرى في الشام , اخر امل لهم في البقاء فيها , فعزم **الاشرف خليل** على حصارها وتوجه اليها .

كانت رسل عكا قد جاءت في سفارة الى القاهرة لطلب عفو السلطان وتثنيته عن مهاجمة عكا , لكن **الاشرف** لم يقبل منهم ورفض استقبال الوفد وزج بأعضائه في السجن .

احتفل **السلطان** بذلك واقام حفلا للذكر في قبة والده ووزع العطايا على القضاة والفقهاء ثم خرج من القاهره **في صفر 690 هـ** قاصدا عكا .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 203)

أجتمعت الى **السلطان** جيوش **مصر والشام** .

كان السلطان قد ارسل الى كل ولايات الشام بإمداده بكل وسائل النقل لنقل الذخائر والجنود ثم موافاته الى سور عكا .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 203)

وافاه ستون الف فارس ومائة وستون الف من المشاة , فضلا على عدد ضخم من الالات منها اثنان وسبعون منجنيقا منها منجنيق سمي بالمنصوري يسير على مائة عجلة .

(المقريزي – السلوك764/1)

وفي المقابل تكاتفت الجاليات الصليبية وتناست حزازاتها القديمة وتكاتفت للدفاع عن المدينة حتى وصل الفرسان **الانجليز** الذين ارسلهم **ادوارد** ملك **انجلترا** وحشد الداوية والاسبتارية وكل قادر على حمل السلاح من السكان ليقوم بدوره في الدفاع عن عكا .

كما ارسل ملك قبرص عددا من الجنود وعهد الى اخيه **عموري** بتولي الدفاع عن عكا , فبلغ ما حشده الصليبيون أربعون الف منهم ثمانمائة فارس واربعة عشر الف من المشاة والباقيين من عامة الحجاج .

(الحركة الصليبية –عاشور 181/1)

فرتب كوساته على ثلاثمائة جمل ، وأمر أن تضرب كلها دفعة واحدة ، وركب السلطان وضربت فهال ذلك أهل عكا ،

(المقريزي – السلوك)

بدأ الحصار فصارت منجنيقات **السلطان** تقذف الأحجار الممتلئة بالنفط على اسوار المدينة والابراج .

شدد المسلمون الحصار واستماتت الفرق العسكرية الصليبية في الدفاع عن المدينة , فكثف المماليك الضرب بالمنجنيقات فسارت اسوار المدينة تنهار وأبراجها تتهاوى شيئا فشيئا .

تم تقويض **البرج الانجليزي** وبرج **الكونتيسة بلوا** , اما **برج هيو** فبعد ان وجد الفرسان انفسهم غير قادرين على الصمود أخلوه واشعلوا فيه النار فأنهار مع الأسوار القائمة عند باب القديس **انطوان** وبرج **القديس نيقولا** ولكن عزيمة الفرنج لم تتوقف بعد .

بعد هجوم شديد نجحت القوات المملوكية من دخول عكا

يوم الجمعة 17 جمادي الاولى اندفعت العساكر نحو **البرج الملعون وكتيبة الملك هنري الثاني** فهزمت الكتيبة وسقط **البرج الملعون** بعد ما علموا بمقتل قائدهم **ويليم بياجو** فتركوه .

قبل ان تعلو شمس النهار استطاع المماليك وضع السلالم على جدران الأسوار لدخول المدينة , عندئذ انهارت مقاومتها وأنتشرت الفوضى بين الفرنجة وازدحموا على الميناء لمغادرة المدينة فتزاحم الناس في القوارب

كانت **عكا** قد حررها **الناصر صلاح الدين** من **الفرنج في ربيع الاخر 583هـ**

ثم استرجعها الفرنجة في **يوم الجمعة 17 جمادي الاخرة 587 هـ** ثم حررها **الاشرف صلاح الدين خليل يوم الجمعة 17 جمادي الأخرة 687 هـ** اي بعد تمام المائة عام .

(قسطنطين خليل – السلطان الأشرف خليل وسياسته الخارجية والداخلية 128)

فقام بمحاصرتها **اربعة واربعون يوما** ورماها بالمنجنيق حتى فتحها برغم مقاومه حاميتها العنيدة وامدادات **قبرص** لها .

فر بعض سكانها الى عرض البحر وتكدسوا في السفن التي غرق بعضها لكثرة من كان على ظهورها .

وبعد ذلك استولى بسهولة على بقية ما تبقى بأيدي الصليبيين " **صور وحيفا وعثليث وصيدا وانطرسوس** "

بعدها اضطر الصليبيين الى تقبيل اليد التي حاولوا قطعها .

يا بني الاصفر قد حل بكم   نقمه الله التي لا تنفصل

نزل الاشرف في ساحتكم   فابشروا منه بصفع متصل

(ابن عبد الظاهر)

وفي جماد الاولى وصل **هنري الثاني** قادما من **قبرص** على راس مائة من الفرسان وألفين من المشاة بالأضافه الى قدر كبير من المؤن والامدادات واقلتهم أربعون سفينة , ففرح الصليبيون بقدومه وجرى استقباله بكل مظاهر البهجة والسرور واشعلوا نيرانا لم يرى مثلها فرحا به وتشجعوا على الثبات والمقاومة .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 6/8)

ولكن بعد قليل علم بصعوبة الصمود وأيقن ضعفه فعزم على التفاهم مع السلطان في محاولة أخيرة لأعادة السلام , فأرسل رسولين من الداوية الى المعسكر المملوكي وطلب من **السلطان** عقد هدنة .

لما وصل الرسل الى خيمة **السلطان** خرج لاستقبالهما , **سألهما ألم تحضرا معكما مفاتيح المدينة ؟**

فلما انكرا قال ذلك هو مطلبي ووعدهما بتأمين خروج جميع الصليبيين من عكا ومعهم الاموال اذا استسلموا ولم تؤخذ المدينة عنوة

تولد بين **الصليبيون** شعور باليأس فأخذوا يدركون أن ليس لديهم من العساكر ما يكفي للدفاع عن الأسوار تجاه الاعداد الضخمة التي حشدها المماليك وبالتالي ادركوا خطورة الموقف وأضحى الوقت في صالح المماليك .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 205)

نجح منقبوا **السلطان** في احداث ثقوب في الأبراج , اشعلوا فيها النيران حتى اخذت بالتداعي , ثم شق المماليك طريقهم الى داخل الخرائب التي احدثها الضرب المتواصل واجبروا المدافعين على التقهقر الى الخط الداخلي من الاسوار .

اندفع الجيش داخل المدينه وهم يهتفون بصيحات الحرب المرعبة وقد ترافق ذلك مع

احداث الضجيج المنبعث من الطبول والكوسات فأثار الخوف والرعب في نفوسهم وفت في عضدهم .

لم يمضي وقت طويل حتى شق **المماليك** طريقهم الى القلعة واجبروا حامياتها على التراجع والخروج ثم دخلوها واستقروا داخل المدينة .

دار قتال عنيف في الازقة والشوارع ولكن سرعان ما فرض الفرسان المماليك سيطرتهم على المدينة حتى شاعت الفوضى في **عكا** واندفع العساكر والسكان الى الميناء يتزاحمون على القوارب , يلتمسون الوصول الى السفن الراسية قبالة الشاطئ حتى غرق بعضها بثقل حمولتها .

وقع الكثير في يد الجند فاخذوا يقتلون فريقا ويأسرون فريقا حتى بيعت الفتاة في سوق دمشق **بدرهم** ثم امر **السلطان** بتدمير المدينة .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 207)

تعتبر معركه عكا اخر المعارك الفاصلة في الحروب الصليبية التي شهدها الشرق الاسلامي .

حيفا **وجبيل وانطرطوس وعثليت :**

بعدها ارسل **السلطان** جيشا بقيادة **الامير سنجر الشجاعي** الى **صور** فتسلمها بدون مقاومة في رجب 690 هـ .

ثم ظهر الجيش بقياده **الامير الشجاعي** امام **صيدا** فلما شيد مهندسوا المماليك جسرا في عرض البحر للوصول اليها فقد **الداوية** المدافعون الأمل في الصمود وابحروا الى **انطرطوس** فتسلمها **الشجاعي** فدمرها .

وبعد اسبوع رحل **الشجاعى** الى **بيروت** فدخلها بدون مقاومة في **الثاني والعشرون من**

رجب فهدم اسوارها وحطم قلعتها وحول كاتدرائيتها الى **مسجد** .

لم يمض الا قليل حتى فتح **حيفا** بدون مقاومة **وجبيل وانطرطوس وعثليت** ولم يبقى في ايدي الصليبيين سوى حصن في **جزيرة ارواد** .

وبذلك تكاملت الفتوحات واستعاد المسلمين جميع بلاد الساحل وختمت صفحه الحروب الصليبية في الشرق الاسلامي بعد ان مضى عليها قرنان من الزمان .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 209)

و لم يبق في جميع الساحل من الفرنج أحد .

(المقريزي – السلوك)

هذا الذي كانت الامال لو طلبت

رؤياه في اليوم لاستحيت من الطلب

(شهاب الدين محمود)

2) خليل ووزيره ابن السلعوس :

كما عين الامير **شمس الدين ابن السلعوس** في الوزارة وقد ازداد نفوذ هذا الامير بشكل بارز بعد ان منحه السلطان مقاليد الامور يتصرف كما يشاء وجعله مشرفا على شؤون الامراء فأرتفعت مكانته حتى اضحى لا يخرج الا في موكب من الجند واصحاب الدواوين وبين يديه القاضيان الشافعي والمالكي يسير امامهما القاضيان الحنفي والحنبلي ثم نظار الدوله .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 203)

استقر **ابن السلعوس** في الوزارة ، وخلع عليه **السلطان** وفوض إليه **سائر أمور الدولة** ، وجرد معه عدة من المماليك السلطانية يركبون في خدمته ويترجلون في ركابه ، ويقفون بين

يديه ويمتثلون أمره فتمكن تمكنا لم يتمكنه وزير قبله في الدولة التركية .

صار إذا أراد الركوب إلى القلعة اجتمع ببابه **نظار الدولة ومشد الدواوين ووالي القاهرة ومصر** ، **ومستوفو الدولة ونظار الجهات ومشدو المعاملات** ، ونحوهم من الأعيان ، ثم يحضر **قضاة القضاة الأربعة** وأتباعهم فإذا تكامل الجميع ببابه دخل إليه حاجبه وقال : **أعز الله مولانا الصاحب** ، **قد تكمل الموكب** ، كان علامة تكملة الموكب ببابه حضور **القضاة الأربعة** ، فيخرج حينئذ ويركب والناس سائرون بين يديه على طبقاتهم ومقربهم إليه **قاضي القضاة الشافعي وقاضي القضاة المالكي** ، ومسيرهما معا بين يديه أمام فرسه ، وقدام المذكورين **قاضي القضاة الحنفي وقاضي القضاة الحنبلي** ، **ثم نظار الدولة ثم المستوفون بالدولة ثم نظار الجهات على قدر مراتبهم** ، فلا يزالون حتى يستقر بمجلسه من **قلعة الجبل** فينصرف القضاة ، ثم يعودون عشية النهار إلى القلعة ، ويركبون معه إلى أن يصل داره .

وتعاظم في نفسه واستخف بالناس ، وتعدي طور الوزراء ، فكان أكابر الأمراء يدخلون إلى مجلسه فلا يستكمل قائماً لأحد منهم ، ومنهم من لا يلتفت إليه ، وإذا استدعى أميراً قال : **فلان أمير جاندار** ، أو **فلان الأستادار** باسمه من غير نعته ، ثم ترقي حتى استخف بنائب السلطنة **الأمير بيدرا** ، وعارضه وتحدث فيما يتحدث فيه ، فلم يقدر على إظهار الغضب لما يعلم من ميل **السلطان** إليه .

(المقريزي – السلوك)

3) الاشرف خليل والمغول :

قدم رسل **كيختو** ملك التتار بكتابه يتضمن : **إنه يريد الإقامة بحلب** ، **فإنها مما فتحه أبوه هولاكو** ، **وإن لم يسمح له بذلك أخذ بلاد الشام** .

فأجابه السلطان : **" قد وافق القان ما كان في نفسي ، فإني كنت على عزم من أخذ بغداد ، وقتل رجاله ، فإني أرجو أن أردها دار إسلام كما كانت ، وسينظر أينا يسبق إلى بلاد صاحبه وكتب إلى بلاد الشام بتجهيز الإقامات وعرض العساكر " .**

ولكن قدر الله تعالى موت السلطان قبل أن يحقق امنيته .

4) الاشرف خليل وأرمينيا الصغرى :

بعد وفاة **الملك المنصور قلاوون** حاول **هيثوم الثاني** ملك **ارمينيا** التنصل من دفع الجزية , فأرسل اليه **الملك الأشرف** يتوعده :

" وأنت ايها الملك اذا لم تعتبر بعكا وتندم ندامة أهل عكا حيث لا ينفع الندم فتحمل القطيعتين(الجزية المفروضة) **وتحضر بنفسك الى ابوابنا وإن اطعت أبليس ليطيلن حزنك على بلاد سيس "**

حينئذ أسرع **هيثوم** بأرسال البعوث والهدايا الى **السلطان خليل** .

ففي ربيع 691 هـ 1292 م خرج **الاشرف** من **حلب** قاصدا قلعة **الروم** الواقعه على **نهر الفرات** وبعد حصار دام **ثلاثون** يوما تمكن من فتحها وسماها **قلعة المسلمين** وأسر اميرها وغنم المسلمون منها شيئا كثيرا .

كان **السلطان** قد خرج يريد قلعة الروم فنزل عليها ، ونصب عشرين منجنيقا ورمي عليها ، وعملت النقوب وعمل الأمير **سنجر الشجاعي** نائب دمشق سلسلة وشبكها في شراريف القلعة وأوثق طرفها بالأرض ، فصعد الأجناد فيها وقاتلوا قتالاً شديداً ، ففتح **الله** القلعة عنوة ،

وقتل من بها من المقاتلة ، وسبي الحريم والصبيان ، وأخذ بطرك الأرمن وكان بها فأسر .

وكانت مدة حصارها ثلاثة وثلاثين يوما ، وقد سماها **السلطان** قلعة المسلمين فعرفت بذلك ،

فلما وردت البشائر إلى دمشق بفتح قلعة الروم زينت البلد ودقت البشائر ، ورتب **السلطان** الأمير **سنجر الشجاعي** نائب الشام لعمارة قلعة المسلمين ، فعمر ما هدمته المجانيق والنقوب ، وخرب ربضها .

(المقريزي – السلوك)

لما شعر ملك ارمينيا **هيثوم الثاني** بقوة **الملك خليل** بعد فتحه لقلعة **الروم** تخلى له عن قلاعه **بهنسا ومرعش وتل حمدون** ودفع مبلغ كبير من المال مقابل عدم التعرض لبلاده بعدما تلقى الجيش المرابط في دمشق اوامر الزحف نحو عاصمة **الارمن سيس** فتقبل **السلطان** وارجئ تحركاته .

5) الأشرف خليل والجراكسة :

أهتم **السلطان الأشرف خليل** بمماليك ابية **الجراكسة** الذين اسكنهم **قلاوون** ابراج القلعة وسماهم البرجية , كان مماليك ابيه قرابة الثمانية الاف مملوك فقام الأشرف بشراء ستة الاف اخرون وأجزل عطاياهم ورواتبهم وأكثر من الأنفاق عليهم .

(قسطنطين خليل – السلطان الأشرف خليل وسياسته الخارجية والداخلية 142)

6) خليل والأمراء :

طرنطاي :

لم يكد يتولى الحكم حتى بادر الى التخلص من رجال الدولة البارزين ممن كانت لهم السطوة والنفوذ في عهد ابيه وفي المقابل بدأت دسائس هؤلاء الامراء ضد حكمه .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 202)

وحرضوا نائب السلطنة **حسام الدين طرنطاي** للقبض عليه .

عز على **طرنطاي** الا يفوز هو بالعرش بعد **قلاوون** فتآمر ضد **السلطان** .

(النويري – نهاية الأرب 1180/13)

فلما نمى الى **السلطان الاشرف** ان **طرنطاي** يريد التخلص منه و تحقق من ذلك , القى القبض عليه بعد ايام قليله من اعتلائه العرش وقتله وصادر امواله وممتلكاته ونقل ما تحويه خزائنه الى بيت المال , كما منح اقطاعه الى الامير **بيدرا** وعينه نائبا للسلطنة .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 203)

كان **طرنطاي** قد غره إعجابه بنفسه وكثرة أيام سلامته ، ودخل ومعه **الأمير زين الدين كتبغا** الى السلطان , فعندما وصل إلى حضرة **الأشرف** قبض عليه وعلى **كتبغا** وسجنا ، ثم قتل **طرنطاي** بعد عقوبة شديدة .

وكان سبب قتله كراهة **الأشرف** له من أيام أبيه ، فإن **طرنطاي** كان يرجح أخاه **الملك الصالح** عليه وأغري **الملك المنصور بشمس الدين** بن **السلعوس** حتى ضربه وصرفه . ثم وشي به إلى **الأشرف** أنه يريد القبض عليه عند ركوبه إلى الميدان .

وعندما قبض على **طرنطاي** نزل **الشجاعي** – وكان عدوه – إلى داره ، وأوقع الحوطة على موجوده ، فوجد له من الذهب والخيول والمماليك والبغال والجمال والغلال ، والآلات والأملاك ما لا يحصر , ولما حملت أموال **طرنطاي** إلى **الأشرف** قال : **من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المني**

وبعد أيام من مقتل **طرنطاي** سئل ولده الحضور ، فلما وقف بين يدي **الأشرف** إذا هو أعمي ، فبكي ومد يده كهيئة السؤال وقال : شيء وذكر أن لأهله أياما ما عندهم ما يأكلون ، فرق له **السلطان** ، وأفرج عن أملاك طرنطاي ، وقال : تبلغوا بريعها .

حسام الدين لاجين :

وأثناء حصار **عكا** وشي **الأمير** **علم الدين سنجر الحموي** إلى **السلطان** **بالأمير** **حسام الدين لاجين** **نائب الشام** ، ثم أوهم **لاجين** بأن **السلطان** يريد القبض عليه ، فركب **لاجين** من الوطاق **بعكا** ليلا يريد الفرار ، فساق خلفه **الأمير** **علم الدين سنجر الدواداري** وأدركه ، وقال له : **بالله لا تكن السبب في هلاك المسلمين ، فإن الناس قد أشرفوا على أخذ عكا ، وإن بلغ الفرنج فرارك ، وأن العسكر قد ركب خلفك قويت نفوسهم وفتر الحصار** فرجع معه وظن أن الأمر لا يبلغ **السلطان** ، فلما كان في صبيحة هذه الليلة خلع **السلطان** عليه وطيب خاطره ، ثم قبض عليه في ثاني يوم الخلعة ، وبعثه إلى قلعة **صفد** ثم حمل إلى **قلعة الجبل بمصر** .

ثم أفرج عنه قبل ان يطارده السلطان من جديد يوم العيد .

فر الأمير **حسام الدين لاجين الصغير** من داره بدمشق ، خوفا من **السلطان** لما بلغه من أنه يريد القبض عليه ، فنودي بدمشق من أظهر **لاجين** فله ألف دينار ومن أخفاه شنق وركب **السلطان** في خاصته وترك سماط العيد ، وساق في طلب **لاجين** وأخذ عليه الطريق ، ثم عاد بعد العصر في أسوأ حال من التعب ، ولم يجد له أثرا فقلق . واتفق أن **لاجين** نزل على طائفة من **العرب** ، فقبضوه وأحضروه إلى **السلطان** فاعتقله . وقبض **السلطان** على الأمير **ركن الدين بيبرس طقصوا** حمي **لاجين** ، وحمل هو **ولاجين** إلى **قلعة الجبل بمصر** .

أخرج من في الجب من الأمراء : وهم **سنقر الأشقر وجرمك والهاروني وبكتوت**

وبيبرس وطقصوا ولاجين ، وأمر بخنقهم قدام السلطان ، فخنقوا بأجمعهم حتى ماتوا ما عدا لاجين .

وتولى خنق لاجين الأمير قراسنقر ، فلما وضع الوتر في عنقه انقطع ، فقال :

" **يا خوند مالي ذنب إلا حميي طقصوا وقد هلك ، وأنا أطلق ابنته . وكان قرا سنقر له به عناية ، فتلطف به ولم يعجل عليه .**

لما أراد الله من أن لاجين يقتل الأشرف ويملك موضعه ، وانتظر أن تقع به شفاعة . فشفع الأمير بدر الدين بيدرا في لاجين ، وساعده من حضر من الأمراء ، فعفي عنه ظنا أنه لا يعيش .

(المقريزي – السلوك)

بيدرا :

كانت عداوة قد نشبت بين السلطان ونائبه بدر الدين بيدرا ازاء وشاية من الوزير ابن السلعوس الذي اوهمه بأن املاك بيدرا اتسعت بشكل يهدد السلطان فاوغر صدره عليه فأقدم السلطان على نزع اقطاعات النائب وضمها الى املاكه .

ثم سريعا ما خشى السلطان بأسه فحاول استرضاءه بألف دينار بعثها اليه لكن لم تنفع في رأب الصدع بينهما .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 210)

وقد اشتدت العداوة بين الأمير بيدرا وبين ابن السلعوس .

فلما وصل ابن السلعوس الى الاسكندرية وجد أن نواب بيدرا قد استولوا على المتاجر والاستعمالات فكتب يعرف السلطان ذلك ويغريه ببيدرا ، وأنه لم يجد بالثغر ما يكفي الإطلاقات على جاري العادة .

فاشتد غضب **السلطان** ، وطلب **بيدرا** وسبه بحضرة الأمراء ، وتوعده بأنه لابد أن يمكن **ابن السلعوس** من ضربه بما لا يذكر فتلطف **بيدرا** حتى خرج إلى مخيمه وقد اشتد خوفه ، فجمع أعيان الأمراء من خشداشيته ومنهم الأمير **لاجين** والأمير **قرا سنقر** ومن يوافقه ، وقرر معهم قتل السلطان .

(المقريزي – السلوك)

أجتماع الامراء على قتل السلطان :

وأصبح يوم **عاشوراء** ، فخرج السلطان للصيد فحضر اليه **بيدرا** ومن قرر معه قتل **السلطان** .

خرجوا اليه متظاهرين بالرغبة في صيد غزال وهم مضمرين الغدر به .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 216)

بعث **بيدرا** من كشف له خبر **السلطان** ، فقيل له ليس معه أحد .

فلم يشعر **السلطان** إلا بغبار عظيم قد ثار ، فقال **لأمير شكار** : اكشف خبر هذا الغبار . فساق إليه فوجد **بيدرا** وجماعة من الأمراء ، فسألهم فلم يجيبوه . ومروا حتى وصلوا إلى **السلطان** وهو وحده ، فابتدره بيدرا بالسيف وضربه أبان يده ، ثم ضربه ثانيا على كتفه . فتقدم الأمير **لاجين** إليه وقال له : يا **بيدرا** من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته ؟ وضرب **السلطان** على كتفه حله ، فسقط إلى الأرض وتناوب الأمراء ضربه بالسيوف وهم :

قرا سنقر ، وآقسنقر الحسامي ، ونوغاي ، ومحمد خواجا ، وطرنطاي الساقي ، وألطنبغا رأس نوبة .

ثم تركوه في المكان الذي قتل فيه وظل جسمانه ملقى على الارض مدة يومين حتى حمله

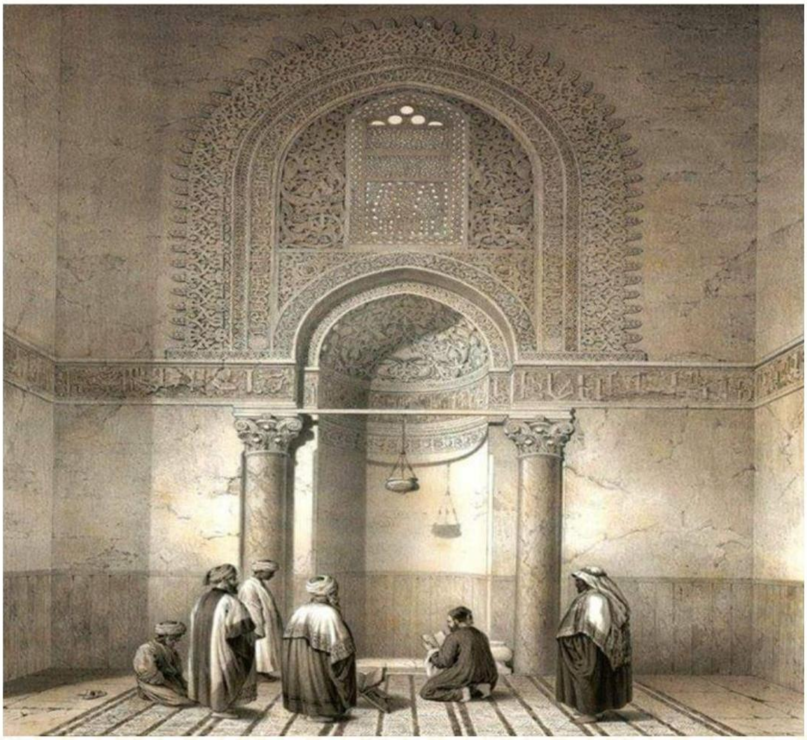
الأمير **عز الدين ايدمر العجمي** الى بيت المال بدار الولاية ثم نقله الامير **سعد الدين كوجا الناصري** في تابوت الى القاهرة ودفن بمدرسته بالقرب من مشهد السيدة نفيسة .

الباب الخامس:

عصر الناصر

اراء المرء وتصرفاته وافكاره
ومشاعره انما تؤثر فيها وتوجهها
النظم والتقاليد والعادات السائدة
في المجتمع الذي نشأ فيه .

الفصل الاول



سلطنة الناصر محمد الأولى

1. ترجمة الملك الناصر محمد (1) :

السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي الألفي من أعظم ملوك الترك .

ولِد يوم السبت ، سادس عشر المحرم ، سنة أربع وثمانين وستمائة . ، بقلعة الجبل ، وأمه **خوند أشلون بنت الأمير نكاي وقلاوون** يومئذ يحاصر **حصن المرقب** .

استنابه أخوه **الأشرف** ، وجعله ولي عهده ، وحلف الناس على ذلك .

(المختصر في اخبار البشر 30/3)

بعد مقتل أخيه **الأشرف خليل** وقع الاتفاق عليه ليكون هو **السلطان** وذلك **سنة 693 هـ** وكان عمره إذ ذاك **ثماني سنين وشهور .**

(الصفدي – اعيان العصر 73/5)

أجلسوه على سرير السلطنة ورتبوا الأمير **زين الدين كتبغا** نائبا للسلطنة والأمير علم الدين **سنجر الشجاعي** وزيراً .

صار **كتبغا** هو القائم بجميع أمور الدولة ، وليس **للملك الناصر** من السلطنة إلا اسم الملك , ثم خلع في **سادس عشر المحرم سنة أربع وتسعين**

2. حوليات الملك الناصر :

- **سنةثلاث وتسعين وستمائة . .**
- **المحرم : قرر الأمراء سلطنة الناصر محمد وأحضروه وعمره تسع سنين ، وأجلسوه على سرير السلطنة . ورتبوا الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة عوضاً عن بيدرا ، والأمير علم الدين سنجر الشجاعي وزيراً ومدبراً عوضاً عن ابن السلعوس ، والأمير**

حسام الدين لاجين الرومي الأستادار أطابك العساكر ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستادارا ، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار دواداراً

- صار كتبغا هو القائم بجميع أمور الدولة ، وليس للملك الناصر من السلطنة إلا اسم الملك .
- وفيه : ووقع الطلب على الأمراء الذين كانوا مع بيدرا في قتل الأشرف فسجنوا بخزانة البنود ، وتولى بيبرس الجاشنكير عقوبتهم ليقروا على من كان معهم .
- وفيه : أخرجوا وقطعت أيديهم بالساطور على قرم خشب بباب القلعة ، وسمروا على الجمال وأيديهم معلقة ، وشقوا بهم ورأس بيدرا على رمح قدامهم القاهرة ومصر . واجتمع لرؤيتهم من العالم ما لا يمكن حصره ، بحيث كادت القاهرة ومصر أن تنهبا , فتهالك الناس من كثرة البكاء رحمة لهم واستمروا على ذلك أياماً : فمنهم من مات على ظهور الجمال ، ومنهم من فكت مساميره وحمل إلى أهله ثم أخذ مرة ثانية وأعيد تسميره فمات .
- وفي صفر : أعيد قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز إلى سائر ما كان بيده من المناصب .
- وفيه : أحكم الشجاعي أمر الوزارة ، فاشتدت مهابة الناس له وقويت نفسه ، وأحب أن يستبد بالأمور ، فشرع في إعمال التدبير على الأمير كتبغا ليقبض عليه
- وفيه : طلع كتبغا والأمراء إلى القلعة ودقت البشائر ، فنودي بعد ذلك بالأمان ، ففتحت أبواب القاهرة وكانت كلها مغلقة إلا باب زويلة ، وكذلك الأسواق كانت معطلة في هذه المدة . ثم رفع رأس الشجاعي على رمح وطيف بها القاهرة ومصر ، و لم يدعوا زقاقا حتى طافوا بالرأس فيه ، وجبوا عليه مالاً كثيراً . وفي

الناس من كان يضرب الرأس بالمداسات ، ومنهم من يصفعه ويسبه ، وصاروا يقولون : هذه رأس الملعون الشجاعي . وسر كثير من الناس لموته ، فإنه أكثر من المصادرات ، ونوع الظلم والعسف أنواعا .

- وفي رجب : حلف نائب دمشق والأمراء للسلطان ونائبه وولي عهده الأمير كتبغا ، ودعي له معه في الخطبة .
- وفي يوم عيد الفطر : ظهر الأمير حسام الدين لاجين الصغير والأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوريان من الاستتار .
- وفيها : قتل الملك كيختو بن أبغا بن هولاكو . وولي بعده بيدو بن طوغاي
- وتوفي الوزير الصاحب فخر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن لقمان .
- سنة أربع وتسعين وستمائة . .
- في المحرم : ورد الخبر بأن كيختو بن أبغا بن هولاكو ، الذي تسلطن بعد أخيه أرغون . وملك بعده ابن عمه بيدو ، وهو ابن طرغاي بن هولاكو ، فخرج عليه غازان بن أرغون بن أبغا نائب خراسان ، وكسره وأخذ الملك منه .
- وفي ليلة الأربعاء حادي عشره : اجتمع المماليك الأشرفية الذين بالكبش وخرجوا إلى الإسطبلات التي تحت القلعة ، وساروا إلى إسطبل السلطان ووقفوا تحت القلعة .
- وفي يوم الأربعاء حادي عشره : خلع الملك الناصر ابن قلاوون ، وكانت أيامه سنة واحدة تنقص ثلاثة أيام ، لم يكن له فيها أمر ولا نهي .

3. مجريات الملك الناصر :

1) الناصر ومصير المتآمرين على الأشرف خليل :

اجتمع المتآمرون على قتل **الاشرف خليل** واتفقوا على تعيين زعيم المؤامرة الامير **بدر الدين بيدرا** سلطانا ولقبوه **بالملك الاوحد** وحلفوا له . ليغادر السلطان الجديد مكان الجريمة الى القلعة ليتم تنصيبه رسميا .

غير ان مماليك السلطان المقتول بزعامة **الامير كتبغا** قد هالهم مقتله وتصدوا للمتآمرين قبل وصولهم الى القاهرة وانزلوا الهزيمة بأتباعهم بل انهم قتلوا **بيدرا** نفسه وطاردوا الفارين .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 211)

وذلك باتفاق الامراء الكبار مثل **كتبغا وبيبرس الجاشنكير وحسام الدين الاستادار والشجاعي** وغيرهم من الخاصكية مثل **طغجي وطقطاي** .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 222/3)

سار **كتبغا** الى القاهرة متجها نحو العرش لكن الامير **سنجر الشجاعي** نائب السلطنة حال بينه وبين دخول القاهرة .

ثم دارت المفاوضات التي اسفرت عن تعيين **الملك الناصر محمد** اخو الملك **الاشرف خليل** سلطانا وذلك في **14 محرم 1293/693 م** ولقب **بالناصر ابو الفتوح وكان عمره انذاك تسع سنوات** .

(النويري – نهاية الأرب 267/31)

عين **كتبغا** نائبا للسلطنة **وعلم الدين سنجر** وزيرا **وحسام الدين لاجين الاستادار** اتابكا **وبيبرس الجاشنكير استادارا** .

وبذلك تتكرر الاحداث المألوفة وهو اختيار صبي يعتلي السلطنة على أن يستأثر أمير قوي بالسلطة .

" انما نلمح من هذا التعين شبح الأغتصاب يحاول الظهور " .

(حسن علي ابراهيم – تاريخ المماليك البحرية 71)

كانت زوجة السلطان المقتول جمعت نوائح كثيرة تنوح على السلطان فأراد **الامراء** منع ذلك فأبت ودخلت على خوند أشلون أم السلطان الناصر فمكنتها من ذلك ثم جمعتها مع سائر الخدام والجواري ليلة الجمعة الى تربة السلطان وحضر في تلك الليلة سائر الفقهاء والقراء والوعاظ فقرأوا ختمات عديدة فلما فرغوا قامت الوعاظ فتكلم كل واحد بما يناسب ذكره .

فأقمن ست ليال , كل ليلة من العشاء الى السحر إلى أن اقلقت الناس وأبكت العيون وأوجعت القلوب , وألتزمت زوجة الاشرف ان لا تنفك من حزنها ولا تترك ما هي فيه من هذا الامر حتى ترى قاتل الاشرف والموافق علية مسمرا مشهودا .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 223/3)

عندئذ طارد الأمراء فلول الهاربين المشتركين في قتل السلطان خليل .

فوقع منهم اول من وقع بهادر راس النوبة واقوش المصلي الحاجب فضربت رقابهما ثم وقع الباقون امثال اق سنقر الحسامي وطرنطاي الساقي .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 223/3)

كانوا قبل أعدامهم قد اودعوا في السجون .

فكان ركن الدين بيبرس الجاشنكير يتوجه اليهم ويتولى عقابهم وتقريرهم فلما أقروا بما فعلوا وأعترفوا بأنهم قتلوا , قطعت ايديهم وصلبوا وطيف بهم على الجمال وايديهم في اعناقهم قد علقت وماتوا شر ميته جزاء بما كسبوا .

كان الشجاعي قد نهض ومعه المماليك الاشرفية فدخلوا على كتبغا واتفقوا على قتل الامراء الذين في السجن ثم طلبوا من متولى القاهرة ان يحضرهم ثم نزل الشجاعي ومن معه عند باب السلسلة واحضروا قرمة وساطورا وجعل الوالي يحضر اميرا اميرا

ويقطع يده على القرمة بضربة واحدة .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 223/3)

فكانت آجالهم متقاربة .

2) الناصر والصراع على العرش :

تمحورت الحوادث حول أغتصاب العرش بين **ثلاثة** من كبار الامراء هم : **علم الدين سنجر الشجاعي وزين الدين كتبغا وحسام الدين لاجين** .

كان لكل منهم آمال ومطامع وتطلعات نحو العرش فأتخذ كل منهم صغر سن **السلطان** فرصة سانحة لتحقيقها .

في الطريق الى تمهيد الطريق للوثوب الى العرش صادف **كتبغا** في طريقه ازدياد نفوذ **سنجر الشجاعي** حتى اشتد الصراع بينهما وانقسم الجند فريقين وقرب وقت الصدام .

وصلت الخلافات بين الطرفين الى طريق مسدود , حينئذ شرع **كتبغا** في الزحف نحو القلعة وقد تحصن **الشجاعي** بها فحاصرها وقطع عنها الماء .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 214)

شدد **كتبغا** الحصار على القلعة سبعة ايام انضم اليه فيها معظم اتباع **الشجاعي** .

فعرض **السلطان** على **الشجاعي** نيابه حلب فلم يوافق .

(ابن اياس – بدائع الزهور 382/1)

فلما تحقق **علم الدين سنجر** من خمود ناره وخمود أعوانه خرج بنفسه وكر على الامراء فما نفعت كرته فلم يجد بدا من طلب الامان فلم تجبه الامراء ففر عائدا وبالقلعة لائذا وقال :

" ان كنت انا الغريم المطلوب وقد طلبتموني بهذه الذنوب فأنا اصير الى الحبس طوعا

مني وابرأ مما قيل عني " .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 237/3)

فأنقض عليه الأمراء وأمسكوه وقيدوه وأرسلوه الى **البرج** فخرج عليه جماعة من **البرجية** فقتلوه .

(النويري – نهاية الأرب 273/31)

وأما **ابن السلعوس** آخر رجال **الأشرف** والذي كان يتعاظم على اكابر الامراء ويسميهم بأسمائهم ولا يقوم لهم . لما قتل **الاشرف** تسلموه بالضرب والاهانة واخذ الاموال حتى اعدموه حياته واسكنوه الثرى بعد ان كان عند نفسه قد بلغ الثريا .

(ابن كثير – البداية والنهاية 338/13)

وكاللذين من قبله **قطز وقلاوون** حذا نائب السلطنة حذوهما وراح يتصرف بشكل منفرد في امور السلطنة , كما احتاط من قلاقل ربما تحدث في بلاد الشام , فأرسل إلى نائب دمشق يأمره بمصادرة اموال **بيدرا ولاجين وقراسنقر** .

شرع **كتبغا** في البحث عن قتلة **الاشرف خليل** .

سرعان ما عثر على بعضهم في حين ولى الاخر الادبار , طاف بهم في القاهرة ومصر ويد كل واحد منهم على صدرة تشجب دما وتباكت الناس وانفجعت القلوب وكان يوما عظيما .

وأمامهم من يقول **"هذا جزاء من يخون استاذه ويتجاسر على قتل الملوك"**

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 226/3)

في حين ظلا **حسام الدين لاجين وقرا سنقر** مختفيين حتى هدأت الاوضاع .

فراح **لاجين** الى جامع **ابن طولون** فأختفى في بعض زواياه واقام يتنقل من مكان الى مكان في **الجامع** فنذر في ذلك الوقت على نفسه ان ستره **الله** وسلمت نفسه عمر الجامع

وجدده ورتب له اوقافا ثم خرج الى القرافه فكان يأوي في بعض الترب المهجورة ويبيت فيها .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 3/239)

ثم اعلما مملوكا من مماليك **كتبغا** بأمرهما وأطلعاه على موضعهما .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 238/3)

فلما ابلغ **كتبغا** ذلك رد : **" قل لهما فليصبرا ولا يكون الا خيرا "**

كان **كتبغا** يعز **لاجين وقراسنقر** وكلما كان **الشجاعي** يتحدث في امرهما كان يسكته .

دخل **كتبغا** وبعض الامراء الى **السلطان الناصر** يشفعون في امر **قراسنقر ولاجين** وانهما من اكابر مماليك **الملك الشهيد** والد مولانا **السلطان .**

فقال **السلطان** : يا امير هؤلاء الذين قتلوا اخي .

قال **كتبغا** : يا **خوند** كذب اعداؤهما عليهما والذي تحققنا منه يبرئهم وفي بقاء الاميرين نفع عظيم للمسلمين فلهما اسم كبير في بلاد العدو .

فأجابه الناصر وعفا عنهما .

سمح لهما بالأمان فظهرا له ومثلا بين يديه وقبلا الارض لديه فرضي عنهما وعفا عن السالف من دينهما وامر لكل واحد منهما بامرة وعادا الى احسن مما كانا .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 238/3)

3) الناصر والخلع من السلطنة :

بعد مقتل **الشجاعي** حاول **كتبغا** ايجاد ظهير يكون له عونا اذا ما صار سلطانا .

تودد الى الامراء المعتقلين وأفرج عنهم ورد إليهم إقطاعاتهم , أستقطب **لاجين وقرا سنقر** اللذين قد اشتركا في قتل **الاشرف** .

(النويري – نهاية الأرب 276/31)

مما اغضب المماليك **الاشرفية** الذين انتفضوا ضده في **العاشر من المحرم** .

استمرت الثورة طيلة الليل ودخل الثائرون اسواق السلاح واستولوا على ما فيها وأخذوا خيل **السلطان** ونهبوا الاسطبلات , لكن **كتبغا** تمكن من القضاء عليهم وبدد شملهم .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 48/8)

فركب **الأمراء** الذين بالقلعة وقاتلوهم ، فلم يثبتوا وانهزموا وتفرقوا .

فقبض عليهم من القاهرة وضواحيها و لم يفلت منهم أحد ، فضربت رقاب بعضهم بباب القلعة ، وقطعت أيدي جماعة وأرجلهم وفيهم من أكحل ، وفيهم من قطعت ألسنتهم ، ومنهم من صلب على باب زويلة ، ومنهم من بقي ، وفرق بعضهم على الأمراء وكانوا زيادة على ثلاثمائة .

(المقريزي – السلوك)

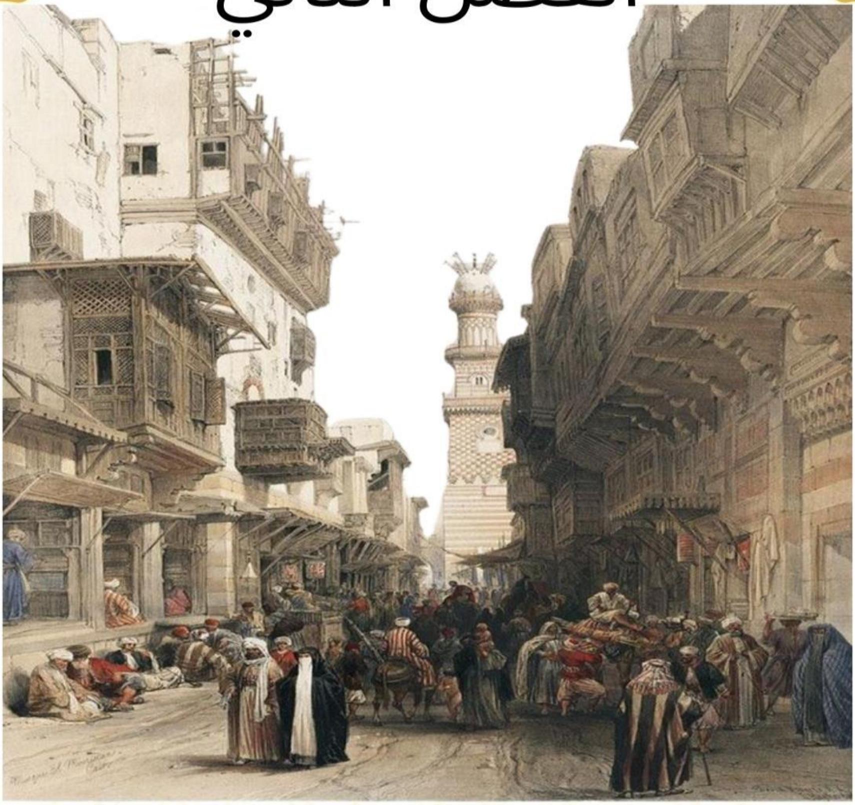
اتخذ **لاجين** هذه الانتفاضة وسيلة لتحريض **كتبغا** على خلع السلطان **الناصر محمد** والحلول مكانه .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 215)

دعا **كتبغا** الخليفة والقضاة والامراء وتحدث معهم في عدم اهلية **الناصر** لصغر سنه **وان الامور لابد لها من رجل كامل يخافه الجند وتخشاه الرعية** فأستقر رأيهم على خلع **السلطان** وأقامة **كتبغا** مكانه على أن يكون **لاجين** نائبا له .

(النويري – نهاية الأرب 282/31)

الفصل الثاني



العادل زين الدين كتبغا

1. ترجمة السلطان العادل زين الدين :

ومعنى كتبغا = الثور الضخم Gütboga

(عبد اله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري , من اسرى **حمص الاولى 659 هـ/1261 م** , **مغولى** الاصل .

فلما سير الاسرى الى مصر في الدولة الظاهرية كان فيهم **كتبغا** وكان في ذلك الوقت مراهقا للبلوغ ولما حضروا الى مصر فرقهم الملك الظاهر **بيبرس** فوقع في يد **قلاوون** .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 217/3)

جعله **السلطان قلاوون** من مماليكه وتعهده بالتنزية والتهذيب , ترقى في وظائف الدولة حتى اضحى من كبار الامراء .

بعد مقتل **الاشرف خليل** التقا **كتبغا** والخاصكية مع **بيدرا** على الطرانة فقتلوا **بيدرا** وانهزم الباقون .

ثم طلع **كتبغا** والخاصكية الى القلعة وملكوا الملك **الناصر محمد** ومسكوا الامراء المخامرين على **الاشرف خليل** وقطعوا ايديهم وعلقوها على صدورهم وأسمروهم على الجمال وداروا بهم القاهرة .

فلما تملك **الناصر** قعد **كتبغا** نائبا له فمسك البرجية وحبسهم بثغري دمياط والاسكندرية وقتل جماعة من الخاصكية على باب القلعة وشتت المماليك السلطانية وسيرهم الى الشام والولاة بديار مصر

(الصفدي – نزهة المالك والمملوك 173)

وكان من البرجية بيبرس **الجاشنكير وبرغلي** .

(الدواداري – الدرة الزكية 356)

طلع العسكر وحاصروا **الشجاعي** وقطعوا رأسه وداروا بها القاهرة ومصر

(الصفدي – نزهة المالك والمملوك 171)

بعد قتل **الشجاعي** قام **كتبغا** بأنزال من كان في الابراج والطباق من المماليك الذين اتهموا بأنشاء الشقاق فاسكنت طائفة منهم في مناظر الكبش واخرى عند دار الوزارة .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 239/3)

شغل وظيفة نائب السلطنة في دولة **الناصر محمد** الاولى , فكان في مدة سلطنة **الملك الناصر** هو القائم بجميع أمور الدولة ، وليس **للناصر** معه تصرف ألبتة .

ثم إنه أخذ في أسباب السلطة بعد قتل **الشجاعي** .

فحلف الامراء للامير **كتبغا** مع **الملك الناصر** محمد وسارت البيعة بذلك في بقية المدن والمعاقل , فصار **كتبغا** مدبر الممالك واتابك العساكر .

(بدرالدين العيني – عقد الجمان 245/3)

حلف نائب دمشق والأمراء **للسلطان** ونائبه وولي عهده الأمير **كتبغا** ،

(المقريزي – السلوك)

فلما كانت فتنة المماليك الاشرفية جلس في صباح تلك الليلة بدار النيابة وجمع الأمراء وقال لهم :

" **قد انخرق ناموس المملكة ، والحرمة لا تتم بسلطنة الناصر لصغر سنة** " فاتفقوا على خلعه وإقامة **كتبغا** مكانه ، وحلفوا له على ذلك .

وكان عمر **العادل كتبغا** يوم توليته الملك **خمسين سنة** وكان من **الاويراتية** وهم طائفة من **التتر** .

(ابن كثير – البداية والنهاية 338/13)

مد **العادل** سماطا عظيماً وجلس عليه ، فدخل إليه الأمراء وقبلوا يده ، وهنئوه بالسلطنة وأكلوا معه . فلما انقضى الأكل خلع على الأمير **حسام الدين لاجين الصغير** ، واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر ،

(المقريزي – السلوك)

اصيبت البلاد بالقحط والوباء اثر اعتلائة السلطنة , ادى ذلك الى اشتداد المجاعة وارتفاع الاسعار , فتشاءم الناس منه ومن حكمه وتمنوا زواله .

كان غلاء عظيم وفناء وهلك خلق كثير وأكل الناس الميتة والكلاب والقطط

(الصفدي– نزهة المالك والمملوك 134)

رحب **كتبغا** بالجند **المغول** من بني جنسه الذين فروا الى مصر على اثر اعتناق **غازان** الاسلام فقدر **عددهم بعشرة الاف** وكان هؤلاء لا يزالون على وثنيتهم .

انقلب امراءالشام على **كتبغا** لعزله **الامير عز الدين ايبك الحموي** وتعيين مكانه " **غورلو** " **العادلى** الذي راح يضايق الامراء ويمتنع عن منحهم الانعامات والهدايا فضلا على تقريبه لبني جنسه من المغول الاويراتية الوافدين بالاضافة الى الوباء والغلاء .

رحل **السلطان زين الدين** الى الشام لاقرارالامن وتنظيم امور طائفة **العويراتية** , استغل **لاجين** سفر السلطان ودبر مؤامرة لعزله وفي نيته الحلول مكانه .

فرجع طالبا الديار المصرية فخرج عليه **لاجين** وخامر عليه العسكر فانهزم **كتبغا** وقتل اعز مماليك **كتبغا** واقربهم اليه " **بتخاص وبكتوت الازرق** " واستولوا على الخزائن .

ثم اعلن **لاجين** نفسه سلطانا على البلاد وبايعه الامراء الموالين له واستولى على خزائن **كتبغا** وانضم اليه الجند الذين كانوا يرافقونه .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 218)

فكانت مدة **كتبغا** منذ جلس على التخت بقلعة **الجبل** في يوم **الأربعاء حادي عشر المحرم سنةأربع وتسعين وستمائة** . . ، وإلى أن فارق الدهليز بمنزلة العوجاء في **يوم الثلاثاء سابع عشري المحرم سنةست وتسعين وستمائة** . . ، **سنتين وسبعة عشر يوما** .

(المقريزي – السلوك)

ثم ولاه **لاجين صرخد** فكان بها حتى قتل **لاجين** .

وهو اول مثل وربما الاخير في دولة المماليك ينزل الى رتبة **امير** من **السلاطين** .

وفي سلطنة **الناصر** الثانية حوله الى نيابة حماة فاستنيب بها حتى مات .

وشارك رحمه **الله** تعالى في **معركة شقحب** .

ومات العادل كتبغا بحماة ليلة **الجمعة** يوم عيد **الأضحى** وهو في سن الكهولة ، وكان دينا خيراً ، أسمر اللون قصيراً دقيق الصوت قصير العنق ، شجاعاً سليم الباطن متواضعاً ، وهو من جنس المغل ، وكان قد طال مرضه واسترخى حتى لم يقدر على حركة يديه ورجليه ، وترك اولاداً

(المقريزي – السلوك)

وكان من خيار الملوك واعدلهم واكثرهم برا , كان ملكا خيرا دينا عاقلا رحمه **الله** تعالى .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 96/4)

2. حوليات الملك العادل :

- **سنة اربع وتسعين وستمائة .**
- **حادي عشر المحرم : اتفق الامراء على خلع الناصر واقامة كتبغا مكانه ودخل من باب القلة إلى الأدر السلطانية ، والأمراء مشاة بين يديه حتى جلس على التخت بأهبة الملك ، وتلقب بالملك العادل . فكانت أيامه شر أيام من الغلاء والوباء وكثرة**

الموتان .

● وفيه نقل الملك الناصر من القصر ، وأسكن هو وأمه في بعض قاعات القلعة .

● وفيه : مد العادل سماطا عظيماً وجلس عليه ، فدخل إليه الأمراء وقبلوا يده وهنئوه بالسلطنة وأكلوا معه . فلما انقضى الأكل خلع على الأمير حسام الدين لاجين الصغير ، واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر ،

● وفي ربيع الأول : ركب السلطان على عادة الملوك واللواء الخليفتي على رأسه والتقليد بين يديه ، وكتبت البشائر .

● جمادى الأولى : عزل الصاحب تاج الدين ابن حنا من الوزارة ،

● وفي هذا الشهر : استسقى الناس بدمشق لتوقف نزول الغيث ، وخرج النائب وسائر الناس مشاة . وتزايد الغلاء بديار مصر

● شهر ربيع الأول : وقع بديار مصر كلها وباء ، وعظم في القاهرة ومصر ، وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف ، ويبقي الميت مطروحا في الأزقة والشوارع ملقى في الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه ، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم .

● وفيها : قصر مد النيل وأجدبت بلاد برقة أيضاً ، وعم الغلاء والقحط ممالك المشرق والمغرب والحجاز ، وتزايد موت الناس وأكل الناس من شدة الجوع الميتات والكلاب والقطاط والحمير ، وأكل بعضهم بعض .

● ومات في هذه السنة القان كيختو بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان ملك التتار قتيلا ، فكانت مدة ملكه نحو أربع سنين .

- ومات القان بيدو بن طرغاي ، بن هولاكو القائم بعد كيختو مقتولا ، فكانت مدة ملكه نحو ثمانية أشهر ، وقام بعده غازان بن أرغون بن أبغا
- سنة خمس وتسعين وستمائة . .
- وفي ربيع الأول : قدم البريد بوصول طائفة الأويراتية من التتار ومقدمهم طرغاي زوج بنت هولاكو ، وإنهم نحو الثمانية عشر ألف بيت ، وقد فروا من غازان ملك التتار وعبروا الفرات يريدون الشام .
- وفي جمادى الأولى : استقر في قضاء القضاة بديار مصر تقي الدين محمد بن مجد الدين علي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد الشافعي ، قاضي القضاة ذي الرياستين تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي المعروف بابن بنت الأعز .
- وفي هذه السنة : اشتد الغلاء ، وأبيعت بطيخة صيفية للمرضى بمائة درهم
- في يوم عيد الفطر تزايد السعر وساءت ظنون الناس ، وكثر الشح وضاقت الأرزاق ووقفت الأحوال ، واشتد البكاء وعظم ضجيج الناس من شدة الغلاء . وتأخر المطر ببلاد الشام حتى دخل فصل الشتاء ليلة الخميس سادس صفر ولم يقع المطر ، فتزايدت الأسعار في سائر بلاد الشام . وجفت المياه ، فكانت الدابة تسقي بدرهم شربة واحدة ، ويشرب الرجل بربع درهم شربة واحدة ،
- وفيها : قدمت أم العادل سلامش بن الظاهر بيبرس من بلاد القسطنطينية
- وفي شوال : خرج السلطان من قلعة الجبل بعساكر مصر يريد الشام ، واستخلف الأمير شمس الدين كرتيه في نيابة السلطنة ، وولده الملك المجاهد أنص .

- **وفيه : صلى السلطان بالجامع الأموي ، وخلع على خطيبه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة .**
- **وفي ذي الحجة : عزل الأمير عز الدين أيبك الحموي عن نيابة دمشق ، ووقعت الحوطة على خيوله وأمواله ، واستقر في نيابة دمشق الأمير سيف الدين أغرلو العادلي ، وعمره نحو الثلاثين سنة ،**
- **سنة ست وتسعين وستمائة . .**
- **وفيها : صلى صلاة الجمعة بالجامع الأموي ، وأخذ قصصاً كثيرة رفعت إليه ، ورأي بيد رجل قصة فتقدم إليه بنفسه ومشي عدة خطوات حتى أخذ القصة منه بيده .**
- **وفيه رحل السلطان من دمشق بعساكره يريد القاهرة ، وقد توغرت صدور الأمراء وتواعدوا على الفتك به .**
- **يوم الثلاثاء سابع عشري المحرم : ركب لاجين بيسري وقرا سنقر وقبجاق والحاج بهادر الحاجب في آخرين ، واستصحبوا معهم حمل نقارات وساقوا ملبسين إلى باب الدهليز**
- **الثلاثاء سابع عشري المحرم : نزول كتبغا من فوق عرشه**

3. مجريات العادل كتبغا :

1) كتبغا والناصر محمد :

كان المماليك الذين انزلهم **زين الدين كتبغا** الى **دار الوزارة ومناظر الكبش** قد حملوا من ذلك حقدا كبيرا وصاروا لا يهنأ لهم عيش فرأوا أنفسهم في ذلة ومسكنة .

فلما قويت نفوسهم وأرادوا الركوب فإما ان يظهروا ويظفروا ببلوغ المنى واما ان يموتوا على خيولهم , ولكن ليس عندهم خيل ولا سلاح , فأتفقوا ان يخرجوا في ميعاد واحد ويهجموا على أصطبلات **الخيل وسوق السلاح** ومهما قدروا على ذلك يأخذونه , على ان يكون اجتماعهم في **سوق الخيل**.

في البداية كان لهم ما ارادوا وظفروا بما تمنوا وأخذوا من **الخيل والسلاح** على قدر كفايتهم .

وقع الصياح في **المدينة** ورأى الناس منهم ما اعجزهم فبلغ الخبر **الوالي والحاجب واصحاب الحرس** فأخذوا في الاحتراس منهم .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 260/3)

ثم هجموا **خزانة البنود** فأخرجوا منها من كان مسجون من **خشداشيتهم** فبينما هم على ذلك اذ تبلج الصباح وبدا الضوء ولاح , فركب الامراء الذين في القلعة ومن عندهم من المماليك فتصافوا تحت القلعة .

ضربت **طلخانات** الامراء وفتحوا باب القلعة ونزلت الأمراء الذين هناك مع المماليك السلطانية فحملوا عليهم وهم في **سوق الخيل** حملة صادقة فلما رأى هؤلاء تلك الحملة مع كثرة الجموع خافوا ولم يثبتوا بل انهزموا هزيمة فاضحة .

(زبدة الفكرة –الدواداري 187/9)

فلما رجع **الامراء** الى القلعة والامراء بين يدي **كتبغا** وهو من حنقة وغيظه لا يدري ما يقول ومماليك **كتبغا** ملبسون واقفون , ما يقع نظر واحد منهم على مملوك يحضره الجند او العوام الا وهبروه بالسيوف قطعا قطعا ومنهم من يضرب فيقع ميتا لوقته .

فلما رأى الامراء ذلك انكروه وقالوا **لكتبغا** :

ما هذا العمل ؟ انت تعمل هذا ونحن قعود ؟

فقال : يا امراء انا اي شئ عملت حتى يفعلوا في حقي هذا الفعال ؟

فقال له الامير طرطش : يا امير ان السلطان الملك المنصور اشتراك واشتراهم لينفعوا الاسلام والمسلمين وتردوا العدو وتجاهدون في سبيل الله وتذبوا عن المسلمين وانت ما تفكر الا في مصلحة نفسك فاذا حضر عدو من اعداء المسلمين انت تلقاهم وحدك ؟

فلما رأى **كتبغا** قيام الامراء عليه منع مماليكه واتفق الحال على ان هؤلاء يؤدبون بالقيد والحبس

(بدر الدين العيني - عقد الجمان 3/265)

ثم ارسلت **خوند اشلون** ام **السلطان الناصر** الى **كتبغا** تقول له :

"ان يعفو عن مماليك السلطان وانك متى فعلت بهم هذا يكون كل يومين وثلاثة فتنة وفساد حال واتلاف نفس , فأشتهي ان تتركوني انا وولدي نروح الى الكرك فنقعد هناك فأربي ولدي الى أن اموت انا او يموت هو ونستريح من هذه الفتن التي تحدث كل ساعة

فلما بلغ **كتبغا** بكى وشكى مما يجده من الضرر منهم ومن الركوب عليه كل وقت واما السلطان " **فانه استاذي وابن استاذي وما عندي اعز منه احد** " .

حسن **الشيطان** بأراء من حول المشار اليه من المماليك والصبيان ان يستبد بالسلطنة ويستقل بالمملكة فحملوه على ذلك والجأوه الى ان وافقهم على رأيهم وجلس في السلطنة وتسمى **بالعادل** .

(بدر الدين العيني- عقد الجمان 3/265)

ثم جاءوا **ام السلطان** وعرفوها ان **العدو** قاصد **بلاد الشام** ومعه عسكر عظيم وذلك لما سمع بوقوع الفتن في مصر من **قتل السلطان** والامراء واختلافهم وان سلطانهم صغير .

ونحن قد عزمنا على الخروج واخراج العساكر والملتقى بهذا العدو ونحن اذا خرجنا بالسلطان نخاف عليه من جهة السفر وعند الملتقى لانه صغير السن وليس له حرمة في عين العدو وهذا الامر يحتاج الى رجل كبير يدبر المملكة ويقيم ترتيب الملوك المتقدمة ويكون له حرمة وسمعة في البلاد .

وهي تسمع جميع ما يقولون وتعلم مقصدهم فقالت :

" اذا خلعتم ابني فمن تولوه ؟

قالوا نولي مملوكه الامير كتبغا وهو مملوك السلطان وهو احق ان يحفظ ابن استاذه وبيت استاذه وهو نائبه الى ان يلتقي هذا العدو فان فتح الله تعالى وكسر العدو وحضرنا الى مصر رجع الملك الى السلطان ويكون هو في نيابته وان كان غير ذلك فالامر لله تعالى "

فوافقتهم على قصدهم وقالت :

" هو ولدكم فالذي ترونه مصلحة لكم وللمسلمين افعلوه وان عملتم معنا خيرا خلوني وولدي نروح عنكم وانتم دبروا ملككم كيف ما اردتم" فأخذوا في تطييب خاطرها وحسنوا القول معها .

(بدر الدين العيني– عقد الجمان 303/3)

2) حكم كتبغا بين وباء وغلاء :

فكانت **ديار مصر** كلها وباء ، حتى كان يموت في **القاهرة ومصر** كل يوم **ألوف** ، ويبقي الميت مطروحا في الأزقة والشوارع ملقى في الممرات اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه .

وأكل الناس من شدة الجوع الميتات والكلاب والقطاط والحمير ، وأكل بعضهم لحم بعض .

وساءت ظنون الناس ، وكثر الشح وضاقت الأرزاق ووقفت الأحوال ، واشتد البكاء وعظم ضجيج الناس في الأسواق من شدة الغلاء . وتزايد الوباء بحيث صارت الأموات تدفن بغير غسل ولا كفن .

وعجز الناس عن مواراة الأموات في القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم ، فعملت حفائر كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ الحفرة ، ثم تطم بالتراب .

وانتدب أناس لحمل الأموات ورميهم في الحفر ، فيحمله الواحد منهم ويلقيه إما في حفرة أو في النيل .

ومات كثير من الناس بأطراف البلاد فبقي على الطرقات حتى أكلته الكلاب ، وأكل كثيراً منها بنو آدم أيضاً وحصر في شهر واحد من هذه السنة عدة من مات ممن قدر على معرفته ، فبلغت العدة **مائة ألف وسبعة وعشرين ألف إنسان** ، وعظم الموتان في أعمال مصر كلها حتى خلت القرى .

وتأخر المطر ببلاد الشام حتى دخل فصل الشتاء ولم يقع المطر ، فتزايدت الأسعار في سائر بلاد الشام . وجفت المياه ، فكانت الدابة تسقي بدرهم شربة واحدة ، ويشرب الرجل بربع درهم شربة واحدة ، و لم يبق عشب ولا مرعي .

(المقريزي – السلوك)

قال ابن ايبك :

لقد نظرت بعيني برا باب البرقية ظاهر القاهرة في الخندق برا السور جماعة كبيرة شبه

الوحوش الضارية قد تغيرت عنهم معالم الانسانية وكل جماعة عندهم قدر ينتظرون الميتات التي تخرج وترمى بكيمان البرقية فيأخذونها بالضرب بينهم من قوي على صاحبه , فيطبخونها ويأكلونها وكانوا يأكلون الكلاب والقطاط وساير ما يجدون حتى بعضهم البعض .

(ابن ايبك – الدرة الزكية 365)

3) كتبغا وبني جنسه الاويراتية :

كان البريد قد قدم بوصول طائفة **الأويراتية** من التتار ومقدمهم **طرغاي زوج بنت هولاكو** ، وإنهم نحو **الثمانية عشر ألف** بيت ، وقد فروا من **غازان** ملك التتار وعبروا الفرات يريدون الشام ثم سار بهم الأمير **قراسنقر** إلى القاهرة ، ولما قرب هؤلاء من القاهرة امر **السلطان** سائر الامراء والعسكر الى لقائهم .

لما وصلوا بالغ **السلطان** في إكرامهم والإحسان إليهم ، وأمر عدة منهم وبقوا على كفرهم فلما دخل **شهر رمضان** لم يصم منهم أحد ، وصاروا يأكلون الخيل من غير ذبحها ، بل يربط الفرس ويضرب على وجهه حتى يموت فيؤكل .

فعظم على الناس إكرامهم ، وتزايد بغضهم في **السلطان** ، وانطلقت الألسنة بذمه حتى أوجب ذلك خلعه .

(المقريزي – السلوك)

تلقاهم **كتبغا** بالاكرام وعاملهم بالانعام وألم بهم غاية الالمام وعجل لهم الخلع والهبات واعطى اكابرهم الطبلخانات وصاروا يجلسون في مراتب الامراء ومقاعد الكبراء .

فلما رأى امراء الاسلام ما فعله مع هؤلاء على غير القياس وانه قدمهم على اكابر الناس كرهوا منه هذه الفعلة مع ما في النفوس من تغلبه على السلطة وخلعه وارث المملكة ,

فتغيرت له الخواطر وتكدرت منه الضمائر.

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 306)

كل هذا والامراء الاكابر لم يعجبهم ما فعله **السلطان** مع **الاويراتية** من كثرة الاكرام وعلو منازلهم ورفعتهم فوق غيرهم .

فخاطب الامراء **السلطان** في ذلك وقالوا : " **ينبغي ان يخاطب هؤلاء في الإسلام ويتعلمون شرائع الدين ولا يمكن ان هؤلاء في بلاد الاسلام وفي مملكة مصر على غير دين الاسلام .**

فلم يرجع الى شئ من كلامهم وقال:" **لا يشوش احد عليهم فخلوهم يكونون على دينهم** "

فوجد الامراء في ذلك امرا عظيما مع ما اتفق من الغلاء والوباء .

فاتفق الامراء فيما بينهم على عزله من الملك ولم يجدوا لذلك سبيلا غير ان يشيروا عليه بخروجه الى السفر ليحصل لهم الغرض .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 308)

4) بين كتبغا ولاجين :

كان **السلطان** قد توغرت صدور الأمراء عليه وتواعدوا على الفتك به بسبب ما أحدثه من تقريب **الاويراتية** وتحكمهم في الدولة .

فأتفق **لاجين** و **بيسري وقرا سنقر وقبجاق والحاج بهادر** الحاجب في آخرين على عزله دون قتله .

وأثناء عودة **العادل** من الشام , هجم **لاجين** على الدهليز فلم يجد **العادل** وبلغه أنه فر ، فساق خلفه فلم يدركه ورجع إلى الدهليز .

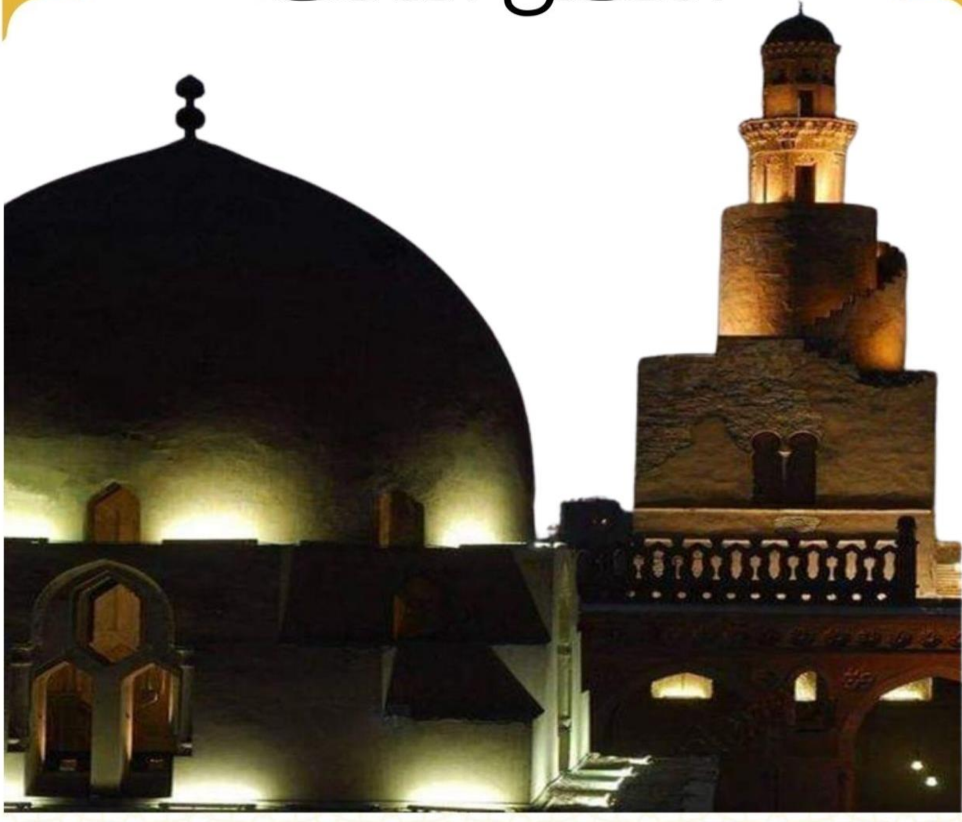
فقتل أقرب مماليك **كتبغا** " **بتخاص وبكتوت الازرق** "

فأستولوا على الخزائن ودخلوا بها الديار المصرية عازمين على عزل كتبغا وتولية لاجين فتم لهم مرادهم .

وبعد أيام وصل الأمير **جاغان الحسامي** من مصر ، وحلف **كتبغا** يميناً مستوفاة مغلظة بحضرة الأمير **حسام الدين** الأستادار ، **والأمير سيف الدين كجكن ، وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة** على **أنه في طاعة الملك المنصور** وموافقته ، **وقد أخلص النية له ورضي بالمكان الذي عينه له وهو قلعة صرخد وأنه لا يكاتب ولا يشاور ولا يستفسد أحداً .**

(المقريزي – السلوك)

الفصل الثالث



حسام الدين لاجين

1- ترجمة السلطان المنصور لاجين :

ولاجين نوع من الصقور- وتأتي بمعنى شجاع Laçın

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

السلطان المنصور حسام الدين لاجين المنصوري المعروف بلاجين الصغير .

كان من جملة مماليك **الملك المنصور علي بن الملك المعز أيبك** , اشتراه له **المظفر قطز** ايام ما كان نائبه, فلما خلع اشتراه الأمير **سيف الدين قلاوون** وهو أمير بسبعمائة وخمسين درهما ، من غير مالك شرعي ، فلما تبين له أنه من مماليك **المنصور** اشتراه مرة ثانية ، بحكم بيع قاضي القضاة **تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز** له عن **المنصور** وهو غائب ببلاد الأشكري .

وعرف حين بيعه بشقير ، فربي عند **قلاوون** وقيل له **لاجين الصغير** ، وترقى في خدمته ثم أمره **قلاوون** واستنابه بدمشق لما ملك ، فشكرت سيرته في النيابة ، وأحبته الرعية لعفته عما في أيديهم ، فلما ملك **الأشرف خليل بن قلاوون** قبض عليه وعزله عن نيابة دمشق ، ثم أفرج عنه وولاه إمرة **السلاح دار** كما كان قبل استنابته على **دمشق** .

في دولة **المنصور قلاوون** , بلّغ **الشجاعي السلطان** خبر ان **لاجين** منهمك على الشراب , فغضب عليه **السلطان المنصور** وعرف **طرنطاي** ما نقله **الشجاعي** عنه , ثم كتب **السلطان** اليه كتاب فيه توبيخ وتهديد ونهاه عن الشراب والمعاشرة مع اطراف الناس وكذلك كتب اليه الامير **طرنطاي** , فلما وقف على الكتابين قلل ماكان يرتكبه وصار يقضي اوقاته في الركوب الى الصيد ونحوه ويغيب في ركوبه شهرا وشهرين ,

ولما كثر عليه العتب من **السلطان** رجعه **طرنطاي** وسد خلله الى ان ترك ذلك كله .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 435/3)

ثم بلغه أن **الأشرف** يريد القبض عليه ثانياً ، ففر من داره بدمشق ، فقبض عليه وحمل إلى قلعة الجبل ، وأمر بخنقه قدام **السلطان** .

ثم نجا من القتل بشفاعة **الأمير بدر الدين بيدرا** ، وأعيد إلى الخدمة .

فأضمر له السوء

اشترك مع **بيدرا** وآخرين في قتل **الأشرف خليل** ، فاختفى خبره مدة ، وتوارى عدة اشهر في جامع **ابن طولون** وتنقل في المدن .

ظهر الأمير **حسام الدين لاجين الصغير** والأمير **شمس الدين قرا سنقر** وكانا وقت فرارهما قد أطلعا الأمير **سيف الدين بتخاص** مملوك الأمير **كتبغا** بحالهما ، فتلطف مع أستاذه **كتبغا** في أمرهما حتى صار يتحدث مع **السلطان** إلى أن عفا عنهما ، ثم تحدث **كتبغا** مع الأمير **بكتاش** في أمرهما ، وانتدبه لإصلاح حالهما مع الأمراء ، فركب ودار على الأمراء وأعيان المماليك ، وأزال ما كان في نفوسهم من الوحشة . وقرر الحال على أنهما يصعدان إلى القلعة يوم العيد ، فأتيا سرا إلى بيت **الأمير كتبغا** بقلعة الجبل ، فأخذهما معه ودخل إلى السماط ، فقبلا الأرض **للسلطان** على العادة ، فأكرمهما وخلع عليهما وأمرهما كما كانا ، ونزلا فحمل الأمراء إليهما من التقادم ما يجل وصفه . وكانت هذه الفعلة من **كتبغا** مع **لاجين** كعنز السوء بحثت عن حتفها بظفرها .

(المقريزي – السلوك)

فلما صار **كتبغا** سلطانا ، استقر **لاجين** في نيابة السلطنة بديار مصر .

واستمر كذلك حتى اتيحت له فرصة عزله وحل مكانه .

اجتمع الأمراء عنده ، وهم **بدر الدين بيسري الشمسي** ، **وشمس الدين قراسنقر المنصوري** ، **وسيف الدين قبجاق** ، **وسيف الدين بهادر الحاج أمير حاجب وسيف**

الدين سلار ، وسيف الدين طغجي ، وسيف الدين كرجي ، في آخرين ، حتى حملت الخزائن على البغال ورمي الدهليز .

وساروا في خدمة **لاجين** واتفقوا على سلطنته ، وشرطوا عليه أن يكون معهم كأحدهم ، ولا ينفرد برأي دونهم ، ولا يبسط أيدي مماليك ولا يقدمهم ، وحلفوه على ذلك .

فلما حلف قال له الأمير **قبجق المنصوري** : **نخشى أنك إذا جلست في منصب السلطنة تنسى هذا الذي تقرر بيننا وبينك ، وتقدم مماليك وتخول مملوكك منكوتمر علينا ، فيصيبنا منه ما أصابنا من مماليك كتبغا**.

(المقريزي – السلوك)

فحلف **لاجين** مرة ثانية : **" انا لا استقل بالرأي دونكم ولا اخير نفسي عنكم ولست موليا عليكم من مماليكي احدا ولا اسمع فيكم كلاما ابدا ولا يصيبكم ما اصابكم من مماليك العادل وانتم خشداشيتي ومحل اخوتي "** .

فحلف الامراء له وبايعوه بالسلطة وخطب له **بغزة والقدس وصفد والكرك ونابلس** ثم اتخذ طريقه الى **القاهرة** ومنها الى تخت السلطنة في القلعة فحلف له امراء مصر وقلده الخليفة سلطنة البلاد وسار في ركابه طواف في شوارع **القاهرة** وتلقب **بالملك المنصور** .

لما استقر في سدة الحكم عين **الامير شمس الدين قراسنقر** في نيابة السلطنة **وسيف الدين قبجق** نائبا له في **دمشق** .

لما وصل نائب دمشق الجديد اليها ابلغ قضاها وامرائها اوامر السلطان باحضار **كتبغا** وابلاغه عزله من السلطنة

لما ادرك **كتبغا** حرج موقفه وان الامر افلت من يده خلع نفسه واذعن للاوامر السلطانية وتوجه الى صرخد للاقامة فيها بصحبة مماليكه وغلمانه.

(النويري – نهاية الأرب 315/31)

كان **الناصر** حتى تولى **لاجين** الحكم مقيما في القلعة فقرر ابعاده الى الكرك بعد ان اوهمه انه سيعيده الى العرش بعد ان يبلغ سن الرشد ويصبح قادرا على الحكم بنفسه وانه سيقوم بالوصاية على الملك بدلا منه.

(سعيدعبد الفتاح عاشور / المماليك في مصر والشام /224)

خرج **الناصر** الى الكرك بصحبة **سيف الدين سلار** واقام فيها .

(النويري – نهاية الأرب 330/31)

يبدو ان **السلطان** رغب في الاخلاد الى الهدوء والراحة ففوض امر السلطنة الى الامير **منكوتمر** الذي عينه بدلا من **قراسنقر المنصوري** .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك)

وكان **منكوتمر** مملوك **لاجين** ، وكان يوده ويؤثره ، وله عنده مكانة متمكنة من قلبه .

(المقريزي – السلوك)

كان تعيين الامير **سيف الدين منكوتمر** نائبا للسلطنة بدلا من الامير **قراسنقر المنصوري** ايذانا لنشوب المتاعب ضد **السلطان لاجين** .

ثم اشتد ضيق الامراء حين علموا انه ينوي تعيين **منكوتمر** وليا للعهد .

(النويري – نهاية الأرب 352/31)

قام **الامير** بالانغماس في تدبير المؤامرات للامراء ليضمن العرش لنفسه فأقصاهم من مناصبهم وقام بالتضييق عليهم , كما امر بنقل ما يتحصل من الاموال الى داره بعد ان كانت تحفظ في بيت المال .

(ابن تغري بردي –النجوم الزاهرة 98/8)

ثم ازداد حقد الامراء والجند عليه حين عمل **الروك الحسامي** .

وكان **لاجين شجاعا مقدما** على أقرانه في الفروسية وأعمالها ، كثير **الوفاء** لمعارفه وخدامه **ومنع من لبس الكلفتاه الزركش والطرزكش وملابس الذهب ، وشدد في المنع من المحرمات كلها ، وحد في الخمر بعض أولاد الأمراء .**

وكان يصوم رجب وشعبان ، ويقوم الليل ، ويكثر من الصدقات ، مع لين الجانب وخفض الجناح .

وابطل نصف السمسرة التي احدثها **ناصر الدين الشيخي** على الصعاليك عندما كان واليا **بالقاهرة المحروسة** وابطل سائر المكوس بمدينة القدس الشريف .

(الصفدي– نزهة المالك والمملوك 167)

ولما تسلطن طلب الامراء واستشارهم في امر **الاويراتية** فاتفق رأيهم على مسك كبارهم وتفريق البقية في **الشام ومصر**

وقد هلك منهم عالم كبير ، وأخذ الأمراء أولادهم الشباب للخدمة ، وكثرت الرغبة فيهم لجمالهم ، وتزوج الناس ببناتهم ، وتنافس الأمراء والأجناد وغيرهم في صبيانهم وبناتهم ، ثم انغمس من بقي منهم في العساكر ، فتفرقوا في الممالك ، ودخلوا في الإسلام واختلطوا بأهل البلاد .

وكانت العامة يحبونه لانه كان يحبب نفسه اليهم .

وكانت ايامه احسن ما تكون من العدل والاحسان الى الرعايا , فكان دينا خيرا مشفقا كثير الصوم والعبادة وقطع اكثر المكوس وقال :

"ان عشت لا تركت مكسا واحدا "

ورسم **السلطان لاجين** في **غزة** بمسامحة أهل **مصر والشام بالبواقي** ، وفي يوم قدومه انحطت الأسعار إلى نصف ما هي عليه ، فسر الناس به ودرت الأرزاق وكثر الخير .

ومنع **الوزير** من **الظلم** وأخذ **المواريث** بغير حق ، وألا يطرح البضائع على التجار ، فكثر الدعاء له .

وكان لاجين معظما للشرع وأهله منفذاً لأوامره ، كتب بمسامحة أهل النواحي مما عليهم من بواقي الخراج المنكسرة .

و منع **السلطان** من لبس الكلفتاه الزركش والطرز الزركش والأقبية الحرير العظيمة الثمن ، واقتصد هو وخواصه في الملبس .

وجلس بدار العدل يومين في الأسبوع لسماع شكوى المتظلمين ، وأعرض عن اللهو جملة ومقت من يعاينه ، وتصدق في السر .

كان متديناً يحب العدل ، ويميل إلى الخير ويحب أهله ، جميل العشرة مع تقشف وقلة أذى .

وكان يحب مجالسة الفقهاء والعامة ويأكل طعامهم .

ولم يعب بشيء سوى انقياده إلى مملوكه ونائبه الأمير **منكوتمر** ، ورجوعه إلى رأيه وموافقته له واتباعه لكل ما يهواه من شدة حبه له ، حتى أدى ذلك إلى قتلهما ، ثم إلى خراب البلاد بمجيء غازان ، فإن **قبجق** ومن معه من الأمراء حملهم بغضهم في **منكوتمر** وخوفهم منه على اللحاق **بغازان** وتحريضه على المسير إلى الشام ،

وكان في شبابه منهمكا على الخمر فلما تسلطن أعرض عن اللهو ، وسار أحسن سيرة من العدل والإنصاف والعطاء والإنعام ، وأحبه الأمراء والأجناد والعامة ، فأفسد ذلك مملوكه منكوتمر بسوء تدبيره .

وأبطل عدة مكوس ، وقال : **إن عشت لا تركت مشمسا ألبتة .**

ومن ذلك أنه طلب **أموال الأيتام** من الأمراء ، ونقلها إلى مودع جديد **لمال الأيتام**

استجده ، وكتب توقيعا بأن من مات وله ورثة صغار ينقل ميراثهم إلى مودع الحكم ويتحدث فيه **قاضي القضاة الشافعي** ، فإن كان للميت وصي فيقيم **القاضي الشافعي** معه عدولا من جهته .

ورد لاجين عدة أملاك كانت قد أخذت بغير حق إلى ملاكها ، منها ما أخذ في الأيام **المنصورية قلاوون** . ووضع عن أهل بلقس الأشراف ما كان عليهم من المظالم ، ورد وقف **قراقوش** على الفقراء ، وكان قد أقطع منذ سنين ، ورد الدار القطبية إلى من وقفت عليه من جهة **الملك الكامل** من نحو ستين سنة . وكانت عدة من الإقطاعات بيد الأمراء فردها إلى أربابها.

وكانت مدة سلطنة لاجين منذ فارق الملك العادل كتبغا قلعة الجبل وإلى أن قتل ، سنتين وشهرين غير ثلاثة عشر يوما ، وقتل السلطان لاجين وله من العمر نحو الخمسين سنة .

(المقريزي – السلوك2/302)

2- حوليات الملك المنصور :

- **سنة ست وتسعين و ستمائة**
- **في يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم : ركب لاجين بشعار السلطنة من غزة ، وساق الأمير سيف الدين سلار البريد إلى قلعة الجبل ليحلف من بها من الأمراء .**
- **يوم الخميس خامس عشره : ركب إلى الميدان السلطاني بشعار السلطة على العادة ، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة ، وعليه الخلعة الخليفتية حتى عاد إلى القلعة والخليفة إلى جانبه . يوم قدومه انحطت الأسعار إلى نصف ما هي عليه ، فسر الناس به , وفوض السلطان لاجين نيابة السلطة بديار مصر إلى**

الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري ، واستمر بالصاحب فخر الدين بن الخليلي في الوزارة ، وجعل الأمير سيف الدين سلار أستادارا ، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار أمير جاندار ، والأمير سيف الدين بهادر الحاج حاجبا ، والأمير سيف الدين قبجق المنصوري نائب الشام ،

● وفيه : وصل الأمير سيف الدين كجكن وعدة من الأمراء كانوا مجردين بالرحبة ، فلم يدخلوا دمشق ، ونزلوا بميدان الحصا فأعلنوا باسم السلطان الملك المنصور لاجين ، وراسلوا الأمراء بدمشق فخرجوا إليهم طائفة بعد طائفة . وانحل أمر كتبغا ، فتدارك نفسه وقال للأمراء : السلطان الملك المنصور خوشداشي ، وأنا في خدمته وطاعته ، وأنا أكون في بعض القاعات بالقلعة إلى أن يكاتب السلطان ويرد جوابه بما يقتضيه في أمري

● شهر ربيع الأول : خطب بدمشق للملك المنصور .

● فلما كان يوم الجمعة ثامنه : وصل الأمير حسام الدين الأستادار بعسكر مصر ليحلف الأمراء ، فحلفوا بدار السعادة في يوم السبت تاسعه ، وقرئ عليهم كتاب الملك المنصور باستقراره في الملك وجلوسه على تخت الملك بقلعة الجبل ، واجتماع الكلمة عليه وركوبه بالتشاريف الخليفتية والتقليد بين يديه من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد .

● وفي يوم الإثنين حادي عشره : وصل الأمير جاغان الحسامي من مصر ، وحلف كتبغا يميناً مستوفاة مغلظة بحضرة الأمير حسام الدين الأستادار ، والأمير سيف الدين كجكن ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة على أنه في طاعة الملك المنصور

وموافقته ، وقد أخلص النية له ورضي بالمكان الذي عينه له وهو قلعة صرخد وأنه لا يكاتب ولا يشاور ولا يستفسد أحداً .

- وفي ليلة الثلاثاء تاسع عشره : خرج كتبغا من قلعة دمشق إلى قلعة صرخد ومعه مماليكه .

- وفي ذي القعدة : قبض على الأمير شمس الدين قراسنقر نائب السلطنة ، وعلى جماعة من الأمراء واعتقلوا ، وأحيط بموجود قراسنقر الذي بمصر والشام ، وولي منكوتمر النيابة من غد مسكهم واستقر في نيابة السلطنة .

- وفيها كتب بمسامحة أهل النواحي . مما عليهم من بواقي الخراج المنكسرة .

- وفي هذه السنة : منع السلطان من لبس الكلفتاه الزركش والطرز الزركش والأقبية الحرير العظيمة الثمن ، واقتصد هو وخواصه في الملبس . وجلس بدار العدل يومين في الأسبوع لسماع شكوى المتظلمين ، وأعرض عن اللهو جملة ومقت من يعاينه ، وصام شهري رجب وشعبان ، وتصدق في السر .

- سنة سبع وتسعين في ستمائة

- فيها قدم الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من بلاد الأشكري إلى القاهرة ، بشفاعة أخته امرأة السلطان الملك المنصور لاجين ، ومعه أمه وأخوه الملك العادل سلامش وقد مات وصبِّر ، فدفن سلامش بالقرافة . وكان السلطان قد احتفل لقدومهم ، وأخرج الأمراء إلى لقائهم وبالغ في إكرامهم ، وأجرى على الملك المسعود الرواتب وجهزه للحج .

- وفيه توجه الأمير سلار أستادار إلى الكرك ، وأحضر ما كان بها من الأموال

• وفي هذا الشهر : استدعى السلطان قاضي القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي ، وصي الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقال له : الملك الناصر ابن أستاذي ، وأنا قائم في السلطنة كالنائب عنه إلى أن يحسن القيام بأمرها ، والرأي أن يتوجه إلى الكرك وأمره بتجهيزه .

• وفيه : قبض على الأمير بدر الدين بيسري الشمسي ، وعلى الأمير شمس الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب ، والأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهري

• وفي هذه السنة : كان الروك الحسامي ، فكان هذا الروك أكبر الأسباب في زوال الدولة .

• وفيها قوي أمر منكوتمر ، وتحكم تحكم الملوك في جميع أمور المملكة ، وقصد إخراج طغجي من مصر ، ففطن طغجي ، فسأل الإذن في السفر إلى الحج فأذن له ، وعمل أمير الركب .

• ومات الأمير شمس الدين سنقر التكريتي ، عرف بالمساح ، وكان مشهوراً بالشجاعة ، يخرج كل سنة إلى عكا فتكون له وقائع مع أهلها ، وكان يركب بجانب المنصور قلاوون في المواكب ، وكان قلاوون يستشيره في المهمات ، وكان من دون أمراء مصر يركب بالزناري ، على فرسه . بمفرده ، وفيه مكارم .

• سنة ثمان وتسعين وستمائة . .

• يوم الخميس عاشر ربيع الآخر : قتل السلطان لاجين

3- مجريات المنصور لاجين :

1) السلطان لاجين و الناصر محمد :

ان الانقلابات السياسية والعسكرية والاغتصاب لمنصب السلطنة كان امرا مألوفا لدى الامراء **المماليك** في الاحوال التي يكون فيها **السلطان** ضعيفا لا يستطيع ان يسوس الامراء ويهيمن عليهم او يكون فيها **السلطان** صبيا لا يفقه امور السلطنة ولا يتمكن من استيعاب مشاكل الحكم ضاربين **بالمبدأ الوراثي** عرض الحائط ولو كانوا يتمسكون بهذا **المبدأ الوراثي** في الوصول الى الحكم لما سمحوا لهذين الغاضبين بانتزاع عرش **الناصر محمد** على هذا الشكل وهو لا يزال حيا مهما بلغ من العمر .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 219)

قال لاجين للأمراء :

" ان هذا صغير والمصلحة ان يكون هو ووالدته في الكرك عند الامير جمال الدين نائبها يركب الى الصيد والتنزه , فوافقت الامراء على ذلك "

فطلبوا **سيف الدين سلار وعز الدين الحموي لالا الناصر** وعرفهما ما قصده .

ثم نهض **السلطان** بنفسه الى القاعة التي فيها والدة **الناصر** فجلس وطلب الطواشي وعرفه ان يسلم على والدة **السلطان** ويخرج **السلطان** اليه فردت السلام واخرجوه , **فأكرمه واجلسه على ركبته وشرع في تطييب خاطره وعرفه انه يسيره الى مكان الصيد والتنزه والركوب كيف ما اختار هو ووالدته وعرف والدته انه ما فعل بالملك العادل ما فعله الا ليكون نائبا عنه الى حين يكبر ويصلح للملك فهو الان نائبا عنه ولما سمعت والدته بذلك اجابت الى كلامه**

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 355/3)

استدعى **السلطان** قاضي القضاة **ابن مخلوف** وصي الملك **الناصر محمد بن قلاوون** ، وقال له :

" **الملك الناصر ابن أستاذي ، وأنا قائم في السلطنة كالنائب عنه إلى أن يحسن القيام بأمرها ، والرأي أن يتوجه إلى الكرك وأمره بتجهيزه** " .

ثم قال **السلطان** للملك **الناصر محمد بن قلاوون** : " **لو علمت أنهم يخلوك سلطانا والله تركت الملك لك ، لكنهم لا يخلونه لك وأنا مملوكك ومملوك والدك ، احفظ لك الملك ، وأنت الآن تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترتجل وتتحرج وتجرب الأمور وتعود إلى ملكك ، بشرط أنك تعطيني دمشق وأكون بها مثل صاحب حماة فيها**" .

فقال له الناصر : " **فاحلف لي أن تبقي على نفسي وأنا أروح** " . فحلف كل منهما على ما أراده الآخر .

فخرج **الناصر** ومعه الأمير **سيف الدين سلار** ، والأمير **سيف الدين بهادر الحموي** ، والأمير **أرغون الدوادار** ، فقام لخدمته الأمير **جمال الدين أقوش الأشرفي نائب الكرك**

(المقريزي – السلوك)

2) السلطان لاجين والروك الحسامي :

أراد **لاجين** عمل روك للأراضي المصرية ينسب لأسمه ويسمى الحسامي .

فاتفق الحال على ان يكون العسكر جميعه اربع عشرة قيراطا **والسلطان** اربع قراريط وقيراطان وقف والبقية تبقى الى ان يسجل عليها جند بطالون لتقوية الجيش .

(الدواداري – زبدة الفكرة 9/ 198)

فمن الجند من سعد ومنهم من شقي ومنهم من خاب ظنه ومنهم من انجح بما لقي فأنتقل

بعضهم من بلاد عامرة الى اراضي غامرة ومن متحصلات وافرة الى نواحي دامرة وفاز بعض بأكثر مما قصده ووجد خيرا مما فقده .

(بدر الدين العيني– عقد الجمان 395/3)

وهذا الروك كان سبب اتلاف الجند والعسكر لتناقص الاقطاع الذي كان لجند الحلقة فتوقفت احوال الجند وقلت الارزاق فهذا الذي ولد حب التضاغن في القلوب والبغضاء في النفوس فكان اقوى الاسباب على الفتنة .

(بدر الدين العيني– عقد الجمان 396/3)

3) الملك المنصور لاجين وبلاد الأرمن :

كان **الارمن** قد تنازلوا **للسلطان الاشرف خليل** على **بهنسا ومرعش وتل حمدون** وجددوا الولاء للمماليك وارسلوا اليهم الجزية .

(المقريزي – السلوك 784/1)

الا انهم بعد مقتل **الاشرف خليل** حاولوا استعادة نفوذهم على تلك المدن مما دفع السلطان **لاجين** لتجهيز حمله لمهاجمة مملكتهم .

جيش عدته عشر الاف مقاتل من **مصر وصفد وحمص وطرابلس وحماة وحلب** , اجتمعوا جميعا للزحف نحو مملكة **ارمينيا** .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 223)

هاجم **الامير بكتاش الفخري تل حمدون** ولكنه وجدها خالية بعد ان غادرها **الارمن** خشية القتل او الوقوع في الاسر .

توجه **المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة** والامراء الاخرون **سيس** عن طريق **نهر جيحان 4 رجب 696 هـ** .

اجتمع الجيش **المملوكي** بكامل عدته وعديده امام المدينة فهاجمها وقتلوا وظفروا وساقوا الابقار والجواميس .

ثم سار **نائب حلب** بقوة عسكرية نحو **مرعش** فملكها , ثم ارسل قوة عسكرية نحو قلعة **النجمية** فهاجمت قلعتها ودخلتها بعد حصار .

فتح المماليك احد عشر حصنا سلمها **الامير بكتاش** الى **سيف الدين اسندمر كرجي** احد امراء دمشق وعينه نائبا عليها ثم عاد الى حلب بعد ان انجز مهمته في مدة لا تتجاوز بضعة اشهر .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 224)

وبعد المهمة اجرى **قسطنطين ملك ارمينيا الجديد** مفاوضات مع **المماليك** تمخضت في توقيع اتفاق :

نهر جيحان الحد الفاصل بين **املاك المماليك واملاك ارمينيا** .

البلاد الواقعة **جنوب النهر في حوزة المماليك** ضمنها **حميص ومرعش وتل حمدون** .

يمنع **قسطنطين** عن التحالف مع **مغول فارس** ضد **المماليك** .

(ابن كثير – البداية والنهاية 932/13)

كانت **العساكر** قد اقامت على **السيس** نحو **الشهر** واخذوا البلاد واعيد لهم الجواب بالشكر والثناء .

وكتب **منكوتمر** لهم كتابا وقت الحصار فيه غلظ على الامراء من جملة ذلك : **متى لم تفتح سيس لا يحضر احد من الامراء الى مصر وانه لم يبق له عند السلطان اقطاع**

فأخذ **أحد عشر حصنا من الأرمن ، منها النقير وحجر شغلان وسرقندكار وزنجفرة وحميص ، وسلم ذلك كله الأمير بكتاش إلى الأمير سيف الدين أسندمر كرجي** من

أمراء دمشق ، وعينه نائبا بها ، فلم يزل أسندمر بها حتى قدم التتار ، فنزح عنها ، وأخذها الأرمن .

(المقريزي – السلوك)

وهذه الغارة هي التي اوجبت حضور غازان .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 365/3)

4) الملك المنصور لاجين ومغول فارس :

يعتبر اعتلاء غازان عرش المغول في فارس نقطة تحول في تاريخ دولة الايلخانيين بفعل انه اعتنق الدين الاسلامي فور اعتلائة العرش وتسمى باسم محمود 694هـ /1295م .

كان تحوله هذا فاتحة التحول الكبير الذي طرأ على وضع مغول فارس باعتناقهم الاسلام كما ان جميع الخانات الذين تعاقبوا على عرش المغول من بعده ظلوا مخلصين لهذا الدين .

و بتحول غازان الى الاسلام انقطعت الروابط المباشرة التي كانت تربط الايلخانيين في فارس ببلاد الخان الاعظم في بكين وتخلى حكام المغول عن لقب الايلخان واضحوا يعرفون بأسم " خان " .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 225)

كان مرسوم **غازان** الاول فور اعتلائة العرش ينص على :

" ان دين الاسلام هو دين الدولة الرسمي وان الاداب والرسوم يجب ان تجري طبقا لما تنص عليه الشريعة الاسلامية وان على كبار الامراء ان يتوخوا العدالة التامة ويمتنعوا عن الحاق الاذى والضرر عن الرعية . واصدر امرا بتدمير الكنائس المسيحية واليهودية وتحطيم الاصنام البوذية وحول بعض الكنائس الى مساجد واجبر البوذيين

على الدخول في الاسلام ومن لم يستجب منهم طردة من البلاد "

ولكن بعد غزو عساكر **السلطان** لبلاد **سيس** أتخذها **غازان** ذريعة لمهاجمة أراضي **المماليك** في **الشام** .

ولكن حتى مقتل **لاجين** لم يكتب له الصدام مع **مغول فارس** بقيادة **غازان** وتحمل نتيجة هذا الصدام **الناصر محمد** فيما بعد .

ان قاضي القضاة **حسام الدين الحنفي** شاهد **السلطان** مرارا **يصلي ويقف على قدمية ويكشف رأسه ويسأل الله أن يطيل عمره حتى يلتقي مع غازان وجيشه .**

قال فقلت له ليلة : **يا خوند كيف يكون عزمك اذا صح امر غازان ؟**

قال : **يا قاضي حسام الدين كنت اختار من عسكر مصر الفي فارس ممن اعرف فيه النجابة والفروسية واصدم غازان حيث كان ولو في عشرين الف ويعطي الله النصر من يشاء ولكن انا خائف يدركني الاجل قبل لقائة .**

قال : **قلت يا خوند الاعمال بالنيات .**

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 3/ 368)

ثم إن **قبجق** ومن معه من الأمراء حملهم بغضهم في **منكوتمر** وخوفهم منه على اللحاق **بغازان** وتحريضه على المسير إلى الشام ، مما أدى إلى خراب البلاد بمجيء غازان .

(المقريزي – السلوك 302/2)

5) لاجين وجامع احمد ابن طولون

كان **السلطان** عندما هرب وقت قتل **الملك الاشرف** دخل جامع **احمد ابن طولون** واقام فيه **ثلاثة ايام** , فنذر الى **الله تعالى ان خلصه من هذه الورطة ان يعمر هذا المكان ويجدده وان يعمل فيه من الخير جهده .**

فاتفق ما اتفق من تقلبات الدهر الى ان تسلطن وصار له الحكم في سائر الامور , فتذكر ذلك النذر .

وكان قد طلب **الامير** علم الدين الدواداري من **دمشق** وخلع عليه وولاه **نيابة دار العدل** لما كان يعلم من خيره وعلمه ودينه وفوض اليه امر العمارة وشراء **الاوقاف واوصى اليه ان لايسخر فيه صانعا ولا فاعلا وان لا يشتري شيئا الا بقيمته .**

ورتب فيه الدروس في المذاهب الاربعة ورتب المقرئين وقراء المصحف والبوابين والوقادين ودرس الاطباء ومكتب سبيل للايتام وغير ذلك من جميع المعروف .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 361/3)

وكان **لاجين** حين اختفى بمنارة الجامع **الطولوني** كان إذ ذاك مهجوراً لا يوقد به سوى سراج واحد في الليل ، ولا يؤذن أحد بمنارته ، وإنما يقف شخص على بابه ويؤذن فأقام به مدة لم يظهر خبره ، فأراد أن يكون من شكر نعمة **الله** عليه عمارة هذا الجامع فعمر ، وهو الآن بحمد **الله** عامر بعمارته له .

(المقريزي – السلوك279/2)

6) بين الملك ومملوكه والأمراء :

أراد **السلطان** إقامة مملوكه الأمير **سيف الدين منكوتمر الحسامي** في نيابة السلطنة ، عوضا عن **الأمير قراسنقر** فعارضه الأمراء وغضبوا من **منكوتمر** .

قال **بيسري للسلطان** : **يا خوند اذا مسكت هذا ما تريد نائبا غيره ؟**

فقال : **استنيب مملوكي منكوتمر** , فسكت الجميع .

فقال **البيسري** : **يا خوند مملوكك منكوتمر شاب قوي النفس حاد الخلق وهذا المنصب يريد رجلا ثقيل الرأس طويل الروح يحسن الحكم والسياسة .**

وقال **الحاج بهادر** : **يا خوند الامراء كلهم ما يخشون الا تولية منكوتمر وانت قد كنت شرطت على نفسك مع الامراء حين توليت ان لا تولي منكوتمر امرا ولا مملوكك جاغان ووقعت اليمين على ذلك .**

(بدرالدين العيني – عقد الجمان 3/363)

فشق ذلك على **السلطان** وأراد تفريقهم .

فقبض على الأمير **شمس الدين قراسنقر** نائب السلطنة ، وعلى جماعة من الأمراء واعتقلوا ، وضرب كاتبه **شرف الدين يعقوب** حتى مات تحت الضرب ، ثم قبض على **الحاج بهادر وعز الدين أيبك الحموي** وأخرين, **وولي منكوتمر النيابة من غد مسكهم .**

ومع مرور الايام قوي أمر منكوتمر ، وتحكم تحكم الملوك في جميع أمور المملكة .

وسلم اليه استاذه القياد ووكل اليه تدبير البلاد والعباد فبسط يده ولسانه وقلمه .

ثم إن **السلطان** رأى أن يجعل الأمير **منكوتمر** ولي **عهده** ، ويقرن اسمه باسمه في **الخطبة والسكة .**

اشار في ذلك على الأمير **بيسري** فرد رداً خشناً , وقال :

" **منكوتمر لا يجيء منه جندي ، وقد أمرته وجعلته نائب السلطة ، ومشيت الأمراء والجيوش في خدمته فامتثلوا رضاء لك ، مع ما تقدم من حلفك ألا تقدم مماليكك على الأمراء ولا تمكنهم منهم ، فما قنعت بهذا حتى تريد أن تجعله سلطانا ، وهذا لا يوافقك أحد عليه** " . ونهاه أن يذكر هذا لغيره وخوفه العاقبة ، وانصرف عنه .

فلشدة محبة السلطان في **منكوتمر** أعلمه بما كان من **بيسري** ، فأسرها في نفسه وعاداه وأخذ يدبر عليه وعلى الأمراء .

قبض على بيسري والأمراء فنفرت منه القلوب ، وأكدت الوحشة موت عشرة أمراء

في خمسة أيام ، اتهم السلطان بأنه سمهم .

وكان منكوتمر عفيفاً عن الأموال ، ضابطا لناموس المملكة متيقظاً , وكان بعيداً عن اللهو مهيباً مصمما ، لم يسمع منه قط أنه شتم أحدا ، ولا جرى على لسانه فحش ، مع كثرة التحري ورفع المظالم . إلا إنه كان صبي العقل عظيم الكبر محتقراً للأمراء .

قال القاضي حسام الدين للسلطان :

"إن دولة السعيد ما أخربها إلا كوندك ، ودولة الأشرف أخربها بيدرا ، ودولة العادل تلفت بسبب مماليكه ، ومنكوتمر شاب كبير النفس لا يرجع لأحد ، ويخاف من تحكمه وقوع فساد كبير"

(المقريزي – السلوك)

7) لاجين بين شقي رحى كرجي وطغجي :

هذا متى طالت مدته اخذنا واحدا بعد واحد .

(ابن تغري بردي –النجوم الزاهرة 101/8)

ثم استدار منكوتمر تجاه هدف جديد فقصد إخراج طغجي **مقدم المماليك من مصر** ، ففطن طغجي لذلك ، فسأل الإذن في السفر إلى **الحج** فأذن له ، وعمل أمير الركب .

فلما قدم طغجي من الحجاز ، قرر منكوتمر خروجه إلى نيابة طرابلس .

استدعاه السلطان ، وتلطف به في الخروج إلى طرابلس ، فاعتذر بأنه لا يصلح للنيابة .

وقام الأمير طغجي فأعلم كرجي وبيبرس الجاشنكير بذلك ، فاتفقوا على التحدث مع السلطان في صرفه عن تسفيره ، ودخلوا عليه وما زالوا به حتى أعفاه . فشق ذلك على منكوتمر ، وأنكر على كرجي وتجهم له ، وتكلم فيه . وبالغ في إهانتهم ، فحرك ذلك من كرجي كوامن كانت في نفسه من منكوتمر .

فأخذ **كرجي** يستميل المماليك أرباب النوب فإنه كان مقدما عليهم ، حتى أحكم أمرهم واتفقوا على الفتك بالسلطان , وشرعوا في السعي بين الأمراء المماليك المنصورية والأشرفية يستميلونهم .

هذا **ومنكوتمر** مقيم على إخراج **طغجي** ، وبعث يأمره أن يتجهز للسفر .

وكان اتفاق قد جرى بين **السلطان** وبين **منكوتمر** على مسك **كرجي وطغجي وشاورشي** في جماعة من الأمراء فعرف **منكوتمر** ثقاته بذلك .

واشتد فكر **السلطان** واضطراب رأيه فتارة يعزم على إمضائه ، وتارة يرجع عنه .

فلما أصبح استدعى الأمير **سيف الدين سلار** أمير مجلس ، وبعثه إلى **منكوتمر** يأمره ألا يفعل شيئاً .

ولم يعب **لاجين** بشيء سوى انقياده إلى مملوكه ونائبه **منكوتمر** ، ورجوعه إلى رأيه وموافقته له واتباعه لكل ما يهواه من شدة حبه له .

فلم يزل يدبر بشؤم رأيه فمقتوه وعلموا أنهم لا يصلون إلى ازاحته إلا بقتل **السلطان** ، فاجتمعوا .

(المقريزي – السلوك)

ونتيجة لسياسة **السلطان** السيئة وسياسة نائبة المجحفة اثمرت على اتفاق بعص الامراء على التخلص منه .

والراجح ان **لاجين** علم بالمؤامرة فقبع في القلعة لا يغادرها الا للضرورة خوفا على نفسه .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 227)

ومضى **كرجي وطغجي** ومن معهما ، فشمروا للحرب ، وكان ما كان .

يوم قتل لاجين :

كان لاجين منذ قتل الملك الأشرف يستشعر أنه لابد أن يقتل .

وكان في سلطنته كثيراً ما يقف إذا أراد أن يصلي ، ويكشف رأسه ويسأل أن يمد في عمره حتى يلقي غازان ، ثم يقول :

لكن أنا خائف أن يدركني الأجل قبل لقائه .

وكان قد رأى في المنام **كأنه بباب القلة من القلعة وقد جلس في موضع النائب ، والنائب قدامه وقف وشد وسطه ، فلما قام من مكانه صعد درجا ، وإذا برجل وهو كرجي وقد طعنه برمح فصار كوم رماد .**

فاستدعى لاجين علاء الدين ابن الأنصاري عابر الرؤيا ، وقص رؤياه عليه ، فقال : **تدل هذه الرؤيا على أن السلطان يستشهد على يد كرجي .**

فقال لاجين : الله **المستعان وأوصاه بكتمان ذلك .**

فقال منكوتمر : **قد رأيت أنا أيضاً كأني خرجت من الخدمة إلى دار النيابة ، فإذا بالدهليز عمود رخام فوقه قاعدة ، فجذبت سيفي وضربت رأس العمود فألقيته ، ففار من العمود دم عظيم ملأ الدهليز .**

فعمى ابن الأنصاري عليه ، وقال : **قد انقطع الكلام برؤية الدم خوفاً من شره ،** وانصرف متعجباً من اتفاق تأويل المنامين .

(المقريزي – السلوك2/305)

فلما كان بعد أحد عشر يوماً من رؤياهما ، حضر إليه خادم بورقة فيها أن امرأة **السلطان** رأت في المنام حلما تريد تفسيره .

فحكت انها رأت في المنام ليلة الخميس قبل مقتل السلطان بليلة كأن السلطان جالس في المكان الذي قتل فيه وكان عدة غربان سود على اعلى المكان وقد نزل

منهم غراب فضرب عمامة السلطان فرماها عن رأسه وهو يقول كرجي كرجي مرتين

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 436/3)

فقال **ابن النصاري** : هذا منام لا يفسر حتى تمضى ثلاث جمع وأراد بذلك الدفع عن نفسه ، فقتل **لاجين** في الجمعة الثانية من هذا المنام .

(المقريزي – السلوك305/2)

وكان **السلطان لاجين** متزوجا من **بنت السلطان الظاهر بيبرس** وكانت دينة عفيفة , فلما اصبحت ذكرت ذلك **للسلطان** وقالت له اقم عندنا فقال : **ما تم الا ما يقدره الله تعالى** . .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 436/3)

وكان الأمير **علم الدين سنجر الدواداري** حاضراً عندما قص **لاجين** الرؤيا على **ابن الانصاري** فأستدعاه **السلطان** وأخبره بتأويل الرؤيا ، فقال : **عرفت من الذي طعنني بالرمح؟ قلت لا ، فأشار إلى كرجي** .

ثم استدعاه بعد أيام وذكر له أنه أعلم **منكوتمر** بأن خاطره ينفر من **كرجي** ، فقال له **منكوتمر** بحنق : **والله لا تبرح تتهاون في أمرك حتى يقتلوك ويقتلوني وتموت مماليكك في الحبس ، وما لهذا إلا قتله وحلف أنه كلما رأى كرجي يود لو ضربه بسيفه ، ونهض وهو مصمم على قتله فحال الله بينهما وبين كرجي** ، حتى أمضى فيهما على يده ما قدره .

وفي يوم الخميس الذي قتل فيه ظل يقول : **من قتل قتل** ويكرر هذا مراراً ، فكان الفأل موكلا بالمنطق .

(المقريزي – السلوك)

يومها أصبح **السلطان** صائماً ، وأفطر ثم جلس يلعب بالشطرنج وعنده إمامه **نجم الدين بن العسال** وقاضي القضاة **حسام الدين** .

فقال : **يا قاضي حديث كل قاتل مقتول صحيح** .

فشرع **الحسام** يبسطه ويطيب خاطره ، وهو يقول : " **إنا لله وإنا إليه راجعون** " وجلس وكررها .

فدخل الأمير **كرجي** على عادته وأعلمه بأنه قد بيت البرجية وغيرهم من المماليك في أماكنهم وغلق عليهم الأبواب .

فشكره **السلطان** وأثنى عليه ، وقال لقاضي القضاة : **لولا الأمير سيف الدين كرجي ما وصلت إلى السلطة** . فقبل **كرجي** الأرض وجلس على عادته .

ثم قال **كرجي** **للسلطان** : ما يصلي مولانا **السلطان** العشاء؟ فقال : نعم وقام يريد الصلاة .

عند ذلك جرد **كرجي** سيفه وضرب **السلطان** على كتفه ، فضرب **نوغاي** رجل **السلطان** بالمنجاه فقطع رجله . وانقلب **السلطان** على ظهره ، فأخذته السيوف من كل جانب حتى صار كوم لحم ، وفر **ابن العسال** إلى خزانة ، وصرخ القاضي **حسام الدين** : لا يحل هذا لكم فهم به **كرجي** ثم كفه **الله** عنه .

فكان الضرب الذي كان في الملك الأشرف عند قتله مثله سواء في لاجين لما قتل

وخرج **كرجي** وأغلق الباب على المقتول والقاضي ، فإذا بالأمير **طغجي** قد استعد وقعد في عدة من البرجية بداركاه القلعة ينتظر ما يكون من **كرجي** .

فعندما رآه **طغجي** قال : **قضيت الشغل؟** قال : **نعم وأعلمه الخبر** .

فوقع الصوت في القلعة بقتل **السلطان** ، وطار من وقته إلى المدينة .

ثم ان طغجي أمر بمنكوتمر أن يمضى إلى الجب فأخذ وأرخي فيه .

فلما علم كرجي بمكانه صاح على الأمراء ، فقال :

إيش عمل بي السلطان حتى قتلته؟ والله لقد أحسن إلي وكبرني وأنشأني ، ولو علمت أني إذا قتلت منكوتمر يبقيني بعده والله ما قتلته .

فلم يكن غير بعض ساعة إلا وذهب اليه وقد أرخيت القفة من رأس الجب ، وصاحوا على منكوتمر فقام وجلس بها .

فعندما صار برأس الجب وجد كرجي واقفاً في طائفة من المماليك فذبحه عند الجب وانصرف .

(المقريزي – السلوك)

فقتل السلطان على يد من اصطفاه لنفسه .

وكان رؤوس الذين اتفقوا على قتله طقجي وكرجي ونوغاي وقراطرنطاي وارسلان واقوش وبيليك الرسولي .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 431)

فكان عاقبتها أنهم قتلوا كما قتلوا .

واما كرجي فهرب حين علم بقتل طغجي فلحقوه اخر القرافة فقتلوه هنالك , فصرعه بغيه واهلكه غيه ولله در القائل :

قضى الله ان البغي يصدع اهله وان على الباغي تدور الدوائر

(بدر الدين العيني– عقد الجمان 447)

الفصل الرابع



الناصر محمد ثانيا

1. ترجمة الناصر (2) :

بعد مقتل لاجين تجددت الصراعات بين الامراء من جديد كل يطمع في تولي السلطنة .

في النهاية اضطر **الامراء** الى استدعاء الناصر محمد من **الكرك** على ان يكون الامير طغجي نائبا له وان لا يبرم امرا من الامور المتعلقة بشؤون الدولة الا بموافقة الامراء .

وبذلك تكرر ظاهرة جلوس قاتل السلطان على العرش مكانه , تذرع كرجي بصغر سن السلطان وان الاوضاع التي تمر بها البلاد تتطلب وجود رجل سلطة فاقترح ان ينصب طغجي سلطانا .

رفض بعض الامراء هذا الاقتراح **امثال** عز الدين الخازندار وحسام الدين لاجين الاستدار وسيف الدين سلار وركن الدين الجاشنكير .

لم يتمتع المماليك **الاشرفية** بالقوة الضرورية لتنفيذ الاقتراح بالاضافة لاستياء الامراء لمشاركة الاميرين في قتل **السلطان** لاجين فاتفقوا على قتلهما وتم لهم الامر .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 227)

استدعي الناصر من الكرك لتولي السلطنة **للمرة الثانية** وخرج الامراء والعساكر للقائة .

زينت القاهرة استعدادا لدخول الناصر واستقبل استقبالا حماسيا من جميع سكان مصر الذين تفاءلوا خيرا بقدومه وارتفعت اصواتهم بالدعاء له بالحفظ والسلامة ولملكه بالحفظ والتامين .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 450/3)

وصل الناصر الى القاهرة وصعد الى القلعة وجددت له البيعة وعمره يومئذ لا يتجاوز **الرابعة عشر** , فأقام في الملك إلى سنة **ثمان وسبعمائة** .

(المقريزي – السلوك 873/1)

عين **سيف الدين سلار** نائبا للسلطنة **وركن الدين الجاشنكير** استادار .

(النويري – نهاية الأرب 371/31)

ثم أصطدم الناصر بالمغول فكانت له معهم صدمة خالدة .

عندها دخل المغول الشام وما أدراك ما فعلوه فيها وفي أهلها .

وليس يخفى الذي جرى بدمشق في جبل الصالحية, وحرم بيت الرحمن ، يشرب فيه الخمور ، وتهتك فيه الستور ، وتطمث فيه البكور ، وتقتل فيه المجاوير ، وتؤسر الخطباء والمؤذنون ، ثم على رأس خليل الرحمن تعلَّق الصلبان ، وتهتك النسوان ، ويدخل الكافر بخسًا سكران .

(الدواداري – كنز الدرر 68/9)

فجاهروا الله بالمعاصي وأقدموا على أُمور بديعة وارتكبوا آثامًا شنيعة ، من محاربة الله ، وخرق ناموس الشريعة .

(المقريزي– السلوك1016/1)

فنصره الله عليهم نصرا عزيزا .

استغل الاميران **سلار وبيبرس** صغر سن **السلطان** واستبدا بالامور وضيقا الخناق عليه فلم يمكناه من التصرف باموال وتدخلا في ابسط الامور الشخصيه من مأكله ومشربه وقررا له راتبا ضئيلا لم يكن يكفيه للانفاق منه على ضرورات الحياة .

تظاهر **السلطان** برغبته في اداء فريضة الحج حتى لا يحال بينه وبين الخروج فغادر القلعة بصحبة امرائة وسار الى **الكرك** وعندما استقر بها ابلغ الامراء بانه عدل عن الحج واختار الاقامة بالكرك وكتب بذلك الى الاميرين فقام **بيبرس** في السلطة من بعده .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 232)

وكانت سلطنته الثانية اسمية .

2. حوليات الملك الناصر (2)

- سنة ثمان وتسعين وستمائة . .
- يوم السبت رابع جمادى الأولى : وصل الملك الناصر إلي القاهرة فخرج الأمراء والعساكر إلي لقائه ، وكادت القاهرة ومصر ألا يتأخر بها أحد من الناس فرحا بقدومه ،
- وفي يوم الإثنين سادسه : جلس السلطان الملك الناصر على سرير الملك ، وجددت له البيعة ، وكتب شرف الدين محمد بن فتح الدين القيسراني عهده عن الخليفة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد .
- وفيه استقر الأمير سيف الدين سلار في نيابة السلطة بديار مصر ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستادار
- وفي شعبان : انعم على الأمير قرا سنقر بنيابة الصبيبة وبانياس ،
- وفي آخر ذي القعدة : نقل الأمير قراسنقر من نيابة الصبيبة إلى نيابة حماة ، بعد وفاة الملك المظفر تقي الدين . واستناب الأمير بيبرس الجاشنكير في الأستادارية الأمير علم الدين سنجر الجاولي ، وحكمه في سائر أمورها ، فترك الملك الناصر الاستدعاء لما يريده من مأكل أو مشرب لشدة الحجر عليه ، وصار ليس له من المملكة سوى الاسم .
- ذي الحجة : قدم البريد بتحرك غازان وجمعه على السير إلى الشام .
- في رابع عشرى ذي الحجة : خرج السلطان بالعساكر ونزل خارج القاهرة ،

واستناب في غيبته الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار .

● سنة تسع وتسعين وستمائة . .

● أهلت والسلطان متوجه بعساكر مصر إلى الشام ، والإرجاف يقوى بمسير غازان

● وفيه : قدم الجفل من حلب وغيرها إلى دمشق ، وقدم البريد من حلب وغيرها بنزول غازان على الفرات ، وإنه في عسكر عظيم إلى الغاية

● وفيه : ركب السلطان بالعساكر ، وجد في السير ، فظهرت طوالع التتر ورتبوا العساكر بمجمع المروج – وادي الخزندار – وعدتهم بضعة وعشرون ألف فارس ، والتتار في نحو مائة ألف .

● وفيه : وعاثت عساكر غازان في الغوطة وظاهر المدينة تنهب وتفسد ، ونزل قبجق وبكتمر السلاح دار . بمن معهما في الميدان الأخضر ، وامتدت التتر إلى القدس والكرك تنهب وتأسر .

● وفيه : تقدم الأمير إسماعيل التتري إلى القضاة والأعيان بالحديث مع أرجواش في تسليم القلعة ، وإنه إن امتنع نهب المدينة ووضع السيف في الكافة . دخل قبجق إلى المدينة ، وبعث إلى أرجواش في التسليم

● وفيه : خطب لغازان على منبر دمشق بألقابه ، وهي : السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان فلما انقضت الجمعة صعد الأمير قبجق والأمير إسماعيل سدة المؤذنين وقرئ على الناس تقليد قبجق بلاد الشام كلها

● وفيه : بدأ التتر في نهب الصالحية ،

- جمادى الأولى ، رحل غازان وترك على دمشق نائبه قطلوشاه
- في رجب : سار الأميران سلار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير الأستادار بالعساكر إلى دمشق فلقوا الأمير قبجق ومن معه بين غزة وعسقلان ، فترجل كل منهم لصاحبه وتباركوا ، ورتب لهم ما يليق بهم ، وأمروا بالتوجه إلى السلطان ، وسار الأمراء بالعساكر إلى دمشق .
- وفيه : سير سلار عسكراً إلى حلب ، فطرقها على غفلة ، وأوقع بمن فيها من أصحاب غازان وقتلهم ، فلم يفلت منهم إلا القليل ، ولحقوا بغازان وعرفوه غدر قبجق بهم .
- وفي شوال : توجه الأمير أقوش الأفرم لغزو الدرزية أهل جبال كسروان
- سنة سبعمائة
- خرج السلطان من القلعة يوم السبت ثالث عشر صفر إلى الريدانية وتلاحقت به الأمراء والعساكر ، فسار إلى غزة .
- وفيه فقدم البريد من حلب بأن غازان توجه من جبال أنطاكية إلى جبال السماق وأنه عاد على قرون حماة وشيزر ، فنهب وسبى عظيماً ، وأخذ مالاً كبيراً من المواشي وغيرها ، وأنه قصد التوجه إلى دمشق ، فأرسل الله عليه ثلوجاً وأمطاراً لم يعهد مثلها ، ووقع في خيول عساكره وجمالهم الموتان حتى كانت عدة جشار غازان اثنى عشر ألف فرس فلم يبق منها إلا نحو الألفي فرس ، وبقي معظم عساكره بغير خيول ، فرجع وأكثرهم مرتدفون بعضهم بعضا ، وأن غازان خاض الفرات ، فسر الناس سروراً عظيماً .

- وفي جمادى الآخرة : كثر الإرجاف بعود التتر ، وقد خلت البلاد الشامية من أهلها ونزحوا إلى مصر .
- وفيها خرج الوزير شمس الدين سنقر الأعسر في عدة مائة من المماليك السلطانية إلى الوجه القبلي لحسم العربان ، وقد كان كثر عيثهم وفسادهم ، ومنع كثير منهم الخراج لما كان من الاشتغال بحركات غازان .
- وفيها : فتح الكتاب الذي من عند غازان ، فإذا هو بالخط المغلي ، فعرب وقرئ من الغد بحضرة أهل الدولة فإذا هو يتضمن أن عساكر مصر دخلت في العام الماضي أطراف بلاده وأفسدت ، فأنف من ذلك وقدم إلى الشام وهزم العساكر ، ثم عاد فلم يخرج إليه أحد ، فرجع إبقاء على البلاد لئلا تخرب ، وأنه مستعد للحرب ، ودعا إلى الصلح .
- وفيها تزوج السلطان بخوند أردكين امرأة أخيه الملك الأشرف
- سنة إحدى في سبعمائة
- في المحرم : عادت رسل غازان مع رسل السلطان بجوابه .
- وفيها مات الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد في ثامن عشر جمادى الأولى وصلى عليه بجامع ابن طولون ، ودفن بجوار المشهد النفيسي . وكانت خلافته بمصر أربعين سنة .
- وفيها كثر فساد العربان بالوجه القبلي ، وتعدى شرهم . فاستدعى الأمراء القضاة والفقهاء ، واستفتوهم في قتالهم ، فأفتوهم بجواز ذلك
- وفيها ورد البريد من حلب بأن تكفور متملك سيس منع الحمل وخرج عن الطاعة

وانتمى لغازان ، فرسم بخروج العسكر لمحاربته ،

- وفيها قدم البريد من طرابلس بأن الفرنج أنشأوا جزيرة تجاه طرابلس تعرف بجزيرة أرواد ، وعمروها بالعدد والآلات وكثر فيها جمعهم ، وصاروا يركبون البحر ويأخذون المراكب .

- وفيها حج الأمير بيبرس الجاشنكير ومعه ثلاثون أميراً ساروا ركباً بمفردهم ، ومن ورائهم بقية الحاج في ركبين ، وأمير الحاج الأمير بيبرس المنصوري .

- سنة اثنتين وسبعمائة :

- وفي المحرم : توجه كهرداش إلى جزيرة أرواد ، ، وصبحهم في غفلة وأحاط بهم وقاتلهم ساعة ، فنصره الله عليهم وقتل منهم كثيراً ،

- وفي هذه السنة : توفي قاضي القضاة تقي الدين أبو محمد بن علي بن وهب بن مطيع المالكي المصري بن دقيق العيد

- وفيها وقدم البريد من حلب بأن غازان على عزم الحركة إلى الشام وتواترت الأخبار بنزول غازان على الفرات ، ووصل عسكره الرحبة

- شعبان دخل الأمير بيبرس الجاشنكير إلى دمشق بمن معه ، وكتب يستحث السلطان على الخروج . وأقبل الناس من حلب وحماة إلى دمشق خائفين من التتر ، فاستعد أهل دمشق للفرار ، فنودي بها من خرج حل ماله ودمه

- وفيه : خرج السلطان من قلعة الجبل ، ومعه الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان في عسكر كثير

- شعبان : بات الناس بدمشق في الجامع يضجون بالدعاء إلى الله

• يوم السبت ثاني رمضان ، وصل السلطان وقبلوا له الأرض . فورد عند لقائهم به الخبر بوصول التتر في خمسين الفاً مع قطلوشاه نائب غازان . فلبس العسكر بأجمعه السلاح ، واتفقوا على المحاربة بشقحب تحت جبل غباغب

• يوم الثلاثاء خامس الشهر وقد خرج إليه أهل دمشق ، فسار إليها – ومعه الخليفة – في عالم من الفرسان والعامة والأعيان والنساء والصبيان ، لا يحصيهم إلا من خلقهم سبحانه ، وهم يضجون بالدعاء والهناء . وتساقطت عبرات الناس ، ودقت البشائر ، واستمر الناس طول شهر رمضان في مسرات تتجدد ، وصلى السلطان صلاة عيد الفطر ، وخرج في ثالث شوال يريد مصر .

• ثامن شهر رمضان : قدم بكتوت الفتاح إلى القاهرة ، فرسم بزينة القاهرة من باب النصر إلى باب السلسة من القلعة ، وكتب بإحضار سائر مغاني العرب من أعمال مصر كلها . وتفاخروا في تزيين القلاع ، وأقبل أهل الريف إلى القاهرة للفرحة على قدوم السلطان وعلى الزينة ، فإن الناس أخرجوا الحلي والجواهر واللآلى وأنواع الحرير فزينوا بذلك ولم ينسلخ شهر رمضان حتى تهيأ أمر القلاع ، وعمل ناصر الدين بن الشيخي الوالي قلعة بباب النصر فيها سائر أنواع الجد والهزل ، ونصب عدة أحواض ملأها بالسكر والليمون ، وأوقف مماليكه بشربات حتى يسقوا العسكر .

• وفيها قام الأمير بيبرس الجاشنكير في إبطال عيد الشهيد بمصر

• وفيها : حصل بالقاهرة ومصر في مدة الزينة من الفساد في الحريم وشرب الخمور ما لا يمكن وصفه ، من خامس شهر رمضان إلى أواخر شوال .

• فلما كان يوم الخميس ثالث عشرى ذي الحجة : عند صلاة الصبح اهتزت الأرض كلها ، وسمع للحيطان قعقة وللسقوف أصوات شديدة ، وصار

الماشي يميل والراكب يسقط حتى تخيل الناس أن السماء أطبقت على الأرض ، فخرجوا في الطرقات رجالاً ونساء ، قد أعجلهم الخوف والفزع عن ستر النساء وجوههن واشتد الصراخ وعظم الضجيج والعويل ، وتساقطت الدور وتشققت الجدران ، وتهدمت مأذن الجوامع والمدارس ، ووضع كثير من النساء الحوامل ما في بطونهن

- وفيها : مات العادل كتبغا بحماة ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى وهو في سن الكهولة ، وكان دينا خيراً ، أسمر اللون قصيراً دقيق الصوت قصير العنق ، شجاعاً سليم الباطن متواضعاً ، وهو من جنس المغل ، وكان قد طال مرضه واسترخى حتى لم يقدر على حركة يديه ورجليه ، وترك اولاداً .

- سنة ثلاث وسبعمائة
- فيها انتدب الأمراء لعمارة ما خرب من الجوامع بالزلزلة
- وفيها : سارت العساكر من القاهرة للغارة على بلاد سيس ،
- وفيها : سار الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا أحد مقدمي التتار وافداً إلى الأبواب السلطانية بأهله وأتباعه
- وفيها : قدم رسول ملك الفرنج الريدراكون البرشلوني بهدية جليلة القدر للسلطان وللأمراء ، وسأل فتح كنائس النصارى فأجيب إلى ذلك ، وفتحت كنيسة اليعاقبة بحارة زويلة وكنيسة الملكيين بالبندقانيين .
- وفيها كملت عمارة المدرسة الناصرية بين القصرين .
- وفيها نقل السلطان أمه من التربة المجاورة للمشهد النفيسي إلى التربة الناصرية بين القصرين

● وفيها ولد للسلطان من زوجته أردكين الأشرفية ابن على ، ولقبه بالملك المنصور ، وعمل له مهما أراد أن يستمر سبعة أيام ، فلم يوافقه الأمراء على ذلك وعمل يوماً واحداً . .

● وفيها ورد الخبر بموت غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك المغل ، وكانت مدته ثمان سنين وعشرة أشهر . وقام بعده أخوه خربندا بن أرغون ، وتلقب بغياث الدين محمد ، وكتب إلى السلطان للصلح وإخماد الفتنة ،

● سنة أربع وسبعمائة

● وفيها : قدم الأمير سلار من الحج في نصف صفر ، وقد فعل في الحجاز أفعالاً جميلة منها : أنه كتب أسماء المجاورين بمكة وأوفى عنهم جميع ما كان عليهم من الديون لأربابها ، وأعطى لكل منهم بعد وفاء دينه مئونة . سنة ، وعم أهل المدينة بالعطايا كما عم أهل مكة ، فكان الناس بالحرمين يقولون : يا سلار! كفاك الله هم النار ، و لم يسمع عن أحد فعل من الخير كما فعل .

● وفيها : قدم البريد من حلب بحضور جماعة من المغل وافدين إلى بلاد الإسلام ، نحو مائتي فارس بنسائهم وأولادهم ، وفيهم عدة من أقارب غازان وبعض أولاد سنقر الأشقر ، فكتب بإكرامهم ، فقدموا إلى القاهرة وقدم معهم أخوا سلار ، وهما فخر الدين داود ، وسيف الدين جبا ، وقدمت أيضاً أم سلار

● وفيها : قدم أياي ملك دمقلة من بلاد النوبة بهدية ما بين جمال وأبقار ورقيق

● وفيها : قدم البريد من دمشق بأن تقي الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق في الصخرة التي بمسجد النارنج بجوار مصلى دمشق ، وأن الأثر الذي بها هو قدم

النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لا يجوز

- وفيها بنى الأمير موسى بن الصالح على بن قلاوون على ابنة الأمير سلار النائب مملوك أبيه الصالح .
- وفيها توجه الأمير بيبرس الجاشنكير إلى الحجاز مرة ثانية ، ومعه علاء الدين ايدغدي الشمهرزوري رسول ملك المغرب ، والأمير بيبرس المنصوري الدوادار ، والأمير بهاء الدين يعقوب في جماعة كثيرة من الأمراء . وكان قد خرج الركب في عالم كثير من الناس مع الأمير عز الدين أيبك الخازندار زوج ابنة الملك الظاهر إلى البركة ، فكثر الحجاج
- وفيها : توجه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في ذي الحجة من دمشق ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش ، إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا . فجمعت العساكر لقتالهم .
- سنة خمس وسبعمائة
- في المحرم : سار الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام من دمشق في عساكرها لقتال أهل جبال كسروان ، ونادى بالمدينة من تأخر من الأجناد والرجالة شنق . فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل فملك الجبل عنوة ، ووضع فيهم السيف وأسر ستمائة رجل ، وغنمت العساكر منهم مالاً عظيماً ،
- وفيها أخر متملك سيس الحمل الجاري به العادة فرسم بخروج الأمير بكتاش أمير سلاح ، وبيبرس الدوادار فبعث متملك سيس الحمل ، واعتذر بأن القتال لم يكن منه وإنما كان من التتر ،

• وفيها قدم رسول ملك قسطنطينية ، ومعه رسول الكرج ، بهدايا وكتاب يتضمن الشفاعة في فتح الكنيسة المصلبة بالقدس لزيارة الكرج لها ، وأن الكرج تكون في طاعة السلطان وعوناً له متى احتاج إليهم . فكتب بفتح الكنيسة ففتحت ، وأعيد الرسول بالجواب .

• وفيها قام شمس الدين محمد بن عدلان بالقاهرة ، وأنكر على تقي الدين أحمد بن تيمية فتوى رآها في مسالة الاستواء ومسألة خلق القرآن

• سنة ست وسبعمائة

• وفيها : منع الأميران بيبرس وسلار المراكب من عبور الخليج المعروف بالحاكي خارج القاهرة ، لكثره ما كان يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات ، وتبرج النساء ، في المراكب وجلوسهن مع الرجال مكشوفات الوجوه ، وتعاطيهن الخمر ، وكانت تثور الفتن بسبب ذلك ، وتقتل القتلى العديدة فلم يدخل الخليج إلا مركب فيها متجر ، وأما مراكب النزهة فامتنعت ، وعد ذلك من أحسن أفعالهما .

• وفيها أفرج الأمير سلار عن شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية .

• وفيها : مات الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح الصالحي النجمي ، اصله من مماليك الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ، وصار إلى الملك الصالح ، فترقى في الخدم حتى صار من أكبر الأمراء ، وخرج إلى الغزاة غير مرة ، وعرف بالخير وعلو الهمة وسداد الرأي وكثرة المعروف ، ولما قتل المنصور لاجين أجمعوا على سلطنته فأبى ، وأشار بعود الناصر محمد فأعيد ، ومات بالقاهرة في ربيع الأول ، عن ثمانين سنة ، وهو آخر الصالحية ، وإليه ينسب قصر أمير سلاح

• سنة سبع وسبعمائة

• وفيها ضجر السلطان من تحكم الأميرين بيبرس وسلار عليه ، ومنعه من التصرف ، وضيق يده وشكا ذلك لخاصيته .

• وفيها عمر الأمير بيبرس الجاشنكير الخانكاه الركنية موضع دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة ، ووقف عليها أوقافاً جليلة ، فمات قبل فتحها ، وأغلقها الملك الناصر مدة ، ثم أمر بفتحها ففتحت ، ورتب فيها عدة من الصوفية . وبنى بيبرس أيضاً تربة بها ، فاستمرت مغلقة إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

• ومات الأمير ركن الدين بيبرس الجالق العجمي أحد البرجية الصالحية ، عن نحو الثمانين سنة بمدينة الرملة ، وكان ديناً له ثروة وفيه خير كان يقرض الأجناد عند تجردهم ، ويمهلهم حتى يتيسر لهم ، فعدم له في ذلك مال كبير .

• سنة ثمان وسبعمائة :

• وقدم البريد من حلب بأن طائفة من المغل قدموا إلى الفرات ، فخرج العسكر إليهم ، فلما ساروا سقط الطائر من قلعة كركر بنزول المغل عليها فكتب إلى العسكر المجرد بنجدتهم ، فكسبوا المغل في الليل وقتلوهم ، واستردوا ما أخذوه من كركر ، وأسروا منهم ستين رجلاً ، وغنموا عدة خيول .

• وفيها أفرج عن الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من البرج بالقلعة ، وأسكن بدار الأمير عز الدين الأفرم بمصر .

• وفي رمضان خرج السلطان يريد السفر ، ونزل من القلعة ومعه الأمراء وخرج العامة وتباكوا حوله ، وتأسفوا على فراقه ، ودعوا له .

• ورحل السلطان من ليلته ، وسار إلى الكرك فقدمها يوم الأحد عاشر شوال . فاحتفل الأمير جمال الدين أقوش الأشرفي بقدومه وعندما استقر

السلطان بقلعة الكرك عرف الأمراء أنه قد انثنى عزمه عن الحج ، واختار الإقامة بالكرك ، وترك السلطنة ليستريح خاطره

3. مجريات الناصر محمد (2) :

1) الناصر محمد والاويراتية "واقعة تل العجول" :

خرج **السلطان** بعساكره المنصورة من الديار المصرية طالبا الغزاة في سبيل **الله** تعالى فلما نزل **تل العجول هجم الاويراتية** على **سلار وبيبرس الجاشنكير** وقصد **برنطاي** اقامة الفتنة فركب **السلطان** ووقف بباب الدهليز وركبت العساكر وركب **سلار وبيبرس** ووقفوا حزبين فأخمد **الله** الفتنة .

(الصفدي – نزهة المالك والمملوك 185)

عندما ترجل الأمراء و لم يبق على فرسه سوى **بيبرس وسلار** ، شهر **برنطاى** سيفه – وكان ماشيًا في ركاب **بيبرس** – وضربه ، فوقعت الضربة على كفل الفرس فحلت ظهره ، وضرب **برنطاي** ثانيًا ، فوقعت الضربة على الكلفة فقطعتها وجرحت الوجه ، فتبادرته السيوف حتى قتل .

ووقعت الصرخة في العسكر فركب الجميع ، وقصد **الأويراتية** الدهليز **السلطاني** يريدون الهجمة على **السلطان** حتى صاروا في داخله ، وقد ركب الأمراء في طلبهم ، فركب الأمير **سيف الدين بكتمر الجوكندار** والمماليك السلطانية .

وفي ظنهم أن القصد قتل **السلطان** ، ونشروا العصائب ووقفوا .

وعاد **بيبرس وسلار** إلى مخيمهما ، وأمرا الحجاب والنقباء بجمع العسكر إلى مخيم الأمير **سلار** النائب ، فكان العسكر إذا أتوا ورأوا سنجق **السلطان** وعصائبه منشورة مضوا إليه

وتركوا سلار ، فيردهم الحجاب فلا يلتفت منهم أحد ، ولا يعود حتى يقف تحت السنجق السلطاني .

فبعث سلار إلى أمير جاندار يقول : **ما هذه الفتنة التي تريدون إثارتها في هذا الوقت ونحن على لقاء العدو وقد بلغنا أن الأويراتية قد وافقت المماليك السلطانية على قتلنا ، وكان هذا برأيك ورأى السلطان ، وقد دفع الله عنا . فإن كان الأمراء كذلك فنحن مماليك السلطان ومماليك أبيه الشهيد ، ونحن نكون فداء المسلمين ، وان لم يكن الأمر كذلك فابعثوا الينا غرماءنا .**

فلما سمع **السلطان** هذا بكى ، وحلف إنه لم يكن عنده علم . مما ذكر ، وحلف **أمير جاندار** أيضاً وقال : **ولكن لما وقع ما وقع ظنوا إنهم يريدون قتل السلطان وإقامة غيره ثم قال أمير جاندار : إنما يريد الأمراء بهذا القول أن تقبض على مماليك السلطان طائفة بعد أخرى حتى تتمكن من مرادها ، وان كان السلطان ومماليكه قد شوشوا على الأمراء فأنا أخذ السلطان ومماليكه وأسير إلى الكرك .**

فلما بلغ الأمراء ذلك عزموا أن يركبوا على **أمير جاندار** ، ثم توقفوا حتى بعثوا إلى الأمير **بدر الدين بكتاش أمير سلاح** الأتابك . فأوصى ألا يتعرض **للسلطان** بسوء . فرجع **سلار** إلى المداراة ، وركب حتى أصلح بين **أمير جندار** والأمراء **البرجية** ، وقبلوا جميعهم الأرض **للسلطان** وقبضوا على **الأويراتية** وعاقبوهم ، فاقروا مما عزموا عليه من قتل **بيبرس وسلار** وإعادة دولة **العادل كتبغا** ، فزال ما كان في أنفس البرجية من موافقة **السلطان** وأمير جاندار **للأويراتية** .

وشنق من الغد **نحو الخمسين من الأويراتية** بثيابهم وكلفاتهم ، ونودي عليهم : **هذا جزاء من يقصد إقامة الفتن بين المسلمين ويتجاسر على الملوك .**

وطلب الأمير **قطلوبرس** فلم يوجد ، وكان قد فر إلى **غزة** واختفي بها ، فنهبت أثقاله كلها ، وأنزل بالمصلوبين في اليوم الرابع فأخذت البرجية تغرى **بيبرس** ، وتوحش بينه وبين **سلار** بأنه متفق عليه مع مماليك **السلطان** .

(المقريزي – السلوك)

2) الناصر محمد والمغول :

كان عام 1299 م يتشكل في قالب بالغ الخطورة من الناحية السياسية كما ان هناك خطرا اضافيا اخر بدأ يطفو على السطح حيث ان شبح المغول بدأ يعود الى الحياة من جديد .

(فرسان الاسلام – جيمس واترسون 297)

قبل مجئ غازان :

كان **غازان** قد نوى المسير الى بلاد **الشام** بعد مهاجمة العساكر المملوكية لبلاد **سيس** اثناء سلطنة **السلطان لاجين** وسارت هذه النية عملا مع التحاق الاميرين المملوكيين **قبجق وبكتمر** السلاح دار اليه وتحريضه على مهاجمة الاراضي المملوكية ولكن . . . .

عاد **غازان** إلى تبريز ، ومعه الأمير **قبجق وبكتمر السلاح دار** وأعرض عن المسير إلى **الشام** بسبب خروج **سلامش** عن طاعته .

وكان **سلامش** قد جمع نحو **الستين ألفًا** ، فلما قرب منه **بولاي** بعساكر **غازان فر عنه من كان معه من التتار** و لم يبق مع **سلامش** إلا نحو **الخمسمائة** .

فما كان من سلامش الا أن طرق الابواب السلطانية .

فلما قدم إلى **قلعة الجبل** أنعم على أخيه **قطقطوا** بإقطاع ، وخير **سلامش** بين المقام **بالديار المصرية** أو **الشام** أو أن يعود إلى بلاده ، فسأل أن يجرد معه جيش ليعود إلى

بلاده ويحضر بعياله ، ويرجع إلى خدمه السلطان . فوافقه السلطان على ذلك ، ورسم أن يخرج معه **الأمير** بكتمر الجلمي . فقدم سلامش **دمشق** إلى جهة **سيس** ثم هاجم بعسكر حلب **ماردين** فأخذ ما كان بجامعها ، وفعل أفعالاً قبيحة ، فحرك فعله ما عند غازان وجعله حجة لمسيره .

ثم فطن به **التتار** فقاتلوه ، وقتل الأمير بكتمر ، وفر سلامش إلى بعض القلاع فقبض عليه وحمل إلى غازان فقتله .

وكان سلامش هذا من أكبر الأسباب في حركة غازان إلى بلاد **الشام** .

وبعدها قدم البريد من **حلب** بمسير **جاليش** غازان من الفرات وعبوره .

فخرج عسكر **دمشق** ، وخرج السلطان بعده **بعساكر مصر** وسار إلى **حمص** فنزل عليها

وقعة الخازندار :

رتب العسكر **بوادي الخزندار فكان عدة الجيش المملوكي بضعة وعشرون ألف فارس ، والتتار في نحو مائة ألف .**

ووقف حسام الدين لاجين الأستادار مع السلطان على بعد من اللقاء حتى لا يعرف فيقصد

وأخذ الأمير سلار النائب معه الحجاب والأمراء والفقهاء ، ودار على العساكر كلها والفقهاء تعظ الناس وتقوى عزائمهم على الثبات حتى كثر البكاء .

حمل غازان بمن معه حملة واحدة حتى اختلط بالعساكر **فولى العرب** أولاً وتبعهم جيش **حلب وحماة** ، فتمت هزيمة الميمنة من ميسرة غازان . وصدمت **الميسرة ميمنة** غازان صدمة فرقت جمعها وهزمتها عن آخرها ، وقتلت منها **نحو الخمسة آلاف** .

وكاد **غازان** أن يولي الإدبار ، واستدعى **قبجق** نائب دمشق فشجعه **قبجق** وثبته حتى تلاحق به من انهزم وعاد له أمره ، فحمل حملة واحدة على القلب فلم يثبت له ، وولى **سلار وبكتمر الجوكندار وبرلغى** وسائر الأمراء البرجية ، وركب **غازان** أقفيتهم .

هذا **والسلطان** معتزل ومعه **الحسام** ، وهو يبكى ويبتهل ويقول : " **يا رب لا تجعلني كعباً نحساً على المسلمين** " ويدعو **الله** تعالى ويتضرع اليه ويريد ان يلقي نفسه بين القوم **والحسام** يرده ويمنعه .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 17/4)

ويقول له : **ما هي كسرة ، لكن المسلمين قد تأخروا** ، ولم يبق معه من المماليك غير اثنى عشر مملوكاً .

(لمقريزي – السلوك 889/1)

عادت الميسرة بعد كسرة ميمنة **غازان** إلى حمص ومعهم الغنائم ، فإذا الأمراء **البرجية** أهل القلب قد انكسروا والمغل في أعقابهم فبهتوا .

وخشى **غازان** من الكمناء فكف عن اتباع العساكر ، وكان ذلك من لطف **الله** بهم ، فلو قد مر في طلبهم لهلكوا من عند آخرهم .

ووصل المنهزمون إلى حمص وقت الغروب ، وقد غنم التتر سائر ما كان معهم مما لا يدخل تحت الحصر ، وألقوا عن أنفسهم السلاح طلبا للنجاة.

(لمقريزي – السلوك 889/1)

فلما وصل الجيش الى حمص وجدوا اهلها فوق الاسوار يبتهلون الى **الله** عز وجل وكانوا ينادون:

" **يا مسلمون الرجعة الرجعة لا تسلمونا الى العدو يا مسلمون المروءة المروءة** " . ولم

يلتفت اليهم منهم احد فتباكوا وبكت الناس وبكى **السلطان الناصر** ثم قال للامير **حسام الدين** " **يا ابي انت ما قلت ان المسلمون يقفون ويقاتون نوبة ثانية في حمص ومالي لا انظر الى احد يقف ويقاتل فقال : يا خوند ما يقاتلون الا في دمشق ,وكل ذلك يريد به التعلل الى السلطان لئلا يزداد خوفه .**

(بدر الدين العيني عقد الجمان 4/ 70)

فاشتد صراخ أهل حمص ، وصاحوا بالعسكر :

الله الله في المسلمين وقد كلت الخيول ، فمروا إلى بعلبك ونزلوا عليها .

(المقريزي – السلوك 889/1)

لما انهزم المسلمون وولوا تفرقت عساكرهم المجتمعون ونهب العدو الخيول والعدد والخزائن والاسلحة وتبعوهم الى حمص ونزلوا عليها ففتحها لهم متوليها **محمد بن الصارم** بالامان فأخذوا الدهاليز السلطانية ورحلوا الى دمشق .

(بدر الدين العيني– عقد الجمان 17/4)

وبها الخزائن السلطانية واثقال العسكر .

(المقريزي – السلوك 889/1)

كانت الاثار المتراكمة لهذه الكوارث العسكرية ان كل بلاد الشام بأستثناء القلاع قد سقطت في ايدي **المغول** بل انهم ايضا وضعوا ايديهم على **خزانة السلطان** بالاضافة الى كميات ضخمة من معدات الجيش المملوكي .

(فرسان الاسلام – جيمس واترسون 298)

واستشهد نحو الف من الحلقة والمماليك وهؤلاء الامراء منهم من كان استشهاده في المعركة ومنهم من اصابته جراحة فمات بعدها وفقد **قاضي القضاة الحنفي حسام الدين الرازي** واسر التتار عامة العوام والاتباع والغلمان والرعاع .

(ابن كثير – البداية والنهاية 6/14)

ومن استشهد في هذه الواقعة :

سيف الدين الدواداري الصالحي النجمي وكان كبير القدر عين دوادارية **الملك الصالح** ومازال معظما في سائر الدول وكان له سماع عال في الحديث وله علم وفقه وديانة وهو الذي انشأ **بدر الدين بن جماعة** وانشأ فقهاء كثيرين ومع ذلك كان صاحب شجاعة وفروسية وله غارات كثيرة حتى نقل عن بعض مماليكه انه **صنع طوبة من غبار الغزوات التي حضرها وغزا فيها واوصى ان تكون تحت رأسه اذا دفن** وكانت له صدقات وبر واوقاف على عتقائه .

(بدر الدين العيني – عقد الجان 4 /21)

ومنهم **سيف الدين كرت** نائب **طرابلس** قال للامراء : **ذلك اليوم ها انا احمل لعل الله يرزقني الشهادة في هذا اليوم** ثم التفت الى الامير **قتال السبع** وقال : **يا امير وصيتي لك على اهل بيتي فاني والله ممن يستشهد في هذا اليوم فاني رأيت رؤيا تدل على الشهادة : رأيت في هذه الليلة طائر اخضر يرفرف على رأسي ويقول اتل (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) فتلوتها الى اخرها ثم حملني على جناحه الايمن الى ان وضعني في روضة خضراء ثم انتبهت .**

ثم لما صدموا العدو كان اول من رمي فرسه بسهام كثيرة فأصاب سهم منها نحره فوقع الى الارض والسيف بيده مسلول يذب عن نفسه الى ان ضرب بسهم فسقط الى الارض وقتل من مماليكه عليه نحو ستة عشر مملوك .

(بدر الدين العيني – عقد الجان 4 /21)

لما نظر الامير **بدر الدين بكتاش امير سلاح** الى الهزيمة بكى بكاءا شديدا وقال لمماليكه

: **هاتوا لى حصاني الدويك** وكان قد اشتره بثلاثمائة دينار ذهب ثم بعد ايام رأى بائع الفرس وهو راكب عليه فقال له : **طاب لك خاطرك بالثمن الذي دفعته اليك** فقال : والله يا خوند كان املي فيه اكثر من ذلك الثمن فقال له : **امشي معي الى البيت** فمشى حتى اتى داره فخلع عليه واعطاه حياصة ذهب وثلاثمائة دينار .

وكان ذلك في دولة العادل **كتبغا** فبلغ ذلك **بتخاص والازرق وأخرون .**

فصار كل واحد منهم يسأله ويطلب منه هذا الفرس فبعث الى كل منهم حصانا ويقول له : **اني قد حبست هذا الفرس في سبيل الله يركبه الغزاة والمجاهدون في سبيل الله**

ثم ان مماليكه احضروا الفرس فقال له مماليكه : **يا خوند هذا فرس قوي شديد وانت اليوم تضعف عن رد عنانه لما فيه من القوة .**

فلم يسمع منهم وركبه فلما قعد على ظهره قال للامراء : **" من اراد الشهادة فليتبعني "**

فرجعت اليه الامراء وسألوه ان يرجع **فأبى وقال والله كنت منتظرا لهذا اليوم .**

فقال له الامير **علم الدين الدواداري** **يا امير انت اليوم قوام العسكر واتابكه وما فينا احد الا وقد جرح ومعظم مماليكنا قد قتلوا وما يحل ان تلقي نفسك في التهلكة فلم يلتفت اليه .**

وقال يا امير ما بقي فينا شئ فهل تنتظر خلاف هذا اليوم ؟

وتقدم نحو العدو . فاتفق رأي مماليكه على منعه وضرب بعضهم الفرس بالمقرعة فلما احس الفرس بالضرب فر مثل الريح العاصف حتى لم يروا منه الا غباره ولم يزل يجري فقوي عليه العطش من كثرة الجري الى ان ارمى نفسه في النهر لا يرفع رأسه من الماء حتى انتفخ فؤاده ووقع طائحا وقد انتفخ من الماء فمات فكان يعد من حسناته انه اشترى فرسا لركوب ساعة واحدة .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 4 /22)

أذيال الهزيمة :

استمر الامر على اهل دمشق في النهب واخذ الاموال خمسة واربعون يوما

(بدر الدين العيني عقد الجمان 4/ 70)

هذا وأهل **دمشق** قد وقع بينهم ضجة عظيمة ، فخرجت النساء باديات الوجوه ، وترك الناس حوانيتهم وأموالهم ، وخرجوا من **المدينة** , فمات من الزحام في الأبواب خلق كثير ، وتوجه كثير منهم إلى جهة **مصر** .

وأصبح من بقى **بالمدينة** وقد اجتمعوا **بمشهد علي** من **الجامع الأموي** وبعثوا إلى **غازان** يسألون الأمان لأهل البلد ،

فتوجه **قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية** في جمع كبير من الأعيان والفقهاء والقراء إلى **غازان** .

فوقف **غازان** بفرسه لهم ، ونزل جماعة من التتار عن خيولهم ، ووقف الترجمان وتكلم بينهم وبين **غازان** ، فسألوا الأمان لأهل دمشق ،

فقال : **قد بعثت إليكم الأمان** ، وصرفهم ، فعادوا إلى المدينة .

ثم نزل **غازان** دمشق وعاثت عساكره في الغوطة وظاهر المدينة تنهب وتفسد ، ونزل **قبجق وبكتمر السلاح دار** . بمن معهما في الميدان الأخضر ، وامتدت التتر إلى القدس والكرك تنهب و تأسر .

وامتنع الأمير **علم الدين سنجر المنصوري (أرجواش)** بقلعة دمشق ، وسب **قبجق وبكتمر** سباً قبيحاً ، وكانا قد تقدما إليه وأشارا عليه بالتسليم .

ثم تقدم الأمير **إسماعيل التتري** إلى القضاة والأعيان بالحديث مع **أرجواش** في تسليم

القلعة ، وإنه إن امتنع نهب المدينة ووضع السيف في الكافة . فاجتمع عالم كبير وبعثوا إلى **أرجواش** في ذلك فلم يجب ، وتكررت الرسل بينهم وبينه إلى أن سبهم وجبههم ، وقال : **قد وقعت إلى بطاقة بأن السلطان قد جمع الجيوش بغزة ، وهو واصل عن قريب ،** فانصرفوا عنه .

ثم خطب **لغازان** على منبر دمشق بألقابه ، وهي : **السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان** ، وصلى جماعة من المغل الجمعة . فلما انقضت الجمعة صعد الأمير **قبجق** والأمير **إسماعيل** سدة المؤذنين وقرئ على الناس تقليد **قبجق** بلاد الشام كلها

سريعا ما بدأ **التتر** في نهب **الصالحية** ، حتى أخذوا ما بالجامع والمدارس والترب من البسط والقناديل ، ونبشوا على الخبايا ، فظهر لهم منها شيء كثير حتى كأنهم كانوا يعلمون أماكنها , فمضى **ابن تيمية** في جمع كبير إلى **شيخ الشيوخ** وشكوا ذلك ، فخرج معهم إلى حي **الصالحية** ليتبين حقيقة الأمر ففر **التتر** لما رأوه ، والتجأ أهل **الصالحية** إلى **دمشق** في أسوأ حال .

ولما فرغوا من **الصالحية** صار **التتر** إلى **المزة وداريا** ، ونهبوهما وقتلوا جماعة من أهلهما فخرج **ابن تيمية** إلى **غازان بتل راهط** ليشكو له ما جرى من التتار بعد أمانه ، فلم يمكنه الاجتماع به لشغله بالسكر ، فاجتمع بالوزيرين **سعد الدين ورشيد الدين** ، فقالا : لابد من المال ، فانصرف .

ضربوا الناس وعصروهم ، وأذاقوهم الخزي والذل .

وكثر مع ذلك القتل والنهب في ضواحي دمشق ، حتى يقال إنه قتل من الجند والفلاحين والعامة نحو المائة ألف إنسان .

استمر الحصار ، وتعين نصب المنجنيق على القلعة بالجامع ، واتخذوا الجامع حانة يزنون ويلوطون ويشربون الخمر فيه ، ولم تقم به صلاة العشاء في بعض الليالي ، ونهب التتر ما حول الجامع من السوق .

فلما انتهت الجباية أقر **غازان** في نيابة **دمشق** الأمير **قبجق** ، وفي نيابة حلب وحماة وحمص الأمير **بكتمر السلاح دار** ،

وأقام مقدماً عليهم لحماية الشام **قطلوشاه** ، ورحل **غازان** .

بعد رحيل **غازان** ، أمر **التتر** الذين **بدمشق** أن يخرج من كان في **المدرسة العادلية** ، فكان إذا خرج أحد أخذوا منه ما يقع اختيارهم عليه بعد التفتيش ، ودخلوا فكسروا أبواب البيوت ونهبوا ما فيها ، ووقع النهب في المدينة وركبوا الأسطحة ليرموا بالنشاب على القلعة ، واستمر **قطلوشاه** مقدم التتار يحاصر القلعة .

وأخذ أرجواش في هدم ما حول القلعة من العمائر والبيوت ، وصيروها دكا لئلا يستتر العدو في المنازلة بجدرانها ، فأحرق ذلك كله وهدمه .

استجماع القوى وجمع العدة والعتاد :

وأما **السلطان الملك الناصر** ، فإن العساكر تفرقت عنه وقت الهزيمة ، و لم يبق معه إلا بعض خواصه والأميرين **زين الدين قراجا وسيف الدين بكتمر الحسامي أمير أخور** في نفر يسير . وبالغ **بكتمر** مدة السفر إلى مصر في خدمة السلطان بنفسه وماله ، فكان يركبه وينزله ، ويشد خيله ويشتري لها العليق ويسقيها ، إلى غير ذلك من أنواع الخدمة ، حتى قدم إلى قلعة الجبل .

ثم ترادفت العساكر إلى **الديار المصرية** شيئاً بعد شيء في أسوأ حال ، وكان ممن قدم

معهم الملك **العادل كتبغا** .

ثم أخذ **السلطان الناصر** في التجهيز للمسير إلى **الشام** ثانياً ، وشرع الأمراء في الاهتمام بأمر السفر ، وجمعوا صناع السلاح للعمل . وأخذ الوزير في جمع الأموال للنفقة

ثم ان **السلطان** فتح بيوت الاموال والذخائر وانفق في الجيش نفقة ما سمع مثلها ولم تمض الا ايام يسيرة حتى عادوا الى احسن صورة .

(بدر الدين العيني عقد الجمان 4/ 71)

ونودي بحضور **الأجناد البطالين** ، فحضر خلق كثير ,وفرقت أخباز المفقودين واستخدم جماعة من الأمراء الغزاة المطوعة احتساباً .

واستدعى نائب **الحسبة** ليأخذ فتوى **الفقهاء** بأخذ المال من **الرعية للنفقة** على **العساكر** , **فأحضر فتوى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام للملك المظفر قطز** ، **بأن يؤخذ من كل إنسان دينار** .

فرسم **سلار** بأخذ خط **الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد** ، **فأبى أن يكتب بذلك فدعوه اليهم** .

فقام وركب وجاء عند الامراء والكل حاضرون عند **الامير سلار** فلما رأوه قاموا كلهم وأخذ الامير **سلار** بيمينه **والجاشنكير** بيساره الى ان اجلساه بينهما وبقية الامراء بين يديه ثم تأنسوا به حتى فتحوا باب النفقات وقلة الحواصل في بيت المال وبينوا له الضرورات ثم ذكروا له امر الفتوى .

فقال **الشيخ** : ايها الامراء ما المانع لما تفعلوه اذا رسمتم بشئ لا ثمة احد يخالف؟

فقال الامير **سلار** : **يا سيدي نريد ان يكون معنا فتوى حتى لا نقع في امر غير جائز فيحصل علينا الاثم** .

فقال الشيخ اما الفتوى فما يمكن ان اكتبها في مثل هذا .

فقال المحتسب : يا سيدي هذا خط الشيخ عز الدين بن عبد السلام كتبها في ايام المظفر قطز

فنظر اليه وتبسم وقال : يا فقيه تعرف كيف افتى العز في ذلك الوقت ؟

قال : لا . فقال : لما سألوه الفتوى قال لهم ان الفتوى في هذا لها شروط .

لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتى أحضر سائر الأمراء ما في ملكهم من ذهب وفضة وحلي نسائهم وأولادهم هم وراه ، وحلف كلاً منهم إنه لا يملك سوى هذا ، كان ذلك غير كاف ، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد .

وأما الآن فيبلغني أن كلاً من الأمراء له مال جزيل وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلئ ، ويعمل الإناء الذي يستنجي منه في الخلاء من فضة ، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر .

وتريد مني ان اكتب فتوى على ما لا يحل ثم قام ناهضا وخرج وقد افحم كل واحد منهم عن اجواب .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 75/4)

فطلب ناصر الدين محمد بن الشيخي متولي القاهرة ، ورسم له بالنظر في أموال التجار ومياسير الناس ، وأخذ ما يقدر عليه , كل بحسب حاله .

وذهب لأهل مصر مال كثير في حركة غازان ، إلا إنهم لسعة أحوالهم لم يبالوا بذلك .

كانت السنة الناس بالشام ومصر قد انطلقت في حق أهل الدولة ، واستخف العامة بالأجناد ، وأكثروا من قولهم للجند : بالأمس كنتم هاربين واليوم تريدون أخذ أموالنا ، فإن أجابهم الجندي قالوا له : لم لا كانت هذه الحرمة في المغل الذين فعلوا بكم كيت

وكيت ، وهربتم منهم .

فلما فحش أمر العامة في تجرئهم على الأجناد ، نودي في **القاهرة ومصر** :

" أي عامي تكلم مع جندي كانت روحه وماله للسلطان " .

استجد عسكر كبير ، وغصت القاهرة ومصر وما بينهما بكثرة من ورد من البلاد الشامية حتى ضاقت بهم المساكن ، ونزلوا بالقرافة وأكملت النفقة على العساكر , **" فنودي بالقاهرة ومصر بالسفر ، ومن تأخر شنق " .**

رجوع قبجق الى ديار مصر :

وسار الأميران **سلار نائب السلطنة** و **بيبرس الجاشنكير الأستادار** بالعساكر إلى **دمشق** ، فلقوا **الأمير قبجق** ومن معه بين **غزة وعسقلان** ، فترجل كل منهم لصاحبه وتباركوا وأنزلوا ، ورتب لهم ما يليق بهم ، وأمروا بالتوجه إلى **السلطان** ، وسار الأمراء بالعساكر إلى **دمشق** .

(المقريزي – السلوك)

ولما خرج **السلطان** الصالحية وردت كتب **قفجق وبكتمر السلحدار والبكي** بخروج التتار من دمشق وسائر الاماكن , وانهم قاصدون الديار المصرية ويستعيذون **السلطان** مما صدر عنهم مما قدره **الله** عليهم

(بدر الدين اعيني – عقد الجمان 79/4)

وقدم **ابن تيمية** الى الديار المصرية فاقام بالقلعة ثماني ايام اجتمع فيها **بالسلطان** والوزير وحرضهم على القتال فأجابوه .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 131/4)

وقدم **قبجق** بمن معه إلى **الصالحية** فركب **السلطان** إلى لقائهم ، وبالغ في إكرامهم

والإحسان إليهم .

قدم إليها الأمير قرا سنقر المنصوري نائب حلب بعساكرها .

وقدمت ميسرة العساكر المصرية ، ومقدمها الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح , وقدمت ميمنة العساكر المصرية ، مع الأمير حسام الدين لاجين أستادار , وقدم الأمير سلار النائب والمماليك السلطانية ، والملك العادل كتبغا والأمير كراي المنصوري المستقر في نيابة صفد .

ما قبل المعركة :

وسير **سلار** عسكراً إلى حلب ، فطرقها على غفلة ، وأوقع بمن فيها من أصحاب **غازان** وقتلهم ، فلم يفلت منهم إلا القليل ، ولحقوا **بغازان** وعرفوه غدر **قبجق** بهم .

وتتبع الأمير **جمال الدين أقش الأفرم** نائب **السلطنة** بالشام من كان **بدمشق** من **المفسدين** ، الذين تولوا استخراج المال في أيام **غازان** من الناس ، والذين دلوا على عورات الناس . فسمر بعضهم ، وشنق بعضهم وقطع أيدي جماعة وأرجلهم ، ومن المفسدين من قطع لسانه وكحل فمات من يومه .

وألزم الأمير **أقش الأفرم** أهل **دمشق** بتعليق السلاح في الحوانيت وملازمة الرمي بالنشاب ، ونودي بذلك .

وألزم قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فقهاء دمشق بذلك .

فلما استقرت الأحوال ببلاد الشام واستقر كل نائب في مملكته .

خرج الأميران **بيبرس** و **سلار** بعسكر مصر من دمشق يريدان مصر ، فوصلا قلعة الجبل و ركب **السلطان** إلى لقائهم ، في يوم مشهود .

عندئذ أرسل الخليفة **أحمد بن أبي الربيع سليمان** ، يذكِّر **الناصر محمد** بالجهاد وما كان من فعل أسلافه :

وقد عرف تسنن السلطانين الشهيدين ، والِدك وأخيك –قدس الله روحهما– في الاعتناء بجهاد الكّفار ، وغزوهم في عقْرِ الّدار ، وموقِف أحدهما في موطِن زلت فيه الأقدام عن الإقدام ، واجتمع فيه الكفر على الإسلام ، وشاب مِن هوله الوليد وأن والِدك وأخاك سدا على المشركين الفِجاج ، وطهرا من أرجاسهم العذَب الفرات ، والملح الأُجاج ، فالكتائب المنصورية ، أبادت التتار بالسيوف المشرفًية ، والممالك الإسلامية زهت نظامًا بالفتوحات الأَشرفية ، فأجتهِد في إعلاء كلمة الدين أتم اجتهاد ، وعززها بثالث في الغزو والجهاد .

(القلقشندي – صبح الأعشى 67/10)

شقحب والانتصار الخالد :

كثر الإرجاف بعودة التتر فنودي في **دمشق** :

" من أقام بدمشق بعد هذا النداء فدمه في عنقه ، ومن عجز عن السفر فليتحصن بقلعه دمشق " , فخرج بقية الناس على وجوههم , فخلت **البلاد الشامية** من أهلها ونزحوا إلى **مصر** .

خرج **السلطان** من قلعة الجبل ومعه **الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان** في عسكر كثير .

وسار الامراء الليل كله الى ان انبثق الفجر وقد قربوا من العدو .

ثم ان الامراء قد نزلوا واستراحوا وتوضؤا لصلاة الفرض ثم بعدها صلاة الموت وودع بعضهم بعضا .

ثم ساقوا على نفس واحدة الى ان طلع قرص الشمس فتراءت مضارب العدو .

فقال لهم الامير سيف الدين بهادر اص : **اعلموا يا امراء ان هذه الواقعة هي وقعة انفصال بيننا وبينهم فان كان النصر لنا فهي بشارة تستمر بنا وان كان غير ذلك فنعوذ بالله .**

وقال الامير سيف الدين اسندمر : **كل زوجة لي هي طالق وكل جارية ومملوك لي حر ان وليت ظهري حتى ابلغ قصدي وان مت فما يكون لي موتة اكرم منها .** ثم شرع كل واحد منهم يقول مثل هذه المقالة

واول من حمل بمن معه الامير اسندمر وصاح الله اكبر فجاوبه العسكر بصوت واحد حتى الاسرى وكانت الاسرى نحوا من ستة الاف نفس .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 221/4)

فظهرت السناجق المنصورة ، التي عليها آيات النصر بالتلاوة مقصورة ، ولما شاهد بيبرس الجاشنكير العساكر المحمدية ، حمد اللهَ تعالى ، رب الفلق ، وزال ما كان اعتراه من القلق ، والجيوش المنصورة ، قد طبقت سهول الأرض مع جبالها .

علي بن أبي سوادة الحلبي

(ابن حبيب – تذكرة النبيه248/1)

التقى الامراء بالسلطان فترجلوا وباسوا الارض وما لحقوا ان يقفوا الا واجناد العدو وصلت بوصوله فوقف السلطان وامر الحجاب ان يدوروا على الجيش ويامرهم بلبس الاسلحة والاستعداد للملاقاة وبقي السلطان والامراء راكبين في الموكب سائرين .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 230/4)

فورد عند لقائهم به الخبر بوصول التتر في **خمسين الفاً** مع **قطلوشاه** نائب **غازان** . فلبس العسكر بأجمعه السلاح ، واتفقوا على المحاربة **بشقحب** تحت **جبل غباغب** .

وذلك يومي السبت والاحد ثاني وثالث رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعماية .

(الصفدي – نزهة المالك والمملوك 187)

فوقف في القلب **السلطان** وبجانبه **الخليفة** والأمير **سلار** النائب والأمير **بيبرس الجاشنكير** ، **وعز الدين أيبك الخازندار وسيف الدين بكتمر أمير جاندار وجمال الدين أقوش الأفرم** نائب الشام **وبرغلي وايبك الحموي ، وبكتمر البوبكري وقطلوبك ونوغاي السلاح دار وأغرلوا الزيني** ، وفي الميمنة **الحسام لاجين أستادار ومبارز الدين سوار أمير شكار ، ويعقوبا الشهرزوري ومبارز الدين أوليا بن قرمان** ، وفي **الجناح الأيمن** الأمير **قبجق** بعساكر **حماة والعربان** ، وفي **الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير السلاح والامير قرا سنفر** بعساكر **حلب والأمير بدخاص نائب صفد ، وطغريل الإيغاني وبكتمر** السلاح دار **وبيبرس** الدوادار ، **بمضافيهم .**

وكان الامراء قد قصدوا ان يعزلوا **السلطان** فأبى ولام الامراء وقال " **والله انا اول من يحمل قدامكم .**

فقال له **اسندمر كرجي** : **يا خوند ما نريد منك ان تحمل ولكن اثبت مكانك فاذا ثبت السلطان ثبت العسكر .**

فقال له : **يا امير ان اخترتم هاتوا قيدا فقيدوا فرسي به حتى اموت وهو واقف فأعجب الامراء ودعوا له .**

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 233/4)

فأمر بجواده فقيد حتى لا يهرب وبايع الله تعالى في ذلك الموقف .

(ابن كثير – البداية والنهاية 26/14)

ومشى السلطان والخليفة بجانبه ، ومعهما القراء يتلون القرآن ، ويحثون على الجهاد

ويشوقون إلى الجنة وصار **السلطان** يقف ، ويقول **الخليفة** :

يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم ، قاتلوا عن حريمكم وعلى دين نبيكم صلى الله عليه وسلم ، والناس في بكاء شديد ، ومنهم من سقط عن فرسه إلى الأرض ، وتواصى **بيبرس وسلار** على الثبات في الجهاد .

(السلوك – المقريزي)

ما كنت ترى الا ادمعا على الخدود تترادف وزعقات من صميم الاكباد تتضاعف .

وعاينت جماعة من الجند وقع بهم الاختلال في عقولهم ووقعوا الى الارض وبقي الامير **سلار** والامير **بيبرس** يترددان بين القلب والميمنة وكان هؤلاء جمرة الاسلام وعليهم العمدة في الاحكام فقال **بيبرس لسلار** : **انا عاهدت نفسي على الموت** فقال له **سلار** : **يا اخي انت تعلم ان الحديث فينا كثير انا نسبوني الى التتار وانت نسبوك انك تبغض الجند فبالله اوص لاصحابك بالثبات والا لا يبقى لنا وجه عند احد بعد هذا اليوم فتعاهدوا .**

(بيبرس المنصوري – زبدة الفكرة 240/9)

ثم نودي **(اي جندي خرج من المصاف بغير عذر او جرح فدمه حلال)**

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 235/4)

ووقف الغلمان والجمال وراء العسكر صفاً واحداً ، وقيل لهم : **من خرج من الأجناد عن المصاف فاقتلوه ، ولكم سلاحه وفرسه .**

فلما رأى **حسام الدين الاستادار** العدو قال : **" والله لا عشت بعد ذلك اليوم وقد عشنا سعداء ونرجوا ان نلقى الله شهداء , بسم الله نية غزاة فجذب سيفه ومشى وقال له مملوكه يا خوند ارجع قليلا عن يمينك او عن شمالك فلم يلتفت .**

الى ان صدمته الخيل وصدمت ابن قرمان فكان الاثنان بينهم كالواحد في الف وكان الامير الجاولي رديفهم وبرغلي رديف جاولي والامراء متصلون بعضهم رديف بعض وارتفع الغبار .

رأى بيبرس وسلار ذلك فصاح سلار : هلك والله الاسلام وصاح على بيبرس والبرجية فنهض الامراء المنهزمون وصدموا جيش المغل فكشفوهم عن المسلمين .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 236/4)

وأبلى ذلك اليوم هو وبيبرس بلاء عظيماً ، إلى أن كشف التتار عن المسلمين

(المقريزي – السلوك)

كشف النساء عن وجوههن وأسبلن الشعور ، وضج ذاك الجمع العظيم بالدعاء ، وقد كادت العقول أن تطيش وتذهب عند مشاهدة الهزيمة ، فلم ير شيء أعظم منظراً من ذلك الوقت إلى أن وقف كل من الطائفتين عن القتال .

(المقريزي – السلوك)

لما رأى السلطان والامراء ما كان من بيبرس وسلار ورأوا اطلاب التتر تتوالى ردفوهما وتمكنوا من العدو وطعن فيهم وابادوهم ولم يبق امير الا وقد القى نفسه للموت .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 236/4)

وتقدمت العصائب ، وحمل عليهم السلطان ، فحلَّ بهم البلاء من كلّ جانب ، وانقلبوا على أعقابهم خائبين ، وزلزلت أقدامهم ، وأيقنوا بالهلاك ، وحلول الأجل .

علي بن أبي سوادة الحلبي

(ابن حبيب – تذكرة النبيه248/1)

ما فعله ذلك اليوم الملك الناصر ، لما نظر الأسد إلى صبره وثباته ، صغرت عنده نفسه وثباته ، وعلِم أن ثباته بإقدامه أعظم مِن وَثباتِهِ وأقدامِهِ .

(الدواداري – كنز الدرر 119/9)

والسلطان قد ثبت ، في موقف المنايا ، حتى كأنه في جفن الردى وهو نائم وقابل العدو بصدره وقاتل حتى أفنى حديد بيضه وسمره ، وخاطر بنفسه ، والموت أقرب إليه من حبل الوريد ولم يستصحب إلا سيفه المبيد ويرى غمرات الموت ثم يزورها .

(المقريزي – السلوك 1/ 1032)

فكان مولانا السلطان ، يصطحب من دمائهم كما اغتبق ، ويرميهم عزمًا ينثر عِقد اجتماعهم الذي انتظم واتَّسق ، ويفْهِمهم أنّه لا مرد له عن مراد الصوارم ، وأنّه لا يفارق الخيل حتى يجعل عوض الحجارة جماجم .

ابن عبد الظاهر

(المقريزي – السلوك 1/ 1032)

كان **ابن تيمية** يروح الى **السلطان** ويحلف له **بالله** الذي لا **اله** الا هو انكم لمنصورون ان شاء **الله** تحقيقا لا تعليقا وكان يدور على الاطلاب فيأكل في شئ من يده فيأكل الناس ويقول انكم تلاقوا العدو والفطر اقوى لكم .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 243/4)

ويثبِّت قلوب الجند فكان يعظ الجند ، ويتلو عليهم الآيات القرآنية ، ويقرأ عليهم الأحاديث النبوية ، ويحثّهم ، ويثبتهم ، ويعبئهم نفسيا وعسكريا ، حتى غدوا بهذا التوجيه خلقا آخر ، مغايرا لما كانوا عليه من التخلف والخذلان والهزيمة ، فارتقوا بهذه المعاني ، التي نفخها فيهم شيخ الإسلام ، إلى مواقع النصر والفاعلية .

(الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية 16)

واما السلطان والامراء فقد رجعوا الى مكان الوقعة فوجدوا المجاهدين قد ملأوا تلك الارض بين الاحجار مطروحين وكل من رأوه مستقبل القبلة وسبابته تشير بالشهادة

ووجهه يتوقد نورا فكأنه في حال الحياة وكل من رأوه من قتلى المغل وجدوه ملقى على وجهه .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 243/4)

ومال **قطلوشاه** بمن معه إلى جبل قريب منه ، وصعد عليه وفي نفسه إنه انتصر ، فلما صعد الجبل نظر السهل والوعر كله عساكر ، والميسرة السلطانية ثابتة واعلامها تخفق ، فبهت وتحير .

وإذا بكوسات **السلطان** والأمراء والبوقات قد رجفت بحسها الأرض وأزعجت القلوب ، فلم يثبت بولاي أحد مقدمي التتر ، وخرج من تجاه **قطلوشاه** في نحو العشرين ألفاً ، ونزل من الجبل وفر هارباً .

وبات **السلطان** وسائر العساكر على ظهور خيولهم والطبول تضرب ، وتلاحق به من إنهزم شيئاً بعد شيء ، وهم يقصدون ضرب الطبول السلطانية والكوسات الحربية .

وأحاط عسكر **السلطان** بالجبل الذي بات عليه التتار ، وصار **بيبرس وسلار وقبجق** والأمراء الأكابر في طول الليل دائرين على الأمراء والأجناد يرصونهم ويرتبونهم ، ويكثرون من التأكيد عليهم في التيقظ وأخذ الأهبة . فما طلع الفجر إلا وقد اجتمع كل عساكر **السلطان** ، ووقف كل أحد في مصافه مع أصحابه , وكانت رؤيتهم تذهل ، وثبتوا على ذلك حتى ارتفعت الشمس .

وشرع **قطلوشاه** في ترتيب من معه ، ونزلوا مشاة وفرسان وقاتلوا العساكر .

فبرزت المماليك السلطانية بمقدميها إليهم وعملوا فيهم عملاً عظيماً .

تارة يرمونهم بالسهام ، وتارة يهاجمونهم ، واشتغل الأمراء بقتال من في جهتهم ، وصاروا يتناولون القتال أميراً بعد أمير . وألحت المماليك السلطانية في القتال واستقتلوا ، ومازال

الأمراء على ذلك حتى انتصف النهار .

كان بعض من أسر نزل إلى **السلطان** وعرفه أن التتار قد أجمعوا على النزول في السحر ومصادمة الجيش ، وأنهم في شدة من العطش .

فاقتضى الرأي أن يفرج لهم عند نزولهم ، ثم يركب الجيش أقفيتهم .

ركب التتار ونزلوا من الجبل ، فلم يتعرض لهم أحد . وساروا إلى النهر فاقتحموه .

عند ذلك ركبهم بلاء **الله** من المسلمين ، وأيدهم بنصره حتى حصدوا رؤوس التتار عن أبدانهم ، ومروا في أثرهم إلى وقت العصر وعادوا إلى **السلطان** .

واستمر الأمراء في أثر **التتار** ، وقد كلت خيول التتر وضعفت نفوسهم وألقوا أسلحتهم ، واستسلموا للقتل والعساكر تقتلهم بغير مدافعة ، حتى أن أراذل **العامة والغلمان** قتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وغنموا عدة غنائم ، وقتل **الواحد** من العسكر **العشرين** من التتر فما فوقها .

قتل أكثرهم ، حتى لم يعبر **قطلوشاه** الفرات إلا في قليل من أصحابه .

سرحت الطيور بالنصر إلى غزة وعين الأمير **بدر الدين بكتوت الفتاح** للمسير بالبشارة إلى **مصر** ، وسار من وقته ، وكتب إلى **دمشق** وسائر القلاع بالبشارة .

(المقريزي – السلوك 1/ 930)

بسم الله الرحمن الرحيم :

نصر من الله وفتح قريب " خصه الله من البشائر بأحسنها وأجملها ومن التهاني بأتمها وأكملها ومن المسرات بأوفرها وأجزلها .

واستمر الناس طول شهر **رمضان** في مسرات تتجدد ، وصلى **السلطان** صلاة **عيد الفطر** ، **وخرج من دمشق في ثالث شوال يريد مصر .**

فنصر اللهُ تعالى هذه الأُمة المحمدِية ، والعساكِر الناصِرية المحمدية ، وأَيد الله الإسلام ، ودخل مولانا السلطان خلَّد اللهُ ملكه ، مؤيدًا بالّنصر والظَّفْر ، على رغمِ أنافي الّتتر وأيده اللهُ بالقرآن ، وعاد إلى مِصر ، وأقام الفرح والسرور .

ثم أرسل الى غازان :

إن سجية الغدر للهلاك ، ومصرع البغي ليس منه فكاك , فلم تغرب الشمس ، حتى فرقناهم على أديم الأرض , فعندها ندموا حيث لا ينفعهم الندم .

فبادر أَيها الملك ، إلى حمد الله العادل ، الذي لم يرِ عينيك هذه المحافل ، ومرورها على سمعك أهون من العيان ، ونظرك إلى عورات أصحابك يغنيك عن البيان .

(الدواداري – كنز الدرر 119/9)

" فلما تحّققنا خبركم ، وقضونا أثركم ، بادرنا نقد أديم الأرض سيرًا ، وأسرعنا لندفع عن المسلمين ضررًا وضيرًا ، ونؤدي من الجهاد السنة والفرض ونعمل بقوله تعالى : و سارِعوا إِلى مغْفِرةٍ مِن ربكم وجنَّةٍ عرضها السموات والأَرض .

فأكابرهم يعلمون وقائع الجيوش الإسلامية التي كم وطئت موطئًا يغيظ الكفار ، فكتب لها عمل صالح ، وسارت في سبيل الله ففتح عليها أبواب المناهج .

(المقريزي – السلوك 1016/1)

3) أيام الزينة :

قدم **بكتوت الفتاح** إلى القاهرة **يوم الإثنين ثامن شهر رمضان** ، فرسم **بزينة القاهرة** من **باب النصر** إلى **باب السلسة** من القلعة ، وكتب بإحضار سائر مغاني العرب من أعمال **مصر** كلها .

وتفاخروا في تزيين القلاع ، وأقبل أهل الريف إلى القاهرة للفرجة على قدوم السلطان

وعلى الزينة ، فإن الناس أخرجوا الحلي والجواهر واللآلى وأنواع الحرير فزينوا بذلك .

وعمل **ابن الشيخي** الوالي قلعة بباب النصر فيها سائر أنواع الجد والهزل ، ونصب عدة أحواض ملأها بالسكر والليمون ، وأوقف مماليكه بشربات حتى يسقوا العسكر .

فقدم **السلطان** ، فخرج الناس إلى لقائه . فلما وصل **السلطان** **باب النصر** ترجل سائر الأمراء

هذا والأسرى من التتار بين يديه مقيدون ، ورؤوس من قتل منهم معلقة في رقابهم ، وألف رأس على ألف رمح ، وعدة الأسرى ألف وستمائة . في أعناقها ألف وستمائة . رأس ، وطبولهم قدامهم مخرقة .

وعندما وصل **السلطان** إلى باب المارستان نزل وصعد إلى قبر أبيه ، وقرأ القراء قدامه . ثم ركب إلى باب زويلة ، ووقف حتى أركب الأمير **بدر الدين بكتاش أمير سلاح** خلفه وبيده السلاح . وسار على الشقق الحرير إلى داخل القلعة ، والتهاني في دور **السلطان** والأمراء وغيرهم ، وكان يوماً عظيماً إلى الغاية .

(السلوك 3/361 – المقريزي)

"صعد السلطان تربة والده ، وأنوار النصر على أعطاف مجده لائحة ، ودخلها فلولا خرق العوايد لنهض من ضريحه وصافحه وشكر مساعيه ، التي اتّصلت بها أعماله ، وكيف لا ، وهي أعمالٌ صالحة ، وقص مولانا السلطان عند قبره المبارك ، من غزوته أحسن القصص ، وأسهم له في بركة جهاده أوفر الحصص ، فلو استطاع –رحمه الله– أن ينطق لقال :

"هذا الولد البار ، والملك الذي خلفني ، وزاد في نصرة الإسلام ، وكسر التتار ، ولو تمكن –رضي الله عنه– لأخبره بما وجده من ثواب الجهاد .

ابن عبد الظاهر

(المقريزي – السلوك 1039/1)

4) الناصر محمد والزلزلة العظيمة :

حصل **بالقاهرة ومصر** في مدة نصب القلاع والزينة من الفساد في الحريم وشرب الخمور ما لا يمكن وصفه ، من **خامس شهر رمضان إلى أن قلعت في أواخر شوال** .

فلما كان يوم الخميس ثالث عشرى ذي الحجة : عند **صلاة الصبح** اهتزت الأرض كلها ، وسمع للحيطان قعقة وللسقوف أصوات شديدة ، وصار الماشي يميل والراكب يسقط حتى تخيل الناس أن السماء أطبقت على الأرض ، فخرجوا في الطرقات رجالاً ونساء ، قد أعجلهم الخوف والفزع عن ستر النساء وجوههن واشتد الصراخ وعظم الضجيج والعويل ، وتساقطت الدور وتشققت الجدران ، وتهدمت مأذن الجوامع والمدارس ، ووضع كثير من النساء الحوامل ما في بطونهن .

وصار الناس إلى خارج القاهرة ، وبات أكثرهم خارج باب البحر ، ونصبوا الخيم من بولاق إلى الروضة .

وبات الناس ليلة الجمعة بالجوامع والمساجد ، يدعون الله إلى وقت صلاة الجمعة .

إلا أن الأرض أقامت عشرين يوماً ترجف ، وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى .

واشتغل الناس بالقاهرة ومصر مدة في رم ما تشعث وبني ما هدم .

فإن القاهرة ومصر صارت بحيث إذا رآها الإنسان يتخيل أن العدو أغار عليها وخربها .

وخرب من المواضع المشهورة جامع **عمرو بن العاص بمصر** ، فالتزم **الأمير سلار** النائب بعمارته . وخربت أكثر سواري **الجامع الحاكمي بالقاهرة** وسقطت مأذنتاه ، فالتزم الأمير **بيبرس الجاشنكير** بعمارته **وخرب الجامع الأزهر** ، فالتزم الأمير **سلار** بعمارته أيضاً ،

وشاركه فيه **الأمير سنقر الأعسر** . وخرب **جامع الصالح** خارج **باب زويلة** فعمر من **الخاص السلطاني** ، وتولى عمارته الأمير **علم الدين سنجر** . وخربت **مئذنة المنصورية** ، فعمرت من الوقف على يد الأمير **سيف الدين كهرداش الزراق** . وسقطت مأذنة **جامع الفكاهين** .

(المقريزي – السلوك)

فكان في ذلك لطف من الله بعباده ، فإنهم رجعوا عن بعض ما كانوا عليه من اللهو والفساد أيام الزينة .

واصبحت المدينة اذا نظر اليها انسان لا يجد فيها بيتا صحيحا اما وقع منه جانب او اشتق بناؤه وبقيت الاتربة والطوب اكواما امام البيوت

وقنتوا في صبح الجمعة وفي ليلتها في سائر الجوامع والمساجد واقاموا ليلتهم ويومهم الى حين صلاة الجمعة واقفين يبتهلون الى الله تعالى ويتضرعون .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 26/4)

5) الناصر محمد وأهل جبال كسروان :

كان أهل جبال كسروان ، قد اشتد ضررهم ، ونال العسكر عند إنهزامها من غازان إلى مصر منهم شدائد وامتنعوا بجبلهم وهو صعب المرتقى .

توجه شيخ الإسلام **تقي الدين أحمد بن تيمية** من دمشق ومعه الأمير **بهاء الدين قراقوش المنصوري** ، إلى أهل (**جبل كسروان الدرزية**) يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا . فجمعت العساكر لقتالهم .

سار الأمير **جمال الدين أقوش الأفرم** نائب **الشام** من **دمشق** في عساكرها لقتال أهل **جبال كسروان** ، ونادى بالمدينة : **"من تأخر من الأجناد والرجالة شنق "** . فاجتمع له

نحو **الخمسين ألف راجل** .

زحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال ، ونازلهم وخرب ضياعهم ، ومزقهم بعدما قاتلهم أحد عشر يوماً ,

وقاتلوهم قتالًا شديداً إلى الغاية ، فلم يثبت أهل الجبال وانهزموا .

وصعد العسكر الجبل بعدما قتل منهم وأسر خلقا كثيراً ، ووضع السيف فيهم ، فالقوا السلاح ونادوا الأمان ، فكفوا عن قتالهم . واستدعوا مشايخهم وألزموهم بإحضار جميع ما أخذ من العسكر وقت الهزيمة ، فأحضروه .

وملك الجبل عنوة ، وأسر ستمائة رجل ، وغنمت العساكر منهم مالاً عظيماً .

ثم اقطع **السلطان** جبال **كسروان** بعد **فتحها** للأمير **علاء الدين بن معبد البعلبكي** ، **وسيف الدين بكتمر عتيق بكتاش الفخري** . **وحسام الدين لاجين** ، **فزرعها لهم الجبلية** ، **ورفعت أيدي الرافضة عنها** .

(المقريزي – السلوك)

6) الناصر محمد والصليبيين :

يعتبر سقوط عكا في يد **المماليك** خاتمة الحملات **الصليبية** في الشرق برغم استمرار سعي بعض الفئات **الصليبية** في استعادة مجد **الصليبيين** المندثر ولكن تدهور اوضاعهم الداخلية وتراجع هيبة البابوية وانهماك الملوك المتحمسين للفكرة الصليبية بمشاكلهم الداخلية لم تسمح بذلك بالاضافة ان ملكي **قبرص وارمينيا** ايقنوا بان مملكتهما اصبحتا في خط المواجهة فحرصا الا يثيرا غضب المماليك .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 234)

ثم أن **الفرنج** أنشئوا **جزيرة** تجاه **طرابلس** بالقرب من **أنطرسوس** تعرف **بجريرة أرواد** ،

وعمروها بالعدد والآلات وكثر فيها جمعهم .

وصاروا يركبون البحر ويأخذون المراكب .

فتوجه **كهرداش** إلى **جزيرة أرواد** ، ، وصبحهم في غفلة وأحاط بهم وقاتلهم ساعة ، فنصره **الله** عليهم وقتل منهم كثيراً ، وسألوا الأمان فأخذوا أسرى .

واستولى **كهرداش** على سائر ما عندهم ، وعاد إلى **طرابلس** فلما قدم البريد بذلك دقت البشائر بالقلعة .

(المقريزي – السلوك)

ففتحت جزيرة ارواد وقتل منها نحو الالفين واسر خمسمائة .

(ابن كثير – البداية والنهاية 21/14)

7) الناصر محمد والعربان :

انتهز **العربان** فرصة انهماك الحكام في صراعاتهم واغاروا على مناطق الوجه القبلي وعاثوا في البلاد فسادا فقطعوا الطريق على التجار وفرضوا الاتاوات وامتنعوا عن اداء الخراج وتسموا باسماء الامراء فأفتى الفقهاء بوجوب التصدي لهم فخرج الامراء لقتالهم واصطدموا بهم شرقي النيل وغربه بعد ان احاطوا بهم .

سار الامير **بكتاش** ومن معه من الجند الى الفيوم وخرج الامير **بيبرس الدوادار** الى السويس والطور كما قطع عليهم حاكم **قوص** طرق الصحراء فأنقضوا عليهم وتعقبوهم في مخابئهم فأبادوا الكثير منهم وأسروا نحو الف وستمائة . .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 231)

كان **العربان بالوجه القبلي** قد كثر عبثهم وفسادهم ، ومنع كثير منهم الخراج لما كان من الاشتغال **بحركات غازان** .

وتعدى شرهم في قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعايش بأسيوط ومنفلوط فرائض ، ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون .

فاستدعى الأمراء القضاة والفقهاء ، واستفتوهم ، فأفتوهم بجواز قتالهم .

وضرب **الأمراء** عليهم حلقة كحلقة الصيد ، وقد عميت أخبارهم على **أهل الصعيد** ، فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها ، ووضعوا السيف فيهم ، فلم يتركوا أحداً حتى قتلوه ، ووسطوا نحو عشرة آلاف رجل ، وما منهم إلا من أخذوا ماله وسبوا حريمه .

ثم عاد العسكر وقد خلت البلاد بحيث كان الرجل يمشي فلا يجد في طريقه أحداً ، وينزل بالقرية فلا يرى ألا النساء والصبيان والصغار ، فأفرجوا عن المأسورين وأعادوهم لحفظ البلاد .

(المقريزي – السلوك)

8) الناصر محمد وبلاد سيس :

وكان **غازان** لما أخذ البلاد وعاد إلى الشرق طمع الأرمن في البلاد التي افتتحها المسلمون ، وأخذوا تل **حمدون** وغيرها .

ثم أن **تكفور** متملك **سيس** منع الحمل وخرج عن الطاعة وانتمى **لغازان** ، فرسم بخروج العسكر لمحاربته .

خرج الأمير بدر الدين **بكتاش الفخري** أمير سلاح والأمير **عز الدين أيبك الخازندار** وتوجه معهم **العادل كتبغا** ،

فدخلوا **دربند بغراس** وانتشروا في بلاد **سيس** ، فحرقوا المزروع انتهبوا ما قدروا عليه ، وحاصروا مدينة سيس وغنموا من سفح قلعتها شيئاً كثيراً من جفال الأرمن ، وعادوا من **الدربند** إلى **مرج أنطاكية** .

وفي مرة ثانية للغارة على بلاد سيس ، خرج الأمير **بدر الدين بكتاش** أمير سلاح ، ومعه الأمير **علم الدين سنجر الصوابي** والأمير **شمس الدين سنقر شاه المنصوري** فحرقوا مزارع **سيس** وخربوا الضياع وأسروا أهلها ، ونازلوا **تل حمدون** وقد امتنع بقلعتها جماعة كثيرة من الأرمن ، فقاتلوهم حتى فتحت بالأمان ، وأخذوا منها ستة ملوك من ملوك الأرمن .

ثم أخر متملك **سيس** الحمل الجاري به العادة ،

فرسم بخروج الأمير **بكتاش** أمير سلاح ، **وبيبرس الدوادار وأقوش الموصلي فتال السبع** ، **والدكن السلاح دار** ، فساروا من القاهرة في أربعة آلاف فارس . فبعث متملك سيس الحمل ، واعتذر فرجع الأمير **بكتاش** بمن معه من غزة .

9) الناصر محمد وتحكم بيبرس وسلار :

كان الأمير **سيف الدين سلار** قد استقر في **نيابة السلطة** بديار مصر ، واستقر الأمير ركن الدين **بيبرس الجاشنكير** **أستادارا** . فضيقا على **السلطان** . ثم قويت شوكة **البرجية** بديار مصر ، وتردد الناس إليهم .

وقام بأمرهم الأمير **بيبرس الجاشنكير** وأمر منهم عدة ، وصار في قبالته الأمير **سيف الدين سلار** ومعه الصالحية والمنصورية ، إلا أن البرجية أكثر وأقوى ، وشرهوا جميعاً إلى أخذ الإقطاعات ، ووقع الحسد بين الطائفتين ، وصار **بيبرس** إذا أمر أحداً من البرجية وقفت أصحاب **سلار** وطلبت منه أن يؤمر منهم واحداً . وأخذ الأمير **سيف الدين برغلي** يشارك **بيبرس وسلار** في الأمر والنهي ، وقويت شوكته والتف عليه المماليك الأشرفية .

واشتدت شوكة **بيبرس** بهم ، وعظمت مهابته وانبسطت يده في التحكم ، من القوة

والاستظهار بكثرة خواشداشيته البرجية ، وأنهم قد صاروا معظم الأمراء .

ومع ذلك فإنه شق على **سلار** ما صار فيه الأمير **بيبرس الجاشنكير** .

ضجر **السلطان** من تحكم الأميرين **بيبرس وسلار** عليه ، ومنعه من التصرف ، وضيق يده . ، وشكا ذلك لخاصكيته .

ذات يوم نزل السلطان **بتروجة** ، واستدعى **شهاب الدين أحمد بن عبادة** وصى **السلطان** ووكيل جباية أموال أملاك **السلطان** وطلب **السلطان** منه دراهم يشتري بها هدية ، فلم يجد عنده من مال **السلطان** ما يكفيه .

فبعثه ليقترض من تجار **الإسكندرية** مبلغاً . فاجتمع **ابن عبادة** **بالوزير** ، وشكا له ما فيه **السلطان** من الضيق والحاجة ، وأنه حضر ليقترض له من التجار ما يشتري به هدية لجواريه ونسائه .

فقال له **ابن الشيخي** : ارجع ، وأنا غدا عند **السلطان** بألفي دينار . فعاد **ابن عبادة** ، وأعلم **السلطان** بذلك ، فسر سروراً كبيراً .

وقدم **الوزير** بالمبلغ وقدمه **للسلطان** ,فاستروح **السلطان** معه بالكلام ، وشكا إليه ما هو فيه من ضيق مع الأمراء ، وشكا إلى الأمير **بيبرس** نائب **الإسكندرية**

10) الناصر محمد وبكتمر الجوكندار :

غيل صدر **السلطان** وراح يبث شكواه الى بعض خاصته ثم عزم على التخلص منهما فاستدعى الامير **بكتمر الجوكندار أمير جاندار** في خفية ، وأعلمه مما عزم عليه من القيام على الأميرين .

فقرر الأمير : **أن القلعة إذا أغلقت في الليل ، وحملت مفاتيحها إلى السلطان على**

العادة ، و لبست مماليك السلطان السلاح ، وركبت الخيول من الإسطبل ، وسارت إلى إسطبلات الأمراء ، ودقت كوسات السلطان بالقلعة دقاً حربياً ليجتمع تحت القلعة من هو في طاعة السلطان ،

ويجبهم بكتمر في عدة على بيتي بيبرس وسلار بالقلعة ، ويأخذوهما .

وكان لكل من **بيبرس وسلار** أعين عند **السلطان** ، فبلغهما ذلك فاحترسا ، وأمرا الأمير **سيف الدين بلبان الدمشقي** والي القلعة أن يوهم أنه أغلق باب القلعة ، ويطرف أقفالها ، ويعبر بالمفاتيح على العادة ، ففعل ذلك .

وظن السلطان ومماليكه أنهم قد حصلوا على غرضهم ، وانتظروا **بكتمر الجوكندار** أن يحضر إليهم فلم يحضر ، وبعثوا إليه فإذا هو مع **بيبرس وسلار** ، قد حلف لها على القيام معهما .

فلما طلع النهار ظن **السلطان** أن **بكتمر** قد غدر به ، وترقب المكروه .

علمت العامة بنبأ الفتنة فخرجوا الى الشوارع في مظاهرة تأييد وتوجهوا الى القلعة مع الجند مما ادى الى استياء **بيبرس وسلار** فقررا التصدي للمتظاهرين وتفريقهم بالقوة .

(المقريزي – السلوك 34/2)

أشيع في القاهرة أن الأمراء يريدون قتل **السلطان** فلم تفتح الأسواق ، وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة ، وبقي الأمراء نهارهم مجتمعين ، وبعثوا بالاحتراس على **السلطان** خوفاً من نزوله من باب السر .

فأحتاطا **الاميران** بالسلطان وطوقاه في مكان اقامته وكلفا عدد من المماليك بالتمركز عند باب الاصطبل السلطاني للحئوول دون هربه .

فلما كان نصف الليل وقع بداخل الإسطبل حس وحركة من قيام المماليك السلطانية

ولبسهم السلاح ، لينزلوا **بالسلطان** على حمية من الإسطبل ، وتوقعوا الحرب ، فمنعهم **السلطان** من ذلك ،

وأراد **سمك** اخو **سلار** إقامة الحرمة ، فرمى بالنشاب وضرب الطبل ، فوقع سهم بالرفرف السلطاني .

عند ذلك هبت المماليك السلطانية للدفاع عنه وحاصروا القلعة عدة ساعات علم **السلطان** خلالهما بنبأ المؤامرة .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 231)

فبعث **السلطان** إلى الأمراء يقول : **ما سبب الركوب على باب إسطبلي؟ إن كان غرضكم في الملك فهل أنا متطلع إليه؟ فخذوه وابعثوني أي موضع أردتم.**

فردوا الجواب مع الأمير **بيبرس الدوادار** والأمير عز **الدين أيبك الخازندار** والأمير **برغلي الأشرفي** ، بأن السبب هو من عند **السلطان** من المماليك الذين يحرضونه على الأمراء ، فعتبهم على ما هو فيه ، وأنكر أن يكون أحد من مماليكه ذكر له شيئاً عن الأمراء .

وفي عودهم من عند **السلطان** وقعت ضجة بالقلعة سببها أن العامة كان جمعهم قد كثر ، ووقفوا على باب الإسطبل محاصرين ، ثم حملوا يداً واحدة على الأمراء بباب الإسطبل ، وهم يقولون : " **يا ناصر يا منصور** " .

وبلغ ذلك **بيبرس وسلار** ، فأرسل الأمير **سيف الدين بتخاص المنصوري** في عدة مماليك إلى العامة فضربوهم بالدبابيس ليتفرقوا فاشتد صياحهم **يا ناصر يا منصور** ، وتكاثر جمعهم ودعاؤهم **للسلطان** .

ثم حملوا يدًا واحدة على الأُمراء ، وهم يقولون :

"يا ناصر يا منصور الله يخون الخائن ، الله يخون إللي يخون ابن قلاوون "

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 139/8)

فأخذ يلاطفهم ، وقال : طيبوا خواطركم ، فإن **السلطان** قد طاب خاطره على الأمراء ، ومازال بهم حتى تفرقوا وعاد .

فبعث الأمراء ثانياً إلى **السلطان** بأنهم مماليكه وفي طاعته ، ولابد من إخراج الشباب الذين يرمون الفتن ، فامتنع من ذلك واشتد ، فمازال به **بيبرس الدوادار وبرغلي** حتى أخرج بهم إلى الأمراء ، وهم **يبلغا الترجماني وأيدمر المرتد وخاص ترك** . فهددهم **بيبرس وسلار** ووبخاهم وقصدا تقييدهم ، فلم توافق الأمراء على ذلك رعاية لخاطر **السلطان** ، وأخرجوا إلى القدس من وقتهم على البريد .

ودخل جميع الأمراء على **السلطان** وقبلوا الأرض ، ثم قبلوا يده ، فأفيضت عليهم الخلع ، وعلى الأمير **بيبرس وسلار** .

ثم سأل الأمراء **السلطان** أن يركب في أمرائه إلى الجبل الأحمر : **حتى تطمئن قلوب العامة ويعلموا أن الفتنة خمدت** ، فأجاب وخرجوا .

وبات **السلطان** في قلق زائد وكرب عظيم لإخراج مماليكه ، وركب من الغد بالأمراء إلى قبة النصر تحت الجبل الأحمر ، وعاد بعدما قال **بيبرس وسلار** : **إن سبب الفتنة إنما كان من بكتمر الجوكندار** وذلك إنه رآه قد ركب بجانب الأمير **بيبرس** وحادثه ، فتذكر غدره به ، وشق عليه ذلك .

فتلطفوا به في أمره فقال : **والله ما بقيت لي عين تنظر إليه ، ومتى أقام في مصر لا جلست على كرسي الملك أبداً** فأخرج من وقته إلى قلعة الصبيبة

وقد قصد البرجية في نوبة **بكتمر الجوكندار** أن يخرج **السلطان** إلى الكرك ، ويسلطن **بيبرس** لولا ما كان من صنع **سلار** بسياسة وتدبير حتى وقع الصلح مع **السلطان** .

فخاف سلار عواقب الأمور مع السلطان ومع بيبرس ،

(المقريزي – السلوك 34/2)

11) الناصر محمد والذهاب الى الكرك

ضاق صدر الناصر **واشتد حنقه** وصار في غاية الحصر من تحكم بيبرس وسلار عليه ، وعدم تصرفه ومنعه من كل ما يريد حتى إنه ما يصل إلى ما يشتهي أكله ,فأخذ في العمل لنفسه . وأظهر أنه يريد الحج بعياله .

ركب يريد السفر ، ونزل من القلعة ومعه الأمراء ؛ وخرج العامة وتباكوا حوله ، وتأسفوا على فراقه ، ودعوا له إلى أن نزل بركة الحاج .

وعندما استقر السلطان بقلعة **الكرك** عرف الأمراء أنه قد انثنى عزمه عن الحج ، واختار الإقامة بالكرك ، وترك السلطنة ليستريح خاطره .

فشق عليهم ذلك ، وبكوا وقبلوا له الأرض يتضرعون إليه في ترك هذا الخاطر ، وكشفوا رؤوسهم فلم يرجع إليهم ،

واستولي السلطان على ما كان في الكرك من المال ، **وهو ستمائة ألف درهم فضة وعشرون ألف دينار ،**

واستدعى أهل الكرك ، فحلفهم له الأمير جمال الدين نائب الكرك ،

بعث السلطان إلى النائب أن يتوجه إلى مصر وينقل ماله بالكرك وبين له أن أهل القلعة لا سبيل إلى مجاورتهم له بها ولا بإقامتهم بالمدينة ، فإني أعلم كيف باعوا الملك السعيد بن الظاهر بالمال لطرنطاي .

وفي القاهرة عقد الاجتماع لتدارس الموقف فقرروا ان يبعثوا الى الناصر بكتاب يدعوه فيه للعودة والا خلعوه عن العرش وحرموه الاقامة في الكرك , فرفض الناصر واصر على موقفه

.

عندئذ . استقر الرأي على تولية **سلار** عرش السلطنة غير انه اعتذر عن قبولها ورشح زميله **بيبرس الجاشنكير** ونهض قائما اليه ليبايعه وتبعته المماليك **البرجية**, اخذ الجميع بيده فبايعوه بالسلطنة فقبلها ولقب **بالملك المظفر** .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 232)

الفصل الخامس



بيبرس الجاشنكير

1. ترجمة السلطان بيبرس الجاشنكير :

ومعنى بيبرس = الفهد الأمير Baypars

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

كان السلطان **المنصور قلاوون** قد أكثر من شراء المماليك حتى بلغت عدة مماليكه **سبعة آلاف مملوك** , تأمر منهم كثير ، وتسلطنت جماعة .

وكان قد أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمائة من الآص والجركس ، وجعلهم في أبراج القلعة وسماهم البرجية .

ثم عظم دورهم في دولة المماليك الاولى فكان من هؤلاء **ركن الدين بيبرس الجاشنكير** .

لما قتل **الأشرف** تولي **بيبرس الجاشنكير** عقوبة القاتلين الذين حبسوا في خزانة البنود ليقروا على من كان معهم ، ثم أخرجوا وقطعت أيديهم بالساطور على قرم خشب بباب القلعة ، وسمروا على الجمال وقطعت أيديهم .

فلما تملك **الناصر** من بعده قعد **كتبغا** نائبا له فمسك البرجية وحبسهم .

(الصفدي – نزهة المالك والمملوك 173)

وكان من هؤلاء المحبوسين **بيبرس الجاشنكير** ، ثم أفرج عنه .

(لدواداري – الدرة الزكية 356)

وفي سلطنة **الناصر** الثانية , قام الأمير **بيبرس الجاشنكير** في دولته قياماً محموداً .

فيوم **شقحب** كان قائد **العسكر السلطاني** وكثيرا ما كان يستحث **السلطان** على الخروج للقاء العدو .

ويوم الواقعة وقف في **القلب** بجانب **السلطان** و **الخليفة والأمير سلار** فأبلى بلاءا حسنا .

وبعد العودة مظفرا سخط على **كاتبه** المعلم المناوي من أجل فراره إلى **غزة** في وقت الواقعة .

وهو الذي قام بإبطال **عيد الشهيد** بمصر , وذلك أن **النصارى** كان عندهم **تابوت** فيه إصبع يزعمون إنه أصبع بعض شهدائهم ، وأن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه التابوت ، فتجتمع نصارى أرض مصر من سائر الجهات إلى ناحية شبرا ، ويخرج أهل القاهرة ومصر ، وتركب النصارى الخيول للعب ، ويمتليء البر بالخيم ، والبحر بالمراكب المشحونة بالناس ، ولا يبقى صاحب غناء ولا لهو حتى يحضر ، وتتبرج النساء وكان **أهل شبرا** يوفون الخراج من الخمر من كثرة ما باعوه منه ، وتثور في هذا اليوم الفتن ويقتل عدة قتلى ، فأمر الأمير بيبرس بإبطال ذلك ، وألا يرمى التابوت في النيل ، وأخرج الحجاب والولي حتى منعوا الناس من الاجتماع ، بعد أن كتب إلى جميع الولاة بالنداء إلا يخرج أحد إلى عمل عيد الشهيد .

ويوم **الزلزلة العظيمة** خربت أكثر سواري **الجامع الحاكمي** وسقطت **مأذنتاه** ، فالتزم الأمير بيبرس الجاشنكير بعمارته وأوقف عليه الكثير .

وهو الذي عمر **الخانكاه الركنية** موضع دار **الوزارة برحبة باب العيد** ، ووقف عليها أوقافاً جليلة .

حج بيبرس الجاشنكير مرارا وعمل قائدا لركب الحج تكرارا .

جلس على تخت الملك في **يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة** , وذلك أنه لما أصبح **يوم السبت** جلس **الأمير** سلار **النائب** بشباك **دار النيابة** ، وحضر بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء واشتوروا فيمن يلي السلطنة .

فقال الأمير أقوش قتال السبع والأمير بيبرس الدواداري والأمير أيبك الخازندار ، وهم

أكابر **المنصورية** :

"**ينبغي استدعاء الخليفة والقضاة وإعلامهم** . فحضروا ، فقرئ عليهم كتاب **السلطان** ، وشهد عند **قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي** الأميران **عز الدين الخطيري والحاج آل ملك** ، ومن كان معهم من **الأمراء** ، بنزول **الملك الناصر** عن المملكة وترك سلطنة **مصر والشام** ، فأثبت ذلك .

وأعيد الكلام فيمن يصلح ، فأشار الأمراء الأكابر **بالأمير سلار** ، فقال : **نعم! على شرط أن كل ما أشير به لا تخالفوه وأحضر المصحف وحلفهم على موافقته ، وألا يخالفوه في شيء** .

فقلق البرجية و لم تبق إلا إقامتهم الفتنة ، فكفهم **الله** عن ذلك .

فقال **سلار** : **والله يا أمراء أنا ما أصلح للملك ، ولا يصلح له إلا أخي هذا وأشار إلى بيبرس الجاشنكير ، ونهض قائماً إليه** .

فتسارع **البرجية** وقالوا بأجمعهم : **صدق الأمير** ، وأخذوا بيد **بيبرس** وأقاموه كرهاً ، ومشى **سلار** والناس بين يديه . ولقب **بالملك المظفر** .

صار يبكي بحيث يراه الناس , وأظهر التغمم بما صار إليه ، **وتفرق الناس بعدما ظنوا كل ظن من وقوع الحرب بين السلارية والبيبرسية** .

وخلع على الأمير **سلار** خلعة النيابة على عادته ، بعدما استعفى وطلب أن يكون من جملة الأمراء ، حتى قال **بيبرس** له :

" **إن لم تكن أنت نائباً فلا أعمل أنا السلطنة ، وقامت عليه الأمراء** " .

(المقريزي – السلوك)

اثر جلوسه على **العرش** بادر **بيبرس** بكتابة **تقليد** يمنح **الناصر** محمد **الكرك** ظنا منه بأن

هذا الحل قد يصرفه عن التفكير في العودة الى ملكه ويرضي اتباعه ويكون مصيره كمصير **كتبغا** حين اعطاه **لاجين ولاية صرخد** .

واجهت **بيبرس** مشكلة تمثلت بان **الناصر** مازال يتمتع بعطف كبير من الناس داخل مصر وخارجها سواء كان من امراء الشام ومصر او كان من العامة الذين وقفوا في صفه وساندوه ضد **بيبرس** تاييدا **لبيت قلاوون** .

كل هذا أقلق مضجع بيبرس ونغص عليه حياته وجعله يعتقد ان عرشه قريب الزوال

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 254)

كتب **للملك الناصر** تقليد بنيابة **الكرك** ومنشور بإقطاع مائة فارس وقرن بهما كتاب **الملك المظفر** : **بأني أجبت سؤالك فيما اخترته ، وقد حكم الأمراء على فلم تمكن مخالفتهم ، وأنا نائبك وخرج بها الأمير الحاج آل ملك فلما وصل إليه أظهر البشر ، وأمر الحراس أن يصيحوا باسم الملك المظفر** ، وخطب له يوم الجمعة على منبر الكرك ، فسر **المظفر** بذلك .

ولكن الناصر وجد ناصرا ومعينا للعودة الى ملكه وملك ابيه واخيه . فقد راسله " **قراسنقر** نائب **حلب وقبجق** نائب **حماة واسندمر** نائب **طرابلس** " وأكدا له مناصرته

لم يقف تأييد الامراء **للناصر** عند ذلك الحد بل كانوا ثابتين على ولائهم لبيت **قلاوون** لا يتزحزحون عن موقفهم ولا يرضون عن ابنه **الناصر** بديلا بل اجتمعوا في **حلب** وقرروا مكاتبة الناصر يستاذنونه في القدوم عليه في **الكرك** ليعرضوا عليه مساعدتهم .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 241)

وبعد فترة أختار مدتها **الناصر** بمكر وتدبير , فلما أجتازها شرع **ابن قلاوون** في ان يسلك طريق العودة .

غادر **الناصر الكرك** الى **دمشق** ليستوثق من الامراء **18شعبان 709** هـ وسط ابتهاج الناس , وخطب له فيها وقدم له نائبها **الافرم** الطاعة كما بايعه امراء **طرابلس وحماة وحلب** ثم غادرها **يوم الثلاثاء** متوجها الى **القاهرة**

(ابن كثير – البداية والنهاية 52/14)

قدم الخبر إلى القاهرة باستيلاء **الملك الناصر على دمشق** بغير قتال ، فقلق **الملك المظفر** ، واضطربت الدولة ، وخرجت عساكر مصر شيئاً بعد شيء تريد اللحاق **بالملك الناصر** ، حتى لم يتأخر عند **الملك المظفر** بديار مصر إلا خواصه وألزامه .

لكن الزمام قد فلت من يده خصوصا بعدما فر جل امرائه وعسكره والتحقوا بالناصر .

استدعى الملك المظفر الأمراء كلهم ، واستشارهم فيما يفعل . فأشار **الأمير بيبرس الدودار والأمير بهادر آص بنزوله عن الملك .**

ثم اضطرب **المظفر** آخر النهار ، ودخل الخزائن ، فأخذ من المال والخيل والهجن ما أحب ، وخرج في يومه من باب الإسطبل في مماليكه

خطب على منابر القاهرة ومصر باسم **الملك الناصر** ، وأسقط اسم **الملك المظفر** ، فكانت أيامه في السلطنة عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ، فكان كما قيل :

أعجلتها النوى فما نلت منها . . . طائلاً غير نظرة من بعيد

(المقريزي – السلوك)

مازالت المطاردة مستمرة , لم يتركه الناصر حتى امسكه , ففي ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذي القعدة قدم **أسندمر كرجي بالملك المظفر** .

فلما مثل **المظفر** بين يدي **السلطان** قبل الأرض ، فأجلسه وعنفه بما فعل به ، وذكره بما

كان منه وعدد ذنوبه .

ثم أمر **السلطان** به إلى مكان ، وكان ذلك ليلة الخميس ، فاستدعى بوضوء وصلى العشاء الآخرة . ثم جاء **السلطان** وأمر به فقتل , وغسل به **في ليلة الجمعة خامس عشرة** ، ودفن خلف القلعة .

ومعنى اسم بيبرس أمير فهد .

(عبد الله عطية – معجم اسماء امراء وسلاطين المماليك 76)

2. حوليات الملك المظفر :

- **سنةثمان وسبعمائة** ،
- **في يوم السبت ثالث عشرى شوال** جلس على تخت الملك **ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري** وكتب له تقليد السلطنة من إنشاء **علاء الدين على بن عبد الظاهر**
- **وفيه** : ورد الخبر بأن متملك **قبرص** اتفق مع جماعة من ملوك **الفرنج** على **عمارة ستين قطعة لغزو دمياط**
- **وفيها** : **مات الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس** ، ومات ولده قبله بيوم .
- **سنة تسع وسبعمائة**
- **وفيها بنى الأمير برغلي على ابنة السلطان**
- **وفيه** : قدم الخبر بان **الملك الناصر** كثير الركوب للصيد ببلاد الكرك في مماليكه ، فتخيل الملك المظفر من ذلك وخشي عاقبته .

- **وفيها** : قدم الخبر بحركة **خربندا** للسير إلى الشام ، فكتب إلى **الملك الناصر بحركة خربندا** ، أنه قد دعت الحاجة إلى المال فليرسل ما أخذه من مال مصر

- وفيها قدم **السلطان البرجية** أمر منهم جماعة كبيرة ، وأراد أن يؤمر جماعة **الأمير سلار** فلم يوافق على ذلك ، وحلف بأيمان مغلظة أنه لا يمكن أحداً منهم أن يتأمر .

- **وفيها** ندب السلطان **الأمير سيف الدين الشيخي أحد البرجية** ، وتقدم إليه ألا يراعي أحداً من خشداشيته ، ولا يدع بيتا بمصر والقاهرة من بيوت أعلى الناس وأدناهم يبلغه أن فيه خمراً إلا ويكبسه ويكسر ما فيه .

- **وفي ربيع الأول** : كثر الإرجاف بحركة التتر ، فبرز الدهليز السلطاني إلى الريدانية .

- **وفيها** : فشا بالناس أمراض حادة ، وعم الوباء ، وطلبت الأدوية والأطباء ، وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى .

- **وفيها** توقفت زيادة النيل وغنت عامة مصر : **سلطاننا ركين** ، **ونائبنا دقين** ، **يجينا الماء منين . جيبوا لنا الأعرج** ، **يجي الماء ويدحرج** "

- وفيها ابتدأ اضطراب دولة **السلطان الملك المظفر** : وذلك أنه كثر توهمه من **الملك الناصر** ، وخيله الأمراء وحذروا السلطان منه . وحسنوا له القبض عليه ، فجبن **بيبرس** عن ذلك ، ثم مازالوا به حتى بعث الأمير مغلطاي إلى **الملك الناصر** ، ليأخذ منه الخيل والمماليك التي عنده .

- **وفي رجب** : قدم الأمير **بهادر آص** من **دمشق** على البريد يحث **السلطان** على الخروج بنفسه ، فإن النواب قد مالوا كلهم مع **الملك الناصر** ،

- **شعبان** : سار **الملك الناصر** بمن معه يريد **دمشق** ،

● **وفيه** : نادى : معاشر أهل الشام! ما لكم **سلطان إلا الملك المظفر** فصرخ الناس بأسرهم : لا! لا! ما لنا سلطان الا **الناصر** .

● **وفيه** : خطب **بدمشق** للملك **الناصر** ، فكان يوماً مشهوداً .

● **وفيه** : قدم الخبر إلى القاهرة باستيلاء **الملك الناصر على دمشق** بغير قتال ، فقلق **الملك المظفر** ، واضطربت الدولة ، وخرجت عساكر مصر شيئاً بعد شيء تريد اللحاق **بالملك الناصر** ، حتى لم يتأخر عند **الملك المظفر** بديار مصر إلا خواصه وألزامه .

● **وفي رمضان** : قبض على جماعة من العوام ، وضربوا وشهروا لإعلانهم بسب **الملك المظفر** ، فما زادهم ذلك إلا طغياناً ،

● **يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان** : **استدعى الملك المظفر** الأمراء كلهم ، واستشارهم فيما يفعل . فأشار **الأمير بيبرس الدوادار والأمير بهادر آص بنزوله عن الملك** ثم اضطرب **المظفر** آخر النهار ، ودخل الخزائن ، فأخذ من المال والخيل والهجن ما أحب ، وخرج في يومه من باب الإسطبل في مماليكه .

● وفي **يوم الجمعة تاسع عشره** : خطب على منابر القاهرة ومصر باسم **الملك الناصر** ، وأسقط اسم **الملك المظفر** .

3. مجريات الملك المظفر بيبرس :

1) الجاشنكير والاخطار الخارجية :

ورد الخبر بأن متملك قبرص اتفق مع جماعة من ملوك الفرنج على عمارة ستين قطعة لغزو دمياط ، فجمع **السلطان** الأمراء وشاورهم ، فاتفقوا على عمل جسر ماد من القاهرة إلى دمياط خوفاً من نزول الفرنج أيام النيل ، وندب لذلك الأمير **جمال الدين أقوش الرومي**

الحسامي ، وأمر ألا يراعي أحداً من الأمراء في تأخير رجال بلاده ، وما زال يجتهد في العمل حتى نجز في اقل من شهر ، وكان ابتداؤه من قليوب وأخره بدمياط ، يسير عليه الراكب يومين .

وقدم الخبر بحركة **خربندا** ملك التتر للسير إلى بلاد الشام .

فكثر الإرجاف بحركة التتر ، فبرز الدهليز السلطاني إلى الريدانية .

(المقريزي – السلوك)

2) الجاشنكير وابطال الخمور :

برزت المراسيم السلطانية الى نواب البلاد الساحلية بابطال الخمور وتخريب الحانات ونفي اهلها ففعل ذلك ففرح المسلمون فرحا كثيرا .

أمر **السلطان** ألا يراعي أحداً من **خشداشيته** ، ولا يدع بيتا **بمصر والقاهرة** من بيوت أعلى الناس وأدناهم يبلغه أن فيه خمراً إلا ويكبسه ويكسر ما فيه .

فعين لذلك **الأمير سيف الدين الشيخي** فطلب والي **القاهرة** ومقدميها وأصحاب الأرباع ، وسألهم عن مواضع الخمر فلم يجيبوه فضرب جماعة منهم بالمقارع حتى دلوه على من عنده خمر ، فكان فيهم عدة من **الأمراء والكتاب والأجناد والتجار** ، وأخذ في كبس البيوت : **فكان الرجل لا يشعر إلا وقد هجم عليه لتفقد مطامير الخمر وإخراجها ، فإذا ظفر بها كسر سائر ما فيها .**

وأخذ الناس يدل بعضهم على بعض ، وتشفي جماعة من أعاديهم بذلك . وكبست أيضاً دور **اليهود والنصارى** ، وأريق ما فيها من الخمور وتعدي الأمر دون الأمراء ، فكبست دور من عرف بشرب الخمر منهم ، ومنها دار الأمير **علاء الدين مغلطاي المسعودي** أحد أمراء الألوف من **البرجية** . فأزال الله بذلك فساداً كبيراً .

(المقريزي – السلوك 430/2)

3) الجاشنكير والوباء :

فشا بالناس أمراض حادة ، وعم الوباء ، وطلبت الأدوية والأطباء ، وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى ، توقفت زيادة النيل **وغنت عامة مصر** : **سلطاننا ركين** ، **ونائبنا دقين** ، **يجينا الماء منين, جيبوا لنا الأعرج** ، **يجي الماء ويدحرج** " .

(المقريزي – السلوك 430/2)

4) بيبرس والناصر محمد :

ان السلطان الناصر عندما تنازل عن العرش لم يكن زاهدا بالسلطنة ولكنه آثر الانتظار في الكرك الى ان تتضح الامور وعندئذ يستطيع ان يسترد ملكه بسهولة .

(عاشور – العصر المماليكي 115)

الذهاب الى الكرك :

لما وصلت كتب **السلطان الناصر** بترك السلطنة, اجتمع الامراء على الامير **سلار** فخاف **سلار** وخشي العاقبة واختار **ركن الدين بيبرس الجاشنكير** وكانت البرجية تختاره وبويع له بعد ان اثبت كتاب **الملك الناصر** على القضاة بديار مصر .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 53/5)

ولما بلغ امراء مصر اقامة **الملك الناصر** في الكرك وتركه السلطنة طلبوا الدرج الذي فيه علامة **الملك الناصر** فاحضر لهم فكتبوا على بعضه :

بسم الله الرحمن الرحيم . . من اخيكم محمد بن قلاوون الذي يعلم به الامراء المقدمون والنواب والاجناد والقضاة والعلماء والعامة واهل السواد انني نزلت عن

السلطنة لعجزي عن القيام بمصالحها وشروطها وسلوك واجبتها والمسلمون بلا سلطان لا يكون فليختاروا لهم سلطانا وانا لهم موافق على ذلك .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 55/5)

فلما قرئ على الامراء الحاضرين :

" **اني صحبت الناس عشر سنين ثم اخترت المقام بالكرك** . تباكى جماعة من الامراء ثم بايعوا مكرهين .

ثم طلب في الحال الامراء والقضاة والعلماء ثم اخرج كتاب **بيبرس** يذكر فيه ان **السلطان** عزل نفسه من السلطنة وان امراء مصر وعلمائها وقضاتها قد عاقدوني على السلطنة .

فأما القضاة فوافقوه جميعا الا شيخ الاسلام **ابن تيمية** .

وكذلك لم يوافق قاضي قضاة الحنابلة بدمشق .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 64/5)

كان **المظفر بيبرس** قد طلب **ابن تيمية** من حبس الاسكندرية ليوافق علماء مصر في الحلف له . فلما حضر بين يديه قال له **المظفر** هل تعلم لأي شئ طلبناك ؟ فقال : **الله** اعلم .

قال : لان **السلطان الناصر** قد خلع نفسه من السلطنة واتفق المسلمون بأجمعهم وبايعوني على السلطنة وقد بقيت انت .

فقال له : **ومن يشهد على السلطان الملك الناصر بأنه نزل عن السلطنة ؟**

فقال عندنا كتاب بخط يده , **فقال اين الكتاب** ؟ فقرأه من اوله الى اخره ورفع رأسه وقال : **ومن يشهد بأن هذا خطه بيده بعزل نفسه** ؟ فقال **المظفر** : احضروا من يشهد فاحضروا **علاء الدين بن عبد الظاهر** فقال له الشيخ : **يا علاء الدين انت تشهد بان**

هذا الخط خط الناصر؟ فقال : بل اشهد بان هذا علامته . فقال لهم : **نحن نطلب من يشهد بان هذا خطه** فقال المظفر وقد امتلأ غيظا : عندي من يشهد على لسان الناصر بأنه خلع نفسه , فطلبوا بلبان الدمشقي والبرواني فلما حضرا قدام الشيخ تقي الدين **لهما اتشهدان ؟**

فقالا نشهد على الملك الناصر انه خلع نفسه من السلطنة لعجزه عن القيام بواجبها , فقال الشيخ : **من انتما** ؟ قالا : نحن من امراء مصر من مماليك الملك المنصور . فقال : **الكما عتاقة من** المنصور ؟ قالا لا .

فقال : **لا تجوز شهادة العبد على مولاه وانتما في العبودية فلا تجوز شهادتكما على ابن استاذكما** , فاغتاظ الملك المظفر وقال ودوه لموضع كان فيه فردوه الى حبس الاسكندرية .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 64/5)

ثم سير خط الناصر الذي كتبه بيده وعليه خطوط علماء مصر وانتظر حلف الامراء وارسال نسخ الايمان فأجاب جميع الامراء بالسمع والطاعة وسكت منهم اربعة لم يتحدثوا بشئ وهم **بيبرس العلائي وبهادر اص واقبغا الظاهري وبكتمر حاجب الحجاب .**

فطلب **الافرم** هؤلاء الامراء الاربع وقال لهم :

اعلموا ان هذا الامر قد انفصل ولم يبق لنا ولا لغيرنا فيه مجال وانتم تعلمون ان كل من يجلس على كرسي مصر هو **السلطان** ولو كان عبدا حبشيا فما انتم بأعظم من امراء مصر وربما يبلغ هذا اليه فيغلظ قلبه عليكم , ولم يزل يلاطفهم حتى حلفوا ثم حلف باقي الامراء

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 56/5)

ثم ارسل **الافرم** الى **قفجق** في **الشام** فلما قرأ كتابه قال :

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اي شئ يجري من ابن استاذنا حتى عزل نفسه فوالله لقد دبرتم اشأم التدبير هذه والله نوبة لاجين ثم قال لمملوك الافرم اذهب الى استاذك وقل له الان بلغت مرادك وسوف تبصر من يصبح ندمان وفي امره حيران اش كانت العجلة في هذا الامر ؟

اجتمع امراء الشام **قفجق واسندمر وقراسنقر** كلهم في دار **قراسنقر** , فقال لهم **قرا سنقر** ما تقولون في هذه القضية التي جرت ؟

قال **قفجق** : **والله** لقد جرى امر عظيم وان لم نحسن التدبير نقع في بحر المقادير فهذه دولة سلبت من ابن استاذنا واخذها **بيبرس** ويكون **الافرم** مدبر الدولة وهو على كل حال عدونا ولا نأمن شره . **قالوا فما نفعل ؟**

قال : الرأي ان نكتب الى ابن استاذنا في **الكرك** ونطلبه الى حلب .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 57/5)

وحينئذ نركب معه فإما ان ناخذ له الملك واما ان نموت على خيولنا .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 238/8)

قال **اسندمر** هذا هو الكلام . **فحلف ثلاثتهم انهم على هذا , كلام واحد ولا يقطع احدا امرا الا بمشورة اصحابه .**

ثم **عين قراسنقر** ابنه **ناصر الدين محمد** ان يذهب بكتاب ثلاثتهم الى **الناصر محمد بالكرك** .

فلما وصل اليه اخبره ان ابيه **وقفجق واسندمر** على قلب واحد وبأنهم مقيمون على الايمان التي حلفوها **للناصر** ثم دفع بكتب الثلاثة اليه فقرأها , فقال : يا **محمد** ما لهم

قدرة على ما اتفقوا عليه لأن كل من في مصر والشام قد اتفقوا على سلطنة المظفر بيبرس والقائل يقول :

كن جريا اذا رأيت جبانا وجبانا اذا رأيت جريا

لا تقاتل بواحد اهل بيت فضعيفان يغلبان قويا

وهذه البلاد كلها دارت مع بيبرس ولا يتم لنا الحال الا بحسن التدبير والمداراة والصبر على الامور . ثم ارسل اليهم رسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم , حرس الله تعالى نعمة المقر العالي الشمسي ومتعنا بطول حياته : **اريد منك ان تطول روحك علي فهذا الامر ما ينال بالعجلة فأنك قد علمت انتظام امرء مصر والشام في سلك واحد ولا سيما الافرم ومن معه من اللئام فهذه عقدة لاتنحل الا بالصبر وان حضر اليك احد من جهة المظفر ويطلب منك اليمين له فقدم النية بأنك مجبور ومغصوب واحلف , ولا تقطع كتبك عني في كل وقت وعرفني ما يجري من الامور قليلها وكثيرها .**

وكذا كان في كتاب اسندمر وقفجق .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 62/5)

عملا بمشورة سلار ونتيجة لما آلت اليه مواقف الامراء المعارضين رأى المظفر ان من حسن السياسة ان لا يشتد في معاملتهم وان يكاتبهم في محاولة لاستمالتهم والعمل على كسب تأيدهم .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك)

وصل كتاب المظفر بيبرس الى قرا سنقر فيه :

" من الملك المظفر الى قرا سنقر انت خشداشي ولو علمت ان هذا الامر صعب عليك

ما عملت شيئا حتى ارسلت اليك واعلمتك به لان ما في المنصورية اكبر منك غير انه لما نزل ابن استاذك عن الملك اجتمع الامراء والقضاة وكافة الناس واتفقوا وقالوا مالنا **سلطان** الا انت وانت تعلم ان البلاد لا تكون الا بسلطان فلو لم اتقدم انا كان غيري تقدم وقد وقع ذلك فاجعلني واحد منكم ودبرني برأيك وهذه حلب لك وكذا لخشداشيتك الامير **قفجق** والامير **اسندمر** فحماة للامير **قفجق** وطرابلس للامير **اسندمر**".

أرسل **قرا سنقر** الى **قفجق واسندمر** يعلمهما بذلك , فأتفقوا ان يحلفوا وهم مكرهون على ذلك فحلفوا بهذه النية .

عند ذلك فرح المظفر فرحا عظيما وقال الان تم لي الملك ثم شرع في كشف احوال البلاد وازالة المظالم والنظر في احوال الرعية .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 62/5)

قوي جانب السلطان لما ارسل المظفر الى الامراء المناوئين ان يقرهم على ما تحت ايديهم فحلفوا له وبعثوا اليه بنسخة اليمين فتم له الملك .

(ابن تغري بردي – النجوم 242/8)

ولكن كل هذا يجري طبقا لما رسمه الناصر وتمناه , تظاهر الامراء بالدخول في طاعة المظفر منتظرين تحين الفرصة للتخلص منه .

فلما قدم الخبر بحركة **خربندا** للسير إلى بلاد الشام ، كتب **بيبرس** إلى **الملك الناصر** بحركة **خربندا** ، وقال : قد دعت الحاجة إلى المال فيرسل ما أخذه معه من مال مصر ، وما استولى عليه من حاصل الكرك ، ومن عنده من المماليك ولا يدع عنده منهم سوى عشرة برسم الخدمة ، ويرسل الخيول التي قادها من مصر ، ومتى لم يفعل خرجت إليه العساكر حتى تخرب الكرك عليه .

لما وصل الرسول الى الكرك وسلم الناصر الكتاب رد عليهم بكتاب اشار فيه بالتريث والصبر لان هذا الامر لا ينال بالعجلة . رأى **الناصر** أن المغالطة أولى ، وكتب الجواب :

"المملوك محمد بن قلاوون يقبل الأرض ، وينهي أنه ما قصد الإقامة إلا طلباً للسلامة ، وإن مولانا السلطان هو الذي رباني ، وما أعرف لي والداً غيره ، وكل ما أنا فيه فمنه وعلى يديه ، والقدر الذي أخذته من الكرك لأجل ما لا بد لي فيه من الكلف والنفقة . وقد امتثلت المرسوم الشريف وأرسلت نصف المبلغ الذي تأخر عندي امتثالا لأمر مولانا السلطان ، وأما الخيل فقد مات بعضها ، و لم يبق إلا ما أركبه؛ والمماليك فلم أترك عندي إلا من اختار أن يقيم معي ، ممن هو مقطوع العلائق من الأهل والولد ، فكيف يحل لي أن أخرجهم . وما بقي إلا إحسان مولانا السلطان .

وكتب **الناصر** بأعلى الكتاب : **الملكي المظفري** ، وخلع على **مغلطاي** ودفع إليه الكتاب ، وحمل معه مائتي ألف درهم ، وأعاده وقد حمله مشافهة بمعني جوابه ، فقنع **السلطان المظفر بيبرس** بذلك .

وبعث اليه بمائتي الف درهم وقال ما عندي الا هذا القدر .

(بدر الدين العيني – عقد الجمان 67/5)

في الطريق الى العودة :

وقدم الخبر بأن **الملك الناصر** كثير الركوب للصيد ببلاد الكرك في مماليكه ، فتخيل **الملك المظفر** من ذلك وخشي عاقبته .

ساند العامة **الناصر** وسانده كثير **من امراء مصر** وكاتبوه طوال مدة اقامته في **الكرك** ,

حتى وصل جماعة من **المماليك** الى **الكرك** بزعامة الامير **نوغاي** تاركين اموالهم واهلهم والتفوا حول **الناصر** .

انهم طوع يديه ومماليك ابيه متى اراد ان يتحرك للتوجه الى الديار المصرية .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 255/8)

وكان **سيف الدين نوغاي** شجاعاً مقداماً حاد المزاج قوي النفس ، واعده جماعة من المماليك السلطانية أن يهجم بهم على **السلطان الملك المظفر بيبرس** إذا ركب ويقتله فلما نزل إلى بركة الجب استجمع **نوغاي** بمن وافقه يريدون الفتك **بالسلطان** وتقرب **نوغاي** من **السلطان** قليلاً قليلاً ، وقد تغير وجهه وظهر فيه أمارات الشر ، ففطن به خواص **السلطان** وتحلقوا حوله ، فلم يجد **نوغاي** سبيلاً إلى ما عزم عليه .

فواعد **نوغاي** أصحابه على اللحاق بالملك **الناصر** ، وخرج هو ونحو ستين مملوكاً .

وقد اشتد خوف **الملك المظفر** وكثر خياله ، فقبض على جماعة تزيد عدتهم على ثلاثمائة مملوك ، وأخرج أخبازهم وأخباز المتوجهين إلى **الكرك** لمماليكه .

اخذ **الناصر** يكثف جهودة مع الناس في الشام فأكثر من الركوب للصيد ويجتمع مع ذوي الرأي والعامة ليمهد طريق العودة .

ارسل **بيبرس** الى **الناصر** كتابا يهدده فيه ويتوعده اذا لم يكف عن الاتصال بالامراء ويطالبه بإرسال ما عنده من **الخيل والمماليك** وما جمعه من **اموال** من **الكرك** وهدده بالنفي الى **القسطنطينية** اذ لم يلبي طلبه .

(ابن اياس – بدائع الزهور 426/1)

فابتدأ اضطراب دولة **السلطان الملك المظفر** . وكثر توهمه من **الملك الناصر** ، وخيله الأمراء وحذروا السلطان منه . وحسنوا له القبض عليه ، فجبن **بيبرس** عن ذلك ، ثم مازالوا به حتى بعث الأمير **مغلطاي** إلى **الملك الناصر** ، ليأخذ منه الخيل والمماليك التي عنده . وتغلظ **مغلطاي** في القول ، فغضب **الملك الناصر** من ذلك غضباً شديدًا ،

وقال له : **أنا خليت ملك مصر والشام لبيبرس ، وما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندي أو مملوك لي ، ويكرر الطلب؟ ارجع إليه ، وقل له والله لئن لم يتركني وإلا دخلت بلاد التتر ، وأعلمتهم أني قد تركت ملك أبي وأخي وملكي لمملوكي ، وهو يتبعني ويطلب مني ما أخفيته** . فجافاه **مغلطاي** وخشن في القول ، فاشتد غضب الملك **الناصر** وصاح به : **ويلك! وصلنا إلى هنا؟** وأمر أن يجر ويرمى من سور القلعة .

فثار به المماليك يسبونه ويلعنونه ، وأخرجوه إلى السور ، فلم يزل به الأمير **أرغون الدوادار** والأمير **طغاي** إلى أن عفا عنه **الناصر** وحبسه ، ثم أخرجه ماشياً إلى الغور ، وامتعض **مغلطاي** عند ذلك مما حل به .

وكتب **الناصر** إلى نواب **الشام بحلب وحماة وطرابلس وصفد** ، وإلى أمراء مصر ممن يثق به :

" أنه ترك ملك **مصر** ، مما كان فيه من ضيق اليد وقلة الحرمة وقنع بالإقامة في **الكرك** ، وأن **السلطان الملك المظفر** في كل قليل يرسل يطالبه بالمال ثم بالخيل ثم بالمماليك ، وقال لهم : **أنتم مماليك أبي وربيتموني . فإما أن تردوه عني وإلا أسير إلى بلاد التتار وتلطف في مخاطبتهم غاية التلطف ، وسير إليهم العربان ، بها فأوصلوها إلى أربابها** .

كتب **الأمير قرا سنقر** الجواب : **بأني مملوك السلطان في كل ما يرسم به وسأل أن يتوجه إليه أحد المماليك السلطانية** ، وكتب الأمير **قبجق المنصوري** نائب **حماة** الجواب : بأني مع **الأمير قراسنقر** .

فبعث **الناصر** مملوكه **أيتمش المحمدي** ، إلى الأمير **سيف الدين قطلوبك المنصوري** ، والأمير **بكتمر الحسامي الحاجب** ، بدمشق .

وقدم **أيتمش** دمشق في خفية فقال بحضرة الأمراء :

السلطان الملك الناصر يسلم عليكم ، ويقول ما منكم أحد إلا وأكل خبز الشهيد والده وخبزه ، وما منكم إلا من إنعامه عليه . وأنتم تربية الشهيد والده ، وأنه قاصد الدخول إلى دمشق والإقامة فيها . فإن كان فيكم من يقاتله ويمنعه العبور فعرفعوه .

فلم يتم هذا القول حتى صاح **عز الدين أيدمر الكوكندي الزراق** أحد أمراء **دمشق وابن أستاذه** ، وبكى . فغضب **الأفرم** نائب **الشام** عليه وأخرجه ، ثم قال **لأيتمش** :

قل له كيف تجيء إلى الشام ، أو إلى غير الشام ، كأن الشام ومصر الآن تحت حكمك؟ أنا لما أرسل إلينا **السلطان الملك** أن أحلف له ما حلفت حتى سيرت أقول له : **كيف يكون ذلك وابن أستاذنا باق؟** فأرسل يقول : **أنا ما تقدمت عليه حتى خلع ابن أستاذنا نفسه ، وكتب خطه وأشهد عليه بنزوله عن الملك ، فعند ذلك حلفت له** . ثم في هذا الوقت تقول من يردني عن الشام؟

وقال له : **قل له لا يذكر الخروج من الكرك ، وأنا أكتب إلى الملك المظفر وأرجعه عن طلب الخيل والمماليك ، وخلى عنه ليعود إلى الكرك .**

فقدم **أيتمش** على الملك **الناصر** وحدثه بما جرى له فأعاده ليجتمع **بقراسنقر** ، ويواعده على المسير إلى دمشق .

.هذا وقد اشتهر **بالقاهرة** حركة الملك **الناصر** وخروجه من **الكرك** . فكثر قلق الملك **المظفر** ، وزاد توهمه ونفرت مع ذلك قلوب جماعة من الأمراء والمماليك ، وخشوا على أنفسهم ، واجتمع كثير من المنصورية والأشرفية والأويراتية ، وتواعدوا على الحرب ، وخرج منهم مائة وعشرون فارساً بالسلاح ، وساروا إلى **الملك الناصر** .

ومضى المماليك على حمية إلى **الكرك** . فعظم الخطب على **السلطان** ،

وأما **أيتمش المحمدي** فإنه سار إلى حماة ، واجتمع بالأمير **قبجق** نائبها ، فأحال **قبجق**

الأمر على الأمير قرا سنقر نائب حلب ، وأنه معه حيث كان . فسار أيتمش إلى حلب ، واجتمع بقرا سنقر ، فأكرمه ووافق على قيام الملك الناصر ، ودخل في طاعته ، ووعده على السير إلى دمشق , وكتب قرا سنقر إلى الأفرم نائب دمشق يحثه على طاعة الملك الناصر ويرغبه ، وأشار بمكاتبة الملك الناصر للأمير بكتمر الجوكندار نائب **صفد** ، والأمير كراي المنصوري **بالقدس** ، ونائب **طرابلس** .

فلما عرفه أيتمش طاعة الأمير قرا سنقر والأمير قبجق أجاب بالسمع والطاعة ، وأنه على ميعاد النواب إلى المضي إلى الشام ، فأعاد أيتمش جوابه على الملك الناصر فسر به .

(المقريزي – السلوك)

التحرك الى دمشق :

وكتب الأفرم إلى الملك المظفر يحثه على إخراج العسكر المصري ، ليجتمع مع عسكر دمشق على قتال الملك الناصر ، وأنه قد جدد اليمين له ، وحلف أمراء دمشق أنهم لايخونون الملك المظفر ولا ينصرون الملك الناصر وأن نائب حلب وغيره من النواب قد دخلوا في طاعة الملك الناصر .

فلما قرأ الملك المظفر كتاب نائب الشام اضطرب وزاد قلقه .

ثم بدا للمظفر ان يجمع الخليفة والامراء ويجدد له الأيمان ,فكتب له عهد جديد عن الخليفة أبي الربيع ، ونسخته : إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين أبي الربيع سليمان بن أحمد العباسي لأمراء المسلمين وجيوشها :" **يأيها الذين آمنوا أَطيعوا الله وأَطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** " **وإني رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك** المظفر ركن

الدين نائباً عني لملك الديار المصرية والبلاد الشامية ، وأقمته مقام نفسي لحينه وكفايته وأهليته ، ورضيته للمؤمنين ، وعزلت من كان قبله بعد علمي بنزوله عن الملك ، واعلموا رحمكم الله أن الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا كابر عن كابر . وقد استخرتُ الله تعالى ؛ ووليت عليكم الملك المظفر ، فمن أطاعه فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني ، ومن عصاني فقد عصي أبا القاسم ابن عمي صلى الله عليه وسلم .

وبلغني أن الملك الناصر بن الملك المنصور شق العصا على المسلمين ، وفرق كلمتهم وشتت شملهم ، وأطمع عدوهم فيهم ، وعرض البلاد الشامية والمصرية إلى سبي الحريم والأولاد وسفك الدماء ، وتلك دماء قد صانها الله من ذلك .

وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمر على ذلك ، وأدفع عن حريم المسلمين وأنفسهم وأولادهم هذا الأمر العظيم ، وأقاتله حتى يفيء إلى أمر الله تعالى . وقد أوجبت عليكم يا معاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائي اللواء الشريف فقد اجتمعت الحكام على وجوب دفعة وقتاله إن استمر على ذلك ، وأنا مستصحب معي لذلك السلطان الملك المظفر ، فجهزوا أرواحكم والسلام .

قرئ على منابر الجوامع **بالقاهرة** في **الجامع الأزهر وبجامع الحاكم** ، وقت الخطبة في يوم **الجمعة** . فلما بلغ القارئ إلى ذكر **الملك الناصر** صاحوا : **لا ما نريده ، ووقع في القاهرة ضجة وحركة بسبب ذلك .**

ولكن **المظفر** قد رأى هذا فتحا عظيما , فراح يرسل نسخة البيعة الجديدة لانصاره يشد بها عضدهم , فأرسل الى زوج **ابنته برغلي** قائد عساكره المجردة الى **الناصر محمد** في الشام قائلا:

لا تخش من شيء ، فإن **الخليفة** أمير **المؤمنين** قد عقد لنا بيعة ثانية ، وجدد لنا عهداً ، وقد قرئ على المنابر ، وجددنا اليمين على الأمراء ، وما بقي أحد يجسر أن يخالف ما كتب به أمير **المؤمنين** . ثم دفع **المظفر** إليه **العهد الخليفتي** ، وقال : **امض به إليه حتى يقرأه على الأمراء والجند ، ثم يرسله لي ، فإذا فرغ من قرائته يرحل بالعساكر إلى الشام .**

فلما قرئ على **برغلي** الكتاب وانتهي إلى قوله : وإن **أمير المؤمنين** ولاني تولية جديدة ، وكتب لي عهدًا ، وجدد لي بيعة ثانية ، فتح **برغلي** العهد فإذا أوله :

إنه من **سليمان** ، فقال : **ولسليمان** الريح ، ثم التفت إلى **بهادر** وقال له : **قل له يا بادر الذقن! والله ما معي أحد يلتفت إلى الخليفة ، ثم قام وهو مغضب .**

شاع بين الناس **بدمشق** سير الملك **الناصر** من **الكرك** ، فثارت العوام وصاحوا : **نصره الله** .

وركب الأجناد إلى النائب ، فاستدعى من بقي من الأمراء والقضاة ، ونادى : **معاشر أهل الشام! ما لكم سلطان إلا الملك المظفر فصرخ الناس بأسرهم : لا لا ما لنا سلطان إلا الملك الناصر .**

وتسلل العسكر من دمشق طائفة بعد طائفة إلى **الملك الناصر** ، وانفرط الأمر من **الأفرم** .

فركب الأمير **قطلوبك** والأمير **الحاج بهادر** عندما سمعا الخبر ، وتوجها إلى الملك **الناصر** فسر بهما ، ثم قدم إليه **الجاولي وجوبان** ، ثم خرج إليه بقية الأمراء ، وقد عمل له سائر شعائر السلطنة من الصناجق الخليفتية والسلطانية والعصائب والجتر والغاشية .

سار يريد المدينة ، فدخلها بعدما زينت زينة عظيمة . وخرج جميع الناس إلى لقائه ,

فتوجه السلطان حتى نزل بالقصر الأبلق من الميدان .

كتب إلى الأفرم أمان ، وتوجه به علم الدين الجاولي . فلم يثق بذلك ، وطلب يمين السلطان له ، فحلف السلطان وبعث إليه بنسخة الحلف صحبة الأمير الحاج أرقطاي الجمدار ، فما زال به حتى قدم معه هو وابن صبح ، فركب السلطان إلى لقائه ، حتى إذا قرب منه نزل كل منهما عن فرسه . فأعظم الأفرم نزول السلطان له ، وقبل الأرض ، وكان قد لبس كاملية وشد وسطه وتوشح بنصفية ، يعني أنه حضر بهيئة البطال من الإمرة ، وكفنه تحت إبطه وعندما شاهده الناس على هذه الحالة صرخوا بصوت واحد : **يا مولانا السلطان بتربة والدك الشهيد لا تؤذيه ، ولا تغير عليه ، فبكي سائر من حضر** . وبالغ السلطان في إكرامه ، وخلع عليه وأركبه ، وأقره على نيابة دمشق ، فكثر الدعاء له وسار الناصر إلى القصر . فلما كان الغد أحضر الأفرم خيلاً وجمالاً وثياباً بمائتي ألف درهم ، تقدمة للسلطان .

خطب بدمشق للملك الناصر ، وصليت الجمعة بالميدان ، فكان يوماً مشهوداً .

وقدم الخبر إلى **القاهرة** باستيلاء الملك الناصر على **دمشق** بغير قتال ، فقلق الملك المظفر ، واضطربت الدولة ، وخرجت عساكر مصر شيئاً بعد شيء تريد اللحاق بالملك الناصر ، حتى لم يتأخر عند الملك المظفر بديار مصر إلا خواصه وألزامه .

قدم الأمير بهادر آص من دمشق على البريد يحث السلطان على الخروج بنفسه ، فإن النواب قد مالوا كلهم مع الملك الناصر ،

فأجاب بأنه لا يخرج ، واحتج بكراهيته للفتنة وسفك الدماء ، وأن الخليفة قد كتب بولايته وعزل الملك الناصر ، فإن قبلوا وإلا ترك الملك .

(المقريزي – السلوك)

النهاية :

لم يتأخر عند الأمير **برغلي** من الأمراء والأجناد سوى خواص الملك **المظفر** ، فتشاور مع جماعته ، فاقتضى رأيه ورأى الأمير **أقوش** نائب الكرك اللحاق بالملك الناصر ، فلم يوافق على ذلك البرجية ، وعادوا إلى القاهرة ، وصاروا مع **الملك المظفر** .

وسار **برغلي** ونائب الكرك إلى **الملك الناصر** فيمن بقي من الأمراء والعساكر ، فاضطربت القاهرة .

لما بلغ **الجاشنكير** مسير **برغلي** ونائب **الكرك** إلى **الملك الناصر** سقط في يده ، وعلم زوال أمره ، فإن **برغلي** كان زوج ابنته ومن خواصه .

علم اهل مصر خبر عودة الناصر قامت المظاهرات المؤيدة له في الشوارع. وقبض على جماعة من العوام ، وضربوا وشهروا لإعلانهم بسب **الملك المظفر** ، فما زادهم ذلك إلا طغيانًا .

استدعى **الملك المظفر** الأمراء كلهم ، واستشارهم فيما يفعل .

فأشار **الأمير بيبرس الدوادار** والأمير **بهادر آص** بنزوله عن الملك ، والإشهاد بذلك كما فعل **الملك الناصر** ، وتسير إليه تستعطفه .

فأعجبه ذلك ، وقام ليجهز أمره وبعث **ركن الدين بيبرس الدوادري** إلى **الملك الناصر** يسأله إحدى ثلاث : **إما الكرك وأعمالها ، أو حماة وبلادها ، أو صهيون ومضافاتها**

ثم اضطرب **المظفر** آخر النهار ، ودخل الخزائن ، فأخذ من المال والخيل والهجن ما أحب ، وخرج في يومه من باب الإسطبل في مماليكه وعدتهم سبعمائة فارس .

وكأنما نودي في الناس بأنه قد خرج هارباً .

فاجتمع الناس وصاحوا به وتبعوه وهم يصيحون عليه ، وزادوا في الصياح حتى خرجوا عن الحد ورماه بعضهم بالحجارة .

فشق ذلك على مماليكه ، وهموا بالرجوع إليهم ووضع السيف فيهم ، فمنعهم من ذلك ، وأمرهم بنثر المال عليهم ليشتغلوا بجمعه عنهم ، فأخرج كل من المماليك حفنة مال ونثرها . فلم تلتفت العامة لذلك وتركوه ، وأخذوا في العدو خلف العسكر ، وهم يسبون ويصيحون ، فشهر المماليك حينئذ سيوفهم ، ورجعوا إلى العوام فانهزموا عنهم .

فلما وصل **السلطان** الى غزة حضرت الامراء من مصر اليه فوصل **برغلي وبيبرس الدودار وارغون الجمقدار** وصحبتهم اربع الاف فارس .

(الصفدي – نزهة المالك والمملوك)

وأصبح الحراس بقلعة الجبل يصيحون باسم **الملك الناصر** . بإشارة **الأمير سلار** ، فإنه أقام بالقلعة .

وكان جميع هذا من **سلار** فإنه لما فاتته السلطنة ، وقام فيها **بيبرس** ، حسده ودبر عليه ، **وبيبرس** في غفلة عنه ، وكان سليم الباطن لا يظن أنه يخونه .

خطب على منابر القاهرة ومصر باسم الملك الناصر ، وأسقط اسم **الملك المظفر** ، فكانت أيامه في السلطنة عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ، فكان كما قيل :

أعجلتها النوى فما نلت منها . . . طائلاً غير نظرة من بعيد

(المقريزي – السلوك)

الفصل السادس



الناصر محمد ثالثا

1. ترجمة الملك الناصر (3) :

كان الناصر في **سلطنته الثالثة** ذو شخصية طبعت احداث التاريخ **المملوكي** خاصة وتاريخ المنطقة عامة بطابع فريد وخاص لما يقرب من **اثنين وثلاثين سنة** .

كان وقتها عمره يناهز **الخامسة والعشرون** ولكن فرض كلمته على الامراء ولم يستسلم لهم ليتحكموا به كما حدث في الفترتين السابقتين .

كانت علاقته بأمرائه قائمة على الارتياب حتى لا يتكرر ما حل به في سلطنته الاولى والثانية فقبض على كل أمير شك في ولائه وأخلاصه وصادر امواله وممتلكاته فأثبت كفائة نادرة ومقدرة فذة في ادارة شؤون الدولة مما اضفى عليه وعلى حكمه مهابة كبيرة في الداخل وفي الخارج وساعده في الاستقرار الداخلي والرخاء الاقتصادي الي تحقق في عهده **وبلغت المماليك البحرية في عهده ذروة عظمتها بعد أن نجحت في طرد الصليبيين من بلاد الشام وقهرت المغول وبدت في صورة القوة العظمى في الشرق الادنى بوجه خاص والعالم الاسلامي بوجه عام وساعدت هذه الاوضاع المستقرة على ازدهار الحالة العامة .**

طور **الدولة الملوكية** وسلمها الى خلفه بدرجة التكامل لا يمكن قياسها بأية دولة شرقية او غربية خلال الفترة نفسها .

وبالفعل يمثل عهد الناصر ظاهرة عهد القوة والازدهار المملوكي تماما كما مثل الظاهر بيبرس ظاهرة عهد التأسيس .

ان نشاط الناصر لم يقتصر ابدا عند الحروب والغزوات والعناية بالامور السياسية وانما شمل مختلف نواحي الحياة فكان الناصر المثل الاعلى للسياسي في دولة المماليك البحرية .

لقد حكم الدولة حكما صالحا فقد كان حاكما مطلقا بحكم العرف الذي لا نزاع فيه وبتعاضد شعبه ومحبته .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 296)

فملك مرة ثالثة في **شوال سنة تسع وسبعمائة** , استبد **الناصر** من حينئذ بالأمر من غير معارض مدة **اثنتين وثلانين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوماً** , وكان **الناصر** أطول ملوك زمانه عمراً وأعظمهم مهابة.

أثبت خلالها كفائة نادرة ، ومقدرة فائقة في تصريف شؤون الدولة بعد أن وعى ضرورة تطور مؤسساتها ، بتحديث نظم الحكم ، والإدارة المالية خاصة ، فألغى **وظيفة نائب السلطنة** ، ووظيفة **الوزير** ، واستحدث مكانها وظائف أُخرى ، أبرزها وظيفة **ناظر الخاص** كما عمل على ضبط موارد الدولة ، وساعد على تنشيط القطاعات المنتجة ، لاسيما الزراعية ، من خلال إعادة توزيع الأراضي ، وهي العملية المعروفة **بالروك الناصري** ، مما أدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية ، وليس أدل على موجة الرخاء التي عمت الديار المصرية في ظلّ حكمه ، من المنشآت العديدة والعماير الفخمة ، التي أقامها ، ومن القصور ، والمدارس والمساجد التي بادر أو شجع على إنشائها .

صورة الناصر محمد في الادب المملوكي (اليوسفي – نزهة الناظر 40)

وكان السلطان محبا للعمارة ، باذلا الأموال الكثيرة في البناء والتعمير حتى بلغت النفقات كل يوم **ألفي درهم** .

(الصفدي– أعيان العصر 98/5)

عمر تسعة وثمانين جامعًا ، وثلاثًا وسبعين مدرسة ، وثلاثة وثلاثين مسجدًا وخمسًا وعشرين زاوية ، واثنتين وعشرين خانقاه ، واثنين وعشرين رباطًا وخمس بيمارستانات

.

(المقريزي ، المواعظ والاعتبار 244/2)

وبالغ **السلطان الناصر** في مشترى المماليك ، وغلا الجواهر واللؤلؤ في أيامه , وبذل في أثمان الخيل ما لم يسمع بمثله .

وجمع من المال والجواهر واللؤلؤ ما لم يجمعه ملك من ملوك الترك قبله .

وجهز إحدى عشرة ابنة له بالجهاز العظيم ، ثم إنه زوجهن من مماليكه : مثل الأمير قوصون ، والأمير بشتاك ، والأمير ألطنبغا المارديني ، والأمير طغاي تمر ، والأمير عمر بن النائب وغيرهم ،

(المقريزي- السلوك135/2)

وكان السلطان الناصر محمد قد تزوج من خوند أردوتكين امرأة أخيه الملك الأشرف (المقريزي،الخطط، مجلد ٣، ص ١٦٤), وتزوج من الخاتون **طولوبية بنت طغاي بن هندو بن باطو بن دوشي خان بن جنكزخان و طلقهما** (السلوك، ج 2ص ٢٠).

وتزوج من **خوند طغاي** (المقريزي، السلوك، ج ٢/ ص ٢٣) أخت الأمير **اقبغا عبد الواحد وأنجبت له آنوك .**

وتزوج من خوند قطلوملك بنت الأمير تنكز وأنجبت له صالح (السلوك، ج ٢-/460),

وتزوج من خوند نرجس وأنجبت له أبو بكر ورمضان (الشجاعي) , **وتزوج من اخت الامير قوصون** (الخطط، مجلد ٤ ص ٢٢٦).

وله من السراري كدا وانجبت له الناصر حسن , وبيضا وانجبت له ابنه أحمد وأردو وولدت له ابنه **كجك .**

وكان رحمه الله من خير **ملوك التُّرك** , أورث سيرته الحسناء لأبنائه، أورثهم سيرة لم يسبق

لأهل التاريخ أن كتبوا مثيلا لها .

ترك السلطان الناصر من الأولاد محمداً وابراهيم، وعليا، وأحمد، وأبا بكر، وكجك، ويوسف، وشعبان، ورمضان، وإسماعيل، وحاجي وحسينا، وحسناً وصالحاً، وسبع بنات، فولي السلطة من أولاده ثمانية: وهم أبو بكر، وكجك، وأحمد، وإسماعيل، وشعبان، وحاجي ، وصالح و حسن.

وبناته اللاتي توفي عنهن سبع كما ذكر المقريزي ولم يعرف منهن سوى ثلاثة خوند تتر زوجة الامير ملكتمر الحجازي وخوند زهرة زوجة الامير آق سنقر المنصوري وبعد وفاته تزوجت من الامير طاز وخوند عائشة القردمية .

وكان السلطان كثير المصاهرة مع امراءة فزوج أحدى عشر بنتا من بناته بأمرائه وهم : الامير أبي بكر بن الأمير أرغون النائب , والامير سيف الدين قوصون , والامير سيف الدين طغاي تمر العمري الناصري , الامير ملكتمر الحجازي (خوند تتر) , والأمير شيخو , والامير طقزدمر الحموى , والأمير قجليس الناصري , والامير سيف الدين قماري بن عبد الله الناصري , والأمير علاء الدين الطنبغا المارداني الناصري . والامير بشتاك .

وكانت خوند زهرة قد تزوجت في حياة ابيها من الامير اق سنقر المنصوري ثم بعد وفاته تزوجت بالامير طاز .

وتزوج أبنائة من بنات أمرائه , فتزوج أبي بكر من ابنة الأمير سيف الدين طقزدمر , وتزوج أحمد من ابنة الأمير سيف الدين طايربغا , وتزوج يوسف من ابنة الأمير جنكلي بن البابا , وتزوج اسماعيل ابنة الأمير طقزدمر الحموي , وتزوج شعبان من ابنة الأمير تنكز، ثم تزوجها من بعده أخوه , حاجي . وتزوج أنوك بنت بكتمر

الساقي .

بل ان مطلقات السلطان قد تزوجن ايضا من امرائة وبعضهن بأرادته .

فتزوج الأمير آقسنقر الناصري بخوند أردو أم الأشرف كجك , وتزوج الأمير أرغون العلائي من من خوند قطلوبك أم الصالح أسماعيل والكامل شعبان وتزوج الامير أرغون الاسماعيلي من خوند نرجس أم المنصور ابو بكر ,وتزوجت من بعده من الأمير سيف الدين طقزدمر الحموي , وتزوجت بيضا من الامير السرجواني .

وتزوجت الخاتون طولوبية من الأمير سيف الدين منكلي بغا ، ثم الأمير صوصون أخو قوصون , ثم الأمير عمر بن أرغون النائب .

(المقريزي– السلوك135/2)

والخوند لفظ تركي او فارسي معناه السيد او الامير ويخاطب به الذكور والاناث على حد سواء كما يخاطب به الملوك وكبار الامراء وامهات الملوك وزوجاتهم .

(معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي – محمد دهمان)

موته:

مات **السلطان** وله من العمر سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام . وحمل في محفة ، وأخرج من القلعة ، ومروا به من وراء السور إلى باب النصر .

ثم شقوا به من باب النصر إلى المدرسة المنصورية ، وقدامه بعض الحراس تضيء عليه بمسرجة زيت حار ، ثم لحقه فانوس فشيع إلى المدرسة المنصورية . وحمل إلى القبة بها وغسل وحنط ، وكفن من المارستان ، وقد اجتمع الفقهاء والقراء ، ثم دفن عند أبيه .

قال ابن الوردي :

"كتبت عن قلب يتقّلب ، ونار تشب وتتغلَّب ، ودموع تباري السيل وهلوع يجاري

الخيل ، وما ظنُّك بكسوف شمس النّهار ، والفلك الأعلى إذا انْهار ، فمتم الحزن في هذا الفادح القادح قاصر ، فكيف لا ؟ وقد فَقد المُلْك عزته وناصِره ، فما له مِن قوةٍ ولا ناصِر .

لو ذابت المهج أسفا عليه ، لما أنْصَفتْ ، ولو أسِفت عليه الأُمم بأسرها فحقَّ لها أن أَسِفت .

(القلقشندي – صبح الأعشى384/8)

قالوا عن الناصر:

انه أعظم الملوك مهابة واحسنهم سياسة واكثرهم دهاء واجودهم تدبير واقواهم بطشا وشجاعة مرت به التجارب وقاسى الخطوب وباشر الحروب وتقلب به الدهر الوانا ونشأ في الملك والرياسة وله في ذلك الفخر و السعادة خليق بالملك والسلطنة فهو سلطان وابن سلطان ووالد ثمانية سلاطين من صلبه والملك في ذيته واحفاده وعقبه ومماليكه ومماليك مماليكه الى ان تنقرض الدولة التركية فهو اجل ملوك الترك واعظمهم بلا مدافع

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 9 / 166)

سمحًا جوادًا على من يقربه ويؤثره لا يبخل عليه بشيء كائنًا ما كان

(الصفدي – الوافي بالوفيات370/4)

ملكا مهيبا ، لم ير الناس مثل أياًمه في الخصب والرخاء .

(الصفدي – أعيان العصر5 /74)

مؤيدًا من الله تعالى ، أقام بسيفه علم الإسلام ورفعه ، وقهر الكفر والطغيان .

(اليوسفي – نزهة الناظر 404)

كان مفرط الذكاء يعرف جميع مماليك أبيه ، وأولادهم بأسمائهم ، ويعرف بهم الأُمراء فيتعجبون

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة ، 133/9)

كان ملكًا عظيمًا ، دانت له البلاد ، وأطاعته العباد استقر في الملك ، ولم يشهر في وجهه سلاح .

(الصفدي – أعيان العصر 74/5)

"كان ملكا عظيما ، دانت له البلاد ، وملك الأطراف بالطاعة .

(ابن شاكر الكتبي – فوات الوفيات 35/4)

لم يعد قط في طبقات أبناء الملوك وإخاء الملوك ، وطبقات الملوك مثله ، فكان مبتداه منتهى غيره من الملوك .

(الدواداري – كنز الدرر353/8)

أَقام به الله منار الإسلام في البر والبحر ، وملكه سنن الأحكام في الفطْر والنَّحر ، وَقرنْ اسمه في الخطبَتين ، ووليَّه الحرمين الشَّريفين ، وَنفَّذْ أوامره باللِّين والحيف ، وأقام بقايم سيفه على كلّ شامِخٍ للكفِر ، علم باسمه يذكر ويبشِّر .

(اليوسفي– نزهة الناظر404)

محبا للعمارة مثابرا على العمارة ، ناظرا إلى محلّ البهجة والنَّضارة ساس الملك أحسن سياسة ، وبنى الجوامع والمساجد ، والمدارس والخوانق .

(ابن حبيب – المنتقى من درة الأسلاك 176)

لقد كان اعظم السلاطين المماليك واقدر حكام عصره دون منازع فترك بصمته على مظاهر التقدم السياسي والثقافي والعمراني والاقتصادي والاجتماعي فقد كان عظيما في حجم تجهيزات جيوشه وفي اعماله العمرانية وفي حاشيته ومماليكه وفي قوة حكمه وفي كل

ما وصل اليه او حققه

شديد البأس سديد الرأي مطلعا على امور مملكته محبوبا من رعيته مهيبا من الامراء شجاعا ذا دهاء وكياسة لا تزعجه الخطوب ثابت الجأش ذا اطلاع واسع .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 296)

أيا ملِكًا قد مكن اللهُ ملْكه وأضحى بِهِ الحقُّ المبين مبين .

السلطان الملك الناصر أوَلى الأولياء بالملك الشريف ، لما لِسَلفِك مِن الحقوق ، وما أسلفوه من فضل لا يحسن له التناسِ ولا العقوق ، ولأّنك جمعت في المجد بين طارِق وتالد ، وُفقْت بزكي نفس وأخٍ ووالدٍ, ومآثر أعجز وصُفها الّناظِم والّناثِر .

(القلقشندي – صبح الأعشى61/10)

وكان **الناصر محمد** الابن الذي أرضى والده بأعماله ، فهو صورة أبيه والغرس الطيب ينبت طيبا ، فهو من غرسٍ طيب ، **ورث عنه المجد والملك والشجاعة .**

(العيني– عقد الجمان 456/3)

يا ناصرًا مِن خير منصورٍ أتى .

(الدواداري – كنز الدرر 192/9)

كان **الناصر محمد** ابيض اللون قصير القامه قد وخطه الشيب بعينيه حول وبرجله اليمنى ريح شوكه توجعه في غالب الاوقات ولا يكاد يمشي عليها الا متكئ على احد او يتوكأ على النمجا بحيث ما يصل الى الارض من رجله الا رؤوس اصابعه كان شديد البأس عظيم الراي يباشر الامور بنفسه .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 112)

2. حوليات الملك الناصر (3) :

- يوم الخميس ثاني شوال أصبح الناصر جالساً على تخت الملك وسرير السلطنة وحضر الخليفة أبو الربيع والأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة للهناء
- وفيه: قدم رسول المظفر بيبرس بكتابه يسأل الأمان
- وفيه : استقر قرا سنقر في نيابة دمشق عوضاً عن الأفرم ، وقبجق في نيابة حلب .
- وفيه : استقر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصوري في نيابة السلطنة بديار مصر ، عوضاً عن سلار .
- وفيه : أحضر الأمير بيبرس الداودار الأموال من عند الملك المظفر بيبرس . .
- وفيه أحضر شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية من سجن الإسكندرية إلى السلطان ، فبالغ في إكرامه .
- في ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذي القعدة قدم أسندمر بالملك المظفر ، فلما مثل المظفر بين يدي السلطان قبل الأرض ، فأجلسه وعنفه بما فعل به ، وذكره بما كان منه وعدد ذنوبه ثم أمر السلطان به إلى مكان ، وكان ذلك ليلة الخميس ، فاستدعى بوضوء وصلى العشاء الآخرة . ثم جاء السلطان وأمر به فقتل ، وأنزل على جنوية إلى الإسطبل ، وغسل به في ليلة الجمعة خامس عشرة ، ودفن خلف القلعة .
- سنة عشر وسبعمائة
- وفي ربيع الأول قبض السلطان على إخوة سلار وحاشيته ثم قبض علي سلار في سلخ ربيع الآخر ، وسجن بالقعة .
- وفيها عزل صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل من وظائفه بدمشق ، من أجل

أنه قبض عليه بصالحية دمشق وعنده جماعة يعاقرونه الخمر .

● وفيها ضيق على الأمير برغلي ومنع أن يدخل إليه بأكل أو شرب فلما أشفي على الموت قتل ، بعدما يبست أعضاؤه وخرس لسانه من شدة الجوع ، ومات.

● وفيها قتل الأمير سلار بقلعة الجبل ، وأحيط بماله وكان شيئا كثيرا . ولما وصل طلبه فرقه السلطان على الأمراء

● و وفيها قدم البريد بموت الأمير قبجق نائب حلب وفرح السلطان بموت الحاج بهادر فرحاً زائداً ، فإنه كان يخشاه ويخشى شره .

● وفيها مات ولده علي ابن الخاتون أردوكين ابنة نوكيه ، وله من العمر ست سنين ، ، ودفن بالقبة الناصرية بين القصرين ، واشتد حزن أمه عليه ، ووقفت على القبة ما خصها من إرث الملك الأشرف خليل ، ورتبت عند قبره القراء .

● وفيها : ضرب ابن عبادة شهاب الدين أحمد النويري صاحب التاريخ بالمقارع

● وفيها قدم أسندمر كرجي ، فاعتقل بالقلعة ،

● و وفيها : مات الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال في ثامن عشرى جمادى الآخرة ، ومولده بالموصل سنةسبع وأربعين وستمائة . ، وكان كثير المجون والشعر البديع ، وله كتاب طيف الخيال ، لم يصنف مثله في معناه .

● و وفيها مات قطب الدين محمود بن مسعود بن مفلح صاحب التصانيف .

● سنة إحدى عشر وسبعمائة

● في المحرم : وصل الأمير أرغون الدوادار إلى دمشق ، فاحترس منه الأمير قرا سنقر

● جمادى الأولى : استقر الأمير علم الدين سنجر الجاولي في نيابة غزة

- وفيها قبض على الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بديار مصر ، ثم استدعى السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري ، وخلع عليه وولاه النيابة عوضاً عن بكتمر .
- وفيها : أقيمت الخطبة للملك الناصر بطرابلس الغرب
- وفيها : وصل كرنبس ملك النوبة بالقود المقرر عليه ، بعد قتل أخيه . وقدمت رسل الملك المؤيد هزبر الدين دواد ملك اليمن ، بهدية .
- وفي ذي الحجة : قدمت تقدمة اليمن على العادة .
- سنة اثنتي عشر وسبعمائة
- وفيها : قدم البريد من حلب بعبور قرا سنقر ومن معه من الأمراء إلى بلاد التتر ، وأنهم بعثوا بأولادهم وحريمهم إلى مصر .
- وفيها قدم العسكر المجرد إلى الشام ، وطلع الأمراء إلى القلعة ، فقبض على عدة من الأمراء لميلهم إلى قرا سنقر
- وفيها ورد الخبر بحركة خربندا وترحلوا شيئاً بعد شيء حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر . وخرج السلطان ، ونزل مسجد تبر خارج القاهرة ، ورتب بالقلعة سيف الدين أيتمش المحمدي . فلما كان ثامنه قدم البريد برحيل التتار ليلة سادس عشرى رمضان من الرحبة ، وعودهم إلى بلادِهم بعدما أقاموا عليها من أول رمضان
- سنة ثالث عشرة وسبعمائة
- وفيها ابتدأ السلطان بعمارة الميدان تحت القلعة
- وفيها عمل السلطان أيضاً أربع سواقي على النيل تنقل الماء وترميه على الماء

الجاري من النيل إلى السور حتى يصل إلى القلعة ، ورم السور وأزال شعثه ، فكثر الماء بقلعة الجبل

- وفيها أبطلت الوزارة ، فلم يل أحد بعد أمين الدين
- وفيها توجهت تجريدة إلى مكة وذلك بسبب حميضة بن أبي نمي ، كثر ظلمه
- وفيها توجه من حلب ستمائة فارس عليهم الأمير شهاب الدين قرطاي للغارة على بلاد ماردين ودنيسر لقلة مراعاة صاحب ماردين لما يرسم به .
- وفيها : قدم الخبر من مكة بقتل أبي الغيث في حرب مع أخيه حميضة ، وأن العسكر المجرد إلى مكة واقع حميضة وقتل عدة من أصحابه ، فانهزم حميضة وسار يريد بلاد خربندا وجرد خربندا مع الشريف حميضة من عسكر خراسان أربعة آلاف فارس ، وسار حميضة بهم في رجب يريد مكة . وأخذ خربندا في جمع العساكر لعبور بلاد الشام ، فقدر الله موته ،
- وفيها وعك السلطان أياماً ، فلما عوفي ودخل الحمام حلق رأسه كله ، فلم يبق أحد من الأمراء والمماليك الناصرية حتى حلق رأسه . ومن يومئذ بطل إرخاء العسكر ذوائب الشعر ، واستمر إلى اليوم
- وفيه فرغ العمل من بناء الإيوان ، وذلك أن السلطان هدم الإيوان الذي بناه أبوه الملك المنصور ، وجدده أخوه الملك الأشرف ، ثم أنشأ إيواناً جليلاً ، وعمل به قبة عالية متسعة ورخمه رخاماً عظيماً ، وجعل قدامه دركاة فسيحة ، فجاء من أجل المباني الملوكية وأعظمها .
- وفيها : مات الملك خربندا بن أبغا بن أرغون في سادس شوال ، وتسمى بمحمد ، وكان رافضياً ، قتل أهل السنة ، وكان منهمكاً في شرب الخمر متشاغلاً

باللهو ، وقام بعده ابنه أبو سعيد بعهده إليه ، وكان محولاً بإحدى عينيه ، عادلاً في رعيته ، ملك ثلاث عشرة سنةوأشهراً .

- سنة خمس عشرة وسبعمائة
- في أول المحرم : ألبس الجميع السلاح وسلك الدربند إلى أن نزل على ملطية وحاصرها ثلاثة أيام . فاتفق الأمير ميزامير مع أعيان ملطية على تسليمها ، فلما فتحت ملطية سار الأمير قجليس إلى مصر بالبشارة ، ودقت البشائر .
- جمادى الآخرة : حضر الشريف أسد الدين أبو غرارة رميثة ابن أبي نمى ، من مكة فاراً من أخيه حميضة ، وأخبر أنه قطع اسم السطان من الخطبة بمكة ، وخطب لصاحب اليمن .
- وفيها قدم الأمير سيف الدين الخاص تركي وزين الدين قراجا الخازندار من بلاد طقطاي ، ومعهم رسل الملك أزبك القائم بعد طقطاي ، وأخبروا بإسلامه
- وفي شعبان : وقع الشروع في روك أرض مصر
- سنة ست عشر وسبعمائة
- وفيها : أغار من التتر نحو ألف فارس على أطراف بلاد حلب ، ونهبوا إلى قرب قلعة كمختا فقاتلهم التركمان وقتلوا كثيرا منهم ، وأسروا ستة وخمسين من أعيانهم ، وغنموا ما كان معهم ، فقدمت الأسرى إلى القاهرة
- وفيها : أفرج عن الأمير بكتمر الحسامي الحاجب
- وفيها : قدمت رسل أزبك ، ورسل ملك الكرج ، ورسل طغاي قريب أزبك بهدايا؛ فأجيبوا وسيرت إليهم الهدايا فاجتمع هذه السنة ثمانية رسل وهم رسل جوبان

، وأبي سعيد ، وأزبك ، وطغاي ، وصاحب برشلونة ، وصاحب إسطنبول ، وصاحب النوبة ، وملك الكرج ، وكلهم يبذل الطاعة ، و لم يتفق في الدولة التركية مثل ذلك ، وأكثر ما اجتمع في الأيام الظاهرية خمسة رسل .

- وفيها ماتت المسندة المعمرة ست الوزراء أم محمد ، وتدعى وزيرة ، ابنة عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية ، بدمشق في ثامن عشر شعبان ، ومولدها في سنةأربع وعشرين وستمائة . ، وحدثت بصحيح البخاري في القاهرة ومصر وقلعة الجبل .

- سنة سبع عشر وسبعمائة

- شعبان : عدى جماعة من التتر الفرات ، وقدموا دمشق في سادس رمضان في مائة فارس بنسائهم وأولادهم ، ودخلوا القاهرة في شوال .

- وفيه قدم كتاب المجد إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامي بإذعان الملك أبي سعيد ابن خربندا ، والأمراء أكابر المغل للصلح

- وفيه قدم الخبر بعود حميضة من العراق إلى مكة ، ومعه نحو الخمسين من المغل ، فمنعه أخوه رميثة من الدخول إلا بإذن السلطان ،

- وفيه قبض على الأمير أقبغا الحسني ، وضرب وأخرج إلى دمشق على إمرة ، من أجل أنه شرب الخمر ، ووسط خازن داره ، وقطعت ألسنة جماعة من أصحابه ، وكحل جماعة منهم .

- وفيه قدم الشريف رميثة أمير مكة فاراً من أخيه حميضة ، وأنه ملك مكة وخطب لأبي سعيد بن خربندا وأخذ أموال التجار ،

- وفيه طلق السلطان زوجته خوند أردكين ابنة سيف الدين نوكاي .

- سنة ثمان عشرة وسبعمائة في المحرم
- وفيه حبس شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، بسبب مسألة الطلاق ، وكان ذلك بسعي قاضي القضاة شمس الدين بن الحريري الحنفي عليه ، وإغرائه السلطان به .
- وفيه قدمت رسل ابن قرمان بدراهم ضربت باسم السلطان ، وأنه خطب هناك للسلطان ، وهي أطراف بلاد الروم
- وفيها أشيع موت الأمير موسى ابن الملك الصالح علي بن قلاوون بقوص
- سنة تسع عشرة وسبعمائة
- في المحرم : كتب بمنع ابن تيمية من الفتوي بالكفارة في اليمن بالطلاق .
- وفيه اهتم السلطان بالحركة إلى الحجاز ليحج
- وفيه مهد السلطان ما كان في عقبة أيلة من الصخور ، ووسع طريقها حتى أمكن سلوكها بغير مشقة .
- وفيها مات الأمير علاء الدين طيبرس الخزنداري ، نقيب الجيش وأحد أمراء الطبلخاناه ، ودفن بمدرسته المجاورة للجامع الأزهر ، وكان قد أقام في نقابة الجيش نحو أربع وعشرين سنة ، لم يقبل فيها لأحد هدية ، وكان ديناً صاحب مال كبير ، ، وبنى المدرسة المجاورة للجامع الأزهر ، وعمل لذلك أوقافاً كثيرة ، ولما كملت وجاءه مباشروه بحساب مصروفها لم ينظر فيه وغسله بالماء ، وقال : " شيء خرجنا عنه الله لا نحاسب عليه " .
- سنة عشرين وسبعمائة

- فيها عاد السلطان من الحجاز
- وفيها بعث السلطان ثلاثين فداويا من أهل قلعة مصياب للفتك بالأمير قراسنقر ، فعندما وصلوا إلى تبريز نم بعضهم لقراسنقر عليهم ، فتتبعهم وقبض على جماعة منهم ، وقتلهم .
- وفيها كثرت كتابة الأوراق للسلطان في أمرائه وأهل دولته ، وإلقائها من غير أن يعلم من أين هي ، أو ربطها بجناح طائر حمام وحدفه خارج حائط الميدان تحت القلعة إلى داخله ،
- وفيها قدم الخبر من الأمير بيبرس الحاجب بقتل الشريف حميضة بن أبي نمى ، ثم قدم الأمير بيبرس الحجاز ومعه المماليك الذين اتفقوا على قتل الشريف حميضة ، فقتل السلطان قاتله .
- وفيها قدم المجد السلامي على البريد من عند الملك أبي سعيد بن خربندا في طلب الصلح ،
- وفيها أنشأ السلطان ميدان المهار بجوار قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر ، ونقل إليه الطين ، وزرع فيه النخل
- . وفيها قدم الخبر بأن أبا سعيد أراق الخمور في سائر مملكته ، وأبطل منها بيوت الفواحش ، وأبعد أرباب الملاهي ، وأغلق الخانات ، وأبطل المكوس التي تجبي من التجارة الواردة إليهم من البلاد ، وهدم كنائس بالقرب من توريز ، ورفع شهادة الإسلام ، ونشر العدل ، وعمر المساجد والجوامع ، وقتل من وجد عنده الخمر بعد إراقته ،

● وفيها : قدم البريد من حلب بأن أبا سعيد قد نادى في مملكته بالحج ، فتجهز عالم عظيم ،

● وفي رجب : عقد بدار السعادة بدمشق مجلس لإبن تيمية ، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق ، ثم اعتقل بالقلعة إلى يوم عاشوراء .

● سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

● ربيع الآخر : ثارت العامة يداً واحدة ، وهدموا كنيستين متقابلتين بالزهري ، وكنيسة بستان السكري وتعرف بالكنيسة الحمراء ، وبعض كنيستين

● فلما كان يوم الأحد حادي عشره : سقط الطائر من الإسكندرية بأنه لما كان الناس في صلاة الجمعة تجمع العامة وصاحوا هدمت الكنائس ، فركب الأمير بدر الدين المحسني متولي الثغر بعد الصلاة ليدرك الكنائس ، فإذا بها قد صارت كوماً وتواترت الأخبار من الوجه القبلي والوجه البحري بهدم الكنائس وقت صلاة الجمعة ، فكثر التعجب من وقوع هذا الاتفاق في ساعة واحدة بسائر الأقاليم . وكان عقيب هدم الكنائس وقوع الحريق بالقاهرة ومصر ، فابتدأ يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى ، وتواتر إلى سلخه . وخرجت النساء مسبيات من دورهن . وباتوا على ذلك ، وأصبحوا يوم الإثنين والنار تتلف ما تمر به ، والهد واقع في الدور التي تجاور الحريق خشية من تعلق النار فيها وسريانها في جميع دور القاهرة . فلما كانت ليلة الثلاثاء خرج أمر الحريق عن القدرة البشرية ، وخرجت ريح عاصفة ألقت النخيل وغرقت المراكب ، ونشرت النار ، فما شك الناس في أن القيامة قد قامت . وعظم شرر النيران ، وصارت تسقط في عدة مواضع بعيدة ، فخرج الناس وتعلقوا بالمأذن ، واجتمعوا في الجوامع والزوايا ، وضجوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى ،

وصعد السلطان إلى أعلا القصر ، فهاله ما شاهد . فلما كانت ليلة الخميس : وقع الحريق بحارة الروم وبخارج القاهرة ، وتمادى الحال كذلك ، ولا تخلو ساعة من وقوع الحريق بموضع من القاهرة ومصر ، وامتنع والي القاهرة والأمير بيبرس الحاجب من النوم . فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لما أنكاهم هدم الكنائس ونهبها ، وصارت النيران توجد تارة في منابر الجوامع وتارة في حيطان المدارس والمساجد . ووجدت النار بالمدرسة المنصورية

- فلما كانت ليلة الجمعة حادي عشريه : قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية بالقاهرة ، وقد أرميا النار وركب السلطان إلى الميدان يوم السبت ثاني عشريه ، وقد اجتمع عالم عظيم ، وصاحوا : " نصر الله الإسلام ، انصر دين محمد بن عبد الله " .

- فلما كان يوم السبت تاسع عشريه : ركب السلطان إلى الميدان ، فوجد نحو العشرين ألفاً من العامة قد صبغوا خرقاً بالأزرق والأصفر ، وعملوا في الأزرق صلباناً بيضاء ، ورفعوها على الجريد ، وصاحوا عليه صيحة واحدة : " لا دين إلا دين الإسلام! نصر الله دين محمد بن عبد الله! يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام ، إنصرنا على أهل الكفر ، ولا تنصر النصارى " فخشع السلطان والأمراء .

- وفيها خرج إلأمير جمال الدين أقوش الأشرفي نائب الكرك بعسكر إلى أياس ، وخرجت معه عساكر الشام وحلب بالآلات ، فنازلوها ونصبوا عليها المجانيق ، وقاتلوا الأرمن حتى ملكوها ،

- وفي جمادى الآخرة : ولد للسلطان من خوند طغاي ولداً أسماه آنوك .

- وفيها : قبض على الأمير صلاح الدين بن البيسري ، وأرخي في الجب مقيداً
- وفيها : ولدت كلبة بالقاهرة ثلاثين جرواً ، وأحضرت بجراها إلى السلطان .
- وفيها مات الطواشي صفي الدين جوهر مقدم المماليك السلطانية ، فاستقر بعده الطواشي صفي الدين صواب الركني ، وكان صواب الركني هذا يلي تقدمة المماليك في الأيام الركنية بيبرس ، فلما قدم السلطان من الكرك عزله ، ثم أعاده بعد موت جوهر .
- سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة
- وفيه هدم موضع دار العدل الذي أنشأه الملك الظاهر بيبرس ، وعمل طبلخاناه
- وفي مستهل جمادى الأولى : قدم البريد بأن العسكر أغار على بلاد سيس ، وأخرب وغنم وقتل جماعة ، وأن أوشين متملك سيس هلك ، وقام من بعده ابنه ليفون ، وله من العمر نحو اثنتي عشرة سنة ، وأن العساكر نازلت أياس وأخذوها عنوة بعد حصار
- وفي شعبان : عقد الأمير أبي بكر بن الأمير أرغون النائب على خوند بنت السلطان ،
- سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة
- وفيه ابتدأ السلطان بعمارة القصور بناحية سرياقوس في أخر ذي الحجة .
- وفيها مات تاج الدين أحمد بن مجد الدين علي بن وهب بن مطيع بن دقيق العيد الشافعي ، وكان فقيهاً في مذهبي الشافعي ومالك ، سمع الحديث ، وكان كثير العبادة .

- سنة أربع وعشرين وسبعمائة
- وفيه قدم منسا موسى ملك التكرور يريد الحج
- وفيها استقر في يوم الجمعة ثالث عشرى رمضان الأمير سيف الدين قدادار في ولاية القاهرة ، عوضاً عن علم الدين سنجر الخازن نقل إليها من ولاية البحيرة ، ففتك في العامة ، ومنع الخمور وأراقها ، فعظمت مهابته .
- وفيها قرر السلطان أن تعمل له كل يوم أوراق بالحاصل والمصروف ، فصارت تعرض عليه كل يوم ، وتحدث في الأموال بنفسه .
- وماتت خوند أردكين بنت نوكاي الأشرفية ثم الناصرية ،
- سنة خمس وعشرين وسبعمائة
- وفيه اجتمع بمصر من رسل الملوك ما لم يجتمع مثلهم في الدولة التركية ، وهم : رسل صاحب اليمن ، ورسل صاحب إسطنبول ، ورسل الأشكري ، ورسل متملك سيس ، ورسل أبي سعيد ، ورسل ماردين ، ورسل ابن قرمان ، ورسل ملك النوبة ، وكلهم يبذلون الطاعة .
- وفي ثالث ذي الحجة : قبض على إبراهيم ابن الخليفة أبي الربيع ، وسجن بالبرج ، لأنه تزوج بمغنية ، وأشهد عليه بطلاقها .
- ومات الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري في ليلة الخميس خامس عشرى رمضان ، وهو أحد مماليك المنصور قلاوون ، واستنابه بالكرك ، وعزله الملك الأشرف خليل بالأمير جمال الدين أقوش ، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس ، وولي نيابة السلطنة بديار مصر ، وكان عاقلاً كثير البر ، وإليه تنسب المدرسة الدوادارية بخط

سويقة العزي خارج القاهرة ، وله تاريخ سماه زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، يدخل في أحد عشر سفراً ، أعانه على تأليفه كاتبه ابن كبر النصراني .

- سنة ست وعشرين وسبعمائة

- المحرم : وردت رسل ملك الحبشة بكتابه يتضمن إعادة ما خرب من كنائس النصارى ومعاملتهم بالإكرام والاحترام ، ويهدد بأنه يخرب ما عنده من مساجد المسلمين ، ويسد النيل حتى لا يعبر إلى مصر ، فسخر السلطان منه ، ورد رسله .

- وفيها : وقت الغروب ركب أحمد ابن السلطان ، ومعه الأمير قجليس والأمير طقتمر الخازن ، ليتوجه إلى الكرك – وعمره يومئذ ثماني سنين – ، وسار معه عدة من المماليك وخزانة مال

- وفي شعبان : حبس تقي الدين أحمد بن تيمية ، ومعه أخوه زين الدين عبد الرحمن بقلعة دمشق . وضرب شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، وشهر على حمار بدمشق .

- وفيه أنشأ الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك قاعة بالمارستان المنصوري ونحت جدران المارستان والمدرسة المبنيه بالحجر كلها داخلاً وخارجاً ، وطرز الطراز الذهب من خارج القبة والمدرسة حتى صار كأنه جديد .

- وفيه قدمت رسل اصطنبول ، فأسلم منهم نفران ، وهما آقسنقر وبهادر ، وأنعم على آقسنقر بإمرة عشرة بديار مصر ،

- وفي جمادى الآخرة : عقد على الأمير سيف الدين قوصون بالقلعة عقد ابنة السلطان بالقلعة ،

- وفيه كتب بإحضار جلال الدين محمد القزويني قاضي دمشق ، ليستقر في قضاء القضاة بمصر عوضاً عن بدر الدين بن جماعة ،
- وفي شعبان : قدمت رسل بابا الفرنج من مدينة روما بهدية ، وكتاب فيه الوصية بالنصارى وأنه مهما عمل بهم بمصر والشام عاملوا من عندهم من المسلمين بمثله ، فأجيبوا وأعيدوا . ولم تقدم رسل من عند البابا إلى مصر منذ أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب .
- سنة ثمان وعشرين وسبعمائة
- وفيها : عقد نكاح ابنة السلطان على الأمير سيف الدين طغاي تمر العمري
- وفيها : عقد نكاح الخاتون طلباي الواصلة من بلاد أزبك على الأمير سيف الدين منكلي بغا السلاح دار ، بعدما طلقها السلطان وانقضت عدتها ،
- وفيها أفرج عن تقي الدين أحمد بن تيمية ، بشفاعة الأمير جنكلي بن البابا وغيره من الأمراء .
- وفي يوم عرفة وهو يوم الجمعة : أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولي ومدة سجنه ثماني سنين وثلاثة أشهر وتسعة أيام .
- وفيها مات شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني بدمشق ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة ، في سجنه بالقلعة .
- وفيها مات الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري بالمراغة من آذربيجان
- سنة تسع وعشرين وسبعمائة

● وفي جمادى الأولى : رسم بردم الجب الذي بقلعة الجبل ، لما بلغ السلطان أنه شنيع المنظر شديد الظلمة كثير الوطاويط كره الرائحة ، وأنه يمر بالمحابيس فيه شدائد عظيمة ، فردم وعمر فوقه طباق للمماليك ، وكان عمل هذا الجب في الأيام المنصورية قلاوون .

● سنة ثلاثين وسبعمائة

● ربيع الأول : جمع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك القضاة والفقهاء ، بسبب عمل منبر بالمدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة لإقامة الجمعة بها ، فأفتوه بجواز ذلك ،

● وفيه : قدمت رسل ريدافرنس في طلب القدس وبلاد الساحل ، وعدتهم مائة وعشرون رجلاً ، فأنكر السلطان عليهم وعلى مرسلهم وأهانهم ، ثم رسم بعودهم إلى بلادهم .

● وفيها اشترى الأمير قوصون دار الأمير آقوش الموصلي الحاجب عرفت بدار آقوش نميلة ثم عرفت بدار الأمير جمال الدين آقوش قتال السبع من أربها ، واشترى قوصون أيضاً ما حولها ، وهدم ذلك وشرع في بناء جامع

● وفي ذي القعدة : أخرج السلطان من في القاهرة ومصر من الجذمى والبرصان ، وأمرهم بسكنى الفيوم .

● وفيه : ابتدأ الأمير ألماس الحاجب بعمارته الجامع الذي عرف باسمه ، بخط حوض ابن هنس خارج باب زويلة من القاهرة .

● وفيه : ابتدأ الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي في عمارة مدرسة بجوار داره ، قريباً من درب ملوخيا بالقاهرة ، ووقف عليها أوقافاً جليلة .

- وفيه ابتدا علاء الدين طقطاي أحد مماليك السلطان في عمارة جامع بين السورين من القاهرة ، وسماه جامع التوبة ، لكثرة ما كان هناك من الفساد ،
- سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة
- وفي يوم الإثنين خامس ذي الحجة :
- أسلم من الكتاب النصارى المهذب كاتب الأمير بكتمر الساقي والنشو مستوفي الدولة ، والعلم بن فخر الدولة مستوفي الدولة أيضاً .
- سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة
- صفر : استدعى السلطان الأمراء وأعلمهم أنه يريد أن يعهد إلى ولده الإمير ناصر الدين أنوك فأذعنوا لذلك كلهم ،
- وفيه : رسم بعمل المهم لعقد الأمير آنوك على زوجته بنت بكتمر
- وفيها كملت عمارة جامع الأمير سيف الدين الحاج آل ملك ، بالحسينية خارج القاهرة .
- سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة
- وفي ذي الحجة : قبض على الأمير ألماس الحاجب وأخوه قرا ، وسجنا مقيدين
- وفيها . ومات الآمير بكتمر الساقي بعد موت ولده بثلاثة أيام ، واتهم السلطان بأنه سمه
- سنة أربع وثلاثين وسبعمائة
- وفيها مات الأمير طغاي تمر العمري زوج ابنة السلطان .
- وفيها مات الأمير صوصون أخو الأمير قوصون أحد الألوف .

- سنة خمس وثلاثين وسبعمائة
- وفي صفر : هدم السلطان الجامع بقلعة الجبل ، وهدم المطبخ أيضاً . وجدد السلطان عمارة الجامع ، وصار يقف بنفسه كل يوم ، وندب لذلك الأمير آقبغا عبد الواحد .
- وفيه جدد السلطان عمارة المطبخ بالحجر ، وزاد في سعته . وتولى المرواني هدم قناطر السباع التي عمرها الظاهر بيبرس على الخليج بين القاهرة ومصر وزيدت في سعتها عشرة أذرع ، وأعيدت أحسن ما كانت ، وركبت السباع التي كانت عليها من عهد الظاهر على حالها .
- وفيها كثر شغف السلطان بمملوكه ألطنبغا المارديني ، فأحب أن ينشئ له جامعاً تجاه ربع الأمير سيف الدين طغي خارج باب زويلة ،
- سنة ست وثلاثين وسبعمائة
- وفيها تم بناء خانكاه الأمير قوصون بجوار جامعه من داخل باب القرافة ، وتمت عمارة حمامها أيضاً
- وفي رمضان : أنعم على إبراهيم ابن السلطان بإمره ، ونزل الأمير قوصون والأمير بشتاك به إلى المدرسة المنصورية بين القصرين ،
- وفيها : اشتدت وطأة النشو على الناس ،
- وفيها تحركت أسعار الغلال فضرب الوالي عدة من الطحانين والخبازين بالمقارع ، فاشتد الأمر ، وغلقت الحوانيت بالقاهرة ومصر ، وتعذر شراء الخبز إلا بمشقة عظيمة . فاهتم السلطان بالغلاء ، وشق عليه ما بالناس من ذلك ، فلم ينسلخ

لشهر رمضان حتى فرج الله عن عباده ، ونزل السعر قليلاً قليلاً ، بعدما ظن كثير من الناس أنه نظير غلاء العادل كتبغا ، فسلم الله بمنه .

- سنة سبع وثلاثين وسبعمائة

- وفي المحرم : عقد عقد الأمير أبي بكر ابن السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طقزدمر أمير مجلس ، بدار الأمير قوصون .

- وفيها : هدمت دار النيابة بالقلعة ، وهي التي عمرت في الأيام المنصورية قلاوون سنةسبع وثمانين وستمائة . ، وأزيل ألشباك الذي كان يجلس فيه طرنطاي النائب ،

- وفيها كثر ضبط علم الدين سنجر الجاولي لأوقاف المارستان ، وتوقفه فيما يصرف منه للصدقات . فأنكر السلطان عليه ذلك ، وقال له : " المارستان كله صدقة " ، و لم يقبل له عذراً .

- وفيها وقفت العامة للسلطان في الفار ضامن المعاملات ، وشكوا ما أحدثه وصاحوا : " يكفينا النشو ، فلا تسلط علينا الفار "

- وفي شوال . قدمت مفاتيح القلاع التي كانت بيد صاحب سيس . وهي آياس الجوانية ، وآياس البرانية ، والهارونية ، وكوارة وحميضة ونجيمة وسرفندكار ، فرسم بخراب بعضها ، وأقامت النواب بباقيها .

- وفي رمضان : ركب النشو على عادته في السحر ، فاعترضه في طريقه فارس هو عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي الذي ولي قوص وقيل أبو بكر بن الناصري محمد وضربه ، فأخطأ سيفه رأس النشو ، وسقطت عمامته عن رأسه

- وفيها فرغ بناء جامع الأمير بشتاك ، بخلاف قبو الكرماني على بركة الفيل خارج القاهرة ، وكان موضعه مساكن للفرنج والنصارى ومسالمة الكتاب .

- سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة

- فيها توجه الأمير مغلطاي الغزي فتسلم قلعة كوارة وكانت من أحصن قلاع الأرمن ، ولها سور مساحته فدان وثلث وربع فدان ، وارتفاعه اثنان وأربعون ذراعاً بالعمل ، وأنفق تكفور على عمارته أربعمائة ألف وستين ألف دينار .

- وفيها : قدم أمير أحمد ابن السلطان من الكرك باستدعاء ، وكان قد بلغه عنه أنه يعاشر أوباش الكرك ، فعقد له السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طايربغا ، وعقد لابنه يوسف على ابنة الأمير جنكلي بن البابا

- وفيه ولد للسلطان ابنه صالح من زوجته بنت الأمير تنكز

- وفيه اتفق عدة من أرباب الجرائم بخزانة شمائل وقتلوا السجان ، وخرجوا بعد المغرب من باب زويلة شاهرين السكاكين . فركب الوالي في طلبهم ، فلم يظفر منهم سوى برجل أقطع ، فشنقه .

- وفي صفر : قدم من بغداد الوزير نجم الدين محمود بن على بن شروان ، وحسام الدين الحسن بن محمد بن محمد الغوري محتسب بغداد وفخر الدين محمود نائب الحلة وعدة من الأعيان في خمسمائة عليقة . فقدم الوزير للسلطان هدية سنية .

- وفيه أنشأ السلطان قصراً للأمير يلبغا اليحياوي وقصراً للأمير ألطبغا المارديني تجاه حمام الملك السعيد قريبا من الرميلة تحت القلعة

- وفيه : طلع القضاة الأربعة وقبلوا يد السلطان ، واستأذن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة الشافعي في عزل نواب الحكم ، فإنهم جميعهم إنما ولوا ببذلهم المال الجزيل لولد القزوين وأنهم قد أفسدوا في الأعمال فساداً كبيراً ، فأجابه السلطان بأن يفعل ما فيه خلاصه من الله تعالى

• وفيها : بلغ النشو أن الناس يجتمعون إلى الوعاظ بالجامع الأزهر وجامع الحاكم وغير ذلك ، ويدعون الله عليه . فلم يزل النشو بالسلطان حتى منع الوعاظ بأجمعهم من الوعظ ،

• وفيها : قدم المجد السلامي من الشرق صحبة رسل الشيخ حسن الكبير باستدعاء السلطان له ، وقد كلفه الشيخ أن يقوم له بالصلح بينه وبين السلطان ، وجهز معه هدية جليلة .

• وفي رمضان : قدمت الحرة بنت السلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني صاحب فاس تريد الحج ، ومعها جمع كبير وهدية جليلة إلى الغاية

• وفيها : تجهز الأمير بشتاك ، والأمير ألطنبغا المارديني وخوند طغاي زوجة السلطان وست حدق ، وعدة من الدور ومن الخدام ، لسفر الحجاز .

• وفيها : أنشأ الأمير أقبغا عبد الواحد مدرسة بجوار الجامع الأزهر ، وكان موضعها دار الأمير ابن الحلي وألزم الصناع بالعمائر السلطانية أن يعملوا فيها يوماً من الأسبوع بغير أجرة ، فكان يجتمع في كل أسبوع بها كل صانع بالقاهرة ومصر ، ويعملون نهارهم . وحمل لها أقبغا جميع ما يحتاج إليه من عمائر السلطان ، وأقام بها من مماليكه شادا لم ير أظلم منه ، فعسف الصناع وضربهم .

• وفيها مات الأمير إبراهيم ابن السلطان ، ودفن بتربة عمه الصالح علي بن قلاوون ، بالقرب من المشهد النفيسي .

• سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

• وفيها : قدم رسل الملك أزبك صحبة الأمير سرطقطاي مقدم البريدية بهدية

وكتاب يطلب فيه مصاهرة السلطان ، فجهزت إليه هدية ، وأنعم على رسله

- وفيها : قدم الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل صاحب حماة باستدعاء السلطان ، وقد كثرت شكاية الناس له من شغفه باللهو وأخذه أموال الرعية ،

- وفيها : قدم الخبر بأن ابن دلغادر استولى على قلعة طرندة من بلاد الروم ،

- وفيها : قدم أمير أحمد ابن السلطان من الكرك باستدعاء ، للعبه وشغفه ببعض شباب أهل الكرك ، وإسرافه في العطاء لواحد منهم اسمه الشهيب ،

- سنة أربعين وسبعمائة

- في المحرم : قدم رسول الأمير يوسف بن أتابك الكردي صاحب الجبال ووطاة نصيبين يخبر بكثرة جموعه من الأكراد وأنه رغب في الانتماء إلى السلطان وضرب السكة في بلاده باسمه ،

- وفيه : وضعت الست طولو قرطقا زوجة الأمير يلبغا اليحياوي وأخت خوند زاد وزوجة السلطان ، فعمل لها السلطان مهما عظيماً

- وفي صفر : قبض على النشو ، وعلى أخيه شرف الدين رزق الله ، وعلى أخيه المخلص ، ورفيقه مجد الدين ، وعلى صهره ولي الدولة . هذا وقد غلقت أسواق القاهرة ومصر ، واجتمع الناس بالرميلة تحت القلعة ومعهم النساء والأطفال ، وقد أشعلوا الشموع ، ورفعوا على رؤوسهم المصاحف ونشروا الأعلام ، وهم يضجون ويصيحون استبشاراً وفرحاً بقبض النشو ، والأمراء تشير لهم أن يكثروا مما هم فيه ، فلما أصبحوا وقع الصوت داخل باب القلة من القلعة بأن رزق الله أخو النشو قد ذبح نفسه .

- في يوم الإثنين ثاني الشهر من صفر . نادى البشير إلى أن أسمع الفلكا يا أهل مصر نجا موسى ونيلكم . . . طغا وفرعون وهو النشو قد هلكا وفي يوم الثلاثاء ثالث صفر : نودي بالقاهرة ومصر : بيعوا واشتروا واحمدوا الله على خلاصكم من النشو .
- وفيه أخرج رزق الله أخو النشو في هيئة تابوت امرأة حتى دفن في مقابر النصارى خوفاً عليه من العامة .
- وفيه : زينت القاهرة ومصر زينة عظيمة مدة سبعة أيام ، وعملت بها أفراح كثيرة ، ونظم فيه العامة عدة أزجال وبلاليق وأظهروا من الخيال واللهو ما يجل وصفه .
- وفيه ضرب المخلص اخو النشو ومفلح عبده بالمقارع ، فأظهر المخلص الإسلام
- ربيع الآخر: هلك النشو فوجد بغير ختان . وكتب به محضر ، ودفن في مقابر اليهود بكفن قيمته أربعة دراهم ، ووكل بقبره من يحرسه مدة أسبوع خوفاً من العامة أن تخرجه وتحرقه . فكانت مدة ولايته وجوره سبع سنين وسبعة أشهر .
- وفيه قدم رسول الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين سبط القان أرغون أبغا بن هولاكو بن طولي بن جنكزخان متولي العراق ، بكتابه يتضمن طلب عسكر يتسلم بغداد والموصل وعراق العجم ليقام بها الدعوة للسلطان ،
- وفيها : تسلم الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر قلعة طرندة وأقام بها الدعوة للسلطان ولم تزل قلعة طرندة بأيدي سلاطين مصر إلى أن مات الظاهر برقوق
- وفيها : فرغ قصر الأمير سيف الدين بشتاك الناصري ، بخط بين القصرين
- وفيها توفي الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمرالله أبو

العباس أحمد .

● وفيها مات الأمير علم الدين علي بن حسن المرواني والي القاهرة بعد مقاساة أمراض شنيعة مدة سنة ، وكان سفاكاً أفاكاً ظلوماً غشوماً ، اقترح في ولايته عقوبات مهولة : منها نعل الرجل في رجليه بالحديد كما تنعل الخيل ، ومنها تعليق الرجل بيديه وتعليق مقابرات العلاج في رجليه ، فتنخلع أعضاؤه ويموت ، وقتل خلقاً كثيراً من الكتاب وغيرهم في أيام النشو ، ولما حملت جنازته وقف عالم عظيم لرجمه ، فركب الوالي وابن صابر المقدم حتى طردهم

● سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

● في المحرم : وصل الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام وهو متضعف ، صحبة الأمير بيبرس السلاح دار ، وأنزل من القلعة بمكان ضيق حرج . وقصد السلطان ضربه بالمقارع فقام الأمير قوصون في الشفاعة له حتى أجيب إلى ذلك وبعث إليه السلطان يهدده حتى يعترف بما له من المال ، ويذكر من كان موافقاً على العصيان من الأمراء .

● وفيها مات الأمير آنوك ابن السلطان بعد مرض طويل ، فدفن بالتربة الناصرية بين القصرين ، وكان يوماً مهولاً ، نزل في جنازته جميع الأمراء . وباعت أمه ثيابه وتصدقت بها على الفقراء ، ورتبت القراء على قبره بجار لهم في كل شهر من وقف وقفته على قبره ، وأقامت سنة تعمل في كل ليلة جمعة على قبر مجتمعاً يحضره القراء لقراءة ختمة كريمة ، وتمد لهم الأسمطة الجليلة .

● وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجواني ، واستقر في نيابة الكرك ، وتوجه إليها

ومعه أحمد ابن السلطان ، وأوصاه السلطان ألا يدع لأحمد حديثاً ولا حكماً بين اثنين .

- وفيها : جدد السلطان جامع راشدة ، وقد تهدم أكثر جدرانه .
- وفيها : ابتاع الأمير قوصون من الأمير مسعود بن خطير قصر الزمرد بخط رحبة باب العيد من القاهرة ، وكان سعته نحو عشر فدادين ، وشرع قوصون في عمارته سبع قاعات ، لكل قاعة إصطبل .
- وفيها : قدم الخبر بخروج ابن دلغادر عن الطاعة .
- وفيها : ركب أمير أحمد الساقي قريب السلطان البريد إلى بلاد الشرق لمهمات سلطانية : منها طلب رهائن طغاي سونتاي والشيخ حسن بك الكبير ، وكانا قد سألا أن يجهز السلطان عسكراً ليسلماه بلاد الشرق ، فأجيبا إلى ذلك على أن يبعثا بأولادهما رهناً فجهز ابن سونتاي ولده برهشين ، وجهز الشيخ حسن ابن أخيه ابراهيم شاه إلى حلب .
- وفيها : قدم برهشين بن طغاي بن سونتاي وإبراهيم شاه ابن أخي الشيخ حسن الكبير ، في مائتي فارس ، فأنزلوا بالميدان ، وأجريت لهم الرواتب السنية ثم أحضروا بين يدي السلطان في يوم الجمعة ثامنه وفيهم قاضي بغداد وقاضي الموصل وقاضي ديار بكر ، فقدموا كتاب طغاي وكتاب الشيخ حسن الكبير ، ونسخة أيمانهما وأيمان عامة أهل بلادهم من الأمراء والأجناد وأرباب المعايش بطاعة السلطان ، وأنهم من جنده ومقاتلة من عاداه ، وقدموا الخطبة التي خطب بها للسلطان في بغداد والموصل وديار بكر .

● وفيه قوي الإسهال بالسلطان ، ومنع الأمراء من الدخول إليه ، فكانوا إذا طلعوا إلى الخدمة خرج لهم السلام من أمير جندار عن السلطان فانصرفوا . وكثر الكلام إلى يوم الإثنين ثاني عشر ، فخف عن السلطان الإسهال فجلس للخدمة وطلع للأمراء ، ووجهه متغير . فلما انقضت الخدمة نودي بزينة القاهرة ومصر ، وجمعت أرباب الملاهي بالقلعه وجمع الخبز الذي بالأسواق ، وعمل ألف قميص ، وتصدق السلطان بذلك مع جملة مال . وقام الأمراء بعمل الولائم والأفراح سروراً بعافية السلطان ، وعمل الأمير ملكتمر الحجازي نفطاً كثيراً في سوق الخيل تحت القلعة ، والسلطان قاعد لنظره ، فاجتمع الناس من كل جهة لرويته .

● يوم العيد ، اجتمع الأمراء لخروج السلطان إلى صلاة العيد ، وقد قوي به الإسهال وأجمع رأيه على ألا يشهد صلاة العيد ، فمازال به الأمير قوصون والأمير بشتاك حتى ركب ونزل إلى الميدان . وأمر السلطان قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة أن يوجز في خطبته ، فما هو إلا أن صلى السلطان وجلس لسماع الخطبة تحرك باطنه ، فقام وركب إلى القصر ، فحدث له إسهال دموي . وأخذ الأمراء في إنزال حرمهم وأموالهم من القلعة حيث سكنهم إلى القاهرة ، فارتجت المدينة وماجت بأهلها . فاجتمع في يوم الإثنين ثامن عشره الأمير جنكلي والأمير آل ملك والجاولي والأحمدي وأكابر الأمراء للمشورة فيما يدبرونه ، حتى اجتمعوا على أن بعث كل منهم مملوكا إلى قوصون وبشتاك ليأخذا لهم الإذن على العبور على السلطان ، فأخذوا لهم الإذن . فلما أخذ الأمراء مجالسهم قال الأمير الجاولي وآل ملك للسلطان كلاماً حاصله أن يعهد الى أحد أولاده ، فأجاب إلى ذلك ، وطلب ولده أبا بكر ، وطلب قوصون وبشتاك ، وأصلح بينهما . ثم جعل السلطان ابنه أبا

بكر سلطانا بعده ، وأوصاه بالأمراء ، وأوصى الأمراء به ، وعهد إليهم ألا يخرجوا ابنه أحمد من الكرك وحذرهم من إقامته سلطاناً ، وجعل قوصون وبشتاك وصييه ، وإليهما تدبير ابنه أبي بكر وحلفهما .

- **ثم حلف السلطان الأمراء والخاصكية ، وأكد على ولده في الوصية بالأمراء ، وأفرج عن الأمراء المسجونين بالشام ، وهم طيبغا حاجي وألجيبغا العادلى وصاروجا ، ثم قام الأمراء . فبات السلطان ليلة الثلاثاء ، وأصبح وقد تخلت عنه قوته ، وأخذ في النزع يوم الأربعاء ، فاشتد عليه كرب الموت .**

3- مجريات الملك الناصر (3) :

1) السلطنة الثالثة :

وعقب نزول **بيبرس** عن السلطنة وفراره , جلس الأمير **سلار** في شباك النيابة ، وجمع من بقي من الأمراء ، واهتم بحفظ القلعة ، وأفرج عن المحابيس بها .

وركب **سلار** ونادى في الناس : **ادعوا لسلطانكم الملك الناصر** .

سار **أصلم الدوادار وبهادر آص** إلى **الناصر** برسالة **المظفر** أنه قد نزل عن السلطنة .

فأصبح **الناصر** من الغد جالساً على تخت الملك وسرير السلطنة .

فقال عقب عودته :

"الحمد لله الذي صان دماء المسلمين عن القتال "

(ابن إياس- بدائع الزهور1/427)

فملك مرة ثالثة في **شوال سنة تسع وسبعمائة** ففرح برجوعه الناس والامراء والقضاة والعلماء.

وخرج الأمراء ، والناس قاطبة للقائه ، وكادت القاهرة ومصر ألا يتأخر بهما أحد ، فرحا بقدومه ، وأظهر الناس من السرور ما لا يوصف ، وزينت القاهرة ومصر بأفخر زينة ، وأبطل الناس معايشهم ، وضجوا له بالدعاء والشكر لله على عودته إلى الملك ، واستمروا في الفرح والسرور إلى يوم جلوسه على تخت الملك .

(العيني – عقد الجمان (

كانت الزينة **بمصر والقاهرة** ، ما شهد الناس مثلها ، وذلك لما من **الله تعالى** به على الأنام ، بعافية سيد ملوك الإسلام .

(الدواداري –كنز الدرر 236/9)

وتفاخر النّاس في الزينة ، بحيث لم تعهد زينة مثلها ، وأقامت أسبوعًا ، تفنَّن الناس بأنواع التّرف ، اجتمع أرباب الملاهي في عدة أماكن ، بجميع الآلات ، والأفراح بالقلعة ، وساير بيوت الأُمراء مدة أسبوع ، فلم يبق أمِير ، إلا و عمِل في بيته فرحًا .

(المقريزي – السلوك 216/2)

وحضر **الخليفة أبو الربيع** والأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة للهناء .

وقال الخليفة أبو الربيع :

وكان ركابك العالي ، قد سار إلى الكرك المحروس ، وقعدت عنك الأجسام ، وسافرت معك النّفوس ، ووثِقت الخواطِر بأنّك إلى السلطة تعود ، وأن الله تعالى يجدد لك صعودا إلى مراتِب السعود .

(القلقشندي – صبح الأعشى62/10)

وقال القاضي بن عبد الظاهر:

أبدلت الأرض غير الأرض ، أو صارت سماء ، وإلا فما هذا القمر حوله النُّجوم الزواهر والقلعة بآلات حِصارها مزينة ، قائلة : كيف يسَتباح حماي ، وأنا بهذا

السلطان محصنة . والأقاليم قد تاهت بِسلطانها بهجة وسرورًا , وقالت القاهرة ، وهي كالوالهة الحايرة ، وحق من أَذّلني بعد عزي ، وأعزني بناصري بعد معِزي ، لولا أُدين بالرجعة ، لما أبقيت من معالمي على بقعة ، وكنت أطبق أسواري .

(الدواداري –كنز الدرر 164/9)

فقرأ **محمد بن علي ابن موسى الراعي** : **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير** " ، ثم دعا .

فلما تقدم **الخليفة** وسلم ، نظر إليه **السلطان** وقال له : **كيف تحضر تسلم على خارجي ، هل كنت أنا خارجياً وبيبرس كان من سلالة بني العباس؟** فتغير وجه الخليفة ولم ينطق .

ثم التفت **السلطان** إلى القاضي **علاء الدين علي بن عبد الظاهر** ، وكان هو الذي كتب عهد **المظفر** عن **الخليفة** ، وقال له : **يا أسود الوجه** ، فقال **ابن عبد الظاهر** من غير توقف : **يا خوند! أبلق خير من أسود** .

ثم التفت **السلطان** إلى قاضي القضاة **بدر الدين محمد ابن جماعة** ، وقال : **يا قاضي! كنت تفتي المسلمين بقتالي؟** فقال : **معاذ الله! إنما تكون الفتوى على مقتضى كلام المستفتي** .

فرد عيهم السلطان جميعا بقول الاديب شهاب الدين أحمد ابن عبد الدائم

لما تولى الخير عن أمم . .. لم يحمدوا أمرهم فيها ولا شكروا

وكيف تمشي به الأحوال في زمن ... لا النيل وفى ولا وافاهم المطر

ولي المظفر لما فاته الظفر .... وناصر الحق وافي وهو منتصر

وقد طوى الله من بين الورى فتنا ... كادت على عصبة الإسلام تنتشر

فقل لبيبرس إن الدهرألبسه . . . أثواب عارية في طولها قصر

وسأل **سلار** الإعفاء من نيابة السلطنة ، وأن ينعم عليه **بالشوبك** , فأجيب , وحلف أنه متى طلب حضر ، وخلع عليه ، فكانت نيابته إحدى عشرة سنة .

استقر الأمير **سيف الدين بكتمر الجوكندار** في نيابة السلطنة بديار مصر ،

وأحضر الأمير **بيبرس الداودار** الأموال من عند الملك **المظفر بيبرس** الجاشنكير .

ثم قدم رسول **المظفر** بكتابه يسأل الأمان .

2) جيوش الناصر :

دخل بعساكره بلاد **سيس** , وغزا ملطية وأخذها ، وغزا بلاد سيس بعسكر مصر ثلاث مرات وخرب بلادهما حتى قرر عليهم الخراج ، ومنعوا الخراج مرة فبعث العسكر وأخذ مدينه أياس ، وأقطع أراضيها للأمراء والأجناد . وأخذ جزيرة أرواد من الفرنج ، وغزا بلاد اليمن . وبعث العساكر في طلب الشريف حميضة وجرد إلى مكة والمدينة العساكر لتمهيدها ، ومنع أهلها من حمل السلاح بها .

وخطب بماردين وبجبال الأكراد وحصن كيفا وبغداد وغيرها من بلاد الشرق ، وهو بكرسي ملك مصر .

وكون جيشا عظيما , ذكر ذلك في رسالة **السلطان** إلى **غازان** :

أنه لما رأى أنّه ليس له بجيشنا قِبل في المجال ، عاد إلى الخديعة والاحتيال ، وتظاهر بِدِين الإسلام ، واشتهر به في الخاص والعام ، حتى ظن جيوشنا ، أن الأمر كذلك ، فلما التقينا معه ، كان معظم جيوشنا يمتنع عن قتاله ، ويبعد عن نزاله ، يقولون :

"لا يجوز لنا قتال المسلمين ، ولا يحلّ قتلَ من يتظاهر بالدين " .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة143/8)

جاء في أحد رسائله لوصف جيشه العظيم :

تسنَّم راكبوها لِذروة العِز من ظهورِها بسيوفٍ تبدد الأوهام ، وتزِيلُ الإيهام وتطهر بميامينها نجس الشِّرك ودَنسِه ، قد تسربلَ كلٌّ منهم من الإيمان دِرعًا حصينًا ، واتَّخذ لبسه جّنة ولكن من الذَّهِب والاسَتبرق ليكون لَفضل الله مظهِرًا ، ولإحساننا مبِّينا ، لم يسلكوا شِعبًا ، إلا سَلك الشيطان شِعبًا سِواه ، ولا وطِئوا موطِئًا إلا وكلٌّ كافِر يأباه ، ولا نالوا مِن عدو نيلا إلا كتِب لهم به عملٌ صالِح كما وعدهم الله .

وورد في رسالة لأبي **الحسن المريني** صاحب فاس المغرب :

وأن المقام العالي ، قام لله وغار وأنجد جنوده في طلب الثار ، من أهل النار وأغار وأرسل عِقبان فرسانه محلِّقة إلى ذلك الجبل الشامِخ الذّري ، وهذه عِزةٌ إسلامية جدد اللهُ على يده المقام ، بذلك القُطر صدورها ، و سطر في صحائف حسناته أُجورها ، وأبقى له مذخورها ، وأعدها له ليوم تجِد فيه كلّ نفسٍ ما عملتْ من خيرٍ محضرا .

(القلقشندي – صبح الأعشى427/7)

في يوم ارسل رسالة إلى صاحب اليمن ، قال له فيها :

"رأينا أن اشتغال جيش الإسلام بجانب الكفر هو المهم المقدم على ما سِواه ، والفرض الذي نيتنا فيه إنقاُذ أهل الإسلام ، من كلمة الكفرِ وَتحكُّمِه .

(القلقشندي – صبح الأعشى374/8)

3) " محيي العدل في العالمين"

وتتبع **الناصر** المنكرات بالقاهرة وغيرها ، وعاقب مرتكبيها بصرامة وقوة .

"لم يشهر عنه أنّه ولى قاضيا في أيامه برشوة ، ولا محتسبا ، ولا واليًا ، بل كان هو يبذل لهم الأموال ، ويحرضهم على عمل الحق .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 11)

721هـ رسم **السلطان الناصر** ، بخراب البازار بمدينة **بغداد** من أوله إلى آخره ، وتَوبوا الخواطي ، وزوجوهن ، حتى لم يبق في البلد خاطية ، وأُريق الشراب ، حتى لو صب في دجلة ، لأغرق بغداد كثرة ، ومنِع الناس من عصر العنب ، وأمر بالنداء ، أن من تخلف عنده شيء من الشراب يكون ماله ودمه للسلطان ، وقتل بسبب ذلك جماعة ، وذكِر أن هذا شيء لم يجر من زمن الخلفاء مثله وإلى الآن .

(ابن حبيب– تذكرة النبيه 81/2)

إذا سمع عن أحد شرب الخمر ، عاقبه أشد العقاب ، ولو كان من أجلّ المقربين إليه .

(ابن حجر العسقلاني – الدرر الكامنة131/1)

إن هذا ملك الله به عناية ، وله فيه إرادة ، ما رام عزا إلا وصل إليه ، ولا شام جليلا إلا قدره اللهُ عليه ، فدانت له ساير الملوك إذ عزمته الشريفة بتأييد الله له بالُقدرةِ عليهم محيطة

فإنك أمسيت المعِز لدِينِنا وأيدت بالّتوفيق والّنصر مِنْحة , بِك الشَّرعِ يسطو حيث ما هو ذاهِب مِن اللهِ إذ ما زِلْت بالله غالِب .

(الدواداري – كنز الدرر88/9)

فأزال **الملك الناصر** هذا الظُّلم جميعه عن الرعية ، وزالت الظلامة عن أهل مصر .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة45/9)

"كان الملك الناصر يقعد للنظر في المظالم ، ورفع قصص المشتكين ، كل يوم اثنين وخميس ، ويقعد الُقضاة الأربعة عن يساره ، وتقرأُ القصص بين يديه وقد سلك مولانا أمير المؤمنين ، ناصر الدين أيده الله في ذلك مسلكًا لم يسبق إليه ، ولا مزيد في

العدل والتواضع عليه ، وهو سؤاله بذاته الكريمة ، المتظلِّم ، وعرضه بين يديه المستقيمة .

(ابن بطوطة – الرحلة 312)

وكان لهذا العمل أصداء ، وعقاب للظُّلام ، حيث نودي من له ظلامة فليرفع قصَته بدار العدل ، فخاف الأُمراء ، وأدوا ما عليهم من حقوق ، ووقَّع عليها السلطان ، وحكم الناس بالعدل ، واستمر في ذلك

(حياة ناصر الحجي ، السلطان محمد بن قلاوون 33)

وأيام سلمه كّلها عدل وهِبة وصدقات منجية ، ورفع ظلمات متشعبة ، وقمع نفوس متوثِّبة ، وحسم خطوب مستَبِدة .

(القلقشندي ، صبح الأعشى189/14)

وَفخِر السلطان نفسه بهذه الصفة ، وحرص أن **الله** تعالى منذ ملَّكنا أُمور خلقه ، ألهمنا أن ندور مع الحق حيث دار ، واستطردنا في إبطال كل فاحشة ، من مكوس أبطلناها ، وجهات سوء عطلْناها ، ومظالم رددناها إلى أَهلِها ، و ظلمة زجرناها ، ومعروف أقمنا دعائمه ، وجنينا الفضل من شجرات العدل ، التي هي بِيد يقظتنا مغروسة"

. (ابن حبيب – تذكرة النبيه ، 345/2)

"وكل ما فعله **الملك الناصر** من إبطال هذه المظالم والمكوس ، دليل على حسن اعتقاده ، وغزير عقله ، وجودة تدبيره وتصرفه .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر12)

بعز نصرِك أضحى الدهر يبتَسِم

وعن رعاياك ولى الظلم والظلم

ومن المكوس التي أبطلها **السلطان الناصر** نصف السمسرة الذي أحدثه **ابن الشيخي** في

وزارته ، وهو أن من باع شيئاً فإن دلالته على كل مائة درهم درهمين ، يؤخذ منهما درهم للسلطان ، فصار الدلال يحسب حسابه ، ويخلص درهمه قبل درهم السلطان .

ومنها رسوم الولايات والمقدمين والنواب والشرطية ، وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين ، فيجبيها المذكورون من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش ، وعليها جند مستقطعة وأمراء ، وكان فيها من الظلم والعسف والفساد وهتك الحرم وهجم البيوت ما لا يوصف .

ومنها مقرر الحوائص والبغال ، وهي تجبى من المدينة وسائر معاملات مصر كلها من الوجهين القبلي والبحري ، فكان على كل من الولاة والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من أًقساط ال . سنة إلى بيت المال عن ثمن حياصة ثلاثمائة درهم ، وعن ثمن بغل خمسمائة درهم ، وكان عليها عدة مقطعين سوى ما يحمل ، وكان فيها من الظلم بلاء عظيم .

ومنها مقرر السجون ، وهو على كل من يسجن ولو لحظة واحدة مبلغ ستة دراهم سوى ما يغرمه ، وعلى هذه الجهة عدة من المقطعين ولها ضمان ، وكانت تجبى من سائر السجون .

ومنها مقر طرح الفراريج ، ولها ضمان في سائر نواحي الإقليم ، فتطرح على الناس في النواحي الفراريج وكان فيها من الظلم والعسف وأخذ الأموال من الأرامل والفقراء والأيتام ما لا يمكن شرحه ، وعليها عدة مقطعين ومرتبات ، ولكل إقليم ضامن مفرد ، ولا يقدر أحد أن يشتري فروجاً فما فوقه إلا من الضامن .

ومنها مقرر الفرسان ، وهي شيء يستهديه الولاة والمقدمون من سائر الأقاليم ، فيجيء من ذلك مال عظيم ، ويؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم لكثرة الظالم .

ومنها مقرر الأقصاب والمعاصر ، وهو ما يجبى من مزارعي الأقصاب وأرباب المعاصر

ورجال المعصرة .

ومنها رسم الأفراح ، هي تجبى من سائر البلاد ، وهي جهة بذاتها لا يعرف لها أصل .

ومنها حماية المراكب ، وهي تجبى من سائر المراكب التي في النيل بتقرير معين على كل مركب يقال له مقرر الحماية ، ويجبى من المسافرين في المراكب سواء إن كانوا أغنياء أو فقراء .

ومنها حقوق القينات ، وهي ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناه من البغايا ويجمعه من المنكرات والفواحش من أوباش مصر وضمان تجيب بمصر .

ومنها شد الزعماء وحقوق السودان وكشف مراكب النوبة ، فيؤخذ من كل عبد وجارية مقرر معلوم عند نزولهم في الخانات ، وكانت جهة قبيحة شنعة .

ومنها متوفر الجراريف ، و تجبى من المهندسين والولاة بسائر الأقاليم ، وعليها عدة من الأجناد .

ومنها مقرر المشاعلية ، وهي ما يؤخذ عن تنظيف أسربة البيوت والحمامات والمسامط وغيرها ، وحمل ما يخرج منها من الوسخ إلى الكيمان ، فإذا امتلأ سرب مدرسة أو مسجد أو بيت لا يمكن شيله حتى يحضر الضامن ويقرر أجرته بما يختار ، فمتى لم يوافقه صاحب البيت تركه حتى يحتاج إليه ويبذل له ما طلب .

ومنها ثمن العبي التي كانت تستأدى من البلاد .

ومنها مقرر الأتبان التي كانت تؤخذ لمعاصر الأقصاب بغير ثمن .

ومنها زكاة الرجالة بالديار المصرية .

ورسم بالمسامحة بالبواقي الديوانية والإقطاعية من سائر النواحي إلى آخر . سنةأربع وسبعمائة .

فلما فرغ العمل من ذلك نودي في الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أبطل من الجهات ، وكتبت المراسيم إلى النواحي به ، فسر الناس سروراً كبيراً .

4) الناصر وحب العمارة :

عمر تسعة وثمانين جامعًا ، وثلاثًا وسبعين مدرسة ، وثلاثة وثلاثين مسجدًا وخمسًا وعشرين زاوية ، واثنتين وعشرين خانقاه ، واثنين وعشرين رباطًا وخمس بيمارستانات

.

(المقريزي ، المواعظ والاعتبار 244/2)

كان يحب العمارة ، فلم يزل من حين قدم من الكرك إلى أن مات مستمر العمارة ، فجاء تقدير مصروفه كل يوم مدة هذه السنين ثمانية آلاف درهم . وكان ينفق على العمارة المائة ألف درهم ، فإذا رأى فيها ما لا يعجبه هدمها كلها وجددها على ما يختار و لم يكن من قبله من الملوك في الإنفاق على العمارة كذلك .

اعتنى الناصر كثيرًا ببناء المدارس ، وتجهيزها ، والوقف عليها ، فالمدارس التي عمل الناصر على إنشائه ثلاثة وسبعين مدرسة وتجددت عدة جوامع في أيامه أنافت على ثلاثين جامعاً .

(المقريزي – المواعظ والأعتبار 331/2)

فكان السلطان محبًا للعمارة ، باذلا الأموال الكثيرة في البناء والتعمير حتى بلغت النفقات في العمارة كل يوم **ألفي درهم** .

(الصفدي– أعيان العصر 98/5)

وكان يجمع المهندسين ، ويعمل على انشاء الجسور من سائر البلاد الشامّية ، وأفرد للعمائر ديوانًا ، بلغ مصروُفه في كلّ يوم اثني عشر ألف درهم ، إلى ثمانية آلاف .

محبًا للعمارة مثابرًا على العمارة ، ناظرا إلى محلّ البهجة والنَّضارة ساس الملك أحسن سياسة ، وبنى الجوامع والمساجد ، والمدارس والخوانق .

(ابن حبيب – المنتقى من درة الأسلاك 176)

وعمر أماكن كثيرة بالقلعة وغيرها ، وكان يصرف كل يوم على العمارة ، أُجرة سبعة آلاف درهم خارجًا عن المسخرين من الفلاحين والمحبوسين ، وأما ما يصرف في ثمن الآلات فلا يحصى .

(الصفدي – أعيان العصر 17/5)

" وانتظم أمرها ، وتبسم بعد البكاء ثغرها ، وتبرجت أبراجها ، وانصلح ظاهرها وباطنها .

ابن حبيب

(القلقشندي– صبح الأعشى 190/10)

منها **الجامع الناصري** بقلعة الجبل جدده **السلطان** الناصر وأوسعه ، والجامع **الجديد الناصري** ظاهر من على النيل ، وجامع **المشهد النفيسي** ، وجامع **الأمير كراي** المنصوري بآخر الحسينية ، وجامع الأمير **طيبرس** نقيب الجيش على النيل بجوار خانكاته ، – وهو الذي عمر أيضاً مدرسة بجوار الجامع الأزهر بالقاهرة ، وجامع الأمير **بدر الدين محمد بن التركماني** بالقرب من باب البحر وجامع **الفخر** ناظر الجيش على النيل فيما بين بولاق وجزيرة الفيل ، وهو الذي عمر جامعاً آخر خلف خص الكيالة ببولاق ، وجامعاً ثالثاً بالروضة ، وجامع **كريم الدين** خلف الميدان ، وجامع **شرف الدين الجاكي** بسويقة الريش ، وجامع **أمير حسين** بالحكر ، – وقد بني له قنطرة على الخليج – وجامع الأمير **قيدان الرومي** بقناطر الوز ، وجامع **دولت شاه** مملوك العلائى بكوم الريش ، وجامع الأمير **جمال الدين أقوش** نائب الكرك بطرف الحسينية ، وجامع **ناصر الدين الحراني**

الشرابيشي بالقرافة ، وجامع الأمير **آقسنقر** شاد العمائر قريباً من الميدان ، وجامعاً خارج باب القرافة عمره جماعة من العجم ، وجامع **النوبة** بباب البرقية – عمره **مغلطاي** أخو الأمير **ألماس** ، وجامع **بنت الملك الظاهر بيبرس** بالجزيرة المستجدة وعمر ما حوله أملاكاً كثيرة – ، وجامع الأمير ألماس بالقرب من **حوض ابن هنس** ، وجامع الأمير **قوصون** خارج القاهرة ، وجامعه خارج باب القرافة ، وجامع الأمير **عز الدين أيدمر الخطيري** على النيل ببولاق ، وجامع **أخي صاروجا** بشون القصب ، و جامع **الحاج آل ملك** بالحسينية ، وجامع **الأمير بشتاك** على بركة الفيل تجاه خانكاته ، وجامع **ست حدق** فيما بين قنطرة السد وقناطر السباع ، وجامع **ست مسكة** قريباً من قنطرة **آقسنقر** ، وجامع الأمير **ألطنبغا المارديني** خارج باب زويلة ، وجامع **مظفر الدين بن الفلك** بسويقة الجميزة من الحسينية وجامع **جوهر السحرتي** قريباً من باب الشعرية ، وجامع **فتح الدين محمد بن عبد الظاهر** بالقرافة .

واستجد بدمشق في أيام السلطان الناصر أيضاً جامع **كريم الدين** وجامع **شمس الدين غبريال** ، **وجامع الأفرم** ، وجامع **تنكز** ، وجامع **يلبغا** .

(المقريزي – المواعظ والأعتبار 331/2)

5) الناصر وحب الخيل :

وشغف **السلطان الناصر بالخيل** ، فجلبت له من البلاد , فكان **السلطان** يكرم العرب ويبذل لهم الرغائب في **خيولهم** .

وكانت له معرفة **بالخيل وأنسابها** وذكر من أحضرها ومبلغ ثمنها ،

وكان إذا استدعى **بفرس** يقول **لأمير أخور : هات الفرس الفلانية التي أحضرها فلان واشتريناها بكذا وكذا "**

كان السلطان الناصر أول من اتخذ من **ملوك الأتراك ديواناً للإصطبل** ، عمل له ناظر وشهوداً وكتاباً لضبط أسماء الخيل وشياتها وأوقات ورودها وأسماء أربابها . ومبلغ ثمنها ومعرفة سواسها ، وغير ذلك من أحوالها وكان لايزال يتفقد الخيول ، فإذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به مع أحد الأوجاقية إلى الجشار بعد ما يحمل عليها حصاناً يختاره ، ويأمر بضبط تاريخ نزوه ، فتوالدت عنده خيول كثيرة حتى أغنته عن جلب ما سواها .

ومات السلطان الناصر وفي الجشارات **ثلاثة آلاف فرس وترك من الهجن الأصائل والنياق خمسة ألاف ونيف ، سوى أتباعها**

وجلب طيور الجوارح من **الصقورة والشواهين والسناقر والبزاة** ، حتى كثرت **السناقر** في أيامه ،

وترك من الصقورة والشواهين ونحوها ما لا ينحصر ، وترك ثمانين جوقة **كلاب الصيد بكلابزيتها** ، وكان قد اتخذ لها موضعاً بالجبل .

فبلغت عدة الأغنام التي تركها بعد موته نحو الثلاثين ألف رأس ، سوى أتباعها , فاقتدى به الأمراء وصارت لهم أغنام عظيمة جداً في عامة أرض مصر قبليها وبحريها . **وعمل في القلعة حوش الغنم وحوش البقر وحوش المعزى وجاير الأوز ، وغير ذلك ، فأوسع فيها نحو خمسين فداناً .**

(المقريزي – السلوك 525/2)

6) حج الناصر :

حج السلطان محمد بن قلاوون سنة اثنتي عشرة وسبعمائة .

قال الناصر محمد :

"لا زلت اعظم نفسي ، إلى أن رأيت الكعبة ، وذكرت بوس الناس الأرض لي ،

فدخَلتْ في قلبي مهابةٌ عظيمة ، مازالت حتى سجدت لله تعالى " .

وحسن له **بدر الدين محمد بن جماعة** أن يطوف راكبا ، كما فعل النّبي صلى **الله** عليه وسّلم ، فقال له :

ومن أَنا حتَّى أَتشبه بالنَّبي صّلى الله عليه وسّلم ، والله لا طفْت إلا كما يطوف النّاس" . و مَنع السلطان الحجاب مِن منْع النّاس أن يطوفوا معه ، وصاروا يزاحِمَونه ويزاحِمهم في مدة طوافِه وفي تقْبيله للحجر ،

(**المقريزي – السلوك 197/2**)

طاف ومشى على قدميه حافيًا و غسل الكعبة .

(ابن اياس – بدائع الزهور **450/1**)

فكان يطوف بالكعبة ، و عليه ثياب إحرام مِن صوف ، وهو يعرج في مِشيتِه ، وحوَله جماعة مِن الأُمراء ، فلما فَرِغ من طوافِه ركع خلْف المقام ، ثم دخلَ الحجر فصلَّى فيه .

(اليافعي – مرآة الجنان وعبرة اليقظان **251/4**)

للملك النّاصِر رحمه الله السيرة الكريمة ، والفضائِل العظيمة ، وكفاه شرفًا انتماؤُه لِخدمة الحرمين الشَّريفين ، وما يفعُله في كلِّ سنة من أفْعال البِر ، التي تعين الحجاج ، من الجِمال التي تَحمِل الزاد ، والماء للمنقطِعين والضعفاء ، وَتحمِل من تأخَّر أو ضعف عن المشي ، في الدربين المصري والشامِي .

(ابن بطوطة – الرحلة ، **59**)

7) الناصر والمماليك :

استكثر الناصر من جلب المماليك الى مصر فكان يرسل خواجا **عمر وسرطقطاي** الى بلاد ازبك ومعهما مبلغ عشرين ألف دينار لشراء **مماليك وجواري** من بلاد الترك .

فأكثر الناصر من جلب المماليك والجواري ، وطلب التجار إليه وبذل لهم المال ، وسيرهم إلى بلاد أزبك وتوريز والروم وبغداد وغير ذلك من البلاد .

وكان التاجر إذا أتاه بالجلبة من المماليك بذل له فيها أغلى القيم ، وأنعم على تلك المماليك في يومهم بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يدهشهم . ولم تكن هذه عادة من تقدمة من الملوك .

فكان **السلطان** يدفع في المملوك للتاجر المائة ألف درهم فما دونها ، واقتدي به الأمراء في ذلك .

ويقول :"إذا رأى المملوك سعادة تملأ عينه وقلبه نسي بلاده ، ورغب في أستاذه "

فطار في البلاد فعل **السلطان** معهم ، فأعطى المغل أولادهم وبناتهم وأقاربهم للتجار ، وباعوهم منهم رغبة في سعادة مصر ، ففسد بذلك حال المغل فيما بينهم وقدموا إلى مصر .

وكان مفرط الذكاء ، يعرف جميع مماليك أبيه وأولادهم بأسمائهم ، ويعرف بهم الأمراء ، وكذلك مماليكه لا يغيب عنه اسم أحد منهم ولا شغله عنده ولا مبلغ جامكيته .

وكان **السلطان** الناصر متسع الحال . بلغ راتبه من اللحم في كل يوم لمطبخه ومرتب مماليكه ستة وثلاثين ألف رطل لحم .

وكان المملوك في سنين ما قبل **الناصر** إذا قدم الى البلاد عرفوا جنسه ، ثم أسلموه إلى الطواشي المقدم فيضيفه إلى جنسه من المماليك ، ويرتبه عند الفقيه فيربيه بالآداب والحشمة والحرمة ، ويمرنه في الرمي بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل وأنواع الفروسية ، وتكون كسوته من الثياب القطن البعلبكي ، ومن الثياب الكتان الخام المتوسط .

ثم يدرج المملوك في الجامكية من ثلاثة دنانير إلى خمسة إلى سبعة إلى عشرة دنانير ، فإذا

التحق بالرجال أقيم ذلك الوقت في وظيفة من الوظائف اللائقة به ، فيقوم بها على ما ينبغي من الأدب الذي تأدب به في صغره ، ثم يترقى المملوك ، فإذا وصل إلى منزلة كبيرة ورتبة عالية عرف مقدارها ، وما كان فيه من الشقاء وما صار إليه من النعيم فأعرض **الملك الناصر** عن هذا .

(المقريزي – السلوك)

8) الناصر والعلماء :

كان ملكا مهيبا مطاعا عارفا بالأُمور ، يعظم أهل العِلْم و المناصب الشرعية .

(الصفدي – أعيان العصر 96/5)

وكان لعملهم هذا أثر واضح على الشعب ، الذي عانى أشد المعاناة خوفًا من بطش التّتار ، وما عرفوا عنه من ارتكاب المجازر في الشعوب ، فهدأت نفوسهم ، وصمدوا في بيوتهم .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 123/8)

فكان **الناصر** يستشيرهم في بعض امور الدولة "فقد استشار **السلطان** قاضي القضاة **تقي الدين بن دقيق العيد** ، في أمر **أبي الربيع سليمان** ، ابن **الخليفة** بعد موته ، هل يصلح للخلافة أم لا؟ ، فقا ل : نعم ، يصلح ، و أثنى عليه .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 8 /148)

وعند جلوس **السلطان** للنظر في المظالم ، كان يجلس وحوله القضاة الأربعة ، لاستشارتهم ، والانتفاع برأيهم .

(ابن بطوطة – الرحلة 45)

كتب شيخ الاسلام **ابن تيمية** للسلطان **الناصر محمد** يقول :

"من الداعِي أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين ، ومن أيدً اللهُ في دولته الدين ، وأعز بها عباده المؤمنين وَقمع فيها الكّفار والمنافِقين ، والخوارِج

المارقين"ذلك أن السلطان –أتمَّ الله نعمته– حصل للأُمة بيمنِ وِلايته ، وحسن نيته ، وصِحةِ إسلامِه وعقيدته ، وبركةِ إيمانه ومعرفته ، وفضل همته ، وشجاعته ، وَثمرة تعظيمه للدين وشرعته ، ونتيجة إتِّباعه لِكِتاب الله وحِكمتِه ، ما هو شبيه بما كان يجري في أيَّام الخلفاء الراشدين ، وما كان يقصده أكابر الأئِمة العادلين وتحّقق في ولايته خبر الصادِق المصدوق ، أفضلُ الأولين والآخِرين ، الذي أخبر فيه عن تجديد الدين ، في رؤوس المئين والله تعالى يوزِعه والمسلمين شكر هذه النِّعم العظيمة ، في الدنيا والدين .

(ابن تيمية – مجموع فتاوى 28/399)

ذات يوم جلس في مجلسة **نور الدين علي بن عبد الوارث البكري** ، ثم أشار إلى **السلطان** بكلام فيه جفاء وغلظة جمع خلائق وتوجه إلى **السلطان** ، فأخذ يتحدث أمام الفقهاء والقضاة ، ويورد الأحاديث النّبوية والآيات الكريمة ، ثم أشار إلى **السلطان** قائلا :

"أفضل المعروف كلمة حق عند سلطان جائر ، وأنت وليت القبط المسالمة ، وحكمتهم في دولتك وفي المسلمين ، وأضعت أموال المسلمين في العمائر والإطلاقات التي لا تجوز" فقال السلطان :

"ويلك أنا جائر ؟" ، فقال : "نعم!

أنت سّلطت الأقباط على المسلمين وقويت دينهم"

فأخذ **السلطان** السيف ، وهم بقتله لولا شفاعة القضاة ، ولولا أّنه في النهاية استجار برسول **الله** .

والتفت **السلطان** إلى الفقهاء حوله ، آملا أن يسمع من ينكر قول **البكري** ،

حتى قال أحدهم :

"ما قال شيئًا ينكر عليه فيه ، ولا يجب عليه شيء ، فإنه نقل حديثاً صحيحاً .

فصرخ **السلطان** فيه وقال : قم عني!

فقال **صدر الدين بن المرحل** لقاضي القضاة **بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي** : **يا مولانا!** هذا الرجل تجرأ على **السلطان** وقد قال **الله** تعالى أمرا **لموسى وهارون** حين بعثهما إلى **فرعون** " **فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى** " فقال **ابن جماعة للسلطان** : **قد تجرأ ولم تبق إلا مراحم مولانا السلطان** . فانزعج **السلطان** انزعاجاً عظيماً ، ونهض عن الكرسي ، وقصد ضرب **البكري** بالسيف ، فتقدم إليه **طغاي وأرغون** في بقية الأمراء ، وما زالوا به حتى أمسك عنه ، وأمر بقطع لسانه ، فأخرج **البكري** إلى الرحبة ، وطرح إلى الأرض ، والأمير **طغاي** يشير إليه أن يستغيث ، فصرخ **البكري** وقال : **إنا في جيرة رسول الله ، وكررها مراراً حتى رق له الأمراء** ، فأشار إليهم **طغاي** بالشفاعة فيه ، فنهضوا بأجمعهم وما زالوا **بالسلطان** حتى رسم بإطلاقه وخروجه من مصر .

وفي تجهيز جيش المسلمين لملاقاة غازان ، حيث حاول **السلطان الناصر الحصول على فتوى من الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بأن يؤخذ من كل إنسان دِينار لتجهيز الجيش ، ولكن الشيخ ابن دقيق العيد أَبى أن يكتب بذلك قائلا : "لم يكتب ابن عبد السلام للمظّفر ، حتى أحضر سائر الأُمراء ما في ملكهم من ذهب وفضة ، وحلي نسائهم وأولادهم ، ورآه ، وحلّف كلا منهم أنه لا يملك سوى هذا ، فإذا كان ذلك غير كاف ، فعند ذلك كتِب بأخذ الدينار من كلّ واحد ، وأما الآن ، فيبلغني أن كلا من الأمراء له مالٌ جزيل ، وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآّلئ ، ويعمل الإناء**

الذي يستنجي منه في الخلاء مِن فِضة ، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهِر.

(المقريزي- السلوك1/898)

فاستجاب السلطان لفتوى قاضي القضاة .

وفي احدى خلافات الناصر مع حكام مكة استدعى **السلطان** الأمير **أيتمش** بدار العدل ، وقال له بحضرة القضاة : " **لا تدع في مكة أحداً من الأشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم ، وناد بها من أقام منهم حل دمه . ثم أحرق جميع وادي نخلة ، وألق في نخلها النار حتى لا تدع شجرة مثمرة ولا دمنة عامرة ، وخرب ما حول مكة من المساكن ، وأخرج حرم الأشراف منها ، وأقم بها بمن معك حتى يأتيك عسكر أخر** " . فقام في ذلك **قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني** ووعظ **السلطان** وذكره بوجوب تعظيم الحرم ، إلى أن استقر الأمر على أن كتب **لرميثة** أمان وتقليد بإمرة مكة . وسار العسكر من ظاهر القاهرة ، وعدتهم سبعمائة فارس .

فلما قارب **رميثة** مكة ركب الأمير **أيتمش** بمن معه إلى لقائه ، فإذا عدة من قواده مع وزيره قد تقدموه ليحلفوا له العسكر ، فعادوا بهم إلى الحرم وحلفوا له أيماناً مؤكدة ، ثم ركبوا إلى لقائه وقابلوه بما يليق به من الإكرام ، فلبس رميثة تشريف **السلطان** ، وتقلد إمارة مكة ، وعزم على تقدمة شيء للأمراء ، فامتنعوا أن يقبلوا منه هدية ، وكتبوا إلى **السلطان** بعود **الشريف** إلى الطاعة ، وخرجوا من مكة يريدون القاهرة . فلما وصلوا دخل الأمير **أيتمش** على **السلطان** ، فشكره على ما كان منه .

وكان **قاضي القضاة جلال الدين القزويني** حاضراً ، فأكثر من الثناء على أيتمش ، وقال : **هذا الذي فعله هو الإسلام** " .

وكان **الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى الزرعي الحنبلي**، أحد الآمرين بالمعروف

والناهين عن المنكر، في المحرم بالشام. قدم إلى القاهرة، وكان قوياً في ذات الله، جريئاً على الملوك، أبطل مظالم كثيرة، وصحب شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية فانتفع به. وكان متقشفاً، وله وجاهة عند الخاصة والعامة، لزهده وورعه وتقواه. ولما قدم على الناصر محمد بقلعة الجبل، قال له: **يا شيخ ما جئتنا بهدية! فقال: نعم، جراب ملآن حيات وعقارب**. وأخرج جراباً فيه قصص مظالم، فرسم السلطان بإجابته إلى جميع ذلك. وعاد إلى دمشق .

9) الناصر والقاهرة الجديدة :

وعمرت في أيام السلطان الناصر جزيرة الفيل وناحية بولاق بعدما كانت رمالاً ترمي بها المماليك النشاب ، وتلعب الأمراء فيها بالكرة ، فصارت كلها دوراً وقصوراً وجوامع وأسواق وبساتين .

وعمرت القطعة التي فيما بين قبة الإمام الشافعي إلى باب القرافة ، بعدما كانت فضاء لسباق خيل الأمراء والأجناد والخدام .

فعمر ذلك كله ترباً وخوانك ، حتى صارت العمائر متصلة من باب القرافة إلى بركة الحبش ، لا يوجد بها قدر ذراع بغير عمارة ، وتنافس الأمراء في ذلك حتى بلغوا في عمارته مبلغاً عظيماً إلى الغاية .

وعمر في أيامه الصحراء التي فيما بين القلعة وخارج باب المحروق إلى قبة النصر ، امتلأ الميدان من كثرة العمائر .

كان يقول بعضهم : **يا خوند الذين جاءوا من قبلنا لو علموا أن هذا يصح لفعلوه** ، فلا يلتفت إلى قولهم ، ويفعل ما بدا له من مصالح البلاد ، فتأتيه أغراضه على ما يحب ويختار .

وكان يفرح إذا سأله بعض الأجناد في عمل مصلحة بلده بسبب عمل جسر أو تقاوي أو غير ذلك ، وينبل ذلك الرجل في عينه ، ويفعل له ما طلبه من غير توقف ولا ملل في إخراج المال ، فإن كلمه أحد في ذلك فيقول :

" لم نجمع المال في بيت المسلمين إلا لهذا المعنى وغيره "

وكذلك فعل بالبلاد الشامية ، حتى إن مدينة **غزة هو الذي مصرها وجعلها على هذه الهيئة ، وكانت قبل كآحاد قرى البلاد الشامية ، وجعل له نائباً ، وسمي بملك الأمراء ، و لم تكن قبل ذلك إلا ضيعة من ضياع الرملة ، ومثلها فكثير من قرى الشام وحلب والساحل .**

10) العلاقات الخارجية وبلاط السلطان :

بسم الله الرحمن الرحيم "الحمد لله الذي بسط أيدينا الشريفة بالجود ، ونصب أبوابنا الشريفة كعبة تهوي إليها أفئِدُة الوفود ، وأَطاب مناهلها لكافة الأُمم ، نحمده على نِعمِه التي كم بلَّغت راجيًا ما يرجوه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، الذي ندب إلى مكارم الأخلاق بقوله : "إذا أَتاكم كريم قومٍ فأكرموه "

" إلى كافة الممالك الشريفة الإسلامية ، شرقًا وغربًا ، وبعدًا وُقربًا ، أَيدهم الله بالتوفيق ، وجعل حسن تلقِّيهم الوفود ، يأتي بهم من كلِّ فج عميق .

(القلقشندي – صبح الأعشى7/249)

ولم يعهد في أيام ملك قبله ما عهد في أيامه من مسالمة الأيام له ، وعدم حركة الأعداء براً وبحراً وخضوع جميع الملوك له ومهاداتهم إياه .

كالغيث والندى ، يده مبسوطة ، امام الوافدين عليه ، ومن حوله .

حتى انه اجتمع في سنة ثمانية رسل ، هم رسل جوبان وأبي سعيد وأزبك بن طقطاي و طغاي وصاحب برشلونة ، وصاحب اسطنبول ، وصاحب النوبة وملك الكرج ، وكلُّهم يبذلون الطاعة ، ولم يّتفق في الدولة التركية مثل ذلك ، وأكثر ما اجتمع في الأ يام الظاهرية خمسة رسل وذلك في سنة ستَّ عشرة وسبعمائة .

(المقريزي – السلوك)

وكان **السلطان** الناصر يحمل إلى ملوك الشرق من المال ما لا ينحصر .

واتفق أنه جهز مرة **لأبي سعيد بن خربندا** صحبة الأمير **أيتمش المحمدي** هدية عظيمة جداً ، فقال له **الفخر** ناظر الجيش : قد اغنى **الله السلطان** عن هؤلاء فإنهم في طاعته عن أن يبعث لهم بهذا المال .

فقال له : **اسكت يا قاضي فخر الدين والله لو علمت الذي أعلمه ما قلت هذا . اعلم يا قاضي أن المال الذي أسيره إليه ما يجي ء قدر ثمن الروايا وكلف السقايين الذين يذهبون معي في البيكار ، وأكون قد وفرت نفسي وعسكري .**

نتيجة لازدياد قوة الدولة المملوكية وتزعمها للعالم الاسلامي في الشرق الادنى أضحى الملوك يتقربون اليها ويستنجدون بها ضد بعضهم البعض .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 269)

فكان بلاطه مقصد لملوك البلاد في كل مكان ورضاه غاية يبذل من اجلها الغالي والنفيس وحماه يحتمي به الملوك والامراء .

وقدم من **بغداد الوزير نجم الدين محمود بن على بن شروان** ، وعدة من الأعيان فقدم الوزير للسلطان هدية سنية , طالبا الدخول في حماه .

قدمت رسل **بابا الفرنج** من مدينة **روما** بهدية ، وكتاب فيه الوصية **بالنصارى** وأنه مهما

عمل مهم بمصر والشام عاملوا من عندهم من المسلمين بمثله ، فأجيبوا وأعيدوا . ولم تقدم رسل من عند **البابا** إلى مصر منذ أيام **الملك الصالح نجم الدين أيوب .**

وكانت مصر في موسم الحج وجهة يتجمع فيها المسلمون مما يجعل بلاط الناصر مقصدا للملوك وعلية القوم .

قدم **منسا موسى ملك التكرور** يريد الحج وأقام تحت الأهرام ثلاثة أيام في الضيافة .

وطلع إلى القلعة ليسلم على **السلطان** ، وامتنع من تقبيل الأرض ، فلم يجبر على ذلك ، غير أنه لم يمكن من الجلوس في الحضرة السلطانية . وأمر **السلطان** بتجهيزه للحج ، فنزل وأخرج ذهباً كثيراً في شراء ما يريد من الجواري والثياب وغير ذلك ، حتى انحط الدينار ستة دراهم .

وقدمت **الحرة بنت السلطان أبي الحسن علي المريني** صاحب **فاس** تريد الحج ، ومعها جمع كبير وهدية جليلة إلى الغاية ، نزل لحملها من الإسطبل السلطاني ثلاثون قطاراً من بغال النقل سوى الجمال ، وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتان بغل ، وجميعها بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة ، وبعضها سروجها وركبها من الذهب وكذلك لجمها ، وكان جملتها أيضاً أبقار عدتها اثنان وأربعون رأساً ، ومنها سرجان

من ذهب مرصع بجوهر ، وفيها : اثنان وثلاثون بازاً ، وفيها : سيف قرابه من ذهب مرصع ، وحياصة ذهب مرصع ، وفيها : ستمائة كساء وغير دلك من القماش الغالي . وكان قد خرج المهمندار إلى لقائهم ، وأنزلهم بالقرافة قرب مسجد الفتح ، وهم جمع كبير جداً . وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة ، ففرق **السلطان** الهدية على الأمراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها ، سوى الجوهر واللؤلؤ ، فإنه اختص به

فقدرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار .

وقدم رسول **الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين** سبط القان **أرغون أبغا بن هولاكو بن طولي بن جنكزخان** متولي العراق ، بكتابه يتضمن طلب عسكر يتسلم بغداد والموصل وعراق العجم ليقام بها الدعوة **للسلطان** ، وسأل أن يبعث **السلطان** إلى **طغاي بن سونتاي** في الصلح بينه وبين الشيخ **حسن** فأجيب إلى ذلك ،

وفي عام 711 هـ – 1311 م زار **ابو يحي زكريا الحفصي** القاهرة واجتمع **بالسلطان الناصر محمد** طالبا مساعدة عسكرية لاستعادة عرشه المسلوب من **الامير ابي البقاء خالد** صاحب تونس .

جهز **السلطان** فرقة عسكرية وارسلها معه ولما وصل الى طرابلس استطاع ان يضم المدينة الى نفوذه ثم تابع زحفه الى تونس وضمها الى املاكه وخلع **ابا البقاء** وحذف اسم **المهدي** من الخطبة وامر بالدعاء **للملك الناصر** .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 269)

فدانت له ساير الملوك إذ عزمته الشريفة بتأييد **الله** له بالْقُدرةِ عليهم محيطة

(الدواداري – كنز الدرر88/9)

11) الناصر محمد والدعاء على المنابر :

أقيمت الخطبة للملك الناصر بطرابلس الغرب ، أقامها له الشيخ أبو يحيى زكريا ابن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن حفص .

واقامها له في تونس حتى 717-1317 م .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 269)

وقدمت رسل **ابن قرمان** بدراهم ضربت **باسم السلطان** ، وأنه خطب هناك **للسلطان** ،

وهي أطراف بلاد الروم ، فكتب له تقليد .

وقدم كتاب **أرتنا** ومعه هدية ، ويسأل فيه أن يكون نائب **السلطان** في بلاد الروم ، **وأنه يضرب السكة باسمه ، ويقيم دعوته على منابره** . فكتب له تقليد بنيابة الروم .

قدم رسول الأمير **يوسف بن أتابك الكردي** صاحب الجبال ووطاة نصيبين يخبر بكثرة جموعه من الأكراد وأنه رغب في الانتماء إلى **السلطان** وضرب السكة في بلاده باسمه ، وطلب نجدته بعسكر يتسلم ما بيده من البلاد ليكون نائب السلطنة بها ، وأن يشرف بصناجق سلطانية عليها اسم **السلطان** لتعينه في غاراته ، فأجيب بالشكر ، وجهزت له هدية وخيول وسلاح .

تسلم الأمير **قراجا بن دلغادر** قلعة **طرندة** وأقام بها الدعوة **للسلطان** .

واقيمت الخطبة **للسلطان في بغداد والموصل وديار بكر** .

(المقريزي – السلوك)

12) الناصر محمد وبلاد الحجاز :

"كانت تلك الخلافات بين **أشراف الحجاز** ، تساعد **السلطان** ، على إحكام سلطته وسيطرته على البلاد ، حيث كان يلجأ بين الحين والآخر ، إلى إرسال بعض القوات إلى هناك ، لإقرار الأُمور ، أومناصرة أمير على آخر ، فيضمن بذلك ولاء لا تشوبه شائبة ، رغم بعد المسافة التي تفصل بين مركز السلْطنة وبلاد الحجاز ، و لعلَّ موسم الحج ، كان مناسبة للتأكُّد من ولاء الأُمراء وطاعتهم ، حيث كان أمير الركب ، يحمل **لأشراف الحجاز** ، الأنعام والخلع على غرار ما جرت عليه العادة ، من تكريم الدولة ، لكبار موظفيها

(اليوسفي – نزهة الناظر 82)

سار **الناصر** على نهج من سبقوه في الحفاظ على ضم **البلاد المقدسة** تحت سيطرة **المماليك** وذلك لاعتبارات **دينية** باعتبار **سلطنة المماليك** اقوى الدول الاسلامية وحماة الدين وللفوائد التجارية للتحكم في سواحل **البحر الاحمر** وثغوره .

اتسعت الخلافات الداخلية في كل من **مكة والمدينة** في بداية عهد **الناصر** وكان اشراف مكة يلجؤون الى **سلطان** المماليك كلما احتدم الخلاف بينهم على السيادة والنفوذ مما سهل **للسلطان** بسط سيادته عليهما والتدخل في تعيين امرائها .

والواقع ان سياسة المماليك في مكة قامت على عدم تفرد امير بالحكم خشية من الانقلاب على الدولة .

والواقع ايضا ان سلطنة الناصر محمد على الحجاز كانت اسمية وان نفوذه لم يتعد ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة احيانا .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 264)

13) الناصر محمد و المغول :

مغول القبجاق :

استمرت العلاقات الودية قائمة بين **سلطنة المماليك ودولة المغول** في بلاد **القبجاق** وشكلت العلاقات العدائية التقليدية بين هؤلاء وبين **مغول فارس** سببا في حرص مغول **القفجاق** على ايجاد حليف قوي يساندهم في مواجهة ابناء عمومتهم في **فارس** فحاولوا دفع المماليك الى الاصطدام بهم في الوقت الذي اعتنق فيه هؤلاء الاسلام ودخلوا في مفاوضات معهم من اجل السلام بينهما

ظلت هذه **العلاقات الجيدة** سائدة بين الدولتين حتى الت زعامة القبيلة الذهبية بعد وفاة

طقطقاي الى ازبك (1313–1340م) .

وكان لاعتناق هذا الخان الدين الاسلامي اثر كبير في استمرار العلاقات الودية بين الطرفين فتبادل الرجلان الرسائل والهدايا .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 277)

مغول فارس :

وفي سياسة تقليدية لمغول فارس منذ عهد **هولاكو** انتهج الخان المغولي **خربندا** نهج اسلافه من حيث الوقوف موقف العداء من المماليك واعتنق هذا الخان **المذهب الشيعي** وغلا فيه وعمل على نشره في المناطق القريبة من بلاده فاشتد العداء **بينه وبين المماليك** وطمع في الاستيلاء على بلاد **الشام ومصر** .

وكان لوصول الامير **قراسنقر** المنشق عن **سلطان المماليك** الدور البارز في العلاقات **المملوكية المغولية** في **عهد الناصر** .

كان الامير الذي شق عصا الطاعة على **السلطان** قد حسن للخان الاغارة على بلاد الشام فصادف هذا رغبة عنده فوافقه .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 271)

وخصوصا بعد رحيل **مهنا** إليه .

وكان الخبر قد ورد بحركة **خربندا** وإقامته عنده ، وتقوية عزمه على أخذ **الشام** .

فخرج اليه العسكر وترحلوا شيئاً بعد شيء , حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر .

ولكن سريعا ما قدم البريد برحيل التتار من الرحبة ، وعودهم إلى بلادِهم .

وبعدما توفي **الخان** وخلفه **ابنه ابو سعيد بهادر خان** وهو في سن الثانية عشر , سعى في الدخول في مفاوضات مع **السلطان** بهدف الصلح بينهما .

كان الناصر لا يزال يكن العداوة للمغول ولكن بعد ثلاث سنوات من المفاوضات جنح الناصر الى السلم بعد ان عبر له ابو سعيد عن نواياه الطيبة ورغبته الصادقة في قيام علاقات بينهما على اسس المحبة والاحترام المتبادل .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 274)

فقدم **المجد السلامي** من عند **الملك أبي سعيد بن خربندا** في طلب الصلح ، فخرج القاضي كريم الدين الكبير إلى لقائه ، وصعد به إلى القلعة ، فأخبر **المجد السلامي** برغبة **جوبان** وأعيان دولة **أبي سعيد** في الصلح ، وأن الهدية تصل مع الرسل ، فكتب إلى نائبي **حلب ودمشق** بتلقي الرسل وإكرامهم .

تم الصلح بشروط : منها ألا تدخل **الفداوية** إليهم ، وأن من حضر من مصر إليهم لا يطلب ، ومن حضر منهم إلى مصر لا يعود إليهم إلا برضاه ، وألا يبعث إليهم بغارة من **عرب** ولا **تركمان** ، وأن تكون الطريق بين المملكتين مفسوحة تسير تجار كل مملكة إلى الأخرى ، وأن يسير الركب من **العراق** إلى **الحجاز** في كل عام بمحمل ومعه سنجق فيه اسم صاحب **مصر** مع سنجق **أبي سعيد** ليتجمل بالسنجق **السلطاني** ، وألا يطلب الأمير **قراسنقر** . فجمع **السلطان** الأمراء ، واستشارهم في ذلك ، بعد ما قرأ عليهم الكتاب ، **فاتفق الرأي على إمضاء الصلح بهذه الشروط** ، وجهزت الهدايا **لأبي سعيد** . وأعيد الرسل بالجواب ، وفيه آلا يمكن عرب **آل عيسى** من الدخول إلى العراق ، فإن العسكر واصل لقتالهم .

(المقريزي – السلوك)

ظلت العلاقات الطيبة قائمة بين المماليك والايلخانيين حتى وفاة ابي سعيد 736هـ 1335 م اخر الايلخانيين الكبار فتفككت دولة المغول بعد وفاته .

14) الروك الناصري :

كان **السلطان** قد استكثر أخباز **المماليك** أصحاب **بيبرس الجاشنكير وسلار النائب** وبقية **البرجية** ، وخشي **السلطان** من وقوع الفتنة بأخذ أخبازهم . فقرر **السلطان** مع **الفخر محمد بن فضل الله ناظر الجيش روك** البلاد وإخراج الأمراء إلى الأعمال .

فتعين **الأمير بدر الدين جنكلي ابن البابا للغربية** ، ومعه **آقول الحاجب ومكين الدين إبراهيم بن قروينة ، وللشرقية الأمير عز الدين أيدمر الخطيري ، ومعه أيتمش المحمدي وأمين الدين قرموط ، وللمنوفية والبحيرة بلبان الصرخدي والقلنجي وابن طرنطاى وبيبرس الجمدار ، وللصعيد التليلي والمرتيني .**

استدعى الامراء مشايخ البلاد ودلالاها وقياسيها وعدولها وسجلات كل بلد . وعرف متحصلها ومقدار فدنها ومبلغ عبرتها وما يتحصل للجندي من العين والغلة والدجاج والخراف والبرسيم ، والكشك والعدس والكعك ، ثم قاس تلك الناحية ، وكتب بذلك عدة نسخ ، ولا يزال يعمل ذلك حتى انتهى أمر عمله .

وعادوا **بعد خمسة وسبعين يوماً** بالأوراق ، فتسلمها **الفخر ناظر الجيش** ، ثم طلب **السلطان الفخر** ناظر الجيش والتقى **الأسعد بن أمين الملك** – المعروف بكاتب **برغلي** – وسائر مستوفي الدولة ، وألزمهم بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخاص **السلطاني** التي عينها لهم ، وعلى إقطاعات الأمراء ، وأضاف على عبرة كل بلد ما كان فلاحيها من الضيافة المقررة ، وما في كل بلد من الجوالى وكانت الجوالى قبل ذلك إلى وقت الروك ديواناً مفرداً يختص **بالسلطان** ، فأضيف جوالى كل بلد إلى متحصل خراجها .

وجلس **السلطان** بالإيوان الذي أنشأه لتفرقة الاقطاعات بعدما دارت النقباء على جميع الأجناد وحضروا ورسم أن يفرق كل يوم على أميرين من المقدمين بمضافيهما .

فمن كان قد كبر وعجِز عن الخِدمة ، وكان له في الإسلام سابقة وقدمة ، فإن كان له ولد صالح للخدمة الشريفة ، أنعم عليه بخبز أبيه ، ويتصدّق على الشيخ براتب يمُونه لتقر به عيونه ، ومن صلح للزيادة زاده ، ومن كانت سيرته ذميمة ، وأحواله غير مستقيمة ، قطعه ، وأنعم بإقطاعه على مستحّقه ، وخرج المقطوع يقلِّب كفَّيه ، ولم يلْق مِن حنين غير خفَّيه ، فكان هذا العرض كيوم العرض ، هذا قد فاز بحسناته ، وهذا قد ندم على سيئاته

(الدواداري – كنز الدرر9 /239)

حيث يجلس **السلطان** وبين يديه الأُمراء ، متّخذًا شخصًا ذا خبرةٍ ومعرفة ، بأمور الجيش ، وأخباره ، ومعرفة الجندي الجيِّد من غيره ، والقديم الهجرة بالأبواب الشريفة من المستجَد لمعرفة المستحق من غيره

(الدواداري – كنز الدرر9 /239)

فكان المقدم يقف بمضافيه ، ويستدعي **السلطان** المقدمين كل أحد باسمه ، فإذا تقدم المطلوب سأله **السلطان** : من **أين أنت؟ ومملوك من؟** ، حتى لا يخفى عليه شيء من أمره ، ثم يعطه مثالاً على ما قسم له من غير تأمل ، **وأنبأ السلطان في العرض عن معرفة تامة بأحوال الأجناد وأمراء الجيش** .

وكان **السلطان** يخير **الشيخ المسن** بين الإقطاع والرواتب ، فيعطيه ما يختار ، و لم يقطع في العرض العاجز عن الحركة ، بل كان يرتب له ما يقوم به عوضاً عن إقطاعه .

(المقريزي – السلوك)

15) الناصر وبلاد النوبة :

اتت الحملات التى ارسلها **سلاطين المماليك** الى بلاد **النوبة** اكلها وخضعت البلاد **للسيطرة المملوكية** مع ما يجنيه المماليك من فوائد تجارية وظل ملوك **دنقلة** يعبرون عن ولائهم الى **السلطان** كلما نشب نزاع بينهم .

فكر **الناصر** في تعيين حاكم **نوبي مسلم** تربى في المجتمع المملوكي في سعيه لفرض اتجاه جديد في العلاقات بين **القاهرة ودنقلة** قائم على حث **النوبيين** الدخول في **الدين الاسلامي** ليصبحوا جزأ لا يتجزأ من العالم الاسلامي .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 279)

هذا بالاضافة الى تشجيع الهجرة العربية الى بلاد النوبة لتعزيز العنصر العربي فيها مما ادى في نهاية المطاف الى سقوط مملكة النوبة المسيحية حتى لم يعد المماليك ينظرون الى هذه البلاد بوصفها ميدانا جديدا للجهاد وأحتط النوبيين بالعرب عن طريق المصاهرة .

(مسعد مصطفى – الاسلام والنوبة 165)

وكان **الناصر** قد ارسل في **عام 723–1323 م** حملة اخيرة الى بلاد **النوبة** بقيادة **الامير علاء الدين قراسنقر** لمحاربة **كنز الدولة** .

كانت هذه الحملة هي الاخيرة في سلسلة الحملات ضد النوبة لان السكان سريعا ما ساروا نحو الاسلام واصطبغت البلاد بالصبغة العربية نتيجة هجرة القبائل وبالتالي لم تعد تشكل خطرا على المماليك على حدودهم الجنوبية .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 281)

16) الناصر و الارمن :

قدم البريد بأن العسكر أغار على بلاد سيس ، وأخرب وغنم وقتل جماعة ، وأن أوشين

متملك سيس هلك ، وقام من بعده ابنه ، وله من العمر نحو اثنتي عشرة سنة ، وأن العساكر نازلت أياس وأخذوها عنوة بعد حصار ، وقتلوا أهلها وخربوها ، وعادوا على الأرمن فغنموا وأسروا منهم كثيراً ، وتوجهوا عائدين .

وقاتلوا الأرمن حتى ملكوها ، وغنموا منها مالاً كثيراً وقتلوا عدة كثيرة منهم ، ومر من بقي في البحر .

(المقريزي – السلوك)

كانت الاحوال في **سيس** صعبة يشوبها كثرة **النزاعات والصراعات** حتى ان **اوشين الاول** ملك **ارمينيا** قد ذهب ضحية هذا الصراع فخلفه ابنه **ليون الخامس** صاحب **الاثني عشرة سنة** .

اجرى **ليون** اتصالات سرية مع **دول غرب اوروبا** بهدف الحصول على مساعدات عسكرية فرد عليه **البابا يوحنا** الثاني والعشرين **بأن ملوك اوروبا في حرب مع بعضهم البعض ولن يستطيعوا نجدتك**

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك283)

وكانت التراكمين قد أغاروا على بلاد **سيس** ، ومعهم عسكر **ابن قرمان فتركوها أوحش من بطن حمار** .

فبعث **تكفور** بهدية إلى **تنكز** نائب **الشام** ، وسأله منع العسكر من بلاده ، وأنه يسلم القلاع التي من وراء **نهر جهان** جميعاً **للسلطان** , فعاد العسكر إلى مصر ، وعمل في كل قلعة من قلاع **الأرمن** نائب ، ورتب فيها عسكر . ثم قدمت رسل **تكفور** فخلع عليهم ، وكتب بترك الخراج عنهم ثلاث سنين ، ومهادنتهم عشر سنين .

وفي عام 723–1323م بادر **ليون الخامس** بارسال رسله الى **القاهرة** وهم يحملون

الهدايا واعتذر للسلطان عما حدث .

وافق السلطان على عقد الهدنة .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك284)

أرسل **تكفور** مفاتيح القلاع ، على أن يرد ما سبي ونهب من بلاده ، فنودي برد السبي .

وتسلم المماليك قلعة كوارة وكانت من أحصن قلاع الأرمن وتسلم العسكر آياس ، وكان ببلدة آياس أربعمائة خمارة وستمائة . بغى وكان بها في ظاهرها ملاحة تضمن كل سنةبسبعمائة ألف درهم ، ولها مائتي وستة عشر بستاناً تغرس فيها أنواع الفواكه ، ودور سورها فدانان وثلثا فدان .

ثم رحل العسكر عن **آياس** بعدما ، قاموا عليها اثنين وسبعين يوماً ، فمر نائب حلب على قلعة **نجيمة** وقلعة **سرفندكار** وقد أخربهما مغلطاي .

قدمت مفاتيح القلاع التي كانت بيد صاحب **سيس** . وهي **آياس الجوانية ، وآياس البرانية ، والهارونية ، وكوارة وحميضة ونجيمة وسرفندكار** ، فرسم بخراب بعضها ، وأقامت النواب بباقيها .

وفي عام729 هـ – 1329 م قبل **ليون الخامس** ان يكن تابعا **للسلطان الناصر** وبقبول الارمن لهذه التبعية تخلصوا من مضايقات **المماليك**

ومنذ ذلك التاريخ وبلاد الارمن في حالة تبعية تامة وفعلية **لسلطنة المماليك** .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 285)

الناصر محمد وملطية :

وسبب غزو ملطية أن السلطان بعث فداوية من أهل **مصياب** لقتل **قراسنقر** ، فصار هناك رجل من الأكراد يقال له **مندوه** يدل على قصاد السلطان أخذ منهم جماعة ،

فشق ذلك على السلطان ،

ودخلوا إلى المدينة ونهبوها , وقتلوا عدة من أهلها , فشق ذلك على الأمير تنكز ، وركب معه الأمراء ، ووقف على الأبواب وأخذ النهوب من العسكر ، ورحل من الغد وهو رابع عشري المحرم بالعسكر ، ، وترك نائب حلب مقيماً عليها لهدم أسوارها . ففر مندوه قبل الدخول إلى الدربند . وفات أمره . فلما قطعوا الدربند أحضرت الأموال التي نهبت والأسرى ، فسلم من فيهم من المسلمين إلى أهله ، وأفرد الأرمن .

فلما فتحت ملطية سار الأمير قجليس إلى مصر بالبشارة ، فقدم يوم الخميس ثالث صفر ، ودقت البشائر بذلك . وتبعه الأمير تنكز بالعساكر – ومعه الأمير ميزامير وولده

.

(المقريزي – السلوك)

17) الملك الناصر محمد والامراء :

لم يكن شكه الدائم إلا ثمرة تجاربه الحكمية في سلطاته الاثنتين السابقتين ، التي تركت أثرًا عميقًا في تحديد سير مجريات الحوادث في العهد الثالث لحكمه ، وخاصة في تعامله مع كبار الأُمراء ، وإمعانه في القبض على أي منهم يصل إلى شيء من السلطة الفعلية ، وبالتالي العمل على مصادرة ثروته وممتلكاته.

(حياة ناصر الحجي– السلطان محمد بن قلاوون ونظام الحكم في عهده20)

وكانت حرمته ومهابته قد تجاوزت الحد ، حتى إن الأمراء إذا وقفوا بالخدمة لا يجسر أحد منهم أن يتحدث منهم رفيقه بكلمة واحدة ، ولا يلتفت نحوه ، خوفاً من مراقبة السلطان لهم .

وكان السلطان الناصر على غاية من الحشمة ورياسة النفس وسياسة الأمور ، فلم

يضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش في شدة غضبه ولا في انبساطه وكان يدعو الأمراء وأرباب الولايات وأصحاب الأشغال بأحسن أسمائهم وأجل ألقابهم ، وإذا غضب على أحد لا يذكر له ذلك .

وكان يقتصد في لباسه وكان فيه تؤدة ، فإذا غضب على أحد من أمرائه أو كتابه أسر ذلك في نفسه ، وتروى فيه مدة طويلة ، وهو ينتظر له ذنباً يأخذه به حتى لا ينسب إلى ظلم ولا حيف ، فإنه كان يعظم عليه أن يذكر عنه **أنه ظالم أو جائر أو فيه حيف أو وقع في أيامه خراب أو خلل ، ويحرص على حسن القالة فيه وذكره بالجميل .**

(المقريزي – السلوك)

وكان يستبد بأمور مملكته ، ويتفرد بالأحكام ، حتى أنه أبطل نيابة السلطنة ليشتغل بأعباء الدولة وحده . وكان يكره أن يقتدي بمن تقدمه من الملوك ، ولا يحتمل أن يذكر عنده ملك . وكان يكره شرب الخمر ويعاقب عليه ، ويبعد من يشربه من الأمراء عنه .

"إن وضع معظم نواب الشام ، لم يكن مستقرًا ، حتى إن بعضهم ، لم تتعد ولايته بضعة أشهر ، ولعلّ السبب في ذلك أن السلطان كان يعين الأُمراء الذين يخشى خطرهم في النيابات البعيدة ، عن مركز السلطة ، ثم يلجأ إلى اعتماد الحيلة ، للقبض عليهم ، والتخلص منهم .

"أما الديار المصرية ، فكانت بإشراف السلطة المركزية المباشرة ، المتمثلة بشخص السلطان ، يعاونه في تسيير الأمور فئة من الموظفين ، أُطلق عليهم في النظام المملوكي لقب الولاة ، يختارون دائمًا من بين الأُمراء ، كان أعظمهم شأنًا والي القاهرة .

(اليوسفي – نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر 72)

هذي أمور عِظام مِن بعضِها القلب ذائب

ما حالُ قطرٍ يليهِ في كلّ شهرين نائب

ابن الوردي

كان **الناصر محمد** ، يعمل على تعيين مماليكه والمقربين منه ، في المناصب المهمة في السلطة ، ليضمن تأييدهم ومناصرتهم .

ألغى **السلطان** بعض الوظائف الكبرى ، مثل وظيفة نائب السلطنة ، ووظيفة الوزير .

(اليوسفي – نزهة الناظر 4)

صار ما كان إلى **الوزير** منقسمًا إلى ثلاثة : إلى **ناظر المال** ، **أو شاد الدواوين** ، أمر تحصيل المال ، وصرف النّفقات والكلف ، وإلى ناظر الخاص ، تدبير جملة الأُمور ، وتعيين المباشرين ، وإلى **كاتب السر** التوقيع في دار العدل ، مما يوقع فيه **الوزير** مشاورة واستقلالا ، ثم إن كلا من المتحدثين الثلاثة ، لا يقدر على الاستقلال بأمر ، إلا بمراجعة **السلطان** .

(السيوطي – حسن المحاضرة 30)

رتَّب المواكب بالقصر الكبير ، ورتب وقوف الأُمراء في المواكِب ورتَّب أشْياء كثيرة من نِظام المملكة ، وهي باقية إلى الآن ، ومشى عليها من جاء بعده مِن الملوك ، لا يعَلم لأحدٍ من الملوك آثار مثله ، ولا مِثل مماليكه ولم ينفرد برأي ، بل كان يستشير من حوله ، ويأخذ برأيه .

(ابن إياس ، بدائع الزهور1/481)

وكان كثير الانعام على مماليكه يرى ان :

الأستاذ يبلغ قصده من مملوكه ، ويبلغ المملوك قصده من أُستاذه إذا رأى المملوك سعادة ، تملأ عينيه وقلبه ، نسي بلاده ، ورغب في أستاذه .

(المقريزي – السلوك2/525)

فكانت الإنعامات تفاض ، فتخجل البحار الزخارة ، أغرق خواصه بالجوائز ، وعمهم بالهبات ، لم تسمع لملكٍ مثل عطاياه ، ولا لجوادٍ غيره بما وهب ، حتى أثْقل جياده ، وكلَّت مطاياه :

تمشي خزائنه من جود راحتِهِ

بيداء لا ذهب فيها ولا ورق

(الصفدي – أعيان العصر وأعوان النصر75/5)

وليبشِر بماجعِلَ له من فضلنا العميم ، ويتمسك بوعدنا الشريف ، أن هذه المملكة له ، ولأبنائه وأبناء أبنائه ، ماوجِد كفْء من نسبهم الصميم .

(القلقشندي – صبح الأعشى 190/10)

لا يجسر أحد من الأمراء أن يتكّلم في الخدمة مع الآخر كلمة واحدة ، ولا يلتفت إليه ، ولا يذهب أحد إلى بيت الآخر ، لا في وليمة ، ولا في غيرها ، ومن سمع عنه شيئًا من ذلك أمسكه أو أخرجه في وقت إلى الشام ، ولم يكن له نائب ، ولا وزير ، بل هو المتحدث في كل الأُمور ، وأفنى خلقًا كثيرًا من الأُمراء من مماليك والده ، ومماليكه الذين أقامهم وأمرهم ، تقدير مائتي أمير . وكان كثير التخيل ، ولو تخَيَّل من ولده أهلكه حفظًا للملك ، ولم يكذب خبرًا ، ولا بات إلا على حَذر .

وكان كثير الخِداع ، شديد التخيل في مقاصده ولا يقف عند قول ولا يمين

(الصفدي – أعيان العصر73/5)

اختص عداه بالمقت ، وخلت له الأرض من المعارض ، وضمن بعضهم لحود السجون ، ووقعوا من سطواته في الحد وكانوا يظنون أنه مجنون .

(الصفدي – أعيان العصر74/5)

"فمنهم من قتله جوعًا وعطشًا ، ومنهم من أتلفه بالخنق ، ومنهم من غرَقه ، ومنهم من

نفاه ، ومنهم من سجنه فأقام مسجوناً العشرين سنة فما دونها

(قاسم عبده قاسم – في تاريخ الأيوبيِّين والمماليك 276)

وكانت عادته أنه لا يكذب في الشر خبرا .

وكان ابن تيمية يقول : "**إِنِّي قد أَحَلَلْت السلطان المعظم ، الملك النّاصر ، من حبسِهِ إياي كوَنه فعل ذلك ، مقلِّدًا غيره ، معذورًا ، أو لم يفعله بحظ نفسه ، بل لِما بَلغه مما ظنَّه حقًّا من مبلِغه ، والله يعلم أنه بخلاف .**

(الكواكب الدريَّة في مناقب ابن تيمية ، 12)

وكان السلطان حشم النفس يكره الفحش وكان لا يرتشي ويمقت من يرتشي ويعاقبه أشد العقوبة ولا يتغاضي في خرق حرمته وكان مخادعًا كثير الحِيل ، لا يقف عند قول ، ولا يوفِ بِعهد ، ولا يبر في يمين .

السلطان و المظفر بيبرس :

كان بيبرس لما فارق قلعة الجبل أقام بإطفيح يومين ، واتفق رأيه على المسير إلى برقة والإقامة بها ، فلما بلغ مماليكه هذا عزموا على مفارقه ، فلما رحلوا من إطفيح رجعوا شيئاً بعد شيء إلى القاهرة ،

فما بلغ الملك المظفر إلى إخميم حتى فارقه أكثر من كان معه ، فانثنى رأيه عن برقة .

وبينما هو سائر قدم عليه الأميران بيبرس الدوادار وبهادر أص من عند الملك الناصر ليتوجه إلى صهيون . بعد أن يدفع ما أخذه من المال بأجمعه إلى بيبرس الدوادار .

وسأل المظفر يمين السلطان مع من يثق به ، فحلف له السلطان بحضرة الأمراء ، وبعث إليه بذلك مع أيتمش المحمدي .

فلما قدم عليه أيتمش بالغ في إكرامه ، وتحير فيما يفعله ، وكتب الجواب بالطاعة ، وأنه

يتوجه إليه ناحية السويس ، وأن **كريم الدين** يحضره بالخزانة والحواصل التي أخذها . فلم يعجب **السلطان** ذلك ، وعزم على إخراج تجريدة إلى غزة ليردوه .

ثم جهز **السلطان أسندمر كرجي** لإحضار **المظفر** مقيداً ، فاتفق دخول **قراسنقر** والأمراء إلى غزة قبل **المظفر** .

، فلما بلغهم قربه ركب **قراسنقر** وسائر النواب والأمراء ولقوة شرقي غزة ، وقد بقى معه عدد من مماليكه وقد تأهبوا للحرب ، فلبس الأمراء السلاح ليقاتلوهم .

فأنكر **المظفر** على مماليكه تأهبهم للقتال ، وقال :

أنا كنت ملكاً وحولي أضعافكم ، ولي عصبة كثيرة من الأمراء ، وما اخترت سفك الدماء ، وما زال حتى كفوا عن القتال ، وساق بنفسه حتى صار مع الأمراء ، وأسلم نفسه إليهم

فسلموا عليه وساروا به إلى معسكرهم وأنزلوه بخيمة ، وأخفوا سلاح مماليكه ووكلوا بهم من يحفظهم , وأصبحوا من الغد عائدين به معهم إلى مصر .

فأدركهم أسندمر كرجي بالخطارة ، فأنزل المظفر عن فرسه وقيده بقيد أحضره معه ، فبكي وتحدرت دموعه على شيبته .

فشق ذلك على **قراسنقر** وألقى الكلفتاه عن رأسه إلى الأرض ، وقال :

لعن الله! الدنيا فياليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم .

هذا مع أن **قراسنقر** كان أكبر الأسباب في زوال دولة **المظفر** ، وهو الذي حسن **للملك الناصر** حتى كان ما كان .

وقدم **أسندمر بالملك المظفر** في ليلة **الأربعاء الرابع عشر من ذي القعدة** ، فلما مثل **المظفر** بين يدي **السلطان** قبل الأرض ، فأجلسه وعنفه بما فعل به ، وذكره بما كان منه

وعدد ذنوبه ،

وقال : تذكر وقد صحت علي وقت كذا بسبب فلان ، ورددت شفاعتي في حق فلان ، واستدعيت نفقة في وقت كذا من الخزانة فمنعتها ، وطلبت في وقت حلوى بلوز وسكر فمنعتني . ويلك! وزدت في أمري حتى منعتني شهوة نفسي ، والمظفر ساكت .

فلما فرغ كلام السلطان قال له : يا مولانا السلطان كل ما قلت فعلته ، و لم تبق إلا مراحم السلطان . وإيش يقول المملوك لأستاذه .

فقال له : يا ركن الدين أنا اليوم أستاذك ، وأمس تقول لما طلبت أوز مشوي إيش يعمل بالأوز ، الأكل هو عشرون مرة في النهار .

ثم أمر السلطان به إلى مكان ، وكان ذلك ليلة الخميس ، فاستدعى بوضوء وصلى العشاء الآخرة .

ثم جاء السلطان وأمر به فقتل ، وأنزل على جنوية إلى الإسطبل ، وغسل به في **ليلة الجمعة خامس عشرة** ، ودفن خلف القلعة .

السلطان و سلار :

ولما فرغ السلطان من أمر المظفر بيبرس لم يبق عنده أهم من سلار فندب إليه الأمير ناصر الدين محمد بن أمير سلاح بكتاش الفخري ، وكتب على يده كتابا بحضوره ، فاعتذر عن الحضور بوجع في فؤاده ، فتخيل السلطان من تأخيره ، وخاف أن يتوجه إلى التتار .

فكتب إلى قرا سنقر نائب الشام وإلى أسندمر يأخذ الطريق على سلار لئلا يتوجه إلى التتار ، وبعث الأمير بيبرس الدوادار وعلم الدين سنجر الجاولي إلى سلار ، وأكد

عليهما في إحضاره ، وأن يضمنا له على **السلطان** أنه يريد إقامته عنده ليستشيره في أمور المملكة .

فقدما عليه وبلغاه عن **السلطان** ما قال ، فوعد بأنه يحضر ، وكتب الجواب بذلك ، فلما رجعا اشتد قلق **السلطان** وكثر خياله .

وأما سلار فإنه تحير في أمره ، فقدم وقبض عليه ، وسجن بالقلعة .

ثم قتل بقلعة الجبل ، وأحيط بماله وكان شيئا كثيرا . ولما وصل طلبه فرقه السلطان على الأمراء .

وكان سلار عاقلا له رأي وحزم ، وأصله لما كسبه المنصور قلاوون من التتر .

(المقريزي – السلوك)

السلطان و أسندمر كرجي :

ثم التفت **السلطان** إلى أسندمر **كرجي** نائب حلب ، وأخرج تجريدة من **القاهرة** فيها من الأمراء **كراي المنصوري** وهو مقدم العسكر ، وأظهر أنهم قد توجهوا **لغزو سيس** .

وكتب **السلطان لأسندمر كرجي** بتجهيز آلات الحصار على العادة ، والاهتمام في هذا الأمر حتى يصل العسكر المجرد من **مصر** ، وكتب إلى **عماد الدين صاحب حماة** بالمسير مع العسكر .

وسار **الأمير كراي** وأسر إليه **السلطان** ما يعتمده في أمر **كرجي** .

قدم **أسندمر كرجي** ، فاعتقل بالقلعة ، وبعث يسأل عن ذنبه ، فأعاد جوابه:

ما لك ذنب إلا أنك قلت لما ودعتك عند سفرك ، أوصيك يا خوند لا تترك في دولتك كبشاً كبيراً ، وأنشئ مماليكك ، ولم يبق عندي كبش كبير غيرك .

السلطان وبكتمر الجوكندار :

توحش خاطر الأمير **بكتمر الجوكندار** نائب السلطة بمصر من **السلطان** ، وخاف من السلطان ، واتفق **بكتمر** مع الأمير **بتخاص المنصوري** على إقامة الأمير **مظفر الدين موسى** ابن الملك **الصالح علي بن قلاوون** في السلطنة ، والاستعانة بالمظفرية ، وبعثوا إليه بذلك فوافقهم .

وشرع **النائب** في استمالة الأمراء ، ومواعدة **المماليك المظفرية** الذين بخدمة الأمراء ، على أن كل طائفة تقبض على الأمير التي هي بخدمته في يوم عينه لهم ، ثم يسوق الجميع إلى قبة النصر خارج القاهرة ، وقد نزل هناك الأمير موسى , فدبروا ذلك حتى انتظم الأمر ، و لم يبق إلا وقوعه .

فأراد **بيبرس الجمدار** أحد المظفرية الذين انتظموا في سلك هذا العقد أن يتخذ يدا عند **السلطان** ، وعرف خوشداشيته فبلغ الخبر إلى **السلطان** ، فلم يتمهل **السلطان** ، وطلب **أمير موسى** إلى عنده ، وكان يسكن بالقاهرة ، فلما نزل إليه الطلب هرب .

واستدعى **السلطان** الأمير **بكتمر** النائب ، وبعث في طلب **بتخاص** ، فلما دخل إليه **بكتمر** أكرمه وأجلسه وأخذ يحادثه حتى أتاه المماليك بالأمير **بتخاص** فسقط في يد **بكتمر** ، وعلم بأنه قد هلك ، فقيد **بتخاص** وسجن ،

وأقام **السلطان** في انتظار أمير **موسى** ، فعاد إليه **الجاولي** ونائب الكرك وأخبراه بفراره ، فاشتد غضبه عليهما .

وما طلع النهار حتى أحضر **السلطان** الأمراء ، وعرفهم ما كان قد تقرر من إقامة **أمير موسى** وموافقة بتخاص له ، و لم يذكر بكتمر النائب .

ثم قبض على امير موسى ، وحمل إلى القلعة فسجن بها .

ثم قبض على الأمير **بكتمر الجوكندار** نائب السلطنة بديار مصر ،

ثم استدعى **السلطان** الأمير **ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري** ، وخلع عليه وولاه النيابة عوضاً عن **بكتمر الجوكندار** .

السلطان وقرا سنقر:

ومع قبض **السلطان** على الامراء قال بعض المماليك **الأشرفية** :

وأي ذنب لهؤلاء الأمراء الذين قبض عليهم ، وهذا الذي قتل أستاذنا الملك الأشرف ، ودمه إلى الآن على سيفه ما خرج أثره ، قد صار اليوم حاكم المملكة – يعني قرا سنقر .

فنقل هذا **لقرا سنقر** ، فخاف على نفسه ، وأخذ في العمل على الخلاص من مصر , وأخذ في التدبير لنفسه ، خوفاً من القبض عليه كما قبض على غيره .

واصطنع العربان وهاداهم ، وصحب **سليمان بن مهنا** وأخاه ، وأنعم عليه وعلى أخيه **موسى** ، حتى صار الجميع من أنصاره ، وقدم عليه الأمير **مهنا** إلى حلب ، وأقام عنده أياما ، وأفضى إليه بسره ، وأنه خائف من السلطان

وبعث **قرا سنقر** يسأل **السلطان** في الإذن له بالسفر إلى الحج ، فأذن له في الحج ، وقد سر أنه بخروجه من حلب يقدر على أخذه ،

ثم كثر وهمه واشتد خوفه من **السلطان** ، لورود الخبر من ثقاته بمصر بما عزم عليه **السلطان** ، وما كتب به ، فعاد من غير الطريق التي سلكها .

وانصرف **قرا سنقر** عن حلب وقصد البرية ،

وقدم **سليمان بن مهنا** إلى **قرا سنقر** ، وأخذه حتى أنزله في بيت أمه ، واستجار بها من **السلطان** فأجارته .

وكتب يعرف **السلطان** بنزول قرا سنقر في أبياته ، وأنه استجار بأم **سليمان** فأجارته ، وسأل العفو عنه ، وبعث بذلك أحد أولاده . فأجاب **السلطان** سؤاله ، وكتب إليه أن يخبر **قرا سنقر** في بلد من البلاد حتى يوليه .

فلما سافر **ابن مهنا** من مصر أخرج **السلطان** تجريدة فساروا من دمشق يريدون جهة **مهنا** .

فأرادا **قرا سنقر** مخادعة **السلطان** ليتسع له المجال ، وكتب إليه مع مملوكه ، وكتب إليه **مهنا** مع ولده بالدعاء والشكر ، وأن **قرا سنقر** قد اختار صرخد ، وسألا يمين **السلطان** بالوفاء .

فانخدع **السلطان** ، وكتب تقليد قرا سنقر بنيابة صرخد ، ورسم أن يتوجه به إليه **أيتمش المحمدي** .

فلحق **بقرا سنقر الافرم** وبعض مماليكه واتباعه ولما استقر بهم المنزل استدعوا **أيتمش** ، وعددوا عليه من قتله **السلطان** من الأمراء ، وأنهم قد خافوا على أنفسهم ، وعزموا على الدخول إلى بلاد التتر ، وركبوا بأجمعهم .

وقدم البريد من حلب بعبور قرا سنقر ومن معه من الأمراء إلى **بلاد التتر** ، وأنهم بعثوا بأولادهم وحريمهم إلى مصر .

سار الأمراء إلى **ماردين** ، وكتبوا إلى **خربندا** بقدومهم ، فبعث أكابر المغل إلى لقائهم ، وتقدم إلى ولاة الأعمال بخدمتهم والقيام لهم . بما يليق بهم .

فلما قاربوا الأردو ركب **خربندا** وتلقاهم ، وترجل لهم لما ترجلوا له ، وبالغ في إكرامهم

ورتب لهم الرواتب السنية . فأقطع خربندا مراغة لقرا سنقر ، وأقطع همذان للأفرم ، .

السلطان وارغون نائب السطنة :

أرغون الناصري، نائب السلطنة، أحد المماليك المنصورية قلاوون.

اشتراه صغيرا لولده الملك الناصر محمد، فربي معه، ولازمه حتى في توجهه إلى الكرك. وقدم معه، فأنعم عليه بالإمرة وعمله نائب السلطنة بديار مصر بعد بيبرس المنصوري في جمادى الأولى سنة ثنتي عشرة وسبعمائة. فسار أحسن سيرة. وحج في سنة خمس عشرة، وخلص كثيرا من الناس من شدائد كان السلطان يريد أن ينزلها بهم.

وخلف السلطان في غيبته للحج ثم حج في سنة عشرين، ومشى من مكة إلى عرفة، وقضى الحج ماشيا على قدميه بمسكنة في هيئة الفقراء. ثم لما زوج السلطان ابنته الكبرى من الأمير ناصر الدين أبي بكر محمد بن أرغون النائب أنعم على الأمير أرغون بمنية بني خصيب زيادة على إقطاعه. فسار إليها وأقام بها أياما يتصيد بأعمالها. وخرب بها خمس كنائس للنصارى، ومنع أن يستخدم في ديوانه نصراني، لا كاتب ولا معامل .

ثم إن السلطان بلغه أن مهنا بن عيسى أمير العرب عزم على الحج، فأسر إلى أرغون أن يتوجه للحج ويقبض عليه. فتجهز لذلك، وسار، ومعه ابنه الأمير ناصر الدين محمد ، سنة ست وعشرين وسبعمائة.

فوشي للسلطان بأنه بعث إلى مهنا يحذره من الحج، فتأخر عن السفر. فشق ذلك على السلطان، وعزم على القبض عليه. وأشاع أنه بلغه بأن الأمير جوبان حاكم دولة القان أبي سعيد بن خربندا قد انتخب من خيار عساكر المغل عشرة آلاف فارس، وعزم على الحج، وأنه ما يأمن على الأمير أرغون النائب أن يقبضه جوبان ويحمله إلى الشرق. وكتب إلى الأمير تنكز أن يخرج بعساكر الشام إلى جهة الكرك ليدرك الأمير أرغون خشية وشفقة

عليه.
فبرز النائب من دمشق إلى منزلة الصنمين بالعساكر ثم بدا للسلطان فكتب إلى تنكز أن يعود بالعسكر إلى دمشق فعاد، وأخذ يراعي أمر أرغون، وجهز إليه الإقامة على العادة، وكتب له أن يسرع بالعود هو وولده. فقدما فبعث السلطان بالأمير قجليس ليتلقاه من باب القلعة ولا يمكنه من العبور إلى داره فلما حاذاه إذا صياح عياله على ابنة زوجته، وقد ماتت. فتطير من ذلك، ومضى إلى باب القلة فقبض عليه وعلى ولده، وفرق بينهما.
وتردد الأمير بكتمر الساقي في الرسالة إليه عدة مرار، والسلطان يعدد له ذنوبا، وهو يعتذر عنها، إلى أن تقرر الحال على إخراجه لنيابة حلب عوضا عن الأمير الطنبغا. وخرج ومعه أيتمش المحمدي. وسار الأمير الجاي إلى الطنبغا ليحضره. فقدم أرغون دمشق وخرج الأمير تنكز نائب الشام فتلقاه بميدان الحصى خارج دمشق، وترجل له، فترجل له أرغون أيضا وتعانقا وسارا إلى جامع بني أمية لصلاة الجمعة. فبينا هما في صحن الجامع إذ دخل الجاي بألطنبغا نائب حلب، وكان السلطان قد قرر هذا لأمور قصدها.
فسلم أرغون على الطنبغا بالإيماء والإشارة، وصليا. وقاموا جميعا مع الأمير تنكز إلى طعام صنعه لهم، فأكلوا. وركب أرغون البريد إلى حلب فدخلها وباشرها وأعاد أيتمش.
وكان الذي عمل عليه حتى خرج من مصر القاضي فخر الدين ناظر الجيش فإن الأمير أرغون كان يضع منه لبغضه له، فلا يتمكن الفخر من إمضاء ما يريده، خوفا منه. وأخذ يغري السلطان به ويخيله منه. وبالغ حتى قال:
" يا خوند، ما أتى على سلطان قط إلا من نائبه "
وذكر له ما فعله لاجين وهو نائب العادل كتبغا وما فعله بيدرا، وهو نائب الملك الأشرف، وما وقع للمنصور لاجين بسوء تصرف منكوتمر نائبه، وما فعله سلار، وهو

نائب، بالمظفر بيبرس، حتى زال ملكه. فلم يصبر على هذه، وعمل به ما عمل.

ولم يكفه ذلك، حتى إنه لما قدم الأمير أيتمش المحمدي من حلب، أخذ السلطان يسأله عن أرغون وما يقوله، وهل هو راض أو متسخط، فأجاب بكل جميل عن هذه، والفخر جالس.

فالتفت إليه وقال: يا أيتمش، كل ما قلته صحيح.

لكن والله لو قام أرغون في النيابة شهرا واحدا، ما رأيت السلطان على هذا الكرسي!

فأثر قوله في نفس السلطان بما لا يزول.

ثم إنه استدعاه إلى مصر بعد موت ولده، فقدم سنة تسع وعشرين. وخرج الأمير ألماس الحاجب فتلقاه بقبة النصر، وصعد به إلى قلعة الجبل.

فأكرمه السلطان وعزاه في ولده، وحادثه، وخلع عليه، وأنزله في داره على الكبش، ثم خلع عليه، ورسم له بالعود إلى حلب فما زال بها حتى مات ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، عن بضع وأربعين سنة.

وكان رئيسا كبيرا في بيت السلطان، يخضع له الكبار ويأتمرون بأمره، وله حزب كبير مثل قجليس، ومنكلي، وطشتمر، وقطلوبغا، وطرجي.

وكان تركي الجنس، فصيحا، مليح الشكل، تفقه على مذهب أبي حنيفة، وأذن له مشايخ العلم في الإفتاء. وكان يعرف الفقه ودقائقه، ويقصر فهمه في الحساب إلى الغاية. وسمع صحيح البخاري على الحجار بقراءة الفتح محمد ابن سيد الناس وكتبه بخطه المليح في مجلدة واحدة في الليل على ضوء القنديل. واقتنى كتبا كثيرة إلى الغاية.

ولما بلغه وهو على نيابة حلب، موت الأمير قجليس بمصر، بعث بألفي دينار يشتري بها من تركته كتبا.

وبعث إلى بغداد حتى استنسخ فتاوى قاضي خان وعلم الناس برغبته في الكتب، فجلبوا إليه النفائس من كل قطر.

واختص بالشيخ صدر الدين ابن الوكيل والشيخ أثير الدين ابن حيان والشيخ فتح الدين ابن سيد الناس.

وكان فهما يقظا، لم يسفك بحلب مدة نيابته بها دما، ولا قطع سارقا، لأنه كان رفيقا رحيما لا يعاقب على زلة. ولم يسمع منه أحد في نيابته بمصر وحلب كلمة سوء قط، ولا فاه بها لسانه، ولا عرف عنه أنه ضرب أحدا من الناس غير جندي واحد اعترف بين يديه بقلعة الجبل أنه شرب الخمر فضربه الحد.

وكان له في ليلة كل جمعة وقت يجتمع فيه عنده القراء لقراءة ختمة، فيقرأ معهم، ويحضر أعيان الفقهاء أيضا فيتذاكرون طول ليلتهم.

ولم يعرف عنه أنه عارض السلطان في أمر من الأمور، سوى في طشتمر الساقي لما قبض عليه، فقام في الشفاعة له حتى أعفاه من النفي، وخلصه، وضمنه. فكره منه السلطان ذلك وأسرها في نفسه.

(المقريزي – المقفى الكبير 17/2)

السلطان وبكتمر الحسامي :

أفرج عن الأمير **بكتمر الحسامي** الحاجب وخلع عليه بنيابة **صفد** وانعم عليه بمائتي ألف درهم .

وكان **بكتمر** في مدة اعتقاله مكرماً لم يفقد غير ركوب الخيل ، وبعث إليه السلطان بجارية حبلت منه في الاعتقال ، وولدت ولداً سماه **ناصر الدين محمداً** ، فكانت مدة سجنه سنة وسبعة أشهر وأياماً .

ثم قدم الأمير بكتمر الحسامي ، فولي الإسكندرية وتوجه إليها ، فأراق الخمور بها ، ومنع من بيعها ، وحمل الناس على الأمور الشرعية . فاستخفوا به وطمعوا فيه ، وكثر فسادهم ، فأحدث عليهم غرامات يقومون بها إذا تبين الحق عليه ، فكان الرجل إذا شكا يجبى منه من مائتي درهم إلى ما دونها ، وضرب جماعة منهم فخضعوا له .

السلطان وبكتمر الساقي :

وأثناء توجه السلطان الى الحج , فلما قرب من عقبة أيلة بلغه اتفاف الأمير بكتمر الساقي على الفتك به مع عدة من المماليك .

فتمارض وعزم على الرجوع إلى مصر ، فوافقه الأمراء على ذلك إلا بكتمر الساقي فإنه أشار بإتمام السفر ، وشنع عوده قبل الحج .

فسير السلطان ابنه آنوك وأمه إلى الكرك ثم مضى السلطان في يوم هو محترز غاية التحرز ، بحيث أنه ينتقل في الليل عدة مرات من مكان إلى أخر ، ويخفي موضع مبيته من غير أن يظهر أحداً على ما نفسه مما بلغه ، إلى أن وصل إلى ينبع .

ورد الخبر بموت بكتمر الساقي وولده وكثرت الإشاعات .

وكان فيه من الدهاء والمكر ما لا يوصف ، فيقال إنه سقى الصبي ماء باردا في مسيره كانت فيه منيته ، ثم بعد قليل سقي بكتمر بعد موت ولده مشروباً ، فلحق به .

واشتهر ذلك ، حتى أن زوجة بكتمر لما مات صاحت ، وقالت للسلطان بصوت سمعه كل من حضر :

" ياظالم أين تروح من الله ، ولدي وزوجي ، زوجي كان مملوكك ، ولدي إيش كان بينك وبينه ، وكررت هذه مراراً ، فلم يجبها .

السلطان والنشو :

"**شرف الدين النشو**" ناظر الخاص الذي ارتكب كثيرًا مِن المظالم ، وقد ضج الشعب من هذه المظالم وبدؤوا بالشكوى ، والأنين ، ولكن دون جدوى ، وتابع **النشو** أعماله بأمر **السلطان** ، الّذي أوعز له يومًا ، بفتح دكاكين التّجار ، وسلب محتوياتها ، دون اكتراث لـرَدة فعلهم ، حيث أفاقوا صباحًا ، وقد صدمتهم رؤية متاجرهم مفتوحة ومَفرغة من محتوياتها ، فلم يبق منهم إلا باكٍ أو شاكٍ ، أو صائح أو نائح ، كلّ أحد على قدر مصيبته ، ولم يكن **النشو** إلا رجلا مبَتزًا ، ظالمِا ، مشغوفًا بالشراب .

(اليوسفي– نزهة الناظر74)

"حتى إنه اّتهم امرأة بصندوق مال ، ووقعت وسلِّمت ، واتَّفق في أمرها ما لا يسمع به أحد في دولة من الدول ، ولا بلغ أحد من الظُّلم مبلغها ، وهي أنها كانت حامل ، وأحضروها إلى العقوبة ، فعوقِبت بالمعاصير والكسارات ، وتنوعوا في عقوبتها وهي صابرة ، وأقاموا على ذلك أيًام وهم يكروا عليها العقوبة ، واّتفق يوم عقوبتها وقع بها الطلق ، وولدت ولدًا ذكرًا ، ورموها ببيت الأكوز إلى أن سيروا لها خِرق بيض ، وشيء سترت به حاَلها وحالَ ابنها ، وكانت الأُمراء والجند والعامة تسمع عن عقوبتها ، فيتوجعوا ويبكوا هم ونساؤُهم .

(اليوسفي– نزهة الناظر262)

وأصبح النّاس من كثرة الظلم يشكون آلامهم عند الحج للّنبي صلى **الله** عليه وسّلم ، ويقرنون **السلطان والنشو** في الظلم وفي الدعاء عليهما .

(الشجاعي– تاريخ الملك الناصر71)

كانت له عجائز يتجسسن في بيوت الكبار .

وعمت مضرة **النشو** الناس جميعاً ، وانتمى إليه عدة من الأشرار ودهى الناس منه بلاء عظيم .

حتى قرر القبض على **النشو** ، بعدما بدأ بكشف ألاعيبه ، وأخبر أمراءه بذلك ، وتقرر القبض عليه ، وعلى معاونيه ، وبالفعل تم ذلك .

ونودي بمصر والقاهرة :

بيعوا واشتروا واحمدوا الله على خلاصكم من النشو .

(المقريزي ، السلوك2/473)

وُقبض على أهله وحريمه ، الذين وجدوا وهم يعصرون النّبيذ في بستانهم بطريق بولاق

(الشجاعي– تاريخ الملك الناصر72)

يقول **ابن الوردي** فيه : **"دارت عليه الّدوائر ، وانعكس حساب القدم الجائر ، وأوقعه الّدهر في شرك من له عليه طلب ، فرقم طرس جلده بقلم السياط ، وعوقب إلى أن هلك "**

(ابن حبيب – المنتقى من درة الأسلاك 114)

الناصر والامراء واسعار الغلال :

تحركت أسعار الغلال فوقفت أحوال الناس . وأمسك الأمراء وغيرهم من البيع طلباً للفائدة ، فخاف **السلطان** عاقبة ذلك ، فطلب **نجم الدين محمد بن حسين** المحتسب وأنكر عليه ،

وأقام معه والي القاهرة **علاء الدين علي بن حسن** المرواني فضرب الوالي عدة من الطحانين والخبازين بالمقارع ، فاشتد الأمر ، وغلقت الحوانيت بالقاهرة ومصر ، وتعذر شراء الخبز إلا بمشقة عظيمة .

فكتب السلطان بحمل الغلال من غزة والكرك والشوبك وبلاد دمشق ، وألا يترك بها غلة مخزونة حتى تحمل إلى القاهرة .

ونودي بالقاهرة ومصر ألا يباع القمح بأكثر من ثلاثين درهماً الأردب ، ومن باع بأكثر من ثلاثين نهب ماله ، وتقدم السلطان إلى الأمراء بألا يخالفوا ذلك.

فأمسك مباشرو الأمراء أيديهم عن البيع ، وصاروا يجلسون بأبواب الشون ولا يبيعون منها شيئاً ، فاشتد الأمر .

وباع السماسرة الأردب بستين وبسبعين خفية ، وصار الأمراء يخرجون الغلة من الشون على أنها جراية لمخاديمهم ، وما هي إلا مبيع بما ذكر .

فاهتم السلطان بالغلاء ، وشق عليه ما بالناس من ذلك ، وعلم أن أكثر الغلال إنما هي للأمراء ، فطلب **ضياء ابن خطيب ناظر المارستان وناظر الأوقاف** ، **وقد اشتهرت نهضته وكفايته وأمانته** ، وفوض إليه الحسبة بمصر بعد امتناعه منهما ، وأكد عليه في القيام بما ندبه إليه ،

ونزل الضياء ومعه الأكز شاد الدواوين إلى مصر ، فكان يوماً مشهوداً .

وأول ما بدأ به **الضياء** أن ختم شون الأمراء كلها ، بعد أن كتب ما فيها من عدة الأرادب ، وكتب ما يحتاج إليه الأمير من الجراية لمئونته والعليق لدوابه إلى حين قدوم المغل الجديد ، ثم طلب السماسرة والأمناء والكيالين ، وأشهد عليهم ألا تفتح شونة إلا بإذنه .

وصار **الضياء** يركب في كل يوم إلى شونة ، ويخرج ما فيها ، فيبدأ بتكفية الطحانين ، ولا يبيع الأردب إلا بثلاثين درهماً ، فلم يقدر أحد على بيعه بأكثر من ذلك .

ثم بلغ **الضياء** أن سمساري الأميرين **قوصون وبشتاك** باعا بأكثر من ذلك ، فاستدعي الأمير **الأكز** إلى مصر فضربهما بالمقارع واشهرهما .

ثم عرف الضياء السلطان بأمرهما ، فاشتد غضبه ، وطلب الأمير قوصون حضرة الأمراء ، وصرخ عليه :

" ويلك أنت تريد أن تخرب عليَّ مصر؟ وتخالف مرسومي؟ وسبه ولعنه ، وشهر عليه السيف وضربه على أكتافه ورأسه ، وصار يقول :

هاتوا أستاداره فسارع النقباء لإحضاره ومن شره غضب السلطان صار يقوم ويقعد ويقول هاتوا أستاداره ، حتى خرج أمير مسعود الحاجب بنفسه إلى باب القلعة والحاجب الآخر .

وارتجت القلعة بأسرها ، وخاف الأمراء كلهم ، فلم ينطق أحد منهم لشدة ما رأوا من غضب السلطان .

فلم يكن أسرع من حضور قطلو أستادار قوصون ، فأمر السلطان الأكز بضربه بالمقارع ، ثم أمر به فبطح بين يديه وضرب ، خوفاً عليه من إفحاش الأكز في ضربه ، فلم يتجاسر أحد بعدها من الأمراء أن يفتح شونته إلا بأمر **المحتسب** .

ثم بلغ الضياء أن الأمير طشتمر الساقي أخرج من شونته أربعمائة أردب ، فأنكر على ديوانه ، وحلف أنهم إن لم يعيدوا **الأربعمائة أردب إلى الشونة** ، وإلا عرف السلطان ذلك ، فلما بلغ الأمير طشتمر هذا رد الغلة إلى الشونة .

وكتب السلطان إلى ولاة الأعمال أن يركبوا بأنفسهم إلى جميع النواح ويحملوا ما بها من الغلال ، بحيث لا يدعون غلة في مطمورة ولا مخزن ، ولا أحد عنده غلة حتى يحمل ذلك كله إلى مصر ، وتحضر أربابها لأخذ أثمانها عن كل أردب مبلغ ثلاثين درهماً ونودي بالقاهرة ومصر :

من كان عنده غلة ولا يبيعها نهبت .

وكان قد بلغ **السلطان** أن الأجناد عندهم غلال ، وهم يبيعونها بالويبة ، فباع بعضهم بعد النداء ، وتهاون طائفة منهم فلم يبيعوا شيئاً .

فنم عليهم جيرانهم حتى كان منهم من تهجم **السوقة الحرافيش** عليه وتنهبه ، ومنهم من يغمز عليه فيأتيه الوالي ويخرج غلته حتى تفرق على الطحانين .

وأقيم في كل فرن شاهد لحصر ما يحمل إليه من الدقيق المرتب له ، وعمل معدل كفاية البلد في كل يوم ، وفرق القمح فيهم على قدر كفايتهم ، فسكن ما كان بين الناس من العناء في طلب الخبز ، ومن ضرب **الطحانين والخبازين** .

فلم ينسلخ شهر رمضان حتى فرج الله عن عباده ، ونزل السعر قليلاً قليلاً ، بعدما ظن كثير من الناس أنه نظير غلاء العادل كتبغا ، فسلم الله بمنه .

وأَيام سلمه كّلها عدل وهِبة وصدقات منجية ، ورفع ظلمات متشعبة ، وقمع نفوس متوثّبة ، وحسم خطوب مستَبِدة .

(القلقشندي ، صبح الأعشى14/189)

فأزال **الملك الناصر** هذا الظُّلم جميعه عن الرعية ، وزالت الظلامة عن أهل مصر .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة9/45)

السلطان وملكتمر الحجازي (زوج ابنته تتر):

رفعت قصة إلى **السلطان** تتضمن أن الأمير **ملكتمر الحجازي** يركب النيل ومعه أرباب الملاهي في عدة من المماليك السلطانية ، وأنهم يفعلون كل فاحشة ويأخذون حرم الناس فاشتد غضب **السلطان** ، وطلب **الحجازي** وأخرق به ، وهدده بالقتل إن عاد يركب النيل ، وأخرج **السلطان** ممن كان يعاشره من المماليك ستة وثلاثين رجلاً إلى البلاد الشامية على البريد من يومهم ، وأخرج من الغد أربعين مملوكاً من أصحابه بسبب شربهم

الخمر .

السلطان والأمير تنكز نائب الشام :

وكان تنكز رحمه الله نائب دمشق ثمانياً وعشرين سنة وأشهراً .

وكان قد أزال المظالم ، وأقام منار الشرع وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وأزال ما كان بدمشق وأعمالها من الفواحش والخانات والخمارات ، وبالغ في العقوبة على ذلك حتى قتل فيه .

وأنصف العامة والتجار بخلاص حقوقهم من الأمراء ، وحملهم مع أخصامهم إلى الشرع .

واحتجب عن الاجتماع بالشاميين وغيرهم ، وامتنع من قبول التقادم والهدايا جملة .

وتتبع المدارس والمساجد والأوقاف فعمرها جميعها ، ومنع مستحقيها من تناول ريعها حتى كملت عمارتها .

وجدد عدة أماكن قد دثرت أوقافها ، وأعاد فيها وظائف العبادات بعدما بطلت وجدد عمارة الجامع الأموي ، وعمر أوقافه ، وأصلح تقاسيم المياه بعد ما كانت فاسدة ونظف مجاريها ووضح طرقها ، وهدم الأملاك التي استجدها الناس وضيقوا بها الشوارع والطرقات المسلوكة .

وألزم والي المدينة أن يعلمه ممن يشرب الخمر من الأمراء وأولادهم ، فتعذر وجود الخمر في أيامه ، و لم يكن يوجد .

واستجد ديواناً للزكاة ، وصرفها للفقراء والمساكين وأرباب البيوت .

وانكفت الولاة في أيامه عن الظلم ، وأحبته العامة ومنع الأمراء من تسخير الفلاحين والمزارعين في أعمالهم ،

ومنع أكابر الأمراء أن تترجل له أو تمشي في خدمته ، فأقام الله له من الحرمة ما لا حصل

لأحد من نواب الدولة التركية .

حسده جميع الأمراء ، وكثر حديثهم فيما حصل لتنكز من الكرامة والمعزة من السلطان .

كانت بنت تنكز زوجة السلطان وعقد لاثنتين من بناته على ولدية وأثنين من بنات السلطان على ولدي تنكز .

وفي يوم كتب السلطان يستدعيه وذلك لان ابنته التي تحت السلطان قرب وضع حملها .

ثم ولدت ابنة تنكز من السلطان بنتاً ، فسجد تنكز لله شكراً بحضرة السلطان ، وقال : والله يا خوند! كنت أتمنى أن تكون المولودة بنتاً ، فإنها لو وضعت ذكراً كنت أخشى من كمال السعادة .

فإن السلطان تصدق علي بما غمرني به من السعادة ، فخشيت من كمالها .

قال له السلطان : " **أيش بقى لك حاجة ، أو في نفسك شيء أقضيه قبل سفرك؟ فقبل تنكز الأرض ، وقال : والله يا خوند ما بقي شيء أطلبه الا أن أموت في أيامك ، فقال السلطان : لا إن شاء الله . يا أمير تعيش أنت وأكون أنا فداك ، أو أكون بعدك بقليل .** فقبل تنكز الأرض وانصرف .

فلما كانت أخر أيامه صادر جماعة كثيرة من كتاب السر وغيرهم ، ومن الضمان والعرفاء

واتخذ الأملاك ، وأخذ عدة أوقاف من أولاد الملوك ، حتى كانت غلة أملاكه كل سنة مائة ألف درهم . وسخر الفلاحين ، وقطع الزكاة . وأخرق بكثير من الأمراء ، وأخرج منهم جماعة عن دمشق ، وبالغ في العقوبة ، وساء خلقه كثيراً .

ذات مرة كتب يستأذن في سيره إلى ناحية جعبر ، فمنعه السلطان من ذلك ، لما في تلك البلاد من الغلاء ، وألح تنكز في الطلب والجواب يرد بمنعه حتى حنق من السلطان

وقال :

والله لقد تغير عقل أستاذنا ، وصار يسمع من الصبيان الذين حوله ووالله لو سمع مني لكنت أشير عليه بأن يقيم أحد أولاده ، وأقوم أنا بتدبير أمره ، ويبقى هو مستريحاً .

فكتب بذلك **جركتمر للسلطان** ، فأسر في نفسه منه شيئاً .

واتفق أن **أرتنا** نائب الروم بعث رسولاً إلى **السلطان** بكتابه ، ولم يكتب معه كتاباً إلى **تنكز** ، فحنق **تنكز** لعدم مكاتبته ، ورد رسوله من دمشق .

فكتب **أرتنا** يعرف **السلطان** بذلك ، ورماه بأمور أوجبت شدة تغيره عليه ،

واتفق أيضاً أن غضب **تنكز** على جماعة من مماليكه ، وضربهم وسجنهم **بالكرك والشوبك** فكان منهم **جوبان** .

فكلم **قوصون السلطان** ان يشفع في الإفراج عنه من سجن الشوبك

فكتب إلى **تنكز** يشفع في **جوبان** فلم يجب عن أمره بشيء ، فكتب إليه ثانياً وثالثاً ، فلم يجب ، فاشتد غضب **السلطان** حتى قال للأمراء : **ما تقولون في هذا الرجل؟ هو شفع عندي في قاتل أخي فقبلت شفاعته ، وأخرجته من السجن وسيرته إليه يعني طشتمر آخا بتخاص وأنا أشفع في مملوكه ما يقبل شفاعي وكتب لنائب الشوبك بالإفراج عن جوبان فأفرج عنه .**

فأمر **السلطان** في الليل فأخرج مع **ابن صابر المقدم** وأمير جندار ، وحمل في حراقة بالنيل إلى الإسكندرية ، فقتله بها **إبراهيم بن صابر** المقدم .

وتتبعت أموال **تنكز** ، فوجد له ما يجل وصفه ، وعملت لبيع حواصلة عدة حلق ، تولى البيع فيها الأمير ألطنبغا نائب الشام والأمير **أرقطاي** ، وهما أعدى عدو له ، **وكان في ذلك عبرة لمن اعتبر .**

وظهر له من التحف السنيه ما يعز وجود مثله .

ووجد له من الهجن والخيل والجمال البخاتي وغيرها نحو أربعة ألاف ومائتي رأس وذلك سوى ما أخذه الأمراء ومماليكهم .

توفي الامير **تنكز** نائب الشام في الاعتقال في الاسكندريه ودفن ظاهر باب البحر ثم حملته ابنته بعد مدة كبيره ودفنته بتربته بالقدس الشريف وكان عند عبور ابن صابر اليه ليقتله رساله وكلام بقوله للسلطان فقال : ولكني اعرفه ان والله ما عاش بعدي الا قليل وبيني وبينه الموقف بين يدي الله تعالى وتوضا وصلى وتشهد وقدره عليه.

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 119)

السلطان والأمير آنوك :

كان الأمير **آنوك بن السلطان** يركب إلى جهة بركة الحبش ، وعمر له بها حوشاً لطيوره وموضعاً يتنزه به ، وأحضر إليه مغنية تعرف **بالزهرة** ، فشغف بها حتى بلغ **السلطان** ذلك فأسر **السلطان** للأمير **آقبغا عبد الواحد** أن يلزم شاد المغاني والضامنة بالإنكار على المغاني حضورهن مجالس الخمر وإقامة الفتن ، وإلزامهن بمال يقمن به عقوبة لهن على ذلك ، وأكد عليه في أن يكون ذلك من غير أن ينسب إلى **السلطان** أنه أمر به رعاية **لآنوك** .

فلما وقع ذلك شق على **آنوك** امتناع **الزهرة** عنه عدة أيام ، ومازال حتى أتته سراً ، ولهى بها عن زوجته ابنة **الأمير بكتمر الساقي** ، حتى علمت أمه بذلك ، وأمكنته من هواه .

فخاف **آنوك** من **السلطان** ، ودبر هو وبعض مماليكه حيلة أشغل بال **السلطان** عنه ، وكتب ورقة يخيله فيها من الأمير **بشتاك** والأمير **آقبغا** ، وألقيت إلى **السلطان** .

فنم بعض مماليكه للأمير **آقبغا** بذلك ، فبلغه **السلطان** ، فدخل إلى الدور واستدعى

آنوك وهم بقتله بالسيف ، فمنعته أمه وجواريه .

فأرعد آنوك من الخوف ، ولزم الفراش ، وتغير السلطان على لالاه أرغون العلالي ، وأقام طيبغا المجدي عوضه ، ورسم ببيع الدار التي عمرها آنوك ببركة الحبش .

طلبت النساء المغاني وصودرن ما بين ثلاثة ألاف درهم و ألف درهبم الواحدة ، وسجن بالحجرة أياماً حتى تاب بعضهن عن الغناء ، وتزوج بقيتهن .

السلطان وولده أحمد:

كان السطان كثيرا ما يغضب على الامير أحمد لتصرفاته .

منها انه تغير عليه بسبب بينات عنده ، وأخرجه منفياً إلى صرخد وباع خيله فلم يزل به الأمراء حتى أمر برده .

وفي يوم اقامة ولده ابي بكر سلطانا بعده في مرضه الذي مات فيه عهد إلى الامراء ألا يخرجوا ابنه أحمد من الكرك وحذرهم من إقامته سلطاناً ،

18) الناصر وولاية العهد :

كان السلطان قد استدعى الأمراء وأعلمهم أنه يريد أن يعهد إلى ولده الإمير ناصر الدين أنوك فأذعنوا لذلك كلهم ، فرسم بركوبه بشعار السلطنة ، وأحضرت الخلع لأرباب الوظالف .

ثم انثنى عزم السلطان عن ذلك ، وأبطل الجميع ، ورسم أن يلبس آنوك شعار الأمراء ، ولا يطلق عليه اسم السلطنة .

فلما اشتد عليه مرض الموت , اجتمع الأمير جنكلي بن البابا والأمير آل ملك والجاولي والأحمدي وأكابر الأمراء للمشورة فيما يدبرونه ، حتى اجتمعوا على أن بعث كل منهم

مملوكا إلى قوصون وبشتاك ليأخذا لهم الإذن على العبور على السلطان ، فأخذوا لهم الإذن .

فلما أخذ الأمراء مجالسهم قال الأمير الجاولي وآل ملك للسلطان كلاماً حاصله أن يعهد ألى أحد أولاده ، فأجاب إلى ذلك ، وطلب ولده أبا بكر ، وطلب قوصون وبشتاك ، وأصلح بينهما .

ثم جعل السلطان ابنه أبا بكر سلطانا بعده ، وأوصاه بالأمراء ، وأوصى الأمراء به ، وعهد إليهم ألا يخرجوا ابنه أحمد من الكرك وحذرهم من إقامته سلطاناً ، وجعل قوصون وبشتاك وصييه ، وإليهما تدبير ابنه أبي بكر وحلفهما

ثم حلف السلطان الأمراء والخاصكية ، وأكد على ولده في الوصية بالأمراء ، ثم قام الأمراء . فبات السلطان ليلة الثلاثاء ، وأصبح وقد تخلت عنه قوته ، وأخذ في النزع يوم الأربعاء ، فاشتد عليه كرب الموت .

(المقريزي – السلوك)

الباب السادس:

عصر اولاد الناصر واحفاده

مقدمة :

ان نجاح **المماليك** في القضاء على خطر الفرنج **الصليبيين** وطردهم من المنطققة العربية **سنه 690 هـ – 1291 م** ثم تلاشي **الخطر المغولي** تدريجيا بسبب اعتناقهم الاسلام , قد سلب دوله **سلاطين المماليك** وظيفتها التاريخيه الاساسيه باعتبارها دوله عسكريه جائت افرازا سياسيا وعسكريا للتحدي الذي فرضه الخطر الذي تعرضت له المنطقة العربية منذ اخريات القرن الحادي عشر الميلادي حتى اخريات القرن الثالث عشر الميلادي وحينما ساد السلام فشلت الدولة المملوكية التي بزغت من طيات القتال وتمت صياغتها على اساس عسكري في التكيف مع متطلبات الحياة السلمية كما كان من الطبيعي ان تفشل المؤسسات العسكرية في ادارة المجتمع المدني .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 132)

بقي ملك مصر في بيت **السلطان الناصر** مدة اربعين سنه توارثه فيها ثمانية من اولاده على التعاقب في العشرين عاما الاولى من وفاته ثم انتقل الى احفاده في العقدين التالين فكانت كل هذه الفترة سلسلة حوادث بؤس وشقاء اذ كان السلاطين اطفالا يولون ويعزلون حسب ارادة مماليك ذلك العهد .

(وليم موير – تاريخ دوله المماليك 104)

كان **الناصر محمد** قد نوى ان يعهد بالملك من بعده لأبنه **انوك** ولكن سرعان ما تراجع عن فكرته بعد أن نصبه وليا للعهد وأرجعه الى رتبة الامراء .

ظل الوضع على حاله دون ان يعهد لاحد من اولاده حتى مرض في العام الذي توفي فيه واحس بدنو اجله فرأى ان ليس من الحكمه ان يترك الحكم في حاله فراغ , فجمع امراء الدولة واعرب لهم عن رأيه في ان يعد بالملك من بعده لابنه **سيف الدين ابي بكر** وأمرهم

بتنفيذ ذلك بعد وفاته .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 311)

ذلك ولم يبايع **الناصر** وهو على فراش الموت اكبر اولاده بل قلد ملكه ولده **ابا بكر** وكان في **العشرين من عمره .**

(وليم موير – تاريخ دوله المماليك 104)

جعل **الناصر** مملوكيه **قوصون وبشتاك** أوصياء على ولده **أبو بكر** .

أقر الامراء ذلك وتعهدا بتنفيذ رغبته ولم يلبث **السلطان الناصر محمد** ان توفي وسط مظاهر الحزن والاسى واعتلى **ابو بكر** سدة الحكم خلفا له وتلقب بلقب **الملك المنصور سيف الدين** وله من العمر عشرون عاما

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 311)

وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد ترك من الأولاد محمد وابراهيم، وعلي ، وأحمد، وأبا بكر، وكجك، ويوسف، وشعبان، ورمضان، وإسماعيل، وحاجي وحسين ، وحسن وصالح .

فولي السلطنة من أولاده ثمانية : وهم أبو بكر، وكجك، وأحمد، وإسماعيل، وشعبان، وحاجي ، وصالح و حسن.

(المقريزي– السلوك135/2)

وولي من احفاده : محمد بن حاجي وشعبان بن حسين وأبنيه علي وحاجي .

1) المنصور ابو بكر :

السلطان **الملك المنصور سيف الدنيا والدين ابو بكر ابن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون جلس على تخت الملك بقلعه الجبل صبيحة توفي**

والده باكر بعهد من والده ووصى عليه الامراء ووصاه بهم .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 125)

يوم الخميس حادي عشرى ذي الحجة، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

لقبه الأمراء الأكابر **بالملك المنصور** واتفقوا على إقامة الأمير **سيف الدين طقزدمر الحموي** – زوج أمه – نائب السلطة وأن يكون **الأمير قوصون** مدبر الدولة ورأس المشورة، ويشاركه في الرأي الأمير **بشتاك**.

(المقريزي – السلوك)

فرح الناس بجلوسه وانتظام شمل المسلمين واتفاق كلمتهم ورسم **لمتولي القاهرة** بالمناداة بالامان بذلك اول النهار يوم جلوسه فصاحبه الدعاء: **ان يحرسه بملائكة السماء** فأطمئن الناس وذهب ما كان عندهم من الخوف والباس لما كانوا يظنون ان يجري من الفتن عند موت السلطان .

فجاء الامر بخلاف ما ظنوا ونسم بدولته وجه الناس بعد قطوبة وجلت عن القلوب نوايب الدهر وخطوبه وغشمت قلوب العالم منها بالخراب .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 125)

فوض اليه الخليفة حكم البلاد : **وبعد الحمد لله مقتضى سيف الاسلام بحماية الامام ومجرده ومرتضى ابي بكر بالقيام بخلافته بعد محمدا والحمد لله الذي لا يضيع اجر المحسنين ومرشد امير المؤمنين الى اصابه الصواب واجابة داعي العدل الذي يجب ان يجاب واناهم ابن والده الشهيد وجده السعيد "**

فولي وزير الديار المصريه الامير **نجم الدين محمود بن علي بن شردوان** وزير بغداد , وبني له دار وزاره وعمل له شباك يجلس فيه وقاعة صاحب وكان هذا الحال ابطله **الملك**

الناصر واخرب قاعة الصاحب .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 132)

وكان **المنصور** قد اشتهر **بالقسوة** واتصف **بالغطرسه** وظهرت في ايام حكمه الاولى بوادر الخلاف بين الامراء خاصه بين اتابك العسكر **قوصون وبشتاك الدوادار** وانقسم المماليك فريقين ناصر كل فريق احد الاميرين .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 311)

كانت العلاقات قد ساءت بين مملوكي **الناصر** ووصيي **السلطان** , فقبض **قوصون** على **بشتاك** وارسله الى الاسكندريه حيث قتل هناك بعد ايام .

(ابن حبيب –24/10)

كان المنصور حاد المزاج , شرس الاخلاق اعتقد ان تدبير المملكه تبقى بالغطرسة ونهج نهج ابيه في مسك الامراء واراد ان يمسك الاكابر وينشئ الاصاغر وما علم ان والده لا قدر على ذلك الا بعد شدة عظيمه وبلوى شديدة وقاسى اهوال وكابد الغرام مدة سنين واعوام حتى عهد له الوقت وصفي له من منازع .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 134)

وكان قد قرب خاصكيته فلعبوا بعقله وذهل لبه وآثر الشهوات وجمع المسرات وغرته الاماني وارتاحت نفسه الى الفتيات وسماع المغاني , فطلع من مغاني المدينة لعنده بالقصر رجال ونساء وطلعوا اليه بالخمر فشربوا وانهمكوا على ذلك .

واوحوا اليه انما لا يثبت لك ملك الا ان مسكت **قوصون** .

فاتفق معهم على ذلك وبقي مجتهد على مسكه فبلغ ذلك **قوصون** واخذ وسعى فيما يخلصه .

اجتمع **قوصون** بالامراء الاكابر وعرفهم صورة الحال وما جرى من **السلطان** , وقال: "

هذا الصبي ما يجيء منه خير وما يخلي احدا من الامراء الكبار الا يمسكه " , وذكر لهم عن **الملك المنصور** اشياء كثيره من لهوه ولعبه .

ثم طلبوا الخليفة والقضاة الاربعة وقالوا لهم : ان **الملك المنصور** يشرب الخمر ويذهب بيت مال المسلمين على المغاني والشرب ويضيع مصالح المسلمين وفي هذا فساد الدوله واحضروا من شهد بهذا الحال عند القضاه واثبتوه .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 136)

ركب الأمير **قوصون** والأمراء على **الملك المنصور أبي بكر**، وخلعوه من الملك ، وأخرج **أبو بكر** هو وإخوته إلى قوص صحبة الأمير **بهادر بن جركتمر**.

(المقريزي – السلوك)

فارسلوا **الامير برسبغا** الى **المنصور** يقول له : **"ان يأخذ أخوته ويذهب بهم الى قوص يقيمون بها ونحن نقيم أخوك مكانك اما انت فلا مملكة لك عندنا ".**

صاحب اخوته السته وهم يوسف وشعبان ورمضان واسماعيل وحسين وامير حاج وتوجهوا الى قوص واطلقوا له ولاخوته كل يوم مائة درهم لا غير وكانت مدته شهرين الا يوم واحد وامه ام ولد تسمى نرجس رزقت هذا ابو بكر واخوه رمضان من السلطان الملك الناصر ثم زوجها الامير سيف الدين ارغون الاسماعيلي . " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير " .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 136)

وبات قوصون ومن معه بخيامهم عند قبة النصر، وركبوا بكرة الغد إلى القلعة، واتفقوا على إقامة **كجك**.

(المقريزي – السلوك)

حوليات المنصور ابو بكر :

- سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

- حادي عشرى ذي الحجة تبوأ مقعد السلطنة أبو بكر ولقبه الأمراء الأكابر بالملك المنصور واتفقوا على إقامة الأمير سيف الدين طقزدمر الحموي – زوج أمه – نائب السلطة وأن يكون الأمير قوصون مدبر الدولة ورأس المشورة، ويشاركه في الرأي الأمير بشتاك.

- وفي المحرم : قبض على أمير بشتاك الناصري اتهمه السلطان والأمير قوصون بأنه يريد التوثب على الملك وعملوا هذا من فعله حجة للقبض عليه

- وفيه : قبض على المجد السلامي، واتهم بأن لبشتاك عنده جواهر مودعة.

- وفيه : قبض على الأمير أقبغا عبد الواحد وأولاده

- وفيه قدم البريد من الأمير طشتمر حمص أخضر الساقي نائب حلب بخروج زين الدين قراجا بن دلغادر عن الطاعة، وموافقته لأرتنا متملك الروم على المسير لأخذ حلب، وأنه قد قوي بالأبلستين وجمع جمعاً كثيراً، وسأل الأمير طشتمر أن ينجد بعسكر من مصر.

- وفيه رسم السلطان بضرب أقبغا عبد الواحد بالمقارع، فلم يمكنه الأمير قوصون من ذلك فاشتد حنقه، وأطلق لسانه بحضرة خاصكيته.

- وفي تاسع عشره: ركب الأمير قوصون والأمراء على الملك المنصور أبي بكر، وخلعوه من الملك في يوم الأحد عشريه، وأخرج أبو بكر هو وإخوته إلى قوص صحبة الأمير بهادر بن جركتمر.

قوصون والمنصور ابو بكر:

بيد ان اهم نتائج حكم السلاطين الاطفال تمثلت في احتدام الصراع بين طوائف المماليك المختلفة , ذلك ان عدم وجود سلطان قوي وقادر على عرش السلطنة جعل مقدراتها نهبا لاطماع الامراء المتصارعين على السلطة والنفوذ .

ولما كان كل امير من هؤلاء يمتلك جيشه الخاص اي كان سلطانا مختصرا فقد كان طبيعيا ان تصطدم مصالح الامراء وطموحاتهم بعضها البعض , وكانت الترجمة العلمية لهذا الصراع هي حروب الشوارع وحوادث العنف الدامية بين طوائف المماليك بحيث باتت بمثابة النغمة الدالة على الحياة القاهرية والشامية .

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 131)

فكانت كل هذه الفترة سلسلة حوادث بؤس وشقاء اذ كان السلاطين اطفالا يولون ويعزلون حسب ارادة مماليك ذلك العهد .

وكان موقف الامراء في صعود وهبوط فكان لكل فترة قصيره يقبض فيها على ازمة الامور امير ثم لا يلبث ان ينزل من عليائه وينهب متاعه ثم ينفى من الارض ويعقبه غيره فيكون حظه حظ سابقه .

(وليم موير – تاريخ دوله المماليك 104)

وبدأت بذره الفناء الكامنه تفعل فعلتها عندما تفرغ الامراء المماليك لادارة الصراع الداخلي والتنافس والتناحر فيما بينهم وزاد من وطأة هذا النزاع عدم وجود سلطان قوي من طراز **بيبرس وقلاوون والناصر محمد** بحيث يجعل اولئك القادة العسكريين يحترمون ارادته وينصاعون لاوامره

(قاسم عبده قاسم – عصر سلاطين المماليك 132)

ولما شنع امر **المنصور ابو بكر** طلب **قوصون** الأمير **طاجار والشهابي** شاد العمائر، وعنفهما وقال: **سلطان الإسلام يليق به أن يعمل مقامات، ويحضر إليها البغايا والمغاني**، وعرفهم أن الأمراء قد بلغهم هذا. فبلغوا **السلطان** كلام **قوصون**، وزادوا في القول، فأخذ جلساؤه من الأمراء في الوقيعة في **قوصون** والتحدث في القبض عليه , فنم عليهم الأمر **يلبغا اليحياوي لقوصون** وعرفه أن الاتفاق قد تقرر على القبض عليه في يوم الجمعة وقت الصلاة.

فانقطع **قوصون** عن الصلاة، وأظهر أن برجله وجعاً ، فلم يطلع الفجر حتى ركب **قوصون** من القلعة من باب السر في مماليكه ومماليك السلطان، ووقفوا بأجمعهم عند قبة النصر، فلم يبق أحد من الأمراء حتى أتاهم.

هذا **والسلطان** وندماؤه في غفلة الوهم وغيبة سكرهم، إلى أن دخل عليهم أرباب الوظائف وأيقظوهم من نومهم، وعرفوهم ما دهوا به.

ثم نزل **قوصون** والأمراء في خيم ضربت لهم عند قبة النصر، واستدعى **طقزدمر** النائب، والأمير **جنكلي بن البابا**، **وأيدغمش** أمير أخور، **والوزير**، والأمراء المقيمين بالقلعة. واتفقوا على خلع **الملك المنصور** وإخراجه وإخوته من القلعة، فتوجه برسبغا في جماعة إلى القلعة، وأخرج المنصور وأخوته، وهو سابع سبعة، ومع كل منهم مملوك صغير وخادم وفرس وبقجة قماش. وأركبهم برسبغا إلى شاطئ النيل ، وسافر بهم **جركتمر بن بهادر** إلى قوص، و لم يترك **برسبغا** في القلعة من أولاد السلطان إلا **كجك**.

وكان يوماً عظيماً بالقلعة والقاهرة، من تألم الناس على أولاد **السلطان** والأمراء وكثرة البكاء والعويل.

وبات **قوصون** ومن معه ليلة الأحد بخيامهم عند قبة النصر، وركبوا بكرة يوم الأحد

عشريه إلى القلعة، واتفقوا على إقامة **كجك**. فكانت مدة سلطنة المنصور أبي بكر تسعة وخمسين يوماً ومن حين قلده الخليفة أربعين يوماً.

وأخرج **الله** أولاد **الناصر** مرسوماً عليهم إلى قوص على يد أقرب الناس إليه، وهو **قوصون** مملوكه وثقته ووصيه على أولاده، فليعتبر العاقل ويتجنب أفعال السوء.

(المقريزي – السلوك)

2) الاشرف كجك :

ومعنى كجك = صغير Küçük

(عبد الله عطية – معجم اسماء سلاطين المماليك)

لم يظهر في الافق ظاهرة ولاية العهد وطبق المماليك المبدأ الوراثي فأقيم السلاطين من بيت **الناصر محمد** دون التقيد باستمرار **السلطان** في الحكم حتى وفاته بل يصح خلعه اذا لم يرضى الامراء عنه واقامة غيره .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 311)

وافق الخليفة على خلع **ابي بكر** لما اتهم في حياته من الاثام وكانت فاتحة هذا الحكم الجديد عزل كل من كان في يده شيئا من القوة والسلطان .

(وليم موير – تاريخ دوله المماليك 104)

واضحى **قوصون** صاحب الكلمة النافذة في الدولة , فنصب اخا **السلطان** المخلوع الامير **علاء الدين كجك** واقر **الخليفة العباسي** بيعته بعد ان وافق على خلع **ابي بكر** لما ارتكبه من اثام .

(ابن حبيب 27/3)

ركب الأمير **قوصون** في دست النيابة، وترجل له الأمراء.وأنشأ قاعة للجلوسه مع الأمراء

من داخل باب القلعة، وفتح شباكاً يطل على الدركاه، وجلس فيه مع أكابر الأمراء ومد السماط بها، وصار يدخل إليه الأمراء والمقدمون والأجناد .

أقيم **كجك** سلطاناً ولم يكمل له خمس سنين ولقب **بالملك الأشرف** , وامه ام ولد تسمى **اردو** تزوجت فيما بعد بالامير **آق سنقر المنصوري** .

وكان إذا حضرت العلامة أعطى قلماً في يده، وجاء فقيهه الذي يقرئ أولاد السلطان، فكيف العلامة والقلم في يد السلطان.

(المقريزي – السلوك)

واقاموا الامير **سيف الدين طقبغا** لالا **السلطان** يقعده على التخت على مدورة ويقف الى جانبه ويعلمه ما ينبغي ان يفعله الملك من الامور التي لابد منها .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر)

لم يكن منتظرا من السلطان الجديد ان يكون له رأي مسموع وكلمة نافذة في اداره شؤون البلاد نظرا لصغر سنه , لذلك لم يكن له من السلطنة الا الاسم فعين قوصون اتابكا للعسكر ونائبا للسلطنة , فقبض هذا الامير على زمام الامور وصار يتصرف في شؤون الدولة حسب اهوائه .

المقريزي السلوك 2/ 615)

وكان **قوصون** يوجس خيفة من **احمد** اكبر اولاد **الناصر** وأخذ يرسل له يستدرجه , ويوهمه بأن **له تاج ملك مصر** اذا هو حضر الى **القاهرة** , ولكن **احمد** كان يقظا فبقى في الكرك , فسير اليه **قوصون** الامير **قطلو بغا** ولكن **احمد** استهواه فانضم اليه . وبانضمامه دخل في جانب **احمد** معظم امراء الشام .

ثم اخذ الحزبان يتنافسان في السياده فكان الظفر من جانب **احمد** وكان **قوصون** في اشد

الارتياب ووده لو رجع ابو بكر يجلس على سرير الملك ثانيا ولكن كان قد سبق السيف العذل لانه كان قد ارسل اوامر سريه بقتله فتم ذلك .

(وليم موير – تاريخ دوله المماليك 104)

خامر قطلوبغا الفخري بالكرك على قوصون، وحلف لأحمد هو ومن معه من الأمراء، وأقاموه سلطاناً ولقبوه بالملك الناصر، وتحالف المماليك السلطانية على قتله فنجا وشردهم ، وكان منهم صرغتمش وشيخو .

ثم ظهر لقوصون مخالفة الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب ، لإخراج أولاد السلطان الملك الناصر إلى الصعيد، وتجهيز العسكر لقتال أحمد ابن السلطان .

ثم تنكرت الأحوال بين الأمير قوصون وبين الأمير أيدغمش أمير أخور .

(المقريزي – السلوك)

ولما انفض اعوان **قوصون** من حوله واصبح وحيدا أنقض عليه الامراء ,وقبض عليه وأخذ وقيد، ومضوا به إلى البرج الذي كان به **بشتاك** , **وبالقبض على قوصون انتهت دولة الاشرف كجك .**

وكانت مدته خمسة أشهر وعشرة أيام لم يكن له فيها أمر ولا نهي، وتدبير أمور الدولة كلها إلى قوصون .

(المقريزي – السلوك)

قوصون وكجك :

ثم ركب الأمير **قوصون** في دست النيابة، وترجل له الأمراء، فكان موكباً عظيماً.

أخذت أمور **قوصون** تضطرب. وذلك أنه ألزم المماليك السلطانية بالمشي في خدمته، كما كانوا في الأيام الناصرية يمشون في خدمة **السلطان الناصر محمد**، فلم يوافقوه على

ذلك، وكان **قوصون** مع كثرة إحسانه قد ألقى **الله** بغضته في قلوب الناس جميعاً حتى صاروا يلهجون بها.

توجه الأمير **طوغان** لإحضار **أحمد ابن السلطان الناصر محمد** من الكرك محتفظاً به، لينفى إلى أسوان .

قدم من الكرك الأمير **شرف الدين ملكتمر السرجواني** نائبها، والأمير **طرغاي الطباخي**، وأخبرا بامتناع **أحمد** من الحضور، وأنه أقام على الخلاف.

اجتمع الأمراء للمشورة في أمر **أحمد ابن السلطان** حتى تقرر الأمر على تجريد العسكر لأخذه.

وكانت الإشاعة قد قويت بالقاهرة أن **أحمد** عزم على السير إلى مصر، وطلب السلطنة. فكثر الاضطراب

ثم ظهر **لقوصون** مخالفة الأمير **طشتمر حمص أخضر** نائب حلب عليه، وسببه أنه شق عليه إخراج أولاد **السلطان الملك الناصر** إلى الصعيد، ويجهز العسكر لقتال **أحمد ابن السلطان**. وكان قد بعث إليه **أحمد** يشكو من **قوصون**، وأنه يريد القبض عليه، ويطلب منه النصرة عليه. فكتب **طشتمر حمص أخضر** إلى الأمراء وإلى **قوصون** بالعتب وكتب **قوصون** إلى الأمير **ألطنبغا الصالحي** نائب الشام بأن نائب حلب قد شرع يتكلم في الفتنة، وأنه لا يصغي إلى قوله،

وتنكرت الأحوال بين الأمير **قوصون** وبين الأمير **أيدغمش** أمير أخور، وكادت الفتنة تقع بينهما. وذلك أن بعض مماليك أمير **علي بن أيدغمش** وشى إليه بأن **قوصون** قدر مع **برسبغا** أنه يبيت بالقاهرة، ويكبس في عدة من مماليك **قوصون** على **أيدغمش**. فأخذ **أيدغمش** في الاحتراز، وامتنع من طلوع القلعة أياماً بحجة أنه متوعك الجسم. وصار إذا

سير **قوصون** في سوق الخيل يغلق **أيدغمش** باب الإصطبل، ويوقف طائفة الأوجاقية عليه. فاشتهر الخبر بين الناس، وكثرت القالة. وبلغ **قوصون** تغير **أيدغمش** عليه، فحلف للأمراء أنه لا يعرف لتغيره سبباً، فمازالت الأمراء **بأيدغمش** حتى طلع إلى القلعه، وعرف **قوصون** بحضرتهم ما بلغه، فحلف **قوصون** على المصحف أن هذا لم يقع منه ولا عنده منه خبر، وتصالحا. فبعث إليه **أيدغمش** بعد نزوله إلى الإصطبل بالناقل له، فرده إليه ولم يعاقبه.

أنشأ الأمير **قوصون** قاعة لجلوس مع الأمراء من داخل باب القلعة، وفتح شباكاً يطل على الدركاه، وجلس فيه مع أكابر الأمراء ومد السماط بها، وصار يدخل إليه الأمراء والمقدمون والأجناد.

ثم قدم الخبر من **عبد المؤمن** والي قوص بأن **المنصور أبا بكر** وجد في نفسه تغيراً، وفي جسمه توعكاً، لزم الفراش منه أياماً، ومات. ثم قدم **جركتمر بن بهادر** وأخبر بذلك، فاتهم **قوصون** بأنه أمر بقتله.

ثم قدم الخبر من **شطي بن عبية** أمير العرب بأن **قطلوبغا الفخري** قد خامر بالكرك على **قوصون**، وحلف **لأحمد** هو ومن معه من الأمراء، وأنهم أقاموه سلطاناً ولقبوه **بالملك الناصر**، وذلك بمكاتبة **طشتمر حمص أخضر** نائب حلب له يعتبه على موافقة **قوصون**، وقد فعل بأولاد السلطان ما فعل، ويعزم عليه أن يدخل في طاعة **أحمد**، ويقوم معه بنصرته. فصادف ذلك من **قطلوبغا الفخري** ضجره من طول الإقامة على حصار الكرك، وشدة البرد وكثرة الغلاء، فجمع من معه وكتب إلى أحمد وخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه، وكتب إلى **طشتمر حمص أخضر** نائب حلب بذلك، فأعاد جوابه بالشكر والثناء، وأعلمه بان الأمير **طقزدمر** نائب حماة وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بأمر

أحمد.

ثم قدم على قوصون كتاب قطلوبغا الفخري يعنفه على إخراج أولاد السلطان الناصر محمد وقتل المنصور أبي بكر، وأن الاتفاق وقع على سلطنة الناصر أحمد، ويشير عليه بأن يختار بلداً يقيم بها حتى يسأل له السلطان الملك الناصر أحمد في تقليده إياها. فقام قوصون وقعد، وجمع الأمراء، فوقع الاتفاق على تجهيز التقادم للأمراء بغزة.

فبينا قوصون في ذلك إذ ركب الأمراء عليه، وسبب ذلك تنكر قلوب أكابر الأمراء عليه، لأمور بدت منه، منها قتل الأمير بشتاك، ثم قتل الملك المنصور أبي بكر، ثم وقوع الوحشة بينه وبين أيدغمش، فأخذ أيدغمش في التدبير عليه. ثم كان من انتصار قطلوبغا الفخري على ألطنبغا الصالحي نائب الشام ما كان، فكتب قطلربغا إلى أيدغمش سراً بأنه سلطن أحمد، وحرضه على الركوب إلى الكرك بمن قدر على استمالته.

شاع بأن قوصون يريد أن يتسلطن، فخاف أيدغمش وغيره من تحكمه في السلطنة، وحرض الخاصكية حتى وافقه الأمير ألطنبغا المارداني ويلبغا اليحياوي، في عدة من المماليك السلطانية، وعدة من أكابر الأمراء منهم الحاج آل ملك وجنكلي بن البابا، أنهم يسيرون جميعاً إلى الكرك عند قدوم ألطنبغا الصالحي نائب الشام وخروجهم إلى لقائه.

فبلغه ركوب الأمراء على قوصون وأنه محصور بالقلعة، فركب بمن معه إلى بركة الحاج، وإذا بطلب قوصون وصنجقه في نحو مائة مملوك قد وافوه، وأعلموه أن في نصف الليل ركب الأمراء وأحاطت بإصطبل قوصون، وحصروه في القلعة، فخرجوا هم على حمية حتى وصلوا إليهم.

ولبست مماليكه التي كانت عنده بالقلعة، وسألته أن ينزل ويدرك إصطبله، ويجتمع بمن فيه

من مماليكه وكان يعتز بهم، فإنهم كانوا سبعمائة مملوك، وطالما كان يقول: **إيش أبالي بالأمراء وغيرهم عندي سبعمائة مملوك ألقى بهم كل من في الأرض**، فلم يوافقهم **قوصون** لما أراد الله به، وأقام إلى أن طلع النهار. فلما لم تظهر له حركة أمر أيدغمش أن يطلع الأوجاقية إلى الطلخاناة السلطانية وأخرج لهم الكوسات. ودق أيدغمش حربياً، ونادى: **معاشر أجناد الحلقة ومماليك السلطان وأجناد الأمراء والبطالين يحضروا، ومن ليس له لبس ولا فرس ولا سلاح يحضر يأخذ له الفرس والسلاح ويركب معنا** فأتاه جماعة كثرة من أجناد الحلقة والمماليك، ما بين لابس السلاح راكب وبين ماش أو على حمار، وأقبلت العامة كالجراد المنتشر. فنادى أيدغمش: " **ياكسابة عليكم بإصطبل قوصون، انهبوه** فأحاطوا به ومماليك **قوصون** من أعلاه ترميهم بالنشاب حتى أتلفوا منهم عدة كثرة. فركب مماليك **يلبغا اليحياوي** أعلا بيت **يلبغا** حيث مدرسة **السلطان حسن** الآن، ورموا مماليك **قوصون** بالنشاب مساعدة للعوام، وجرحوا منهم جماعة، وحالوا بينهم وبين العامة. فهجم العامة عند ذلك على إصطبل قوصون، ونهبوا ركب خاناته وحواصله، وكسروا باب قصره بالفئوس بعد مكايدة شديدة، وطلعوا إليه. فخرجت مماليك قوصون على حمية، وشقوا القاهرة، وصاروا إلى ألطنبغا الصالحي نائب الشام. فبعث أيدغمش في أثرهم إلى **ألطنبغا** نائب الشام ومن معه من الأمراء بالسلام عليهم، وأن يمنعوا مماليك **قوصون** من الاختلاط بهم، فإن الأمير **يلبغا اليحياوي** والأمير **آقسنقر** قادمان في جمع كبير لأخذ مماليك **قوصون** وحاشيه. فأمر **ألطنبغا** نائب الشام مماليك **قوصون ويلجك وبرسبغا** أن يكونوا على حدة. ولبس الجميع، وأخذ **برسبغا** وجماعته نحو الجبل، فلقيهم **يلبغا اليحياوي** ومن معه، وكان ذلك بعدما أمسك **قوصون**، فسار خلفهم إلى قرب إطفيح، وهم في جمع كبير.

ولم تمض إلا ساعات من النهار حتى نهب جميع ما في إصطبل **قوصون** من الخيل والسروج وألات الخيل والذهب وغير ذلك، **وقوصون** ينظر ويضرب يداً على يد، ويقول : **يا أمراء هذا تصرف جند؟ ينهب هذا المال جميعه؟** وكان **أيدغمش** قصد بذلك أن يقطع قلب **قوصون**. فبعث **قوصون** إلى **أيدغمش** **بأن هذا المال عظيم، وهو ينفع المسلمين والسلطان، فكيف تفعل هذا وتنادي بنهبه؟** فرد جوابه: **نحن قصدنا أنت، ولو راح هذا المال وأضعافه.** هذا والقلعة مغلقة الأبواب، وجماعة **قوصون** يرمون الأشرفية بالنشاب إلى قرب العصر، والعامة تجمع نشابهم وتعطيه لأجناد الأمراء المحاصرين للقلعة.

فألقى حينئذ قوصون بيديه، واستسلم ودخل عليه مماليكه وقد خذلوا، فدخل عليه **بلك الجمدار وملكتمر السرجواني** يأمرانه أن يقيم في موضع حتى يحضر ابن أستاذه من الكرك، فيتصرف فيه كما يختار، فلم يجد بداً من الإذعان، وأخذ يوصي الأمير **جنكلي** على أولاده. وأخذ **قوصون** وقيد، ومضوا به إلى البرج الذي كان به بشتاك، ورسم عليه جماعة من الأمراء. وكان الذي تولى مسكه وحبسه أرنبغا أمير جندار **وجنكلي بن البابا** وأمير **مسعود** حاجب الحجاب.

وفي ليلة الخميس: أخرج الأمير **قوصون** من سجنه بالقلعة، في مائة فارس حتى ركب النيل، ومضى إلى الإسكندرية.

وكان **قوصون** في أول أمره على حاله، وفي أوسطه وأخره من أعاجيب الزمان

(المقريزي – السلوك)

ما علم ان مع كل ثمره خمره وعقيب كل فرحه طرحه كما قال **الله** تعالى :

" حتى اذا فرحوا بما اتاهم اخذناهم بغتة " .

واصبح بعد العز بذنبه مرهون ولا احد يذكره بشفة ولا لسان واستعبرت لفقده الدنيا بعد

ان كانت تتقرب الناس اليه بكل ما تصل قدره , صاروا ينتفوا منه جهد القدرة بحيث انه اذا كان بين أحد وبين انسان خصومة يقول له انت قوصوني فيتبرأ ذلك الشخص من هذه النسبه ويقول ما قصوني الا انت وصار ذلك سبه بين الناس ولهجت الخلائق بمذمته وكأنما اسقاهم صبرا واستعبدهم قهرا , وقلع رنكه من سائر الاماكن في لحظة واحدة , ولم يظهر له رسم على شيء في الدنيا فسبحان من لا يحول ولا يزول ولا تعبره الليالي ولا الدهور ولا يزل به المقدور .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 190)

3) الناصر احمد :

لما استولى الأمير **أيدغمش** على الدولة بعد **قوصون**، وقرر مع الأمراء خلع الأشرف **كجك** ، بعث الأمير **جنكلي بن البابا والأمير بيبرس الأحمدي والأمير قماري** أمير شكار إلى **السلطان أحمد بالكرك** بكتب الأمراء يخبرونه بما وقع، ويستدعونه إلى تحت ملكه، وضربوا اسمه على أملاك قوصون ، وأعلن بالدعاء له في خانكاة **سعيد السعداء.**

(المقريزي – السلوك)

وكان حينذاك في الرابعه والعشرين من عمره ,كان لا يزال غارقا في **الكرك** في حماة الرذيله يعيش عيشة الخلاعة منهمكا في اللذات منغمسا في الشهوات فدعوه للحضور الى القاهرة ليجلس على اريكة الملك اما هو فلم تكن له رغبه في الذهاب الى القاهرة والحق انه لولا عداوة **قوصون** ما كان ليفكر مطلقا في عرش مصر .

(وليم موير – تاريخ دوله المماليك 105)

وكان شاب حسن جميل الصوره ابيض اللون مدور الوجه عارضه غليظ القطعه معتدل القامه مؤثر اللذات , لا يكاد يظهر لاحدا , منهمكا على لذته وامه ام ولد تسمى

بياض انجبت **للناصر محمد** هذا الولد ثم طلقها وزوجها للامير **السرجواني** وماتت في صحبته .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 190)

قدم قاصد **السلطان** إلى **الأمير أيدغمش** بأن السلطان يأتي ليلا من باب القرافة، وأمره أن يفتح له باب السر حتى يعبر منه، ففتحه. وجلس **أيدغمش وألطنبغا المارداني** حتى مضى جانب من **الليل** ، أقبل **السلطان** في نحو العشرة رجال من أهل الكرك، وقد تلثم وعليه ثياب مفرجة، فتلقوه وسلموا عليه، فلم يقف معهم، وأخذ جماعته ودخل بهم. ورجع الأمراء وهم يتعجبون من أمره، وأصبحوا فدقت البشائر بالقلعة، وزينت القاهرة ومصر.

ألبس **السلطان**، وجلس على تخت الملك، وقد حضر الخليفة **الحاكم بأمر الله** وقضاة مصر الأربعة، وقضاة دمشق الأربعة، وجميع الأمراء والمقدمين. وعهد إليه

(المقريزي – السلوك)

بعدما تهئ للمسير في فئه قليله من اتباعه ودخل المدينة في غلس الليل في زي اعرابي , قصد دار اخوه , احتجب فيها اياما لا يخرج الى الناس في المسجد او القصر او اي محلة عامة فأثار بهذا السلوك الغريب غضب الناس عليه ثم تربع في تخت الملك اخيرا , وكان لا يزال متهالكا على الامور التي اعتادها في الكرك فترك ازمة الامور في يد **طشتمر وقطلوبغا** وغيرهما من الامراء .

(وليم موير – تاريخ دوله المماليك 106)

فوض اداره شؤون البلاد الى وزيريه الاميرين **طشتمر** الذي عينه نائب السلطنه في مصر **وقطلوبغا** .

استغل **طشتمر** منصبه فعزل الامراء من مناصب الدوله وملئها باعوانه كما عارض الاوامر السلطانيه وتعاظم على الامراء مما اثار شكوك السلطان فاستعاد مقاليد الامور منه وسجنه , كما قبض على الامير **قطلوبغا** , واضحى هو **السلطان** وانطلق في التصرف في امور البلاد متحررا من سيطرة الامراء .

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة 51/10)

ثم أخذ **السلطان** في تحصين الكرك وشحنها بالغلال والأقوات .

(المقريزي – السلوك)

لا يزال حبه للكرك مالكا عليه قلبه , فتزي بزي اعرابي وركب هجينا وليس معه غير اثنين من الاتباع وتوجه تلقاء الكرك حيث حط رحاله .

وكان **السلطان** قد جهز حاله وفتح الخزاين والزخاير التي من قديم الزمان عن الملوك المتقدمه واخذ كل ما فيها من ذهب وفضه وفصوص وجواهر ولم يترك بالخزائن شيء قل ولا جل .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 190)

عزم على جعل الكرك مكان اقامته مع ابقاء دواوين الدولة وادارتها في القاهرة , فعين الامير **اقسنقر السلاري** نائبا عنه في مصر واضطربت الامور, فشق على الامراء غيبه **السلطان** فكتبوا اليه يرجونه العودة لحاجة الملك اليه.

(ابن تغري بردي – النجوم الزاهره 69/10)

والناس في أمر مريج لغيبة **السلطان** بالكرك، وعند الأمراء تشوش كبير، لما بلغهم من مصاب **قطلوبغا الفخري** وصار الأمير **أقسنقر** نائب الغيبة في تخوف، فإنه بلغه أن جماعة من مماليك الأمراء الذين قبض عليهم قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه، فترك الركوب للموكب أياماً حتى اجتمعوا عنده، وحلفوا له.

ثم اتفق رأيهم على أن كتبوا للسلطان كتاباً ، بأن الأمور ضائعة لغيبة السلطان، وقد نافق عربان الصعيد، وطمع الناس، وفسدت الأحوال كلها، وسألوه الحضور. فعاد جوابه : "

بأنني قاعد في موضع أشتهي، وأي وقت أردت أحضر إليكم.

ثم قدم الخبر بأن السلطان قتل الأمير طشتمر حمص أخضر والأمير قطلوبغا الفخري ، فاشتد قلق الأمراء.

ثم قدم كتاب السلطان إلى الأمراء يطيب خواطرهم، ويعرفهم أن مصر والشام والكرك له، وأنه حيث شاء أقام، ورسم أن تجهز له الأغنام من بلاد الصعيد، وأكد في ذلك، وأوصى آقسنقر بأن يكون متفقاً مع الأمراء على ما يكون من المصالح.

فتنكرت قلوب الأمراء ونفرت خواطرهم ، واتفقوا على خلع السلطان وإقامة أخيه إسماعيل .

فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوماً، منها مدة إقامته بالكرك ومراسيمه نافذة بمصر أحد وخمسون، وإقامته بمصر مدة شهرين وأيام.

(المقريزي – السلوك)

حوليات الملك الناصر احمد :

- **وفيه جلس أيدغمش وألطنبغا المارداني ويلبغا اليحياوي وبهادر الدمرداش واستدعوا بقية الأمراء.**
- **وفيه طلب أيدغمش جلال الدين يوسف والي الجيزة، وخلع عليه بولاية القاهرة، فنزل إلى القاهرة، فإذا بالعامة في نهب بيت بعض مماليك قوصون، فقبض على عشرين منهم، وضربهم بالمقارع وسجنهم، بعدما أشهرهم. فاجتمعت الغوغاء ووقفوا لأيدغمش، وصاحوا عليه: وليت على الناس قوصوني ما يخلي منا أحد**

- وفيه : دعي على منابر مصر والقاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد.
- وفي يوم الإثنين خامسه: تجمعت الغوغاء بسوق الخيل، ومعهم الرايات الصفر، وتصايحوا بأيدغمش: زودنا لنروح إلى أستاذنا الملك الناصر، ونجيء صحبته، فكتب لهم مرسوماً بالإقامة والراتب في كل منزلة، وتوجهوا مسافرين من الغد.
- وفيه: وصل الأمراء الذين كان سجنهم قوصون من سجن الإسكندرية، وهم ملكتمر الحجازي وقطليجا الحموي، وأربعة وخمسون نفراً من المماليك السلطانية وعندما قدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم، وخرجت العامة لرؤيتهم،
- وفيه قبض على خمسة وثمانين من مماليك قوصون، فقيدوا وسجنوا
- وفيه: تفاوض الأميران ملكتمر الحجازي ويلبغا اليحياوي حتى خرجا إلى المخاصمة، وصار لكل منها طائفة، ولبسوا آلة الحرب
- وفيه: قدم أولاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من قوص
- وفيه قبض على عدة من العامة نهبوا بعض كنائس النصارى، وصلبوا تحت القلعة، ثم أطلقوا.
- وفيه: قدم قاصد السلطان إلى الأمير أيدغمش بأن السلطان يأتي ليلاً من باب القرافة، وأمره أن يفتح له باب السر حتى يعبر منه، ففتحه
- وفيه: ألبس السلطان، وجلس على تخت الملك، وقد حضر الخليفة الحاكم بأمر الله وقضاة مصر الأربعة، وقضاة دمشق الأربعة، وجميع الأمراء والمقدمين.
- وفيه أخرج السلطان عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي والي قوص من السجن، وسمر على باب المارستان المنصوري من القاهرة بمسامير جافية شنعة، وطيف

به مدة ستة أيام، وهو يحادث الناس في الليل بأخباره. فمما حدثهم به أنه هو الذي ركب حتى ضرب النشو ، وأنه لما سقطت عمامته ظنها رأسه. وكان إذا قيل له اصبر يا عبد المؤمن يقول أسأل الصبر، وينشد كثيراً. يبكى علينا ولا نبكي على أحد ... ونحن أغلظ أكباداً من الإبل

- وفيه: شنق عبد المؤمن على قنطرة السد ظاهر مدينة مصر عند الكيمان، وترك حتى ورم وأكلته الكلاب.
- وفيه: أخرج بأحد وعشرين أميراً إلى الإسكندرية، صحبه الأمير طشتمر طلليه، منهم أرقطاي نائب طرابلس، وجركتمر بن بهادر، وابن المحسني والي القاهرة. فلما وصلوا إلى الثغر وسجنوا به، وقتل قوصون وألطنبغا الصالحي نائب الشام، وجركتمر بن بهادر، وبرسبغا الحاجب.
- وفيه خلع السلطان على الأمير قطلوبغا الفخري، واستقر في نيابة الشام، وعلي الأمير أيدغمش بنيابة حلب.
- وفيه: قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر نائب السلطنة
- ذي الحجة : جاء الامير بكا عشية ومعه سيف قطلوبغا الفخري فسر السلطان بذلك، وكتب بحمله إلى الكرك. فلما طلع الأمراء إلى الخدمة في يوم الثلاثاء ترضاهم، وبشرهم بمسك قطلوبغا الفخري، ثم أخبرهم أنه متوجه إلى الكرك، وأنه يعود بعد شهر. وكان السلطان قد تجهز إلى الكرك،
- وفيه سجن قطلوبغا الفخري وطشتمر حمص أخضر بقلعة الكرك، بعد ما أهين الفخري من العامة إهانة بالغة ونكل به نكالاً فاحشاً.

- وفيه كتب السلطان لآقسنقر السلاري نائب الغيبة بمصر أن يوقع الحوطة على موجود طشتمر حمص أخضر، وقطلوبغا الفخري، ويحمل إليه بالكرك.
- وفيه أخذ السلطان في تحصين الكرك وشحنها بالغلال والأقوات
- سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة
- في المحرم : والناس في أمر مريج لغيبة السلطان بالكرك ثم اتفق رأيهم على أن كتبوا للسلطان كتاباً ، بأن الأمور ضائعة لغيبة السلطان، وقد نافق عربان الصعيد، وطمع الناس، وفسدت الأحوال كلها، وسألوه الحضور. وبعثوا به الأمير طقتمر الصلاحي، فعاد جوابه في حادي عشره: " بأنني قاعد في موضع أشتهي، وأي وقت أردت أحضر إليكم. وذكر طقتمر أن السلطان لم يمكنه من الاجتماع به، وأنه بعث من أخذ منه الكتاب، ثم أرسل إليه الجواب.
- وفيه قدم الخبر بأن السلطان قتل الأمير طشتمر حمص أخضر والأمير قطلوبغا الفخري، فاشتد قلق الأمراء.
- وفيه قدم كتاب السلطان إلى الأمراء يطيب خواطرهم، ويعرفهم أن مصر والشام والكرك له، وأنه حيث شاء أقام، فتنكرت قلوب الأمراء ونفرت خواطرهم، واتفقوا على خلع السلطان وإقامة أخيه إسماعيل، في يوم الأربعاء حادي عشريه .

العامة في عصر الناصر أحمد :

كان كل هذا من سوء تدبير **أيدغمش**، فإنه جرأ العامة على نهب إصطبل **قوصون** لغرضه، فوجدوا فيه ما لا يكاد يوصف فأنطبع هذا الفعل على الاحداث والحياة القاهرية آنذاك وقتا ليس بالقليل .

فوجد لقوصون أربع سراري نهب جميع مالهن، وحملت أكياس الذهب والفضة ونثرت بالدهليز والطرق. فأخذ كثير من المال ونزلت مماليك يلبغا اليحياوي من سور إصطبله وقووا على الناس، واقتسموا الذهب وأخرجت النهابة من البسط الرومية والآمدية وعمل الشريف شيئاً كثير، قطعوها قطعاً وتقاسموها، وكسروا أواني البلور والصيني وسلاسل الخيل الفضة والذهب، ومن السروج واللحم ما لا يحد، وقطعوا الخيم وثياب الخركاوات ما بين حرير وزرنيب بحاصله.

وكان بحاصل قوصون لما نهب ما ينيف على أربعمائة ألف دينار ذهباً في أكياس، ومن الحوايص والزركش والأواني ما بين أطباق وخونجات زيادة على مائة ألف، ومن حلي النساء ما لا ينحصر، وثلاثة أكياس أطلس فيها جواهر بما ينيف على مائة ألف دينار، ومائة وثلاثين زوج بسط ، قيمة كل زوج اثنا عشر ألف درهم، وأربعة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها، ونوبة خام جميعها أطلس معدني قص. فانحط لذلك سعر الذهب حتى كان صرفه بأحد عشر درهماً الدينار، من كثرة ما صار في الأيدي، بعدما كان الدينار بعشرين درهماً، ولأن أيدغمش نادى في القاهرة ومصر أن من أحضر من العامة ذهباً لتاجر أو صيرفي أو متعيش يقبض عليه ويحضر به إليه، فكان من معه منهم ذهب يأخذ فيه ما يدفع إليه من غير توقف. وكثرت مرافعة الناس بعضهم لبعض فيما نهب، فجمع أيدغمش شيئاً كثيراً من ذلك. ثم إن العامة بعد نهب إصطبل قوصون وقصره، حتى أخذوا سقوفه ورخامه وأبوابه، وتركوه خراباً مضوا إلى خانكاته بباب القرافة، فمنعهم أهلها من النهب، فمازالوا حتى فتحوها ونهبوها، وسلبوا الرجال والنساء ثيابهم، فلم يدعوا لأحد شيئاً، وقطعوا بسطها، وكسروا رخامها، وخربوا بركتها، وأخذو الشبابيك وخشب السقوف والمصاحف وشعثوا الجدر. ثم مضوا إلى بيوت مماليك قوصون، وهم حشد

عظيم، فنهبوها وأحرقوها وما حولها وتتبعوا حواشي قوصون بالقاهرة والحكورة وبولاق والزريبة وبركة قرموط وغير ذلك، وباعوا الأمتعة والأواني والثياب بأبخس ثمن، وصاروا إذا رأوا نهب أحد قالوا هو قوصوني فللحال يذهب جميع ماله. وزادت الأوباش حتى خرجوا عن الحد، وشمل الخوف كل أحد، فقام الأمراء على **أيدغمش** وأنكروا عليه تمكين العامة من النهب، فأمر بسبعة من الأمراء، فنزلوا إلى القاهره والعامة مجتمعة على باب الصالحية في نهب بيت قاضي القضاة **حسام الدين الغوري**، فقبضوا على عدة منهم، وضربوهم بالمقارع. وأشهروهم، فانكفوا عن النهب.

وكان **الحصني** بواب المدرسة الصالحية قد خرج تجاه باب المارستان وقت الصبح، بإعلام خليفتية ومصحف على رأسه، وهو ينادي بصوت عال: **يا مسلمين قاض يفعل كذا بنساء المسلمين من غير كناية، ويأكل الحشيش، هذا لا يحل**. فاجتمع الناس عليه، ومضى بهم إلى بيت قاضي القضاة **حسام الدين الغوري** الحنفي بالمدرسة الصالحية، وكسروا بابه ودخلوا عليه. ففر منهم **حسام الدين** إلى السطح وهو في أثره، وقد نهبوا جميع ما عنده حتى خشب الرفوف حتى وجدوه، فضربوه ونتفوا لحيته، وهو يعدو إلى أن خرج من البيت. واستجار حسام الدين بقاضي القضاة موفق الدين الحنبلي، فأجاره وأدخله داره، وأقام الحنابلة على بابه لمنع العامة منه وقد اقتحموا بابه، فقال لهم قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي. معكم مرسوم بنهبي قالوا: لا لكن سلمنا الغوري فقيل لهم: هذا غريم السلطان قد صار عندي، وأنتم قد أخذتم ماله، ومازال بهم حتى انفضوا عنه وشنع الحال في النهب .

ونهب سوق خزانة البنود بالقاهرة، حتى عم النهب حوانيته كلها ، وكسرت عدة جرار خمر من خزانة البنود، وهتكت نساء الفرنج. وبلغ ذلك الوالي، فركب نائبه لرد العامة عن

الفرنج، فرجموه وردوه رداً قبيحاً إلى أن احتمى بالمدرسة الجمالية المجاورة لخزانة البنود، وأساءوا الأدب على الفقهاء المجاورين بها، فخرجوا يحملون المصاحف، ووقفوا **للسلطان**.

فرسم **السلطان** بضرب الوالي على باب الجمالية، ونودي من الغد ألا يتعرض أحد لأسير من الفرنج وهدد من أخذ لهم شيئاً بالشنق.

طلب **أيدغمش جمال الدين يوسف** والي الجيزة، وخلع عليه بولاية القاهرة، فنزل إلى القاهرة، فإذا بالعامة في نهب بيت بعض مماليك **قوصون**، فقبض على عشرين منهم، وضربهم بالمقارع وسجنهم، بعدما أشهرهم. فاجتمعت الغوغاء ووقفوا لأيدغمش، وصاحوا عليه: وليت على الناس قوصوني ما يخلي منا أحد، وعرفوه ما وقع. فبعث أيدغمش الأوجاقية إليه في طلبه، فوجدوه بالصليبة يريد القلعة، فصاحت عليه الغوغاء، قوصوني ورجموه من كل جهة. فقامت الجبلية والأوجاقية في ردهم، فلم يطيقوا ذلك، وجرت بينهم الدماء. فهرب الوالي إلى إصطبل ألطنبغا المارداني، وحمته مماليك ألطنبغا من العامة. فطلب أيدغمش الغوغاء، وخيرهم فيمن يلي، فقالوا نجم الدين الذي كان قبل **ابن المحسني**، فطلبه وخلع عليه، فصاحوا: بحياة **الملك الناصر** عزل عنا ابن رخيمة المقدم وحمامص رفيقه، ومكنا منهما. فأذن لهم في نهبهما، فشرع نحو الألف منهم إلى دار ابن رخيمة بجانب بيت الأمير **كوكاي** بالقاهرة، فنهبوه ونهبوا بيت رفيقه.

تجمعت الغوغاء بسوق الخيل، ومعهم الرايات الصفر، وتصايحوا **بأيدغمش**: زودنا لنروح إلى أستاذنا **الملك الناصر**، ونجيء صحبته، فكتب لهم مرسوماً بالإقامة والراتب في كل منزلة، وتوجهوا مسافرين من الغد.

تفاوض الأميران **ملكتمر الحجازي ويلبغا اليحياوي** حتى خرجا إلى المخاصمة، وصار لكل منها طائفة، ولبسوا آلة الحرب. فتجمعت الغوغاء تحت القلعة لنهب بيوت من

ينكسر من الفريقين، فلم يزل الأمير **أيدغمش** بهم حتى كفوا عن القتال، وبعث إلى العامة جماعة من الأوجاقية، فقبضوا على جماعة منهم، وأودعهم السجن.

قدم أولاد **السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون** من قوص، فركب الأمراء إلى لقائهم، وهرعت العامة إليهم. فساروا من الحراقة على القرافة حتى حاذوا تربة جركتمر، فصاحت العامة: " **هذه تربة الذي قتل أستاذنا الملك المنصور**، وهجموها، وأخذوا ما فيها وخربوها حتى صارت كوم تراب. فلما وصل أولاد السلطان تحت القلعة أتاهم الأمير جمال الدين يوسف والي الجيزة الذي تولى القاهرة، وقتل ركبة رمضان ابن السلطان، فرفسه برجله وسبه، وقال: **أتنسى ونحن في الحراقة عند توجهنا لقوص، وقد طلبنا مأكلاً من الجيزة، فقلت خذوهم وروحوا إلى لعنة الله، ما عندنا شيء؟** فصاحت به العامة: **لله** مكنا من نهبه، هذا قوصوني، فأشار بيده أن انهبوا بيته، فتسارعوا في الحال إلى بيته المجاور للجامع الظاهري من الحسينية، حتى صاروا منه إلى باب الفتوح. فقامت إخوته ومن يلوذ به في دفع العامة بالسلاح، وبعث الأمير أيدغمش أيضاً بجماعة ليردهم عن النهب، وخرج إليهم نجم الدين والي القاهرة، وكان أمراً مهولاً قتل فيه من العامة عشرة رجال، وجرح خلق كثير، ولم ينتهب شيء.

وقبض على عدة من العامة نهبوا بعض كنائس النصارى، وصلبوا تحت القلعة، ثم أطلقوا.

(المقريزي – السلوك)

4) عماد الدين اسماعيل :

تولى **اسماعيل** اريكة مصر وهو في **السابعة عشر** من عمره , الا انه مع صغر سنه كان مثالا طيبا يحتذى , رفيقا بالعباد في ادارة شؤون الدولة فكان حقا اول سلطان من اسرة **الناصر** لم تغلب عليه خصال القسوة والجشع والغدر .

(وليم موير – تاريخ دوله المماليك 106)

جلس على تخت الملك بعد خلع أخيه باتفاق الأمراء على ذلك، **و**استقر الأمير **أرغون العلائي** زوج أم **السلطان** رأس نوبة ويكون رأس المشورة ومدبر الدولة وكافل **السلطان**. واستقر الأمير **آقسنقر السلاري** نائب السلطنة. دعي **للسلطان** على منابر مصر والقاهرة، وكتب إلى الأمراء ببلاد الشام بالأمان والاطمئنان .

(المقريزي – السلوك)

رجع **السلطان** قصره المهجور وبدأ يدبر امور بلاده والامل في النجاح ملء فؤاده ولكن الحظ عاكسه, لم يستمتع بحكم هادئ اذ ثار عليه اخوته .

وكان السلطان **اسماعيل** مشغولا بنسائه وقد وله بقينة سوداء كانت تشغف اسماعه بنغمات حتى اصبحت احسن سلوى في اخريات ايامه .

(وليم موير – تاريخ دوله المماليك 107)

اتخذ **السلطان** الحاج **ال ملك** نائبا له عوضا عن **اقسنقر السلاري** فقال : **السمع والطاعة , ولكن بشرط ان السلطان يرجع للمملوك فيما يقول وان احدا لا يعارض فيما افعله من الامور وان اقيم منار الشرع وامنع الخمر من ساير الاقاليم .**

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 255)

فكان ما قيل وأقام النائب منار الشرع الشريف .

كتب السلطان **الملك الصالح** إلى أخيه **الناصر أحمد** بالسلام ، وإعلامه بأن الأمراء أقاموه في السلطنة، لأنهم علموا أن **الملك الناصر أحمد** ليس له رغبة في ملك مصر، **وأنه**

يحب بلاد الكرك والشوبك، فهي بحكمك وملكك .

ورد كتاب **الناصر** من الكرك وهو يترفق ويعتذر عن قتل الأمير **قطلوبغا الفخري** والأمير **طشتمر حمص أخضر**، وأنه إن رسم بحضوره حضر، وإن رسم بإقامته بالكرك أقام تحت الطاعة، وأنه لا رغبة له في الملك. وعقيب ذلك ورد كتاب نائب الشام وكتاب نائب حلب، وفي ضمنهما كتب **الناصر أحمد** إليهما بختمها، وهي تشتمل على معنى ما ذكر في كتابه. فتوجه إليه الأمير **طشتمر طلليه** بجواب يتضمن أنه إن أراد الإقامة بالكرك مطمئناً فليسير ما أخده من المال والخيل وغير ذلك، وإلا هدمت عليه الكرك حجراً حجراً .

أقامت **العساكر** على محاصرة **الكرك** وقطع الميرة عنها، وكانت أموال **الناصر أحمد** قد نفذت من كثرة نفقاته، فوقع الطمع فيه.

حاصرته العساكر **مدة ثلاث سنوات** قاوم خلالها ببسالة قبل ان يستسلم نتيجه نفاذ الاقوات وانفضاض الامراء من حوله فقبض عليه وقتل وارسل برأسه الى السلطان.

(بن تغري بردي – النجوم الزاهره 10/ 71)

ثم أخرج الأمير **منجك السلاحدار** ليلاً من **القاهرة** لقتل **الناصر أحمد** من غير مشاورة الأمراء، فوصل إلى **الكرك**. وأدخل **منجك** إليه وخنقه ، وقطع رأسه. وقدم الرأس بين يدي **السلطان**، وكان ضخماً مهولاً له شعر طويل، فاقشعر **السلطان** عند رؤيته، وبات مرجوفاً.

(المقريزي – السلوك)

وكان **الناصر احمد** احسن اولاد الملك **الناصر** شكلا و اعظمهم لكنه كان سيء التدبير مشتغلا بلذته ولهوه يحب الانفراد مع الاوباش ويميل للعوام وقتل عمره سته وعشرون سنة

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 175)

ثم ان **السلطان** توهم من فتنة تكون يوم العيد، وهم ألا يصلي يوم العيد خوفاً من طائفة تهجم عليه في الصلاة من جهة أخيه **رمضان** واستعد لذلك. ثم بعث السلطان إلى أخيه **رمضان** ، فقتله ليلة العيد، وصلى العيد وهو متحرز.

(المقريزي – السلوك)

ورمضان ابن الناصر , امه ام ولد تسمى **نرجس** وهو شقيق **المنصور ابو بكر** وكان رمضان اشجع اولاد **الناصر** فلما ضعف اخوه طماعته نفسه بالملك واتفق مع جماعه من الامراء ولم يتم له .

(الشجاعي – تاريخ الملك الناصر 255)

ازداد المرض على السلطان فأخذ الأمراء والأكابر في توزيع أموالهم وحرمهم في عدة مواضع، ودخلوا على **السلطان**، وسألوه أن يعهد إلى أحد من إخوته. فطلب الأمير **الحاج آل ملك** النائب وبقية الأمراء، فلم يحضر إليه أحد منهم.

وقد اتفق الأمير **أرغون العلائي** مع جماعة على إقامة **شعبان**، فرق فيهم مالاً كثيراً، فأنه كان ربيبه، وشقيق السلطان **الصالح إسماعيل** . وامتنع الأمير الحاج **آل ملك** النائب من إقامة **شعبان**. وصار الأمراء حزبين، فقام النائب في الإنكار على الكلام في هذا، وقد اجتمع مع الأمراء بباب القلعة، وقبض على **غرلو** وسجنه، وتحالف هو والأمير **أرغون العلائي** وبقية الأمراء على عمل مصالح المسلمين.

وتوفي **السلطان** في ليلة الخميس رابع ربيع الآخر، ودفن عند أبيه وجده بالقبة المنصورية .

(المقريزي – السلوك)

وقام **شعبان** إلى أمه، ومنع من إشاعة موت أخيه، وخرج إلى أصحابه وقرر معهم أمره .

وكان الأمير **الحاج آل ملك** النائب والأمراء قد علموا من بعد العصر أن السلطان في النزع، فاتفقوا على النزول من القلعة إلى بيوتهم بالمدينة.

فلما أصبح يوم الخميس رابع ربيع الآخر :خرج **الأمير أرغون العلائي**، والأمير **ملكتمر الحجازي**، والأمير **تمر** الموساوي، والأمير **طشتمر طلليه**، والأمير **منكلى بغا الفخري**، والأمير **أسندمر**. وجلسوا بباب القلة في القلعة ، فأتاهم الأميران **أرقطاى وأصلم**، والوزير **نجم الدين محمود**، والأمير **قمارى استادر**؛ وطلبوا الأمير **الحاج آل ملك** النائب، فلم يحضر إليهم، فمضوا كلهم إلى عنده، واستدعوا الأمير **جنكلى بن البابا**، واشتوروا فيمن يولونه السلطة فأشار **جنكلى** بأن يرسل إلى المماليك السلطانية، ويسألهم من يختارونه، " **فأن من اختاروه رضيناه** " فعاد جوابهم مع الحاجب أنهم رضوا **بشعبان** سلطانا، فقاموا جميعاً ومعهم الأمير **الحاج آل ملك** النائب إلى داخل باب القلة

(المقريزي – السلوك)

حوليات عماد الدين اسماعيل :

- **يوم الخميس ثاني عشرى المحرم : جلس إسماعيل على تخت الملك بعد خلع أخيه باتفاق الأمراء على ذلك،**
- **وفيه فرق السلطان أخباز الأمراء البطالين ورسم بالإفراج عن المسجونين،وألا يترك بالسجون إلا من وجب عليه القتل.**
- **وفيه أخرج السلطان عدداً كبيراً من سجون القاهرة ومصر، وتوجه القصاد للإفراج عن الأمراء من الإسكندرية.**
- **وفيه استقر الأمير أرغون العلائي زوج أم السلطان الصالح رأس نوبة ويكون رأس**

المشورة ومدبر الدولة وكافل السلطان. واستقر الأمير آقسنقر السلاري نائب السلطنة.

- وفيه كتب السلطان بحضور الحاج آل ملك إلى القاهرة.
- وفيه كتب السلطان الملك الصالح إلى أخيه الناصر أحمد بالسلام، وإعلامه بأن الأمراء أقاموه في السلطنة
- وفيه خرج الأمير بيغرا ومعه أوجاقية، لجر الخيول السلطانية من الكرك.
- وفيه: قدم الأمراء والمسجونون بالإسكندرية، وعدتهم ستة وعشرون أميراً، منهم محمد بن المحسني والي القاهرة، وأمير علي بن بهادر، والحاج أرقطاي
- وفي صفر: قدم من غزة الأمير قماري، والأمير أبو بكر بن أرغون النائب، والأمير ملكتمر الحجازي، وصحبتهم الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد والمقدم عنبر السحرتي، والمماليك السلطانية، مفارقين للناصر أحمد.
- وفيه جلس آقسنقر السلاري بدار النيابة، بعد ما عمرها وفتح بها شباكاً
- وفي هذا الشهر: عقد السلطان على بنت الأمير أحمد ابن الأمير بكتمر الساقي
- وفيه سأل الأمير آقسنقر السلاري الإعفاء من النيابة، فلم يعف.
- وفيه وقعت منازعة بين الأمير جنكلي بن البابا وبين الضياء المحتسب، بسبب وقف الملك المنصور أبي بكر على القبة المنصورية، فإنه أراد إضافته إلى المارستان وصرف متحصله في مصرف المارستان. فلم يوافقه الضياء، واحتج بأن لهذا مصرفاً عينه واقفه لقراء وخدام، ووافقه القضاة على ذلك. فاستقر وقف المنصور أبي بكر على ما شرطه لطلبة العلم والفقراء والأيتام، وقرر فيه نحو ستين نفر بمعاليم ما بين

خبز ودراهم، فعم النفع به ويعرف اليوم هذا الوقف بالسيفي.

- وفيه كتب بحضور الأمير سنجر الجاولي إلى نيابة غزة
- وفيه قدم خبر من شطي بأن الناصر أحمد قرر مع بعض الكركيين أن يدخل إلى مصر ويقتل السلطان، فتشوش الأمراء من ذلك، ووقع الاتفاق على تجريد العسكر لقتاله.
- وفي ربيع الآخر: توجهت التجريدة إلى الكرك صحبة بيغرا، وهي أول، التجاريد. وعقيب ذلك حدث بالسلطان رعاف مستمر، فاتهمت أمه أردو أم الأشرف كجك بأنها سحرته، وهجمت عليها، وأوقعت الحوطة على جميع موجودها، وضربت عدة من جواريها ليعترفوا عليها. فلم يكن غير قليل حتى عوفي السلطان، فرسم بزينة القاهرة ومصر، وحملت أم السلطان إلى مشهد السيدة نفيسة قنديل ذهب زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية.
- وفيه عاد السلطان من سرحة سرياقوس مرض أياماً حتى استرخت أعضاؤه، وصار العلائي وآقسنقر النائب يدبران أمور الدولة.
- وفيه ورد الخبر بعافية شطي، وأنه ركب مع العسكر على الكرك، وقاتلوا أهلها وهزموهم إلى القلعة. فأذعن الناصر أحمد
- وفيه: كانت فتنة رمضان أخى السلطان،
- وفيه: استجد السلطان بالقلعة عمارة جليلة،
- وفيه: وقف السلطان الملك الصالح ثلثي ناحية سندبيس، من القليوبية، على ستة عشر خادماً لخدمة الضريح الشريف النبوي، فتمت عدة خدام الضريح الشريف أربعون خادماً.

• وفيها رتب السلطان دروساً للمذاهب الأربعة بالقبة المنصورية، ووقف عليها وعلى قراء وخدام وغير ذلك ناحية دهمشا من الشرقية، فاستقر ذلك، وعرف بوقف الصالح.

• سنة أربع وأربعين وسبعمائة

• المحرم: قبض السلطان على أربعة أمراء، وهم الأمير أقسنقر السلاري نائب السلطنة، والأمير بيغرا أمير جاندار صهره، والأمير قراجا الحاجب، وأخيه أولاجا، وقيدوا ورسم بسجنهم في الإسكندرية.

• وفيه: خلع السلطان علي الأمير الحاج آل ملك، واستقر في نيابة السلطنة،

• وفيه وصلت رسل متملك الهند بهدية فيها فصان ياقوت، ومعهم كتاب يتضمن السلام والمودة، وأنهم لم يكونوا يعرفون الإسلام حتى أتاهم رجل عرفهم ذلك، وذكر لهم أن ولاية الملك لابد أن تكون من الخليفة. وسأل متملك الهند أن يكتب له تقليد من جهة الخليفة بولاية مملكة الهند ليكون نائباً عن السلطان بتلك البلاد، وأن يبعث السلطان إليهم رجلاً يعلمهم شرائع الإسلام من الصلاة والصيام ونحو ذلك. فأكرمت الرسل، وطلب من الخليفة أن يكتب تقليداً لمرسلهم بسلطنة الهند، فكتب له تقليد جليل،

• وفي ربيع الأول: خرج الأمير جنكلي بن البابا والأمير أقسنقر الناصري وملكتمر السرجواني وأمير عمر بن أرغون النائب، في أربعة ألاف فارس، تقوية للأمير أصلم، وهي التجريدة الرابعة للكرك.

• وفيه اشتد الأمير الحاج آل ملك النائب على والي القاهرة ومصر في منع الخمر وغيره من المحرمات، وتتبع أهل الفساد وإحضارهم إليه

• وفي ربيع الآخر: قدم الخبر بوصول جنكلي بن البابا وأقسنقر الناصري إلى الكرك بمن معهما، في يوم السبت سابعه، فزحفوا من غدهم، وقاتلوا قتالاً شديداً جرح فيه بالغ وجماعة، وعدة قتلوا، وجرح كثير. فانكسر أهل الكرك كسرة قبيحة، فسر السلطان بذلك،

• وفيه قدم الخبر بكثرة الفساد والمجاهرة بالخمور وأنواع الفسوق بدمشق، وقلة حرمة نائبها الأمير طقزدمر الحموي، وتغلب مماليكه وتحكمهم عليه وسوء سيرتهم، فكتب بالإنكار عليه.

• وفيه نودي من قبل الأمير الحاج آل ملك نائب السلطان بأن أهل الأسواق كلها إذ أذن الصلاة يصلون قدام دكاكينهم بإمام يصلي بهم، فعملوا أنخاخاً وحصروا برسم فرشها للصلاة في الأسواق.

• وفيها ترك الأمير طقبغا الناصري إمريته، وتزيا بزي الفقراء، فلزمه بحكم الديوان أربعمائة ألف درهم، حمل منها مباشروه ثلاثمائة ألف.

• وفيها تزوج السلطان ابنة الأمير طقزدمر الحموي نائب الشام، بعد ما جهز الأمير ملكتمر الحجازي بالمهر إلى دمشق،

• وفي شعبان: ورد كتاب الناصر أحمد من الكرك وهو يترفق ويعتذر عن قتل الأمير قطلوبغا الفخري والأمير طشتمر حمص أخضر، وأنه إن رسم بحضوره حضر، وإن رسم بإقامته بالكرك أقام تحت الطاعة، وأنه لا رغبة له في الملك.

• وفي رمضان: فرغت عمارة القاعة المعروفة بالدهيشة من القلعة،

• وفيه : توهم السلطان من فتنة تكون يوم العيد، وهم ألا يصلي يوم العيد خوفاً من طائفة تهجم عليه في الصلاة من جهة أخيه رمضان واستعد لذلك.

ثم بعث السلطان إلى أخيه رمضان، فقتله ليلة العيد، وصلى العيد وهو متحرز. وكانت هذه السنة من أنكد السنين وأشدها، لكثرة الفتن وسفك الدماء ببلاد الصعيد ونواحي الشرقية وبلاد عرب الشام وبلاد الروم والكرك، وغلاء الأسعار بالعراق وكثرة الموتى عندهم، وزيادة النيل التي فسد بها الأقصاب والزراعات الصيفية.

- وفيها مات الأمير أقسنقر السلاري قتلاً بحبس الإسكندرية،
- وفيها مات الأمير ألطنبغا المارداني وهو في نيابة حلب، وهو الذي أنشأ جامع المارداني خارج باب زويلة.
- وفيها مات الأمير أقبغا عبد الواحد الأستادار، في محبسه بالإسكندرية، وإليه تنسب المدرسة الآقبغاوية بجوار الجامع الأزهر.
- سنة خمس وأربعين وسبعمائة
- وفي المحرم أقامت العساكر على محاصرة الكرك وقطع الميرة عنها، وكانت أموال الناصر أحمد قد نفذت من كثرة نفقاته.
- صفر : هجم العسكر على الناصر أحمد، فأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذي كان به، وأجلسوه وطيبوا خاطره، وهو ساكت لا يجيبهم، فقيدوه ووكلوا بحفظه جماعة،
- وفي ربيع الأول : أخرج الأمير منجك السلاح دار ليلاً من القاهرة لقتل الناصر أحمد من غير مشاورة الأمراء، فوصل إلى الكرك. وأدخل منجك إليه من أخرج الشاب من عنده، وخنقه ، وقطع رأسه

- وفيه طلب الأمير قبلاي الحاجب، ورسم بتوجهه لحفظ الكرك إلى أن ياتيه نائب لها، وكتب بعود الأمراء والعساكر، وكانت مدة حصار الناصر أحمد بالكرك سنتين وشهراً وثمانية أيام.
- رمضان: توقفت أحوال الدولة في كل شيء، وعجز الوزير عن لحم المعاملين وجوامك المماليك وسكرهم الجاري به العادة في شهر رمضان
- وفيه مات الأمير علم الدين سنجر الجاولي الفقيه الشافعي، في يوم الخميس ثامن رمضان، ودفن بمدرسته فوق جبل الكبش
- وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بجملة كبيرة تبلغ خمسين ألف درهم، وتنهبه الغلمان، وكان أيضاً قد أبطل سماط شهر رمضان.
- وفيه توقف حال الدولة، فرسم بكتابة أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها، وفيه كتب الموفق ناظر الدولة أوراق بما استجد على الدولة،
- وفيه أبطل منجك سماط عيد النحر و أبطل ما أحدثه النساء من ملابسهن.
- وفيه ماتت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهي زوجة الأمير طاز. وتركت مالاً عظيماً، أبيع موجودها بباب القلة من القلعة بخمسمائة ألف درهم، من جملته قبقاب مرصع بأربعين ألف درهم،
- وتوفي السلطان في ليلة الخميس رابع ربيع الآخر، دفن عند أبيه وجده بالقبة المنصورية، في ليلة الجمعة.

عماد الدين اسماعيل والحاج آل ملك:

خلع **السلطان** علي الأمير الحاج **آل ملك**، واستقر في نيابة السلطنة، عوضاً عن **آقسنقر السلاري** فأظهر البشر وأجاب لها إن قبلت شروطه.

اشترط الحاج على السلطان ألا يفعل شيئا في المملكة إلا برأيه ، وأنه يمنع الخمر من البيع، ويقيم منار الشرع، وأنه لا يعارض فيما يفعله. فقبل السلطان .

ففتح شباك النيابة، وجلس فيه الأمير **الحاج آل ملك** للمحاكمات. فأول ما بدأ به أن أمر والي القاهرة بأن ينزل إلى خزانة البنود ويحتاط على ما بها من الخمر والبغايا، ويخرج من فيها من النصارى الأسرى، ويريق ما هناك من الخمور، ويخربها حتى يجعلها دكاً .

وسبب ذلك أن خزانة البنود كانت يومئذ حانة، بعد ما كانت سجناً يسجن فيه الأمراء والجند والمماليك، كما أن خزانة شمائل سجن لآرباب الجرائم من اللصوص وقطاع الطريق.

فلما كانت دولة **السلطان** الملك الناصر **محمد بن قلاوون** بعد عوده من الكرك، وشغف بكثرة العمارة ، اتخذ الأسرى وجلبهم إلى مصر من بلاد الأرمن وغيرها، وأنزل عدة كثيرة منهم بقلعة الجبل، وجماعة كثيرة بخزانة البنود. فملأ أولئك الأرمن خزانة البنود حتى بطل السجن بها، وعمرها الناصر مساكنا لهم ، وتوالدوا بها، وعصروا الخمور وباعوها جهاراً وكان لحم الخنزير يعلق عندهم ويباع من غير احتشام. واتخذوا عندهم أماكن لاجتماع الناس على المحرمات، فيأتيهم الفساق ويظلون عندهم الأيام على شرب الخمور ومعاشرة الفواجر والأحداث ففسدت حرم كثيرة من الناس وكثير من أولادهم وجماعة من مماليك الأمراء فساداً شنيعاً، حتى إن المرأة إذا تركت أهلها أو زوجها، أو الجارية إذا تركت مواليها، أو الشاب إذا ترك أباه، ودخل عند الأرمن بخزانه البنود لا يقدر أن يأخده منهم، ولو كان من كان.

فقام الأمير الحاج آل ملك في أمرهم، وفاوض السلطان **الناصر محمد** في فسادهم غير مرة، فلم يجبه إلى أن أكثر عليه فغضب **السلطان** عليه، وقال له: **يا حاج**! كم تشتكي من هؤلاء، إن كان ما يعجبك مجاورتهم انتقل عنهم فشق ذلك عليه، وركب إلى ظاهر الحسينية واختار مكاناً، وعمره داراً، وأنشأ بجانبها جامعاً، وحماماً وربعاً وحوانيت. وبقيت في نفسه حزازات حتى أمكنته القدرة منهم، وانبسطت يده فيهم بكونه نائب السلطان، فنزل والي القاهرة ومعه الحاجب وعدة من أصحاب النائب وهجموا خزانة البنود، وأخرجوا جميع سكانها، وكسروا أواني الخمر، فكانت شيئاً يجل وصفه كثرة، وهدموها .

فكان يوم هدم خزانة البنود يوماً مشهوداً من الأيام المشهورة المذكورة، عدل هدمها فتح طرابلس وعكا، لكثرة ما كان يعمل فيه بمعاصي الله.

ثم طلب النائب والي القلعة، وألزمه أن يفعل ذلك ببيوت الأسرى من القلعة، وكانت الأسرى التي بالقلعة من خواص الأسرى، وعليهم كان يعتمد السلطان الملك الناصر **محمد** في أمر عمائره فمضى إليها وكسر جرار الخمر التي بها، وأنزلهم من القلعة، وجعلهم مع نصارى خزانة البنود في موضع بجوار الكوم . فيما بين جامع **ابن طولون** ومصر، فنزلوه واتخذوا به مساكنهم .

ثم رسم الأمير **الحاج آل ملك** النائب بتتبع أهل الفساد، فمنع الناس من ضرب الخيم على شاطئ النيل بالجزيرة وغيرها للنزهة، وكانت محل فساد كبير لاختلاط الرجال فيها بالنساء، وتعاطيهم المنكرات.

ورسم الأمير **الحاج آل ملك** بإبطال جميع الملعوب، وهي جهة سلطانية كان يتحصل منها مال كثير، ولها ضامن . له ضرائب مقررة على أرباب الملعوب، من المناطحين بالكباش والمناقرين بالديوك، وعلى المقامرين على اختلاف أنواع القمار، وعلى الذين

يلعبون بالقرود والدب وغير ذلك من أنواع اللعب، فبطل ذلك كله.

ونودي بالقاهرة ومصر من أحضر سكراناً أو أحداً معه جرة خمر خلع عليه. فقعد العامة لشربة الخمر بكل طريق . وأخذ النائب كثيرا من شربة الخمر وباعته بناحية شبرا الخيم ومنية السيرج، ومن المراكب، ومن البيوت، فضربهم عرايا، وكشف رءوسهم، وصب عليهم الخمر وشهرهم. ونادى من اشترى عنباً بالقنطار قبض عليه، ويؤتي به إليه.

ومنع **الأمير الحاج ملك** النائب أن يحمل الفرنج إلى الإسكندرية خمراً، فقام في ذلك **جمال الكفاة**، وذكر أنه يتحصل من ذلك في السنة نحو الأربعين ألف دينار، ومتى منع الفرنج من حمل الخمر فسد حال الإسكندرية، ومازال بالسلطان حتى منع النائب من ذلك.

وأبطل الأمير **الحاج آل ملك** النوايح من القاهرة ومصر، فقامت الضامنة عند الأمير **قماري** الأستادار في إعادة النوايح، وخوفت أن جهته تبطل، فمازال الأمير **قماري** يكلم الأمير **الحاج آل ملك** حتى أعادها.

و نودي من قبل الأمير **الحاج آل ملك** نائب السلطان بأن أهل الأسواق كلها إذ أذن الصلاة يصلون قدام دكاكينهم بإمام يصلي بهم، فعملوا أنخاخاً وحصروا برسم فرشها للصلاة في الأسواق.

فلما جاء السلطان **الكامل شعبان بن الناصر** , طلب الأمير **الحاج آل ملك** الإعفاء من نيابة السلطنة ، وسآل نيابة الشام فخلع عليه واستقر في نيابة الشام عوضاً عن طقزدمر. وأخرج من يومه على البريد، فلم يدخل غزة حتى لحقه البريد بتقليده نيابة صفد، وسبب ذلك أن الأمير **أرغون العلائي** لما قام في سلطنة **شعبان** ، قآل له الأمير الحاج **آل ملك**: " **بشرط ألا يلعب بالحمام** " ، فلما بلغ **السلطان شعبان** ذلك نقم عليه.

ثم قدم **منجك** مدينة صفد، بكتاب السلطان يستدعي الأمير **الحاج آل ملك**، فسار معه إلى غزة، فقبض عليه بها وقيد.

قدم الأمير الحاج آل ملك وركب النيل إلى الإسكندرية، واعتقل بها. اوقع الحوطة على موجوده .

ثم مات رحمه **الله** تعالى ، مقتولاً بالاسكندرية ؛ وأحضر ميتا إلى القاهرة،

وأصله من كسب الأبلستين في الأيام الظاهرية **بيبرس**، سنة ست وسبعين وستمائة، فاشتراه **قلاوون** وهو أمير، ومعه **سلار**. وأهدى **قلاوون سلاراً** لولده علي، **وآل ملك للسعيد** بركة بن الظاهر زوج ابنته. فأعطاه **الملك السعيد لكوندك**، ثم سار بعده **لعلي بن قلاوون**، وترقى حتى صار نائب السلطنة زمن **السلطان عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد**. وله تنسب مدرسة آل ملك بالقاهرة، وجامع آل ملك بالحسينية؛ وكان خيراً ديناً.

(المقريزي – السلوك)

رحم **الله الحاج آل ملك الجوكندار** .

5) الكامل شعبان :

طلع **السلطان شعبان** الإيوان والأمراء بين يديه، جلس على كرسى السلطنة وباس الأمراء له الأرض، وأحضروا المصحف ليحلفوا، فحلف لهم أولاً أنه لا يؤذيهم ، ثم حلفوا بعده ولقب **بالملك الكامل** ، ودقت البشائر، ونودى بسلطنته في القاهرة ومصر، وخطب له في الغد على منابر ديار مصر، وكتب بذلك إلى الأقطار مصرا وشاما. **ثم جلس** بدار العدل من القلعة، وجدد له العهد من الخليفة، بحضرة القضاة والأمراء .

(المقريزي – السلوك)

كان عصره عصر خلاعة ومجون وتقتيل وفوضى اسوأ مما حدث في البلاد في اي زمن من قبل .

(وليم موير – تاريخ دوله المماليك 109)

كثر لعب الناس بالحمام ، وتظاهر أرباب الملعوب بفنون لعبهم ، نودي بالقاهرة ومصر الا يعارض أحد من لعاب الحمام وأرباب الملاعيب ، فتزايد الفساد وشنع الحال. واستمر السلطان بلعب الكرة ، وأعرض عن تدبير الأمور. فتمردت المماليك، وأخذوا حرم الناس، وقطعوا الطريق، وفسدت عدة من الجواري. وكثرت الفتن بسبب ذلك حتى بلغ **السلطان**، فلم يعبأ بهذا، وقال: " **خلوا كل أحد يعمل ما يريد** " .

واشتهر أخذ البراطيل **للسلطان**، فقصده كل أحد لطلب الإقطاعات والرزق والرواتب .

(المقريزي – السلوك)

مات كجك ، عن **اثنتي عشرة سنة**. واتهم **السلطان** أنه بعث من قتله ومات **يوسف بن السلطان الناصر محمد**، واتهم **السلطان** ايضا بقتله.

تدهورت السلطة المملوكية في عهده تدهورا خطيرا نتج عنه انخفاض في داخلها وانتشار الفوضى والفساد في ارجائها ولما لم يعد في المستطاع الصبر على هذا السلوك السيء طلب الامراء اركان الدولة ان يعتزل العرش نظرا لانه لا يصلح للحكم وانفضوا من حوله حتى عجز عن تهدئة الاوضاع المضطربة .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 311)

تنكرت قلوب الأمراء، وكثرت الإشاعة بتنكر **السلطان** على الأمير **يلبغا اليحياوي** نائب الشام، وأنه يريد مسكه حتى بلغه ذلك فاحترز على نفسه وبلغ الأمير **يلبغا اليحياوي** قتل **يوسف** ، فثار عليه **الامير** وكتب اليه :

" إني أحد الأوصياء عليك، وإن مما قاله الشهيد رحمه الله لي وللأمراء في وصيته، إذا أقمتم أحداً من أولادي و لم ترتضوا سيرته جروه برجله، وأخرجوه، وأقيموا غيره. وانك افسدت وافقرت الامراء والاجناد وقتلت اخاك وقبضت على الاكابر امراء السلطان واشتغلت عن الملك والتهيت بالنساء وشرب الخمر "

ثم كثرت القالة بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة ، فأشار الأمير **أرغون العلائي** على **السلطان** بإعلام الأمراء الخبر. فطلبوا إلى القلعة، وأخذ رأيهم، فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام وكتب بإحضار الأجناد من البلاد فقدم اليه كتاب **منجك** يقول : **أن التجريدة إليه لا تفيد فأنه يقول أن أمراء مصر معه.**

وارسل اليه الأمير **مسعود بن خطير**، وأمير **علي بن قراسنقر**، **وقلاوون**، **وحسام الدين البقشمدار** كتاب يتضمن: **" أنك لا تصلح للملك، وأنك أنما أخذته بالغلبة من غير رضى الأمراء "** ، وعدد ما فعله.

ثم قال: **" ونحن ما بقينا نصلح لك، وأنت ما تصلح لنا. والمصلحة أن تعزل نفسك "** , استدعى **السلطان الكامل** الأمراء ، وحلفهم على طاعته .

خرج الامراء لطلب السلطان , وسار **السلطان** في ألف فارس حتى قابل الأمراء، فأنسل عنه أصحابه، وبقي في أربعمائة فارس , فهجموا عليه، وفرقوا من معه .

فر السلطان **الكامل شعبان** إلى القلعة، واختفى عند أمه , وسار الأمراء إلى القلعة، وأخرجوا أمير **حاجي** وأمير **حسين** من سجنهما، وقبلوا يد أمير **حاجي**، وخاطبوه بالسلطنة. وطلبوا **الكامل شعبان** وسجنوه .

(المقريزي – السلوك)

سجن في المكان الذي سجن فيه اخويه من قبل ولم يلبث اخوه السلطان حاجي ان

امر بقتله بعد ثلاثه ايام فقتل خنقا .

(ابن حبيب 3/ 90)

فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يوماً . كثر التظاهر فيها بالمنكرات، لشغفه باللهو، وعكوفه على معاقرة الخمر، وسماع الأغاني واللعب، وبيعه الإقطاعات والولايات وأخذ الأمراء على **شعبان** تمكينه الخدام والنساء من التصرف في المملكة، والتهتك في النزه والصيد، واللعب بالكرة بالهيئات الجميلة، وركوب الخيل المسومة، وعدم الاحتشام من فعل المنكرات , وأعيد ضمان أرباب الملاعيب. وكان مع ذلك مهاباً سيوساً، متفقداً لأحوال المملكة، لا يشغله لهوه عن الجلوس للخدمة؛ وكان حازماً ذا رأي واحتياط ومحبة لجمع المال .

(المقريزي – السلوك)

حوليات الكامل شعبان :

- **و في ربيع الآخر: جلس السلطان شعبان بدار العدل من القلعة، وجدد له العهد من الخليفة، بحضرة القضاة والأمراء،**
- **وفيه طلب الأمير الحاج آل ملك النائب الإعفاء من نيابة السلطنة، وقبل الأرض، وسآل نيابة الشام،**
- **وفيه خطب السلطان الكامل شعبان ابنة الأمير بكتمر الساقى، فامتنعت أمها من إجابته، واحتجت عليه بأن أختها تحته، ولا يجمع بين أختين، وأنه بتقدير أن يفارقها، فأنه شغف باتفاق حظية أخيه الصالح إسماعيل شغفاً زائداً. ثم قالت أمها: " ومع ذلك فقد تغير حال المخطوبة من شدة الحزن، فأن أول من أعرس عليها أنوك بن السلطان الناصر محمد، فمات عنها وهى بكر لم يمسها؛ فتزوجها بعده أخوه السلطان**

المنصور أبو بكر، وقتل؛ ثم تزوجها بعد المنصور أبو بكر أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل، ومات عنها أيضاً، فحصل لها حزن شديد من كونه تغير عليها عدة أزوج في مدة يسيرة. " فلم يلتفت السلطان الكامل شعبان إلى هذه الكلام، وطلق أختها، وأخرج جميع ما كان لها في ليلته، ثم عقد عليها ودخل بها.

- وفيه مات الأشرف كجك، عن اثنتي عشرة سنة. واتهم السلطان أنه بعث من سرياقوس من قتله في مضجعه، على يد أربعة خدام
- وفيه عاد السلطان من سرياقوس إلى القلعة، بعدما تهتكت المماليك السلطانية بشرب الخمر والإعلان بالفواحش، وركبوا في الليل وقطعوا الطريق على المسافرين، واغتصبوا حريم الناس،
- وفيه كان عرس السلطان على بنت طقزدمر،
- وفيه: أمسكت امرأة حرامية من حمام الأيدمرى، في يوم السبت سابع عشريه. فضربها الأمير نجم الدين أيوب أستادار الأكر ووالي القاهرة بالمقارع على ساقيها، ثم قطع يدها في باب زويلة.
- وفيه حج عدة من نساء الأمراء، وبالغن في الزينة حتى خرجن في ذلك عن الحد. وتفاخرن فيما أبدعن، وتناظرن، وصارت كل واحدة تريد أن تفوق على صاحبتها،. ولم يعهد أن عمل مثل هذا ولا قريب منه فيما تقدم، فأنكر فعلهن الناس، وذكره قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة في خطبة العيد بالقلعة وصرح بالإنكار، وصدع بالوعظ.
- وفيه كثر لعب الناس بالحمام، وكثر جري السعاة، وتظاهر أرباب الملعوب بفنون لعبهم. وتزايد شلاق الزعر،

- وفي ذي الحجة: قدم البريد من دمشق بوفاة الأمير ألماس الحاجب،
- وفيه اشتهر أخذ البراطيل للسلطان، فقصده كل أحد لطلب الإقطاعات والرزق والرواتب.
- وفيه نودي بالقاهرة ومصر الا يعارض أحد من لعاب الحمام وأرباب الملاعيب والسعاة، فتزايد الفساد وشنع الحال.
- سنة سبع وأربعين وسبعمائة
- المحرم: قدم منجك مدينة صفد، بكتاب السلطان يستدعي الأمير الحاج آل ملك، فسار معه إلى غزة، فقبض عليه وقيد.
- وفيه خلع السلطان على أرغون العلائي زوج أمه، واستقر في نظر المارستان المنصوري، عوضاً عن الأمير جنكلى بن البابا. وأنشأ أرغون بجوار باب المارستان سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم، ووقف عليه وقفا
- وفيه: أفرج عن الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك، وعن أخيه قمارى، وألزما بيوتهما.
- وفيه توجه السلطان إلى سرياقوس، وأحضر عنده، الأوباش، فلعبوا باللبخة، وهي عصى كبار حدث اللعب في هذه الدولة، وقتل في اللعب بها جماعة. فلعبوا بها بين يديه، وقتل رجل رفيقه، فخلع على بعضهم، وأنعم على كبيرهم بخبز في الحلقة واستمر السلطان بلعب الكرة في كل يوم، وأعرض عن تدبير الأمور. فتمردت المماليك، وأخذوا حرم الناس، وقطعوا الطريق، وفسدت عدة من الجواري. وكثرت الفتن بسبب ذلك حتى بلغ السلطان، فلم يعبأ بهذا، وقال: " خلوا كل أحد يعمل ما يريد " .

- وفيه ولد السلطان ولد ذكر من ابنة الأمير تنكز، فدقت البشائر. فلم يطل عمر هذا المولود، ومات. فولد له في يومه ولد ذكر من حظيته اتفاق سماه شاهنشاه، وسر به سروراً زائداً، وقصد أن يعمل له مهما وتدق البشائر فمنعه الأمير أرغون العلائي من ذلك، فعمل فرحا مدة سبعة أيام. ومع ذلك مات الولد يوم سابعه.
- وفيه مات يوسف بن السلطان الناصر محمد، واتهم السلطان بقتله.
- وفيه تنكرت قلوب الأمراء، وكثرت الإشاعة بتنكر السلطان على الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام، وأنه يريد مسكه حتى بلغه ذلك فاحترز على نفسه وبلغ الأمير يلبغا اليحياوي قتل يوسف أخي السلطان،
- وفيه كثرت القالة بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة حتى بلغ الأمراء، والمماليك، فأشار الأمير أرغون العلائي على السلطان بإعلام الأمراء الخبر. فطلبوا إلى القلعة، وأخذ رأيهم، فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام وكتب بإحضار الأجناد من البلاد فقدم كتب منجك من الغور.بموافقة النواب لنائب الشام، وأن التجريدة إليه لا تفيد فأنه يقول أن أمراء مصر معه.
- وفيه بلغت الأمير أرغون بعض جواري زوجته، أم السلطان الكامل، أنها سمعت السلطان وقد سكر وكشف رأسه وقال: " إلهي أعطيتني الملك، ومكنتني من آل ملك وقمارى، وبقي العلائي والحجازي، فمكنى منهما حتى أبلغ غرضى فيهما " ؛ فأقلقه ذلك.
- ثم دخل الأمير أرغون العلائي على السلطان في خلوة، فإذا هو متغير الوجه مفكر. فبدره السلطان بأن قال له: " من جاءك من جهة إخوتي أنت والحجازي " ؛ فعرفه أن النساء دخلن عليهما، وطلبت أن يكون السلطان طيب

الخاطر على أخويه ويؤمنهما فأنهما خائفان. فرد عليه السلطان جواباً جافياً، ووضع يده في السيف ليضربه به، فقام عنه لينجو بنفسه.

- جمادى الآخر: طلب السلطان الأمير أرغون العلائي واستشاره، فأشار عليه بأن يركب بنفسه إليهم، فركب ومعه الأمير أرغون العلائي وقطلوبغا الكركي وتمر الموساوي، وعدة من المماليك. وأمر السلطان فدقت الكوسات حربيا، ودارت النقباء على أجناد الحلقه والمماليك ليركبوا، فركب بعضهم.وصار السلطان في جمع كبير من العامة، وهو يسألهم الدعاء، فنظروا إليه وأسمعوه ما لا يليق. وسار السلطان في ألف فارس حتى قابل الأمراء، فأنسل عنه أصحابه، وبقي في أربعمائة فارس. فبرز له آقسنقر ووقف معه، وأشار عليه أن ينخلع من السلطنة، فاجابه إلى ذلك وبكى. فتركه آقسنقر وعاد إلى الأمراء، وعرفهم ذلك. فلم يرض أرغون شاه، وبدر ومعه قرابغا وصمغار وبزلار وغرلو في أصحابهم حتى وصلوا إلى السلطان، وسيروا إلى الأمير أرغون العلائي أن. يأتيهم، ليأخذوه إلى عند الأمراء. فلم يوافق الأمير أرغون العلائي على ذلك، فهجموا عليه، وفرقوا من معه، وضربوه بدبوس حتى سقط إلى الأرض؛ فضربه يلبغا أروس بسيف قطع خده، وأخذ أسيراً، فسجن في خزانة شمايل وفر السلطان الكامل شعبان إلى القلعة، واختفى عند أمه .

- وسار الأمراء إلى القلعة، وأخرجوا أمير حاجي وأمير حسين من سجنهما، وقبلوا يد أمير حاجي، وخاطبوه بالسلطة. وطلبوا الكامل شعبان وسجنوه، حيث كان أخويه مسجونين ومن غرائب الاتفاق أنه كان قد عمل طعام لأمير حاجي وأمير حسين حتى كان غداءهما، وعمل سماط السلطان على العادة. فوقعت الضجة، وقد مد السماط فركب السلطان شعبان من غير أكل. فلما انهزم شعبان وقبض عليه، وأقيم أخوه أمير

حاجي بدله، مد السماط بعينه له فأكل معه حاجي؛ وأدخل بطعامه وطعام أمير حسين إلى شعبان الكامل، فأكله في السجن ثم قتل شعبان في يوم الأربعاء ثالثه وقت الظهر، ودفن عند أخيه يوسف، ليلة الخميس فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يوماً .

(المقريزي – السلوك)

الكامل شعبان " الناس على دين ملوكهم " :

لما علم عن **السلطان شعبان** حبه للعب والخلاعة والمجون وأنتشر ذلك بين الناس,

تهتكت **المماليك السلطانية** بشرب الخمر والإعلان بالفواحش، وركبوا في الليل وقطعوا الطريق على المسافرين، واغتصبوا حريم الناس، وصارت سرياقوس حانة.

و كثر لعب الناس بالحمام، وكثر جري السعاة، وتظاهر أرباب الملعوب بفنون لعبهم. وتزايد شلاق الزعر، وسلط عبيد الخدام الطواشية وغلمانهم وعبيد الكتاب على الناس، وصاروا كل يوم يقفون للضراب، فتسفك بينهم دماء كثيرة، وتنهب الحوانيت بالصليبة خارج القاهرة وإذا ركب إليهم وإلى القاهرة لا يعبئون به، فإن قبض على أحد منهم أخذ من يده سريعاً؛ فاشتد قلق الناس من ذلك، ولم يجسر أحد ينكر شيئاً من هذا.

ثم ازداد الامر حتى نودي بالقاهرة ومصر الا يعارض أحد من لعاب الحمام وأرباب الملاعيب والسعاة، فتزايد الفساد وشنع الحال.

وكثرت الفتن بسبب ذلك حتى بلغ السلطان، فلم يعبأ بهذا، وقال: " **خلوا كل أحد يعمل ما يريد** " .

تظاهر الناس بكل قبيح، ونصبوا أخصاصا في جزيرة بولاق وكشفوا ستر الحياء، وبالغوا في التهتك.

فلما فحش الأمر قام الأمير أرغون العلائي في أمرها قياماً عظيماً، وأحرق الأخصاص على حين غفلة، وضرب جماعة وشهرهم، فتلف بها مال عظيم جداً .

صراع ابناء الناصر :

اسماعيل والناصر أحمد :

كتب **السلطان الملك الصالح** إلى أخيه **الناصر أحمد** بالسلام، وإعلامه بأن الأمراء أقاموه في السلطنة، لأنهم علموا أن **الملك الناصر أحمد** ليس له رغبة في ملك مصر، وأنه يحب بلاد الكرك والشوبك، فهي بحكمك وملكك

رد الناصر أحمد جواب كتاب السلطان إليه بما لا يليق. فكتب السلطان لأحمد بتعداد مساوئه، وتهديده بتخريب الكرك حجراً حجراً،

ثم قدم الخبر بأن **الناصر أحمد** قرر مع بعض الكركيين أن يدخل إلى مصر ويقتل **السلطان**، فتشوش الأمراء من ذلك، ووقع الاتفاق على تجريد العسكر لقتاله ومحاصرة الكرك.

ركب العسكر على الكرك، وقاتلوا أهلها وهزموهم إلى القلعة. فأذعن **الناصر أحمد**، وسأل أن يمهل حتى يكاتب **السلطان**، ليرسل من يتسلم منه القلعة، فرجعوا عنه. فلم يكن غير قليل حتى استعد، وقاتل بمن معه.

ثم ورد كتاب **الناصر أحمد** من الكرك وهو يترفق ويعتذر عن قتل الأمير **قطلوبغا الفخري** والأمير **طشتمر حمص أخضر**، وأنه إن رسم بحضوره حضر، وإن رسم بإقامته بالكرك أقام تحت الطاعة، وأنه لا رغبة له في الملك. فتوجه إليه الأمير **طشتمر طلليه** بجواب يتضمن أنه **إن أراد الإقامة بالكرك مطمئناً فليسير ما أخده من المال والخيل وغير ذلك**، ،

وإلا هدمت عليه الكرك حجراً حجراً .

أقامت العساكر على محاصرة الكرك وقطع الميرة عنها، وكانت أموال **الناصر أحمد** قد نفذت من كثرة نفقاته، فوقع الطمع فيه. وخامر عليه أهل الكرك وتعاونوا مع السلطان . فتحصن بالقلعة، ورفع جسرها، فلما ركب العسكر للحرب وخرج الكركيون، لم يكن غير ساعة حتى انهزموا منهم إلى داخل المدينة، فدخلها العسكر أفواجاً واستوطنوها، وجدوا في قتال أهل القلعة عدة أيام، والناس تنزل منها شيئاً بعد شيء، حتى لم يبق مع **الناصر أحمد** عشرة أنفس، فأقام يرمي بهم على العسكر. وكان **الناصر أحمد** قوي الرمي شجاعاً، إلى أن جرح في ثلاثة مواضع. وتمكنت النقابة من البرج.

وكان الأمير **سنجر الجاولي** قد بالغ أشد مبالغة في الحصار، وبذل فيه مالاً كثيراً، فلما هجم العسكر على **الناصر أحمد** ، وجدوه قد خرج من موضع وعليه زردية، وقد تنكب قوسه وشهر سيفه. فوقفوا وسلموا عليه، فرد عليهم السلام وهو متجهم، وفي وجهه جرح وكتفه يسيل دماً. فتقدم إليه الأمير **أرقطاي** والأمير قماري في آخرين، فأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذي كان به، وأجلسوه وطيبوا خاطره، وهو ساكت لا يجيبهم، فقيدوه ووكلوا بحفظه جماعة، ورتبوا له طعاماً، فأقام يومه وليلته، ومن باكر الغد تقدم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئاً إلى أن سألوه في أن يأكل، فأبى أن يأكل حتى يأتوه بشاب كان يهواه يقال له **عثمان**، فأتوه به فأكل عند ذلك.

ثم أخرج الأمير **منجك** السلاح دار ليلاً من القاهرة على النجب، لقتل **الناصر أحمد** من غير مشاورة الأمراء، فوصل إلى الكرك. وأدخل **منجك** إليه من أخرج الشاب من عنده، وخنقه ، وقطع رأسه. وسار **منجك** من ليلته و لم يعلم الأمراء ولا العسكر بشيء من ذلك، حتى أصبحوا وقد قطع **منجك** مسافة بعيدة فقدم **منجك** بعد ثلاث إلى القلعة

ليلاً، وقدم الرأس بين يدي **السلطان**، وكان ضخماً مهولاً له شعر طويل، فاقشعر **السلطان** عند رؤيته، وبات مرجوفاً. وكانت مدة حصار الناصر أحمد بالكرك سنتين وشهراً وثمانية أيام.

(المقريزي – السلوك)

أسماعيل و أخيه رمضان :

كان **السلطان** قد أنعم عليه بتقدمة ألف ، فلما خرج **السلطان** إلى سرحة سرياقوس تأخر عنه بالقلعة، وتحدث مع جماعة من المماليك في إقامته سلطاناً. فلما مرض **السلطان** بالاسترخاء قوي أمره، وأشاع ذلك ، وواعد من وافقه على الركوب بقبة النصر. فبلغ ذلك **السلطان** ومدبر دولته الأمير **أرغون العلائي** .

جهز الأمير **رمضان** خيله وهجنه بناحية بركة الحبش، وواعد أصحابه فبلغ الأمير **أقسنقر** أمير أخور ما هم فيه من الحركة، فركب بمن معه وسار إليهم، وأخذهم عن أخرهم من خلف القلعة ليلاً، وساقهم إلى الإصطبل. وعرف **أقسنقر** أمير أخور السلطان **وأرغون العلائي** فاتفقوا على طلب إخوة **السلطان** إلى عنده، والاحتفاظ بهم. فبعث **أرغون** عدة من الخدام والمماليك لإحضاره.

فخرج **رمضان** في عشرين مملوكاً إلى خارج باب القلة، وسأل عن النائب **أقسنقر السلاري**، فقيل له أنه عند **السلطان** مع الأمراء، فمضى إلى باب القلعة، وسيوف أصحابه مصلتة، وركب من خيول الأمراء، ومر بمن معه إلى سوق الخيل تحت القلعة، فلم يجد أحداً من الأمراء، فتوجه جهة قبة النصر. ثم وقف **رمضان** ومعه **بكا الخضري**، وقد اجتمع الناس عليه.

وبلغ **السلطان** والأمراء خبره، فأخرج **بالسلطان** محمولاً بين أربعة لما به من الاسترخاء،

وركب النائب وآقسنقر أمير أخور. وأقام أكابر الأمراء عند السلطان، ووقفت أطلابهم تحت القلعة، وضربت الكوسات حربيا، ونزل النقباء في طلب الأجناد. فوقف النائب بمن معه تجاه رمضان وقد كثر جمعه من أجناد الحسينية ومن مماليك بكا ومن العامة، وبعث يخبر السلطان بذلك، فمن شدة انزعاجه نهضت قوته، وقام على قدميه يريد الركوب بنفسه، فقام الأمراء وهنؤه بالعافية، ، وهونوا عليه أمر أخيه. فأقام السلطان إلى بعد الظهر، والنائب يراسل رمضان ويعده الجميل، ويخوفه العاقبة، وهو لا يلتفت إلى قوله. فعزم النائب على الحملة عليه بمن معه، وسار فلم يثبت العامه والمتجمعه من الأجناد مع رمضان، وانفلتوا عنه، فانهزم رمضان هو وبكا الخضري في عدة من المماليك، وتوجهوا نحو البرية، والأمراء في طلبه، ثم عاد النائب إلى السلطان برمضان وبكا قد أدركوهما .

وجلس السلطان وطلب مماليك رمضان، فأحضروا. وأمر السلطان بحبسهم .

وأخذت القالة تكثر حتى تنكرت قلوب الأمراء، وادخروا الأقوات خوفاً من الفتنة.

ولهجت العامة بقولهم: يا ولد خرا للعيد وغنوا به في الأسواق.

فتوهم السلطان من فتنة تكون يوم العيد، وهم ألا يصلي يوم العيد خوفاً من طائفة تهجم عليه في الصلاة من جهة أخيه رمضان واستعد لذلك. ثم بعث السلطان إلى أخيه رمضان، فقتله ليلة العيد، وصلى العيد وهو متحرز.

(المقريزي – السلوك)

شعبان وأخويه يوسف وكجك:

وكان السلطان قد اتهم بقتل أخويه يوسف وكجك ابنا السلطان الناصر محمد .

حاجي وشعبان :

ثم ان المظفر حاجي كان قد أمر بقتل أخيه شعبان في اليوم الثالث من سلطنته.

6) المظفر حاجي :

دخل **الأمير أرغون شاه** إلى **حاجي**، وقبل له الأرض ، وقال له : " **باسم الله** ، **اخرج أنت سلطاننا** " , وطلب الخليفة والقضاة ، جلس **حاجي** على سرير الملك، ولقب بالملك **المظفر**، وله من العمر خمس عشرة سنة.

انتهج هذا السلطان سياسة نفرت منه القلوب واثارت كراهية الامراء له وازداد في عهده الانحلال السياسي لدولة المماليك البحرية .

(سهيل طقوش – تاريخ المماليك 315)

كان شجاعاً جريئاً على الدنيا ، منهمكاً في الفساد، كثير الإتلاف للمال.

(المقريزي – السلوك)

أعاد السلطان حضير الحمام ، وأعاد أرباب الملاعيب واشتغل بنطاح الكباش، ومناقرة الديوك وغير ذلك من أنواع الفساد، ونودي بإطلاق اللعب في القاهرة ومصر. وصار للسلطان اجتماعات بالأوباش وأراذل الطوائف ، من الفراشين والبابية، ومطيري الحمام؛ فكان يقف معهم ويراهن على الطير الفلاني والطيرة الفلانية. **وبينا هو ذات يوم** معهم عند حضير الحمام وقد سيبها، إذ أذن العصر بالقلعة والقرافة فجفلت الحمام على مقاصرها وتطايرت. فجرد **السلطان**، وبعث إلى المؤذنين يأمرهم أنهم إذا رأوا الحمام لا يرفعون أصواتهم.

(المقريزي – السلوك)

وأنهمك **السلطان** في اللهو، وشغف **باتفاق** حتى أشغلة عن غيرها، وملكت قلبه بفرط

حبه لها. فشق ذلك على الأمراء والمماليك، وأكثروا من الكلام حتى بلغ **السلطان**، وعزم على مسك جماعة منهم .

(المقريزي – السلوك)

بدد القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لجواريه واختص واحدة منهن كانت حظية لسلطانين قبله .

وفي الوقت الذي كان يهلك فيه الناس جوعا من جراء الحاجة والغلاء الضارب جميع ارجاء البلاد كان هو يتقلب في حمقة الرذيله والخلاعة مع حضاياه ومغنيه ومضحكيه .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك)

ثم التفت الى الامراء الكبار فراح يقتل بعضهم ويسجن الاخرين وقال: " **والله لأذبحنكم كما ذبحت هذه الطيور** " ، **وقتل السلطان في مدة أربعين يوماً أحداً وثلاثين أمير.**

عظم على **الأمير يلبغا اليحياوي** نائب الشام ، قتل **ملكتمر الحجازي وآقسنقر الناصري**، وتوحش خاطره , وركب الأمير **يلبغا** وعدة من الامراء ، في مماليكهم؛ وخرجوا بآلة الحرب، وركب العسكر في طلبه .

وفي **القاهرة** , اتفق الأمراء عليه ، واستعدوا ونزل **ألجيبغا** أولهم من القلعة وتلاه بقية الأمراء فكان آخرهم ركوباً الأمير **أرقطاى** النائب. حتى وقفوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب، عند قبة النصر.

فأمر **السلطان** بدق الكوسات ، وأرسل يعتب الأمير **أرقطاي** النائب على ركوبه ، فرد جوابه : "**بأن مملوكك الذي ربيته ركب عليك ، وأعلمنا فساد نيتك، وقد قتلت مماليك أبيك، وأخذت أموالهم، وهتكت حريمهم بغير موجب ، وعزمت على الفتك بمن بقي ، وأنت أول من حلف ألا تخون الأمراء، ولا تخرب بيت أحد** " فرد **السلطان**

الرسول إليه يستخبره عما يريدونه منه حتى يفعله لهم، فأعادوا جوابه أنهم لابد أن يسلطنوا غيره، فقال: **ما أموت إلا على ظهر فرسي .**

(السلوك – المقريزي)

فخذله اتباعه وهجم عليه اعدائه وبقي **السلطان** في نحو عشرين فارساً .

فبرز له الأمير **بيبغا روس** والأمير **ألجيبغا**، فولى فرسه وأنهزم عنهم ، فأدركوه وأحاطوا به , وتكاثروا عليه حتى قلعوه من سرجه .

ولما أنزلوه وأرادوا ذبحه توسل إلى الأمراء : **بالله لا تستعجلوا على قتلي، وخلوني ساعة، فقالوا : فكيف استعجلت على قتل الناس، لو صبرت عليهم صبرنا عليك.**

فكانت مدة المظفر حاجي سنة وثلاثة أشهر واثني عشر يوماً، وعمره نحو عشرين سنة

.

(المقريزي – السلوك)

وصعد الأمراء إلى القلعة في يومهم، ونادوا في القاهرة بالأمان والاطمئنان، ، وقد اتفقوا على مكاتبة الأمير **أرغون شاه** نائب الشام بما وقع، وأن يأخذوا رأيه فيمن يقيمونه سلطاناً.

كان المماليك الشراكسة يودون انتخاب **حسين بن الناصر** ولكن الامراء فضلوا عليه **حسنا** الذي كان **بالثانية عشرة** من عمره ليكون الة سهلة في ايديهم .

حوليات المظفر حاجي :

- **في جمادى الآخرة دخل الأمير أرغون شاه إلى حاجي، وقبل له الأرض، وقال له: " باسم الله، اخرج أنت سلطاننا " ، وطلب الأمير أرغون شاه الخليفة والقضاة، وأركب حاجي من باب الستارة إلى الإيوان وحمل المماليك أمير حسين على أكتافهم**

حتى جلس حاجي على سرير الملك،. ولقب حاجي بالملك المظفر، له من العمر خمس عشرة سنة.

- وفيه أمر بأم الكامل وزوجاته، فأنزلن من القلعة إلى القاهرة وعرضت جواري دار السلطان، فبلغت عدتهن خمسمائة جارية، فرقن على الأمراء.
- وفيه أحيط بموجود إتفاق، وأنزلت من القلعة.
- وفيه نودي في القاهرة ومصر برفع الظلامات، ومنع أرباب الملاعيب
- وفي شهر رجب: خلع على الأمير أرقطاى، واستقر نائب السلطان باتفاق الأمراء عليه، بعدما تمنع من ذلك تمنعاً كثيراً، حتى قام الحجازي بنفسه وأخذ السيف، وأخذ أرغون شاه الخلعة، ودارت الأمراء حوله وألبسوه على كره منه. فخرج الأمير أرقطاى في موكب عظيم حتى جلس في شباك دار النيابة، وحكم بين الناس
- وفيه رسم بإزالة ما أحدثه غرلو والي القاهرة على باب زويلة. وذلك أنه نصب خشبتين وعمل فيهما بكرتين، وأرخى فيهما سلباً، ليرتفع فيهما المجرمين حتى يهلكا، فأزيلتا. ورسم أن يكون توسيط من يوسط أو شنقه على كيمان البرقية خارج سور القاهرة.
- وفي أول شوال: تزوج السلطان بابنة الأمير تنكز زوجة أخيه.
- وفي آخره طلبت إتفاق إلى القلعة، فطلعت بجواريها مع الخدام، وتزوج بها السلطان خفية،وأنهمك السلطان في اللهو، وشغف باتفاق حتى أشغلة عن غيرها، وملكت قلبه بفرط حبه لها. فشق ذلك على الأمراء والمماليك، وأكثروا من الكلام حتى بلغ السلطان، وعزم على مسك جماعة منهم، فمازال به الأمير أرقطاى النائب حتى رجع عن ذلك

- وفيها مات الأمير بهاء الدين بن أصلم، أحد المماليك المنصورية قلاوون، في يوم السبت عاشر شعبان؛ وإليه ينسب جامع أصلم خارج القاهرة.
- ومات الأمير الحاج آل ملك الجوكندار، مقتولاً بالاسكندرية في الأيام الكاملية؛ وأحضر ميتا إلى القاهرة، في يوم الجمعة تاسع عشرى جمادى الآخر.
- وفيه رسم لمقبل الرومي أن يخرج إتفاقا وسلمى والكركية حظايا السلطان من القلعة، .بما عليهن من الثياب
- وفي ربيع الآخر: قتل الأمير آقسنقر الناصري، والأمير ملكتمر الحجازي؛ وأخذ السلطان المظفر حاجي يستميل المماليك بتفرقة المال فيهم، وأمر جماعة وأنعم على غرلو بإقطاع أيتمش عبد الغني وتقدمته، وأصبح هو المشار إليه في الدولة، وعظمت نفسه إلى الغاية.
- و وفيه تزايد أمر غرلو، واشتدت وطأته؛ وكثر إنعام السلطان عليه حتى لم يكن يوم إلا وينعم عليه
- وفيه: قبض على غرلو، وقتل. وسبب ذلك شدة كراهة الأمراء أرباب الدولة لسوء أثره فيهم، وأخرج غرلو حتى دفن بباب القرافة، فأصبح وقد خرجت يده من الأرض، فأتاه الناس أفواجاً ليروه ونبشوا عليه، وجروه بحبل في رجله إلى تحت القلعة. وأتوا بنار ليحرقوه، وصار لهم ضجيج عظيم. فبعث السلطان عدة من الأوجاقية قبضوا على كثير منهم، فضربهم الوالي بالمقارع، وأخذ منهم غرلو ودفن؛ و لم يظهر له كبير مال.
- وفي شعبان: خرج الأمير طيبغا المجدي، والأمير أسندمر العمري، والأمير أرغون الكاملي، والأمير بيبغا روس، والأمير بيبغا ططر، إلى الصيد، ثم خرج

الأمير أرقطاى النائب بعدهم إلى الوجه القبلي بطور السلطان. ورسم السلطان لهم ألا يحضروا إلى العشر الأخير من رمضان. فخلا الجو للسلطان، وأعاد حضير الحمام، وأحضر إليه عدة من عبيده، وأعاد أرباب الملاعيب

- وفيه: استقر في الخلافة أبو بكر بن أبي الربيع سليمان، ونعت بالمستعصم بالله أبي الفتح، بعد موت أبيه.
- وفي أخريات شعبان: قدم الأمراء والأمير أرقطاى النائب قبل أوانهم من الصيد شيئاً بعد شيء، وقد بلغهم ما كان من أفعال السلطان في غيبتهم. فعظم ذلك على الأمراء،
- وأخذ ألجيبغا وطنيرق يعرفان السلطان ما ينكره عليه الأمراء من اللعب بالحمام وتقريب الأوباش، وخوفاه فساد الأمر.
- وفيه أخرج السلطان الأمير بيبغا روس للصيد بالعباسة، فإنه كان صديقاً لألجيبغا وتنمر السلطان على طنيرق واشتد عليه، وبالغ في تهديده. فتواكدوا جميعاً في يوم الخميس تاسع رمضان على الركوب على السلطان في يوم الأحد ثاني عشره.فما ارتفع النهار حتى وقفوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب، عند قبة النصر. فأمر السلطان بدق الكوسات، وبعث الأوجاقية في طلب الأمراء، وأرسل السلطان يعتب الأمير أرقطاي النائب على ركوبه، فرد جوابه بأن مملوكك الذي ربيته ركب عليك، وأعلمنا فساد نيتك، وقد قتلت مماليك أبيك، وأخذت أموالهم، وهتكت حريمهم بغير موجب، وعزمت على الفتك بمن بقي، وأنت أول من حلف ألا تخون الأمراء، ولا تخرب بيت أحد فرد السلطان الرسول إليه يستخبره عما يريدونه منه حتى يفعله لهم، فأعادوا جوابه أنهم لابد أن يسلطنوا غيره، فقال: ما أموت إلا على

ظهر فرسي، فقبضوا على رسوله، وهموا بالزحف إليه، فمنعهم الأمير أرقطاي النائب.

- فبادر السلطان بالركوب إليهم، وأقام أرغون الكاملي وشيخو في الميسرة، وأقام عدة أمراء في الميمنة، وسار بمماليكه حتى وصل إلى قريب قبة النصر. فكان أول من تركه الأمير أرغون الكاملي و الأمير ملكتمر السعيدي، ثم الأمير شيخو. وأتوا الأمير أرقطاي النائب والأمراء، وتلاهم بقيتهم، حتى جاء الأمير طنيرق، والأمير لاجين أمير جاندار صهر السلطان آخرهم.

- وبقي السلطان في نحو عشرين فارساً، فبرز له الأمير بيبغا روس والأمير ألجيبغا، فولى فرسه وأنهزم عنهم، فأدركوه وأحاطوا به. فتقدم إليه بيبغا روس . وتكاثروا عليه حتى قلعوه من سرجه فكان بيبغا روس هو الذي أرداه، وضربه طنيرق جرح وجهه وأصابعه. وساروا به على فرس إلى تربة آقسنقر الرومي تحت الجبل، وذبحوه من ساعته قبل العصر. ولما أنزلوه وأرادوا ذبحه توسل إلى الأمراء، وهو يقول: بالله لا تستعجلوا على قتلي، وخلوني ساعة، فقالوا: فكيف استعجلت على قتل الناس، لو صبرت عليهم صبرنا عليك.

- وصعد الأمراء إلى القلعة في يومهم، ونادوا في القاهرة بالأمان والاطمئنان، وباتوا بها ليلة الإثنين، وقد اتفقوا على مكاتبة الأمير أرغون شاه نائب الشام بما وقع، وأن يأخذوا رأيه فيمن يقيمونه سلطاناً.

حاجي والجواري :

وكانت **اتفاق** سوداء حالكة السواد اشترتها ضامنة المغالي بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغاني بمدينة بلبيس، وعلمتها الضرب بالعود على **عبد علي العواد**، فمهرت فيه.

وكانت **إتفاق** حسنة الصوت جيدة الغناء، قدمتها ضامنة المغاني لبيت السلطان، فاشتهرت فيه، حتى شغف بها **الصالح إسماعيل** وتزوج بها.

فنالت في دولته المكانة العظيمة حتى كبر ذلك على **الحاج ال ملك النائب** حتى عرف عنه انه إذا سأله أحد إقطاعاً أو مرتباً قال له: **يا ولدي رح إلى باب الستارة أبصر طواشي ، أو توصل لبعض المغاني تقضي حاجتك .**

ثم لما تسلطن **الكامل شعبان** باتت عنده من ليلته، لما كان في نفسه منها أيام أخيه، ونالت من الحظوة والسعادة ما لا عرف في زمانها لامرأة غيرها، حتى أنه عمل لها داير بيت طوله اثنان وأربعون ذراعا، وعرضه ستة أذرع، فيه خمسة وتسعون ألف دينار مصرية سوى البشخاناه والمخاد والمساند. وكان لها أربعون بذلة ثياب مرصعة بالجوهر، وست عشرة بدلة بداير زركش وثمانون مقنعة فيها ما قيمته عشرون ألف درهم، وأقلها بخمسة آلاف درهم، إلى غير ذلك مما يجل وصفه.

فلما كتب الموفق ناظر الدولة أوراق بما استجد على الدولة، من وفاة السلطان الناصر **محمد بن قلاوون** إلى **المحرم سنة خمسين وسبعمائة**، فكانت جملة ما أنعم به وأقطع من بلاد الصعيد وبلاد الوجه البحري وبلاد الفيوم، وبلاد الملك، وأراضي الرزق – للخدام والجواري وغيرهن سبعمائة ألف ألف أردب، وألف ألف وستمائة ألف درهم، معينة بأسماء أربابها من الأمراء والخدام والنساء .

فلما مات **شعبان** وجاء من بعده **حاجي** , عرضت جواري دار السلطان، فبلغت عدتهن خمسمائة جارية، فرقن على الأمراء. وأحيط بموجود **إتفاق**، وأنزلت من القلعة. نودي في القاهرة ومصر برفع الظلامات، ومنع أرباب الملاعيب جميعهم.

ولكن سريعا ما طلبت **إتفاق** إلى القلعة، فطلعت بجواريها مع الخدام، وتزوج بها السلطان

خفية، وعقد له عليها **شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوجري** شاهد الخزانة. وبنى **السلطان** عليها من ليلته، بعدما جليت عليه، وفرش تحت رجليها ستون شقة أطلس، ونثر عليها الذهب. ثم ضربت بعودها وغنت، فأنعم عليها **السلطان** بأربعة فصوص وست لؤلؤات، ثمنها أربعمائة ألف درهم.

وأنهمك **السلطان** في اللهو، وشغف **باتفاق** حتى أشغلة عن غيرها، وملكت قلبه بفرط حبه لها , فشق ذلك على الأمراء والمماليك .

ثم أن بعض الأمراء الخاصكية بلغهم إنكار الأمراء الكبار والمماليك على **السلطان** شدة شغفه بالنسوة الثلاث **إتفاق وسلمى والكركية** ، وأنهماكه على اللهو بهن، وانقطاعه إليهن بالدهيشة عن الأمراء، وإتلافه الأموال العظيمة في العطاء لهن ولأمثالهن، فعرفا **السلطان** إنكار الأمراء عليه وإعراضه عن تدبير الملك، وخوفوه عاقبة ذلك؛ فتلطف به، وصوب ما أشاروا به عليه من الإقلاع عن اللهو بالنساء وأخرجهن وفي نفسه حزازات لفراقهن، تمنعه من الهدوء والصبر عنهم .

رسم **لمقبل الرومي** أن يخرج **إتفاقا وسلمى والكركية** حظايا **السلطان** من القلعة بما عليهن من الثياب، من غير أن يحملن شيئاً من الجوهر والزركش، وأن يقلع عصابة **اتفاق** عن رأسها ويدعها عنده. وكانت هذه العصابة قد اشتهرت عند الأمراء وشنعت قالتها، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك: **الصالح إسماعيل، والكامل شعبان والمظفر حاجي**، وتنافسوا فيها، واعتنوا بجواهرها، حتى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية .

أحب **السلطان** أن يتعوض عنهن بما يلهيه ويسليه واختار صنف الحمام، وأنشأ حضيراً بأعلى الدهيشة، ركبه على صوار وأخشاب عالية، وملأه بأنواع الحمام؛ فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعين ألف درهم .

وشغف السلطان بكيدا حتى كان لا يكاد يفارقها، واشترى لها أملاك النشو وأخيه رزق الله وصهره المخلص بخط الزربية، فاشتراها لها بمائة ألف درهم. وكانت هذه الزريبة في غاية الحسن، قد أنفق عليها النشو أموالاً عظيمة، وصارت بعد النشو إلى إمرأة الأمير بكتمر الساقي، اشتراها لها الأمير بشتاك بنحو الألف درهم، إلى أن طلبتها كيدا فأرسل السلطان إليها يستوهبها منها، فتركتها له، فرسم لها بمائة ألف درهم، وكاتبها على الأملاك باسم كيدا .

(المقريزي – السلوك)

7) الناصر حسن :

أمة تدعى كدا ، ماتت وهو صغير، فربته خوند أردو ، ودعوه قماري حتى كان من أمر أخيه حاجي ما كان.

قام الأمراء بسلطنته وأركبوه بشعار السلطنة في **يوم الثلاثاء رابع عشرى رمضان، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة**، وأجلسوه على تخت الملك بالإيوان، ولقبوه **بالملك الناصر سيف الدين قمارى** .

فقال السلطان للأمير أرقطاى نائب السلطنة : **ما اسمي قمارى، إنما اسمي حسن**، فقال أرقطاى: يا خوند! **والله** إن هذا اسم حسن على خيرة الله فاستقرت سلطنته وحلف له الأمراء على العادة، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة.

وكان الناصر حسن في نفسه مفرط الذكاء، ضابطاً لما يدخل إليه ويصرفه كل يوم، عارفا متديناً شهما، لو وجد ناصراً ومعيناً لكان أجل الملوك.

وكان القائم بدولته الأمير شيخو رأس نوبة، وإليه أمر خزانة والأمير بيبغاروس نائب السلطنة، وإليه حكم العسكر وتدبيره والحكم بين الناس، والأمير منجك

الوزير الأستادار مقدم المماليك، وإليه التصرف في أموال الدولة، والمتولي لتربيته **خوند طغاي** أم **آنوك**، وفي خدمته **ست حدق**.

(المقريزي – السلوك)

فكان في طوع الأمراء، يصرفونه على حسب اختيارهم ثلاث سنين .

وفي السنة الرابعة اراد **السلطان** ان يستبد بالامر لنفسه وان يكون حر التصرف في مملكته وكل هذا بإيعاز من الامراء الخاصكية فأستغل خروج الأمير **بيبغا روس** إلى الحج، والأمير **شيخو** إلى العباسة وأستبد بالحكم والتصرف وقبض على **منجك** وغيره من الامراء , ثم قبض على **بيبغا روس** .

توعك **السلطان** ولزم الفراش أياما، فبلغ **طاز ومغلطاى ومنكلى بغا** أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا إليه، فركبوا بأطلابهم، ووقفوا عند قبة النصر. فخرج **السلطان** إلى القصر الأبلق، وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم، فقالوا: " **أنت اتفقت مع مماليكك على مسكنا، ولابد من إرسالهم إلينا**. فبعث **السلطان** إليهم طلبهم ، فعندما وصلوا إليهم قيدوهم، وسجنوا , فشق ذلك على **السلطان**، وبكى، وقال: " **قد نزلت عن السلطنة** " .

فدخلوا إلى **الناصر حسن** وأخذوه من بين حرمه، فصرخ النساء صراخاً عظيما، وصاحت **ست حدق** على **صرغتمش** صياحاً منكراً، وسبته، وقالت: " **هذا جزاؤه منك** " . فأخرجه **صرغتمش** وقد غطى وجهه إلى الرحبة، فلما رأه الخدام والمماليك تباكوا عليه بكاءاً كثيراً. وطلع **صرغتمش** به إلى رواق فوق الإيوان، ووكل به من يحفظه، وعاد إلى الأمراء.

وكانت مدته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوماً، منها مدة الحجر عليه ثلاث

سنين، ومدة استبداده تسعة أشهر .

وكانت أيامه شديدة، كان فيها الفناء العظيم الذي لم يعهد مثله، وفيها فساد العربان وقيام ابن واصل ببلاد الصعيد والعجز عنه،. فاختلت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خللاً فاحشا ، إلا أن الناصر حسن كان في نفسه مفرط الذكاء، عارفاً متديناً شهماً، لو وجد ناصراً ومعيناً لكان أجل الملوك.

(المقريزي – السلوك)

حوليات الناصر حسن (1) :

- في رمضان : قام الأمراء بسلطنة الناصر حسن وأركبوه بشعار السلطنة ، وأجلسوه على تخت الملك ، لقبوه بالملك الناصر سيف الدين قمارى. فقال السلطان للأمير أرقطاى نائب السلطة: يا بة! ما اسمي قمارى، إنما اسمي حسن، فقال أرقطاى: يا خوند! والله إن هذا اسم حسن على خيرة الله فاستقرت سلطنته وحلف له الأمراء ، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة.
- وفيه: عرضت جميع الجواري اللاتي بالقلعة، ورسم بتزوج من أعتق منهن، وفرق باقيهن.وأحيط بأموال كيدا، وأموال بقية الحظايا، وأنزلن من القلعة.
- وفيه كتبت أوراق بمرتبات الخدام والعبيد والجواري، وقطعت كلها.
- وفيه أخذ الأمراء في تتبع طائفة الجراكسية من المماليك، وقد كان المظفر قربهم إليه بسفارة غرلو، فأنه كان جركسي الجنس. وجلبهم المظفر من كل مكان حتى عرفوا بين الأمراء، وقوى أمرهم، وصار منهم أمراء وأصحاب أخباز وتميزوا بكبر عمائمهم، وعملوا كلفتاه خارجة عن الحد.

- وفيه: قدم أمير منجك اليوسفي أخو النائب بيبغا روس من الشام فرسم له بتقدمة ألف، وخلع عليه، واستقر وزيراً وأستادارا. وخرج في موكب عظيم والأمراء في خدمته، فصار حكم مصر للأخوين بيبغا روس ومنجك.
- وفيه : رسم بنقل الأمراء المقتولين بالإسكندرية، فنقلوا إلى القاهرة. ودفن الأمير قمار أخيه الأمير بكتمر الساقى، قبلى القرافة. ودفن الأمير أرغون العلائي بخانكاته من القرافة. ودفن الأمير قوصون بخانكاته داخل باب القرافة. ودفن الأمير بشتاك الجاولي، فوق جبل الكبش. ودفن الأمير ملكتمر الحجازي بموضع من قصر الزمرد عند رحبة باب العيد من القاهرة، أنشأته له زوجته ثم عملته مدرسة تعرف اليوم بالحجازية ودفن الملك الأشرف كجك بجامع آقسنقر من التبانة قريباً من القلعة، بجوار قبر زوج أمه آقسنقر. وأخرج يوسف وشعبان ورمضان اولاد الناصر محمد، ودفنوا بمواضع أخرى. وسلم الأمير تمر الموساوى لأهله، فدفنوه بتربتهم. ونقل جماعة كثير سواهم، و لم يعهد مثل ذلك في الدولة التركية.
- وفيه تراسل المماليك الجراكسة والأمير حسين بن الناصر محمد على أن يقيموه سلطانا، فقبض على أربعين من الجراكسة، وأخرجوا على الهجن مفرقين إلى البلاد الشامية ثم قبض على ستة، وضربوا قدام الإيوان بالقلعة ضرباً مبرحاً، وقيدوا وحبسوا بخزانة شمايل.
- سنة تسع وأربعين وسبعمائة
- وفيه توحش ما بين الأمير شيخو والأمير بيبغا روس نائب السلطان.
- وفي ربيع الأول: عزل الأمير منجك من الوزارة

- وفيه: اجتمع القضاة الأربعة والفقهاء وكثير من الأمراء بالجامع الحاكمي، وقرأوا القرآن ودعوا الله. ثم اجتمعوا ثانياً في العصر ، فبعث الله مطراً كثيراً.
- وفي ربيع الآخر: أعيد الأمير منجك الى الوزارة، باستعفاء أسندمر العمرى، لتوقف أحوال الدولة.
- وفيه كثرت الأخبار بوقوع الوباء في عامة أرض مصر، وتحسين جميع الأسعار، وكثرة أمراض الناس بالقاهرة ومصر؛ فخرج السلطان والأمراء إلى سرياقوس. فكثر الوباء حتى بلغ في شعبان عدد من يموت في كل يوم مائتي إنسان فكانت سنة كثيرة الفساد في عامة أرض مصر والشام، فكان فيها الوباء الذي لم يعهد في الإسلام مثله حتى انتشر الوباء في الإقليم بأسره، واشتد بديار مصر في شعبان ورمضان وشوال، وارتفع في نصف ذي القعدة.
- وفيه ماتت خوند طغاي أم آنوك، وتركت مالا كبيراً وألف جارية وثمانين طواشيا؛ وأعتقت الجميع؛ ولها تنسب تربة خوند بالصحراء.
- وفيه تقدم الوزير منجك لعلاء الدين علي بن الكوراني والي القاهرة بطلب الخفراء أصحاب الرباع، وإلزامهم بكتابة أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما، وأسماء سكانها وملاكها؛ فكتبوا ذلك.
- وفيه: قدم الخبر بقتل الأمير أرغون شاه نائب الشام،
- سنة إحدى وخمسين وسبعمائة
- وفيه: عزل الأمير منجك من الوزارة
- وفيه قدم الأمير شيخو إلى قطيا، فتوجه به متسلمه منها إلى الطينة وأوصله إلى

الإسكندرية، فسجن بها.

- **وفيه : الأراجيف قد كثرت بأن الأمير طاز قد تحالف هو والأمير بيبغا روس بعقبة أيله،**
- **وفيه: قدم سيف الأمير بيبغا روس، وقد قبض عليه.**
- **وفي ربيع الآخر. كان عرس خوند زهراء ابنة السلطان الملك الناصر محمد وهي زوجة آقسنقر الناصري المقتول زمن المظفر حاجي على الأمير طاز،**
- **وفيه توعك السلطان ولزم الفراش أياما، فبلغ طاز ومغلطاى ومنكلى بغا أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا إليه، فركبوا يوم الأحد سابع عشري جمادى الآخرة بأطلابهم، ووقفوا عند قبة النصر. فخرج السلطان إلى القصر الأبلق، وبعث يسأهم عن سبب ركوبهم، فقالوا: " أنت اتفقت مع مماليكك على مسكنا، ولابد من إرساهم إلينا. فبعث السلطان إليهم تنكز بغا وقشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر، فعندما وصلوا إليهم قيدوهم، وبعثوهم إلى خزانة كايل، فسجنوا بها. فشق ذلك على السلطان، وبكى، وقال: " قد نزلت عن السلطنة "**

السلطان حسن والوباء العظيم:

الوباء الذي لم يعهد في الإسلام مثله، ما أهل المحرم سنة تسع وأربعين حتى انتشر الوباء في الإقليم بأسره، واشتد بديار مصر في شعبان ورمضان وشوال، وارتفع في نصف ذي القعدة.

وكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس في كل يوم. وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجره، وحمل أكثر الموتى على

ألواح الخشب وعلى السلالم والأبواب، وحفرت الحفائر وألقوا فيها. وكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون، وأكثر. وكان الموت بالطاعون يبصق الإنسان دماً، ثم يصيح ويموت .

وعم الدنيا جميعها , جميع أجناس بني أدم، وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر.

وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري، ولا يوجد من يدفنها وعظم الوباء بالمحلة حتى أن الوالي كان لا يجد من يشكو إليه؛ وكان القاضي إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحداً إلا بعد عناء لقلتهم؛ وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها.

وعجز أهل بلبيس وسائر البلاد الشرقية عن ضم الزرع، لكثرة موت الفلاحين. فجافت الطرقات بالموتى ، وماتت الدواب والمواشي وأكثر هجن السلطان والأمراء. وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى، ولم يجدوا من يدفنهم، وجافت سوقها فلم يقدر أحد على القعود فيه؛ وخرج من بقي من باعتها إلى ما بين البساتين. ولم يبق بها مؤذن، وطرحت الموتى بجامعها، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى، ورحل كثير من أهلها إلى القاهرة وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها، وجفت أشجارها، لكثرة موت أهلها ودوابهم، وصارت حوانيتها مفتحة والمعايش بها لا يقربها أحد، وغلقت دورها. وبقيت المراكب في البحيرة، وقد مات الصيادون فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكاً ميتاً،. وهلكت الأبقار والجاموس في المراحات والجزائر .

قدم على قاضي دمشق **تقي الدين السبكي** رجل من جبال الروم، وأخبره أنه لما وقع الفناء ببلاد الروم **رأى رسول صلى الله عليه وسلم، فشكا إليه ما نزل بالناس من**

الفناء، **فأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: " اقرأوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة، واسألوا الله أن يرفع عنكم ما أنتم فيه "** ؛ فعرفهم قاضي دمشق ذلك. فاجتمع الناس في المساجد، وفعلوا ما ذكر لهم، وتضرعوا إلى الله، وتابوا من ذنوبهم، وذبحوا أبقاراً وأغناما كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام، والفناء يتناقص كل يوم حتى زال.

فنودي في دمشق باجتماع الناس بالجامع الأموي، فصاروا إليه جميعاً، وقرأوا به صحيح **البخاري** في ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى، وكشفوا رءوسهم وضجوا بالدعاء، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام، فتناقص الوباء حتى ذهب بالجملة.

وابتدأ الوباء في القاهرة ومصر بالنساء والأطفال، ثم في الباعة، حتى كثر عدد الأموات. فبلغت عدة من يموت ثلاثمائة نفر كل يوم بالطاعون موتاً وجباً في يوم أو ليلة، فما فرغ شهر رجب حتى بلغت العدة زيادة على الألف في كل يوم. وصار إقطاع الحلقة ينتقل إلى ستة أنفس في أقل من أسبوع؛ فشرع الناس في فعل الخير، وتوهم كل أحد أنه ميت وقدم كتب نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء بحلب **رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه، وشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يأمرهم بالتوبة والدعاء وهو: " اللهم سكن هيبة صدمى قهرمان الحروب، بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت، حتى نتشبث بأذيال لطفك، و نعتصم بك عن إنزال قهرك. ياذا القوة والعظمة الشاملة، والقدرة الكاملة، يا ذا الجلال والإكرام "** ، وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حماة وطرابلس ودمشق.

وفي شعبان: تزايد الوباء في القاهرة، وعظم في رمضان، وقد دخل فصل الشتاء فرسم بالاجتماع في الجوامع للدعاء.

ونودي أن يجتمع الناس بالصناجق الخليفية، والمصاحف عند قبة النصر، فاجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة، وخرج المصريون إلى مصلى خولان بالقرافة، واستمرت قراءة **البخاري** بالجامع **الأزهر** وغيره عدة أيام، والناس يدعون **الله تعالى** ويقنتون في صلواتهم، ثم خرجوا إلى قبة النصر، وفيهم الأمير **شيخو** والوزير منجك والأمراء، بملابسهم الفاخرة من الذهب ونحوه .

ولم يحتج أحد في هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطباء، لسرعة الموت. فما تنصف شوال إلا والطرقات والأسوق قد امتلأت بالأموات، وانتدبت جماعة لمواراتهم، وانقطع جماعة للصلاة عليهم في جميع مصليات القاهرة ومصر. وخرج الأمر عن الحد ، وهلك أكثر أجناد الحلقة؛ وخلت أطباق القلعة من المماليك السلطانية لموتهم.

وما أهل ذو القعدة: **إلا القاهرة خالية مقفرة، لا يوجد في شوارعها مار، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لكثرة الموتى والاشتغال بهم وعلت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأماكن بالصياح، فلا تجد بيتا إلا وفيه صيحة، ولا تمر بشارع إلا وفيه عدة أموات وصارت النعوش لكثرتها تصطدم، والأموات تختلط.**

وصلي في يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات **بالجامع الحاكمي** من القاهرة، فصفت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى الباب الكبير. ووقف الإمام على العتبة، والناس خلفه خارج الجامع.

وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة، وصارت **حارة برجوان** اثنين وأربعين داراً خالية. وبقيت الأزقة والدروب. مما فيها من الدور المتعددة خالية، وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها ، وعدمت النعوش، وبلغت عدتها ألفا وأربعمائة نعش. فحملت الأموات

على الأقفاص ودراريب الحوانيت وألواح الخشب؛ وصار يحمل الإثنان والثلاثة في نعش واحد على لوح واحد.

وطلبت القراء إلى الأموات، فأبطل، كثير من الناس صناعاتهم، وانتدبوا للقراءة أمام الجنائز. وجماعة تصدوا لتغسيل الأموات، وجماعة لحملهم؛ فنالوا بذلك سعادة وافرة. وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم وإذا وصل الميت إلى المصلى تركه وانصرف لآخر. وصار الحمال يأخذ ستة دراهم بعد الدخلة عليه إذا وجد، ويأخذ الحفار أجرة القبر خمسين درهماً؛ فلم يمتع أكثرهم بذلك، وماتوا.

وامتلأت المقابر من باب النصر إلى قبة النصر طولا، وإلى الجبل عرضاً. وامتلأت مقابر الحسينية إلى الريدانية، ومقابر خارج باب المحروق والقرافة. وصار الناس يبيتون بموتاهم على الترب، لعجزهم عن تواريهم. وكان أهل البيت يموتون جميعا وهم عشرات، فما يوجد لهم سوى نعش واحد، ينقلون فيه شيئاً بعد شيء.

وأخذ كثير من العامة إقطاعات الحلقة، وقام الأمير شيخو والأمير مغلطاي أمير آخور بتغسيل الناس وتكفينهم ودفنهم.

وغلقت أكثر المساجد والزوايا. واستقر أنه ما ولد أحد في هذا الوباء إلا ومات بعد يوم أو يومين، ولحقته أمه.

ووجدت طيور كثيرة في الزروع ميتة، ما بين غربان وحدأة وغيرها من سائر أصناف الطيور؛ فكانت إذا نتفت وجد فيها أثر الكبة. وماتت القطاط حتى قل وجودها. وتواترت الأخبار من الغور وبيسان وغير ذلك من النواحي أنهم كانوا يجدون الأسود الذئاب والأرانب والإبل وحمر الوحش والخنازير وغيرها من الوحوش ميتة، وكانت بحيرات السمك بدمياط وسخا توجد أسماكها الكثيرة طافية على الماء، وفيها الكبة. وكذلك كلما

يصطاد منها، بحيث امتنع الناس من أكله.

وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال الموتى، وعدمت جميع الصنائع، فلم يوجد سقاء ولا بابا، ولا غلام. فنودي بالقاهرة من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضرب جماعة منهم.

وبعد ذهاب الوباء تقدم الوزير **منجك لعلاء الدين علي بن الكوراني** والي القاهرة بطلب الخفراء أصحاب الرباع، وإلزامهم بكتابة أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما، وأسماء سكانها وملاكها؛ فكتبوا ذلك. وكان يوجد في الزقاق الواحد من كل حارة وخط عدة دور خالية، لا يعرف لها ملاك، فختم عليها.

(المقريزي – السلوك)

8) الصالح صالح :

السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاون , أمه خوند قطلوملك بنت الأمير تنكز نائب الشام، أقيم سلطانا بعد خلع أخيه الناصر حسن.

طلب الأمراء الخليفة والقضاة وسائر أهل الدولة، واستدعوا به. فلما خرج إليهم ألبسوه شعار السلطنة، وحلفوا له، وحلفوه على العادة، ولقبوه **بالملك الصالح**، ونودي بسلطنته في القاهرة ومصر.

قضى صالح على عرش مصر ثلاثه اعوام لم يحدث في خلالها شيء يذكر غير ما كان يقع من المؤامرات وارتكاب بعض المماليك الفظائع ضد بعض وتمردهم من آن الى آن في الشام واسرهم وقتلهم .

وفي اخر مدته نصح له ان يقبض على بعض الامراء من حاشياته الذين كانوا يقفون حجر عثرة في طريقه فلما احسوا الخطر المحدق بهم تمردوا عليه وشقوا عصى الطاعة .

وفي عهده قضى على فساد عربان الصعيد , ولكن سريعا ما خلعه الامير **شيخو** .

حوليات الملك الصالح صالح :

- سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة.
- جمادى الآخرة : أقيم صالح سلطانا بعد خلع أخيه الناصر حسن، ولقبوه بالملك الصالح، ونودي بسلطنته في القاهرة ومصر.
- وفيه نقل السلطان أخاه حسن إلى حيث ساكنا، ورتب في خدمته جماعة وطلب أخاه حسين ، ووعده بتغيير إقطاعه وزيادة راتبه
- وفيه توجه الأمير بزلار أمير سلاح إلى الشام، ومعه التشريف والبشارة بولاية السلطان وتحليف العساكر له على العادة.
- وفيه وقف الأمير طاز، وسأل الأمراء والسلطان في الإفراج عن الأمير شيخو،
- وفيه كتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية والكرك وهم سبعة. منجك الوزير، وفاضل أخو بيبغا روس، وأحمد الساقي نائب صفد، وعمر شاه الحاجب، وأمير حسين التتري وولده، ومحمد بن بكتمر الحاجب. فركب الأمير طاز ومعه الخيول المجهزة لركوبهم حتى لقيهم، وطلع بهم إلى القلعة، فخلع عليهم بين يدي السلطان. ونزلوا إلى بيوتهم، فامتلأت القاهرة بالأفراح
- وفيه: قدم الأمير بيبغا روس من سجن الكرك، فركب الأمراء إلى لقائه، وطلع إلى السلطان، فخلع عليه ونزل بيبغا روس إلى بيته،
- وفيه أحيط بموجود ست حدق، ووكل بها. وكتب موجودها، وألزمت بمال كبير

سوى موجودها، ثم أفرج عنها، ولم يؤخذ لها شيء. ثم ألزمت ست حدق ألا تجتمع بأحد، فإنها كانت من جملة أنصار الناصر حسن.

• وفيه ضيق على الناصر حسن، وسدت عنه أماكن كثيرة كان ينظر منها ويحدث من يريد؛ واحتفظ به احتفاظاً زائداً.

• سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

• وفيها : ابتدأ الأمير صرغتمش عمارة إصطبل الأمير بدرجك، بجوار بئر الوطاويط، قريباً من الجامع الطولوني، وأدخل فيه عدة دور، وحمل إليه الناس ما يحتاج اليه من الرخام وغيره.

• وفيها خلع على الأمير صرغتمش، واستقر رأس نوبة كبير، في رتبة الأمير شيخو باختياره. وجعل إليه التصرف في أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم، ما عدا مال الخاص، فإن الأمير شيخو متحدث فيه، وما عدا أمور الوزارة. فقصده الناس، وكثرت مهابته

• وفيها اجتمع الأمراء على استبداد السلطان بالتصرف، وأن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة.

• وفيها تزايد تسلط الأمير صرغتمش ، وكثر ترفعه. فتنكر له الأمراء، وكثرت الأراجيف بوقوع الفتنة بينهم، وإعادة الناصر حسن، ومسك شيخو وطاز،

• وفيها رسم للأمير جرجي الحاجب أن يتحدث في أمر أرباب الديوان، ويفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة ولم يكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا في الأمور الشرعية، فاستمر ذلك فيما بعد

- وفيها: رتب الأمير شيخو في كل ليلة جمعة وقتاً يجتمع عنده فيه الفقهاء للمذاكرة، ويقوم الشيخ علي بن الركبدار ، فينشد من مدائح الصرصري ونحوه ما يطربهم، وينصرفون بعد أكلهم.

- وفيه كثرت الإشاعة بمدينة حلب أن الأمير بيبغا روس نائبها يريد الفرار منها إلى بلاد العدو حتى ساءه ذلك، وقبض على عدة من العامة سمرهم وشهرهم، ثم أفرج عنهم.

- وفي جمادى الآخرة: خلع على الأمير شيخو، وأعيد رأس نوبة، عوضاً عن صرغتمش.

- وفيه: قدم البريد من دمشق بعصيان الأمير بيبغا روس نائب حلب، واتفاقه مع الأمير أحمد الساقى نائب حماة، والأمير بكلمش نائب طرابلس فقدم البريد من دمشق.بموافقة ابن دلغادر لبيبغا روس، وأنه تسلطن بحلب، وتلقب بالملك العادل، وأظهر أنه يريد مصر لأخذ غرمائه، وهم طاز وشيخو وصرغتمش وبزلار وأرغون الكاملي نائب الشام.

- وفيها: ركب السلطان إلى الريدانية، وجعل الأمير قبلاي نائب الغيبة

- شعبان : استقل السلطان بالمسير من الريدانية ، فقدم البريد بأن الأمير طقطاي الدوادار خرج من دمشق يريد مصر، وأن الأمير أرغون الكاملي نائب الشام لما بلغه خروج بيبغا روس ، وقراجا بن دلغادر وجبار بن مهنا، وقد نزل بكلمش نائب طرابلس وأمير أحمد نائب حماه على الرستن في انتظاره، عزم أرغون كذلك على لقائه. فبلغه مخامرة أكابر أمراء دمشق عليه، فاحترس على نفسه، وصار يجلس بالميدان وهو لابس آلة الحرب.

• شعبان: أعلن بعض النصارى الواردين من الطور بالقدح في الملة الإسلامية، فأحضر إلى القاضي تاج الدين المناوي، وسأله المناوي عن سبب قدومه، فقال: " جئت أعرفكم أنكم لستم على شيء، ولا دين الا دين النصرانية، وما قلت هذا إلا لكي أموت شهيداً " فضربه المناوي بالمقارع ضرباً مبرحاً مدة أسبوع، وهو يقول: " عجل على القتل حتى ألحق بالشهداء " ، فيقول له: " ما أعجل عليك غير العقوبة ثم ضربت عنقه، وأحرقت جثته.

• وفي جمادى الآخرة: عمل الأمير طاز وليمة عظيمة بداره التي عمرها برأس الصليبة عندما كملت، حضرها السلطان وجميع الأمراء، فلما انقضى السماط قدم الأمير طاز للسلطان أربعة أرؤس خيل مسرجة ملجمة بسروج ذهب وكنابيش ذهب مطرز، ولكل من الأميرين شيخو وصرغتمش فرسين، ولمن عداهما من الأمراء كل واحد فرساً، ولم يعهد قبل ذلك أن أحداً من ملوك الترك بمصر نزل إلى بيت أمير.

• سنة خمس و خمسين وسبعمائة

• وفيها : قدم الأمير شيخو، ممن معه من بلاد الصعيد وكان من خبره أن العربان بالوجه القبلى خرجوا عن الطاعة وعدى السلطان. ممن معه من بقية الأمراء إلى بر الجيزة، فكبست بلاد الجيزة، بعد ما كتب لمتوليها ومشايخها وأرباب أدراكها أنهم لا يخفون أحداً من العرب، ولا من أولادهم ونسائهم، فأخذ الصالح والطالح. وقبض الأمراء على الخيول والسيوف، حتى لم يبق ببلاد الجيزة فرس ولا سيف، وكانت هذه الواقعة من أعظم حوادث الصعيد، وأشنع محنها، ومن حينئذ أمنت الطرقات براً وبحراً، فلم يسمع بقاطع طريق بعدها.

- وفيها : استعفى الأمير شيخو من التحدث في أمر الدولة، فتقرر الحال على أن ينفرد السلطان بتدبير دولته، من غير أن يعارضه أحد في ذلك، ويستبد بالمملكة وحده، كما كان أبوه وجده. واختص السلطان بالأمير طاز، وتقدم اليه أن ينظر في أمور الدولة من غير أن يظهر ذلك. فاشتهر بين الأمراء وغيرهم أن استعفاء الأمير شيخو من التحدث في أمور الدولة، واستقلال السلطان بالأمر، إنما هو بتدبير طاز وقيامه فيه مع السلطان، فإن السلطان كان له ميل كبير إلى الأمير طاز،

- كان في رجب بلغ الأمير صرغتمش أن بناحية شبرا الخيام كنيسة فيها أصبع الشهيد التي ترمى كل سنة في النيل، فتحدث مع السلطان فيه. فرسم بركوب الحاجب والوالي إلى هذه الكنيسة وهدمها، فهدمت ونهبت حواصلها، وأخذ الصندوق الذي فيه أصبع الشهيد، وأحضر إلى السلطان وهو بالميدان الكبير قد أقام به فأضرمت النار، وأحرق الصندوق. بما فيه، ثم ذرى رماده في البحر. وكثرت الأخبار من الوجه القبلي والوجه البحري بدخول النصارى في الإسلام، ومواظبتهم المساجد، وحفظهم للقرآن، حتى أن منهم من ثبتت عدالته وجلس مع الشهود. فإنه لم يبق في جميع أعمال مصر كلها قبليها وبحريها كنيسة حتى هدمت، وبنى مواضع كثير منها مساجد. فلما عظم البلاء على النصارى، وقلت أرزاقهم، رأوا أن يدخلوا في الإسلام. ففشا الإسلام في عامة نصارى أرض مصر، حتى أنه أسلم من مدينة قليوب خاصة في يوم واحد أربعمائة وخمسون نفراً، وممن أسلم في هذه الحادثة الشمس القسى، والخيصم. وحمل كثير من الناس فعلهم هذا على أنه من جملة مكرهم، لكثرة ما شنع العامة في أمرهم، فكانت هذه الواقعة أيضاً من حوادث مصر العظيمة. ومن حينئذ اختلطت الأنساب بأرض مصر، فنكح هؤلاء الذين أظهروا

الإسلام بالأرياف المسلمات، واستولدوهن، ثم قدم أولادهم إلى القاهرة، وصار منهم قضاة وشهود وعلماء، ومن عرف سيرتهم في أنفسهم، وفيما ولوه من أمور المسلمين، تفطن لما لا يمكن التصريح به.

- في رمضان خرج السلطان إلى ناحية سرياقوس على العادة، ومعه والدته وحريمه، وجميع الأمراء وغيرهم من أهل الدولة، وتأخر الأمير شيخو بإصطبله لوعك به. فكثر لهو السلطان ولعبه، وشغفه بالأمير جنتمر حتى أفرط، وجمع عليه الأمير قجا أمير شكار وأخوته.ومال السلطان إلى جهة الأمير طاز وأعرض عن الأمير شيخو والأمير صرغتمش

- فلما عاد السلطان في آخر الشهر من سرياقوس إلى القلعة، بلغ شيخو أن السلطان قد اتفق مع إخوة طاز على أن يقبض عليه وعلى صرغتمش يوم العيد. فلم يحضر شيخو صلاة العيد، وكان قد بلغه جميع ما تقرروأصبحوا وقد اجتمع مع الأمير شيخو من الأمراء صرغمتش وطقطاى ومن يلوذ بهم، وركبوا إلى تحت الطبلخاناه، ورسموا للاصر علم بضرب الكوسات، فضربت حربياً. فركب جميع العسكر تحت القلعة بالسلاح وصعد الأمير تنكربغا والأمير أسنبغا المحمودي إلى القلعة، وقبضا على السلطان وسجناه مقيداً، فزال ملكه في أقل من ساعة وصعد الأمير شيخو ومن معه من الأمراء إلى القلعة، وأقامت أطلابهم على حالها تحت القلعة. وقبض الأمير شيخو على إخوة الأمير طاز، واستشار فيمن يقيمه للسلطة، وصرح هو ومن معه بخلع الملك الصالح صالح،

الصالح صالح والعربان :

مازال **السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون** يسوس الأمر حتى سكنت الفتن في بلاد الصعيد ، وتتبع أهل الفساد، وحرث ديارهم بالأبقار، وأفناهم بالقتل.

فلما تغافل أهل الدولة بعد موت **السلطان** عن أهل النواحي، قلت مهابة الكشاف والولاة عندهم، فخرجوا عن الحد، ثم ثاروا بعد ذلك، وركبوا على الكاشف، وحاربوه، وتجمعوا على الفساد، وخرجوا عن الطاعة، وسفك بعضهم دماء بعض، وقطعوا الطرقات، وأخذوا أموال الناس، وكسروا مغل الأمراء والأجناد وقتلوا بعضهم .وقطعوا الطرقات برا وبحرا حتى تعذر سلوكها. ومالوا على المعاصر والسواقي، فنهبوا حواصلها من القنود والسكر والأعسال، وذبحوا الأبقار.

وادعى **الأحدب** السلطنة، وجلس في جتر ، وجعل خلفه المسند، وأجلس العرب حوله، ومد السماط بين يديه، فنفذ أمره في الفلاحين.

فلما عظم أمره عقد الأمراء المشورة بين يدي **السلطان الملك الصالح** في أمر عرب الصعيد. وقرروا تجريد العسكر لهم.

فرق الأمير **شيخو** الأمراء في البلاد لكبسها، فطرقوا عامة النواحي، وقبضوا على جماعة كثيرة قتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأحضروا خلقاً إلى الأمير شيخو فأقاموا على هذا عدة أيام، حتى لم يبق ببلاد الصعيد بدوي.

ثم نصبت الأخشاب على الطرقات، وعلق فيها أعداد وافرة ممن شنق ووسط من العرب، فكان أولها طما وأخرها منية ابن خصيب. ثم عاد الأمير شيخو. ممن معه، وصحبته نحو الالفي رجل في الحديد، فلم يصل إلى القاهرة منهم سوى ألف ومائتين، وهلك باقيهم بالجوع والتعب. فلما نزل طموة خرج اليه الأمراء بأجمعهم، وعملوا له الولائم العظيمة مدة أيام. ثم سافر الأمير شيخو منها في موكب جليل، والأسرى بين يديه، والخيول والجمال

والسلاح، حتى صعد القلعة، وكان يوماً مشهوداً. وأثنى عليه من كان معه، بإحسانه اليهم ونفقاته فيهم، فكانت مدة غيبته نحو ثلاثة أشهر، وأقل ما قيل إنه قتل في هذه الواقعة زيادة على عشرة الاف رجل.

ثم قدمت الأسرى التي أحضرت مع الأمير **شيخو** . وقيد جماعة وسخروا في العمل. وعرضت الدواب، فكانت الفا وثلاثمائة فرس، والفا وخمسمائة جمل، وسبعمائة حمار، وأغناماً كثيرة، سوى ما نهبه العبيد وأكلوه. وعرض السلاح، فكان مائة حمل رماح، وثمانين حمل سيوف، وثلاثين حمل درق. وكتب لجميع ولاة الأعمال وكشافها الا يدعوا في جميع النواحي فرساً لبدوي ولا لفلاح سوى أرباب الأدراك، فإنه يترك لكل واحد منهم فرس. فركب الولاة إلى البلاد، وأخذوا ما بها من الخيول، وسيروها إلى اصطبل السلطان. فكان الرجل إذا حضر وادعى ملك شيء سلم اليه، بعد ما تظهر صحة دعواه، والزم بعد تسليمه بأن يبيعه ويعطى ثمنه مما عليه من الخراج، فكثرت الخيول بالقاهرة، واستوفى الأجناد خراجهم قبل أوانه.

فكانت هذه الواقعة من أعظم حوادث الصعيد، وأشنع محنها، ومن حينئذ أمنت الطرقات براً وبحراً، فلم يسمع بقاطع طريق بعدها.

(المقريزي – السلوك)

الصالح صالح وواقعة النصارى :

كان النصارى قد زادوا في الحمق والرقاعة، وتعدوا طورهم في الترفع والتعاظم. وأكثروا من أذي المسلمين وإهانتهم، إلى أن مر بعضهم يوماً على الجامع الأزهر بالقاهرة، وهو راكب بخف ومهماز وبقيار طرح سكندرى على رأسه، وبين يديه طرادون يبعدون الناس عنه،

وخلفه عدة عبيد ، وهو في تعاظم كبير. فوثب به طائفة من المسلمين، وأنزلوه عن فرسه، وهموا بقتله، فخلصه الناس من أيديهم.

وتحركت الناس في أمر النصارى وماجوا، وانتدب عدة من أهل الخير لذلك، وصاروا إلى الأمير **طاز الشريف** ، وبلغوه ما عليه النصارى مما يوجبه نقض عهدهم، وانتدبوه لنصرة الإسلام والمسلمين. فانتفض الأمير **طاز** لذلك، وحدث الاميرين **شيخو وصرغتمش** وبقية الأمراء في ذلك بين يدي **السلطان**، فوافقوه جميعاً، وكان لهم يومئذ بالإسلام وأهله عناية. ورتبوا قصة على لسان المسلمين، قرئت بدار العدل على السلطان بحضرة الأمراء والقضاة وعامة أهل الدولة. فرسم بعقد مجلس للنظر في هذا الأمر، ليحمل النصارى واليهود على العهد الذي تقرر في خلافة أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه.

وطلب بطرك النصارى ورئيس اليهود، وحضرت قضاة القضاة وعلماء الشريعة، وأمراء الدولة، وجيء بالبطرك والرئيس، فوقفا على أرجلهما وقرأ **العلائى** على **ابن فضل الله** كاتب السر نسخة العهد الذي بيننا وبين أهل الذمة .

وكان هذا العهد قد كتب في رجب سنة سبعمائة في الأيام الناصرية ، فلما انتهى **العلائى** على **بن فضل الله** كاتب السر من قراءته تقلد **بطرك** النصارى وديان اليهود حكم ذلك، والتزما بما فيه، وأجابا بالسمع والطاعة.

ثم جال الحديث في أمر اليهود والنصارى وإعادة وقائعهم الماضية، وأنهم بعد التزامهم أحكام العهد يعودون إلى ما نهوا عنه. فاستقر الحال على أنهم يمنعون من الخدم في جميع الأعمال، ولا يستخدم نصراني ولا يهودي في ديوان **السلطان**، ولا في شيء من دواوين الأمراء، ولو تلفظ بالإسلام، على أن أحداً منهم لا يكره على الإسلام .

وكتب مراسيم سلطانية سار بها البريد إلى البلاد الإسلامية ، وقرىء مرسوم بجامع عمرو ،

وآخر بجامع الأزهر من القاهرة، فكان يوماً عظيماً هاجت فيه حفاظ المسلمين، وتحركت سواكنهم، لما في صدورهم من الحنق على النصارى، ونهضوا من ذلك المجلس بعد صلاة الجمعة، وثاروا باليهود والنصارى ، وأمسكوهم من الطرقات ، وتتبعوهم في المواضع وتناولوهم بالضرب، ومزقوا ما عليهم من الثياب، وأكرهوهم على الإسلام، فيضطرهم كثرة الضرب والإهانة إلى التلفظ بالشهادتين خوف الهلاك. فإنهم زادوا في الأمر حتى أضرموا النيران، وحملوا اليهود والنصارى، والقوهم فيها. فاختفوا في بيوتهم ، حتى لم يوجد منهم أحد في طريق ولا ممر، وشربوا مياه الآبار لامتناع السقائين من حمل الماء من النيل اليهم.

فلما شنع الأمر نودي في القاهرة ومصر الا يعارض أحد من النصارى أو اليهود، فلم يرجعوا عنهم. وحل بهم من ذلك بلاء شديد، كان أعظمه نكاية لهم أنهم منعوا من الخدم بعد إسلامهم، فإنهم كانوا فيما مضى من وقائعهم إذا منعوا من ذلك كادوا المسلمين لإظهار الإسلام، ثم بالغوا في إيصال الأذي لهم بكل طريق، بحيث لم يبق مانع يمنعهم لأنه صار الواحد منهم فيما يظهر مسلماً ويده مبسوطة في الأعمال، وأمره نافذ، وقوله ممتثل. فبطل ما كانوا يعملون، وتعطلوا عن الخدم في الديوان، وامتنع اليهود والنصارى من تعاطى صناعة الطب. وبدل الأقباط جهدهم في إبطال ذلك، فلم يجابوا اليه.

ثم لم يكف الناس من النصارى ما مر بهم حتى تسلطوا على كنائسهم ومساكنهم التي رفعوها على أبنية المسلمين، فهدموها. فازداد النصارى واليهود خوفاً على خوفهم، وبالغوا في الاختفاء، حتى لم يظهر منهم أحد في سوق ولا في غير.

وكثرت الأخبار من الوجه القبلي والوجه البحري بدخول النصارى في الإسلام، ومواظبتهم المساجد، وحفظهم للقرآن، حتى أن منهم من ثبتت عدالته وجلس مع الشهود. فإنه لم يبق في جميع أعمال مصر كلها قبليها وبحريها كنيسة حتى هدمت، وبنى مواضع كثير منها

مساجد .

فلما عظم البلاء على النصارى، وقلت أرزاقهم، رأوا أن يدخلوا في الإسلام. ففشا الإسلام في عامة نصارى أرض مصر، وحمل كثير من الناس فعلهم هذا على أنه من جملة مكرهم، لكثرة ما شنع العامة في أمرهم، فكانت هذه الواقعة من حوادث مصر العظيمة.

ومن حينئذ اختلطت الأنساب بأرض مصر، فنكح هؤلاء الذين أظهروا الإسلام بالأرياف المسلمات، واستولدوهن، ثم قدم أولادهم إلى القاهرة، وصار منهم قضاة وشهود وعلماء، ومن عرف سيرتهم في أنفسهم، وفيما ولوه من أمور المسلمين، تفطن لما لا يمكن التصريح به.

(المقريزي – السلوك)

9) الناصر حسن (2) :

ولما قبض على **الملك الصالح** وخلع اقتضى رأى الأمير **شيخو** وسائر الأمراء إعادة السلطان **حسن**، لما كان يبلغهم عنه من ملازمته في مدة حبسه للصلوات الخمس والإقبال على الاشتغال بالعلم حتى إنه كتب بخطه كتاب دلائل النبوة **للبيهقي**.

فاستدعوا الخليفة والقضاة، وأحضروا **السلطان** من محبسه، وأركبوه بشعار المملكة، ومشى الأمراء كلهم، وسائر أرباب الدولة في ركابه، حتى جلس على تخت الملك، وبايعه الخليفة، فقبلوا له الأرض على العادة .

وكان من خيار ملوك الأتراك. كان يحلف بالأيمان الحرجة، أنه ما شرب خمرًا ولا لاط منذ كان، إلا أنه شغف بنسائه وجواريه شغفاً زائداً، واشتهر في أمرهن، وأفرط في الإقبال عليهن، مع القيام بتدبير ملكه. وعزم على قطع دابر الأقباط والأتراك المماليك، فولى عدة وظائف كانت بيد الأقباط لجماعة من الفقهاء، منها وظيفة نظر الجيش ونظر بيت المال

، وبنى المدرسة التي لم يبن في ممالك الإسلام بيت لله مثلها في العظم والجلالة والضخامة

(المقريزي – السلوك)

تكاد تكون فترة **الناصر حسن** خالية من الحوادث الا ما كان من هزيمته في مكة وغزوة قام بها في بلاد ارمينيا حيث استولى المصريون على **طرسوس والمصيصة واضنة** ووضعوا فيها حاميات مصرية وفي اواخر حكمه اغضب اكبر امرائه "**يلبغا** " واثار حتقه فهاجمه وتغلب عليه .

(وليم موير – تاريخ دولة المماليك 115)

ثم كان من امره مع **يلبغا العمري** ما كان فقتل , ولم يوقف **للسلطان حسن** على خبر، فقيل إنه عاقبه عقوبة شديدة حتى مات ودفنه في مصطبة كان يركب عليها من داره بالكبش. وقيل دفنه بكيمان مضر وأَخفي قبره .

فكان عمره دون الثلاثين سنة ، منها مدة سلطنته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام .

(المقريزي– السلوك)

حوليات الناصر حسن (2) :

- **في يوم الإثنين ثاني شهر شوال : استدعوا الخليفة وقضاة القضاة، وأحضروا السلطان حسن من محبسه، وأركبوه بشعار المملكة، ومشى الأمراء كلهم، وسائر أرباب الدولة في ركابه، حتى جلس على تخت الملك، وبايعه الخليفة، فقبلوا له الأرض على العادة. وبات السلطان والأمير شيخو على باب الإصطبل، فكانوا طول ليلتهم في أمر مريج وظلوا يوم الخميس وليلة الجمعة كذلك. ففي أثناء ليلة الجمعة حضر الأمير تقطاى الدوادار – وصحبته الأمير طاز – إلى عند الأمير شيخو. وكان طاز**

قد التجأ إلى بيت تقطاى، فإن أخت طاز كانت تحته، فقام اليه الأمير شيخو وعانقه، وبكى بكاء كثيراً، وتعاتبا، وأقام عنده ليلته تلك. وركب به يوم الجمعة إلى القلعة، فأقبل عليه السلطان، وطيب خاطره، ورسم له بنيابة حلب، عوضاً عن الأمير أرغون الكاملى. فلبس طاز التشريف في يوم السبت سابعه، وسار من يومه ومعه الأمير شيخو وصرغتمش، وجميع الأمراء لوداعه، فسال أن تكون إخوته صحبته، فأجيب إلى ذلك، وأخرجوا اليه، بحيث لم يتأخر عنه أحد من حاشيته، وعاد الأمراء، ومضى لمحل نيابته. وسجن الملك الصالح صالح حيث كان أخوه الملك الناصر حسن مسجوناً.

- وفيه خلع على الأمير صرغتمش، واستقر في نظر المارستان المنصوري، فنزل اليه الأمير صرغتمش، ودار فيه على المرضى، فساءه ما رأى من ضياعهم، وقلة العناية بهم فرسم بالشروع في العمارة، فعمرت الأوقاف حتى ترفع ما فسد منها، ونودى بحمايه من سكن فيها، فزاد ريع الوقف في الشهر نحو أربعين ألف درهم، ومنع من يتعرض اليهم، وانصلحت أحوال المرضى أيضاً.

- سنة ست وخمسين وسبعمائة

- في المحرم: شرع الأمير شيخو في هدم أملاك ابتاعها بخط صليبة جامع ابن طولون. فكانت مساحتها زيادة على فدان، واختط موضعها خانكاه، وحمامين وحوانيت، يعلوها رباع. وجد في بنائها بحيث أنه عمل فيها بنفسه ومماليكه، حتى انتهت عمارتها، وأشهد عليه بوقفها. ووقف عليها عدة جهات بأرض مصر والشام. ورتب بها دروس الفقه للمذاهب الأربعة، وشيخاً للصوفية، ومدرساً للحديث النبوي، وشيخاً لإقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع، وغير ذلك من الفراشين والقومة

والمباشرين.

- وفي جمادى الأخر: ولد للامير شيخو ولد ذكر من أبنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فاحتفل احتفالاً زائد في عقيقته ومات الوليد بعد أيام، وعميت أمه عقيب ولادته.
- وفي هذه السنة: ابتدأ الأمير صرغتمش في هدم مساكن بجوار الجامع الطولوني، واختط موضعها مدرسة ، وكشف أوقاف الجامع بنفسه
- وفيها عمرت مدينة عمان من البلقاء للأمير صَرْغَتمش، ونقل إليها الولاية والقضاء من حسبان، وجعلت أم تلك البلاد. وهي بلد قديم من بناء عمان ابن أخي لوط، بناها بعد هلاك قوم لوط. وقيل هي مدينة دقيانوس الملك الذي أخرج منها أصحاب الكهف، والرقيم هناك موضع معروف، وبها ملعب سليمان بن داود عليهما السلام.
- سنة ثمان وخسمين وسبعمائة
- وفي شعبان: وثب قطلوقجا أحد المماليك السلاح دارية على الأمير شَيْخُو وهو بدار العدل، وضربه بسيف ثلاث ضربات، في رأسه ووجهه وذراعه، فسقط وارتج المجلس. وقام السلطان عن كرسي الملك إلى قصره في خاصكيته، وتفرق الأمراء. وطار الخبر بأن الأمير شيخو قتل، فركب الأمير خليل ابن قوصون – ربيب شيخو ولبس آلة الحرب، وساق في عدة وافرة إلى القلعة، وصعدها. بمن معه وهم ركاب، إلى رحبة دار العدل. وحمل شيخو إلى إصطبله. وركب العسكر جميعهم إلى تحت القلعة بالسلاح. وركب الأمير صرغَتمش في عدة من الأمراء إلى الأمير شيخو، فوجدوا به رمقاً، فاعتذروا إليه مما وقع، وأنه لم يكن يعلم السلطان، وأنه قبض على

الغريم وأمر بتسميره وتوسيطه. ثم قاموا فسمر المذكور، وطيف به على جمل، ثم وسط بعد ما قرر فلم يقر على أحد. وقال: قدمت له قصة لينقلني من الجامكية إلى الإقطاع فلم يفعل، فبقي في نفسي منه، وركب السلطان من الغد لعيادة شَيْخُو وحلف له أنه لم يعلم. بما جرى حتى وقع، ثم عاد. فمازال شيخو صاحب فراش حتى مات يوم الخميس خامس عشرين ذي القعدة، ودفن من الغد بخانكاته، وقبره بها، وكان قد قارب الستين سنة. وكان كثير المعروف، وهو أول من قيل له الأمير الكبير بمصر. ولما مات شيخو انفرد الأمير صرغتمش بتدبير الدولة.

- سنة تسع وخمسين وسبعمائة
- وكثر في شهر رمضان إكرام السلطان للأمير صَرْغَتْمش،
- وفيها : أصبح السلطان متوعك البدن، فلما دخل عليه صَرْغَتْمُش ليعوده ألبسه القبانخ ونزل إلى داره. ثم صعد من الغد يوم الإثنين عشرينه إلى القصر على عادته، وأمر ونهى على باب القصر وصرف أمور الدولة على عادته، ثم دخل. فلما استقر به الجلوس، وتكامل المركب، تقدم الأمير طيبغا الطويل، وقبض عليه، وأعانه الأمير منكلى بغا،
- سنة ستين وسبعمائة
- وفي هذه السنة: وقدم الخبر بموت صرغَتمش في سجنه بالإسكندرية، فكانت مدة سجنه شهرين واثني عشر يوماً. كان يكتب الخط الجيد، ويشارك في الفقه على مذهب أبي حنيفة، ويتعصب لمذهبه، ويجل العجم، ويختص بهم، ويتكلم أيضاً في العربية، ودبر أمر الدولة مدة
- سنة إحدى وستين وسبعمائة

- وفيها اشترى السلطان القصر المعروف بالبيسري من القاهرة، وقصر بشتاك المقابل له، وجدد عمارتهما.
- وفيها: ركب السلطان من قلعة الجبل، وعبر من باب زويلة إلى المارستان المنصوري، وشقاق الحرير مفروشة ليمشي عليها، فزار أباه وجده. وقد زينت له القاهرة، واجتمع بالمدرسة المنصورية قضاة القضاة الأربع، ومشايخ العلم. بهاء الدين ابن عقيل، وزين الدين البسطامي الحنفي، وأكمل الدين الحنفي، وبهاء الدين السبكي، وسراج الدين الهندي، وسراج الدين البلقيني، وناصر الدين نصر الله الحنبلي، وشمس الدين بن الصايغ الحنفي، وشمس الدين محمد بن النقاش، وبدر الدين حسن الشجاع الحنفي، وعدة أخر. فأتاهم السلطان وهم بالإيوان القبلي، فجلس وهم حلقة بين يديه، وأداروا البحث في مسألة حتى انتهوا إلى غايتهم فيها
- ومات السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون في محبسه من قلعة الجبل، سلخ ذي الحجة، ودفن بتربة عمه الصالح علي بن قلاوون قريباً من المشهد النفيسي. رحمه الله تعالى.
- سنة اثنتين وستين وسبعمائة
- وفي يوم السبت سادس ربيع الآخر: سقطت إحدى منارتي مدرسة السلطان حسن، فهلك تحتها نحو ثلاثمائة من الأطفال الأيتام الذين كانوا بمكتب السبيل، وغير الأيتام، فتشاءم الناس بذلك، وتطيروا به لزوال السلطان، فكان كذلك، وزال ملكه في ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى .

10) المنصور محمد بن حاجي :

لما قبض على السلطان حسن، وصعد الأمير يلبغا إلى القلعة ومعه الأمير طيبغا الطويل أمير سلاح في بقية الأمراء اشتوروا فيمن يقام في السلطنة، فذكر بعضهم الأمير حسين بن محمد بن قلاوون، وهو آخر من بقى من أولاد الملك الناصر محمد لصلبه، فلم يرضوه خشية من أن يستبد بالأمير دونهم ثم لا يبقى منهم أحداً. وذكر الأمير أحمد بن السلطان حسن فرأوا أن تقديمه - وقد عُمل بأبيه ما عُمل - سوء تدبير فإن الحال يلجئه لأن يأخذ بثأر أبيه، فأعرضوا عنه.

ووقع الطارق على محمد بن المظفر حاجى، فاستدعى الخليفة وقضاة القضاة، وأحضر ابن المظفر **وعمره نحو أربع عشرة سنة**، ففوض الخليفة إليه أمور الرعية، ، وحلف له الأمراء على العادة ، **ولقب بالملك المنصور صلاح الدين**.

وهو أول من تسلطن من أولاد أولاد الملك الناصر محمد، فقام الأمير يلبغا بتدبير الدولة، و لم يبق للمنصور سوى الاسم. واستقر الأمير طَيبغا الطويل على عادته أمير سلاح .

دقت البشائر، ونودي بالقاهرة ومصر بسلطنة الملك المنصور، ولكن ....

بعد سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام . اقتضى رأى الأمير يَلبغَا خلع السلطان فوافقه الأمراء على ذلك، فخلعوه من الغد لاختلال عقله، وسجنوه ببعض الدور السلطانية من القلعة، ولم يكن له سوى الاسم فقط .

(المقريزي – السلوك)

حوليات المنصور محمد بن حاجي :

- **في جمادى الأولى : أقامه الأمير يلبغا في السلطنة. فاستدعى الخليفة وقضاة القضاة، وذلك ، ولقب بالملك المنصور صلاح الدين. وهو أول من تسلطن من أولاد أولاد الملك الناصر محمد . فقام الأمير يلبغا بتدبير الدولة، و لم**

يبق للمنصور سوى الاسم. واستقر الأمير طَيبغا الطويل أمير سلاح، والأمير قطلُوبغا الأحمدي رأس نوبة كبير، والأمير قَشتمر المنصوري نائب السلطنة.

● وفيه : أفرج عن الأمير طاز وقد سمل الناصر حسن عينيه،

● في رجب خروج الأمير بَيدَمُر نائب الشام عن الطاعة، وموافقة جماعة من الأمراء له على ذلك، منهم أسَنْدَمُر أخو يَلبغا اليحياوي، والأمير مَنجَك وجماعة، وأنه قام لأخذ ثأر السلطان حسن، وأفتاه جماعة من الفقهاء بجواز قتال قاتله الذي تغلب على المُلك

● رمضان : ركب السلطان وصحبته الخليفة والأمراء. فرحل الأمير منجَك بمن معه من غزة، عائداً إلى دمشق. فنزل بها السلطان بعساكره ثم ساروا جميعاً إلى دمشق ، فخرج إليهم أكثر أمراء دمشق وعسكرها راغبين في الطاعة، حتى لم يبق من الأمراء مع بَيْدَمُر سوى مَنجَك وأَسَنْدَمُر – وقد امتنعوا بالقلعة – فترددت القضاة بين الفريقين في الصلح حتى تقرر، وحلف لهم الأمير يَلُبغا على ذلك، فاطمأنوا إليه ونزلوا من القلعة.فركب السلطان بعساكره صبح يوم الإثنين تاسع عشرين شهر رمضان، ودخل إلى دمشق وقبض على الأمير بيدمر والأمير منجك والأمير أَسَندَمُر، وقيدوا، فأنكر ذلك جمال الدين يوسف بن محمد المرداوي الحنبلي قاضي دمشق، وصار إلى الأمير يَلْبُغا، وقال له: لم يقع الصلح على هذا فاعتذر بأنه ما قصد إلا إقامة حرمة السلطان، ووعد بالإفراج عنهم. فلما انصرف بعث بهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها.

● وفيها اتفق الأمير حسين بن محمد بن قلاوون مع الطواشي جوهر الزمردي نائب مقدم المماليك على أن يلبس المماليك السلطانية آلة الحرب ويتسلطن. فلما قدم السلطان والأمير يلبغا سمرا وشهرا، ثم نفيا إلى قوص

- سنة ثلاث وستين وسبعمائة
- في المحرم: تزوج الأمير يَلْبُغا الأتابك بخوند طولوبية زوج السلطان حسن.
- وفي صفر: خلع على الطواشي سابق الدين مثقال ، واستقر مقدم المماليك
- وفيه استقر الأمير أَسندمر الطازي في نيابة ملطية فأكثر من الغارات على بلاد الروم، وأسرهم وقتلهم،
- وفيها استدعى أبو عبد الله محمد بن الخليفة المعتضد بالله أبي بكر، في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى، إلى قلعة الجبل، وجلس مع السلطان بالقصر، وقد حضر الأمراء فأقيم في الخلافة بعد وفاة أبيه، ولقب بالمتوكل
- سنة أربع وستين وسبعمائة
- وفي جمادى الأولى: فشت الطواعين والأمراض الحادة في الناس بالقاهرة ومصر وعامة الوجه البحري، وتزايد حتى بلغ في شهر رجب عدة من يموت في اليوم ثلاثة آلاف. ولم تزل الأمراض بالناس إلى شهر رمضان.
- وفي شعبان: اقتضى رأى الأمير يَلبغَا خلع السلطان فوافقه الأمراء على ذلك، فخلعوه من الغد لاختلال عقله، وسجنوه ببعض الدور السلطانية من القلعة، فكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام، لم يكن له سوى الاسم فقط

11) الاشرف شعبان بن حسين :

ثم أحضروا **الخليفة** وقضاة القضاة الأربع، وأعلموهم وأن الاتفاق وقع على **شعبان بن حسين** وأفاضوا عليه خلعة السلطنة، ولقبوه بالملك الأشرف زين الدين أبي المعالي، وأركبوه بشعار السلطة، فولي السلطنة وعمره عشر سنين، ولم يل أحد من **بني قلاوون** وابوه لم يل

السلطنة سواه.

وكان لينا يحب أهل الخير، ويقف عند ما يحسن له من فعل الخير، إلا أنه كان يحب جمع المال وتفرقته، جدد في أيام دولته الأقبية الحرير بالطرز الزركش في كل سنة على الأمراء، مع ركوبهم الخيل وقت لبس الأقبية المذكورة بالسروج الذهب، والكنابيش الزركشى، فكان يعم بذلك أمراء الألوف والطبلخاناة والعشرات والمماليك الخاصكية، على قدر رتبهم، و لم يتقدمه ملك لفعل ذلك .

وكانت أيامه في هدوء وسكون، وأبطل مسكين شنيعين كان يتحصل منهما مال عظيم، فبطلا من بعده، ولم يكن فيه أذى ولا تجبر، بل يرفع يديه ويسأل الله تعإلى أن يخرب ديار من يريد بالناس سوءا . بالجملة كان إلى التشبه بالنساء أميل منه إلى التشبه بالرجال، وترك من الأولاد سبعة ذكور، أمير علي، وأمير حاجى، وكلاهما تسلطن، وقاسما، ومحمدا، وإسماعيل، وأبا بكر، وأحمد، وسبع بنات .

(المقريزي – السلوك)

كان عمره انذاك يزيد عن العشر سنين وكانت مدة حكمه نحو الاربعة عشر عاما وهي اطول مدة حكمها سلطان من اسرته .

والواقع ان السنين الاولى من حكمه لم يحدث فيها شئ يسترعى النظر بخلاف اخريات ايامه التي كانت ملأى بالعواصف في داخل البلاد وخارجها .

شهدت فترة حكمه توالي سقوط الامراء الذين بيدهم الحل والعقد , في بداءة حكمه كان يلبغا العمري صلحب النفوذ في البلاد فهزم غير ان اتباعه ما فتئوا بعده اصحاب البلاد واصبحت القاهرة مسرحا لفظائعهم فتبعهم السلطان وبجانبه العامة واقتفوا اثرهم فقتل بعضهم واغرق بعضهم وسخن آخرين , ثم استمرت البلاد كما

كانت عليه من قبل ولم يقع ما يستحق الذكر غير انه بعد وفاة امه خوند بركة قام زوجها الامير الجاي اليوسفي في طلب ارثها وتمرد على السلطان ثم هزم وفر هاربا فسقط بجواده في اليم ومات غريقا .

ثم ان السلطان اقيمت له الخطبة في بغداد , وفي عهده تعرضت البلاد لحملة صليبية على الاسكندرية من قبل حاكم قبرص , وفي عهده استولي على سيس حاضرة ارمينيا ثم كيليكيا وأخذ الملك ليو ملك ارمينا اسيرا الى القاهرة وصار حاكم ارمينا امير مملوكي ومحيت ارمينيا من تعداد الممالك المسيحية .

(وليم موير – تاريخ دوة الممليك 118)

وفي رحلة **السلطان** الاخيرة الى زيارة بيت **الله** الحرام . وهو بمنزلة العقبة تجمع المماليك وطلبوا عليق دوابهم، فوعدهم **السلطان** بصرفه في منزلة الأزلم ، فسألوه أن ينفق فيهم مالا لينفقوه في غلمانهم، فقال: " **ما عندي إلا البشماط والشعير** " ، فرادوه مرارا حتى نهرهم وتوعدهم، فمضوا إلى الأمير **أرغون شاه** رأس نوبة وشكوا ما لقيهم من **السلطان**، فوعدهم أن يتحدث لهم مع **السلطان** فانصرفوا من عنده إلى الأمير **طشتمر الدوادار**، وتنمروا عليه، وقالوا له " **إن لم ينفق فينا قتلناه** " . فقام إلى **السلطان** وسأله في النفقة على المماليك، فامتنع، فمازال يرادده حتى غضب منه وسبه، وقال له " تحكم علي في مصر وهنا أيضاً " ، وهدده، فقام وقد أحدق المماليك بخامه ينتظرونه، فأخبرهم بما كان . وأكثرهم حينئذ شباب ومماليك يلبغا، فهاجت حفائظهم، وتحركت أحقادهم، وتواعدوا على قتل **السلطان** وخاصكيته، ولبسوا السلاح وقصدوا السلطان، وكان في خامة يتحدث مع خاصكيته، وإذا بضجة، فبعث من يكشف له الخبر، فقيل قد ركب المماليك، فأمر من عنده بلبس السلاح، فما تم كلامه حتى هجموا على الخام، وقطعوا

الأطناب ، فأمر بالشموع فأطفئت، وخرج **السلطان**.بمن معه هاربا، وطلبوا جهة القاهرة ، وساروا حتى أتوا قبة النصر خارج القاهرة .

فقبض على رجل متنكر ممن قدم مع السلطان، فدلهم على موضع السلطان، فتوجهوا إلى قبة النصر، فذبحوا الامراء الذين مع السلطان ، وأتوا برءوسهم إلى تحت القلعة وهم يقولون " **صلوا على محمد** " ، ثم دفعوا الرءوس إلى أهلها، وقد اضطرب الناس بالقاهرة، ونودي بالقاهرة ومصر على **السلطان**، وتوعد من أخفاه، فاضطرب الناس، وباتوا ليلتهم في تخوف وقلق شديد

واما **السلطان** فاشتد خوفه ، وخرج من ليلته ، وقصد بيت **آمنة امرأة المشتولى** بحارة المحمودية من القاهرة، فمضت امرأة وأعلمت القائمين بالدولة بمكانه، فركب الأمير قرطاى في عدة وافرة، وأتوا بيت أمنة، وقبضوا عليها وأرهبوها، فأشارت إلى بادهنج البيت، فوجدوا **السلطان** قد لبس ثياب النساء، واختفي فيه، فأخذوه وألبسوه سلاحا، وستروا وجهه، وخرجوا به من باب سعادة حتى صعدوا به قلعة الجبل، فتسلمه الأمير أينبك،وعاقبه حتى دلهم على ذخائره، ثم خنقوه ، ورموه في بئر فلما مضت له أيام، ظهر نتنه، فأخرجه جيران تلك البئر، فعرفوه ودفنوه بالكيمان التي بجانب مشهد السيدة نفيسة، فأتى بعض خدام **السلطان** ليلا، وأخرجه من قبره وحمله إلى تربة أمه خوند بركة من التبانة، وغسله وكفنه وصلى عليه، ودفنه بالقبة التي بها.

وكانت مدة سلطنته أربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر يوما، وعمره أربع وعشرون سنة

(المقريزي – السلوك)

وكان الملك الأشرف من محاسن الدنيا؛ ملكا جليلا، عارفا، عاقلا، شجاعا مقداما، كريما،

هينا لينا، محببا للرعية.

قيل: إنه لم يل الملك في الدولة التركية أحلم منه، ولا أحسن خلقا وخلقا. وكان محبا للعلماء والفقراء وأهل الخير، مقتديا بالأمور الشرعية، وأبطل في سلطنته عدة مكوس. وكان محسنا لإخوته وأولاد عمه وأقاربه.

(ابن تغري بردي – مورد اللطافة)

حوليات الاشرف شعبان :

- **وأحضروا شعبان بن حسين وأفاضوا عليه خلعة السلطنة، ولقبوه بالملك الأشرف زين الدين أبي المعالي، وأركبوه بشعار السلطة، حتى جلس على تخت الملك وحلفوا له، وقبلوا الأرض على العادة.**
- **وفي رمضان: عزل قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي نفسه من القضاء من أجل أن الأمير يَلبغَا استدعاه، فوافاه القاصد وهو نايم، فلم يتمهل عليه حتى ينتبه، بل أمر به فأيقظ فغضب وعزل نفسه، وأبى أن يجيب القاصد أو يجتمع به، فشق ذلك على الأمير يَلبغَا. ومازال يرسل إليه ويترضاه حتى رضي. ثم استدعى في يوم الإثنين سابع عشرينه إلى مجلس السلطان، وخلع عليه وأعيد إلى وظيفة القضاء على عادته.**
- **واستقر الأمير مَنْكَلى بُغَا الشمسي في نيابة الشام، عوضاً عن الأمير قَشْتَمُر.**
- **وفيها : توفي الشيخ صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك الصفدي. برع في عدة فنون من أدب وتاريخ وغيره، وأكثر من قول الشعر وإنشاء الكتب والرسائل ونحوها. وألف كتبا كثيرة مفيدة، منها كتاب الوافي بالوفيات في التاريخ، كبير جدا، وكتاب أعوان النصر في أعيان العصر، جدد فيه ما شاء، وكتاب شرح لامية العجم،**

طول فيه كثيرًا، وملأه بفوائد جليلة، وغير ذلك، وكتب الإنشاء بالقاهرة ودمشق وباشر كتابة سر حلب قليلاً.

- سنة خمس وستين وسبعمائة

- وفيها : توفى صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البرلسى المالكى، محتسب القاهرة، يوم الخميس خامس عشرين صفر، ودفن بالقرافة، وبيعت كتبه بمائة ألف درهم ونيف. وفى حسبته أمر المؤذنين أن يقولوا مع قولهم فى ليالي الجمعة بعد أذان عشاء الآخرة، وفي السلام قبل الفجر السلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله . فاستمر ذلك.

- وفيها : توفيت خوند طولباى التركية عتيقة السلطان حسن، وامرأة الأمير يلبغا الأتابك، ودفنت بتربتها خارج باب البرقية.

- سنة ست وستين وسبعمائة

- وفيها : استقر الأمير أينال اليوسفي أمير جاندار.

- وفي ذي القعدة: استقر الأمير مَنْجَك اليوسفي في نيابة طرسوس،

- سنة سبع وستين وسبعمائة

- وفيها : ورد الخبر. بمنازلة الفرنج الإسكندرية،

- وفيها قدم الخبر بكثرة فساد أولاد الكنز ، وطائفة العكارمة بأسوان،

- وفيها حدثت وحشة بين السلطان أويس متملك بغداد ، وبين نائبه ببغداد، خواجا مرجان، فعصى عليه مرجان، وخطب ببغداد للسلطان الملك الأشرف.

- وفي رمضان رسم بالإفراج عن الأمير طيبغا الطويل، فأخرج إلى القدس، بطالا.

• وفيه : قدم رسول الملك أرخان بن عثمان ملك الروم يخبر أنه جهز مائتي غراب بحرية نجدة للسلطان على متملك قبرص، فأجيب بالشكر والثناء، وأنه لا يتحرك حتى تقدم من ديار مصر الشواني.

• سنة ثمان وستين وسبعمائة

• في تاسع صفر: استقر الأمير طَيبغا الطويل في نيابة حماة.

• وفي ربيع الأول: قبض الأمير يلبغا الأتابك على الأمير الطواشي سابق الدين مثقال الآنوكي، مقدم المماليك السلطانية، وضربه نحو ستماية ضربة بالعصى، وأخرجه إلى أسوان منفياً، لكلام نقل له عنه

• وفيها : ركب الأمير يلبغا في عسكر موفور إلى الجزيرة، فبرزت إليه الشواني من بر الجيزة، حتى صارت في وسط النيل، ورمته المماليك السلطانية منها بالسهام، والنفط، فمازال القوم يترامون نهارهم ثم أمر يلبغا فجيء إليه بالخليفة، وآنوك ابن حسين بن محمد بن قلاوون. وطلب يلبغا من الخليفة أن يفوض إليه السلطة عوضاً عن أخيه شعبان بن حسين، فامتنع الخليفة من ذلك. واحتج بأن الشوكة للأشرف شعبان فأمر يلبغا بالكوسات فدقت، وأقام شعار السلطنة كله، وقال: أنا أعينه وأؤيده. ومن الشوكة غيري؟ فلم يجد الخليفة بداً من سلطنة آنوك، فأقاموه سلطاناً، ولقبوه بالملك المنصور، وأركبوه بالشعار السلطاني.واشتدت الحرب بين الفريقين. وجلس المنصور آنوك وبين يديه أرباب الدولة من الأمراء وأرباب الأقلام على العادة.

• ربيع الآخر : طلب الامراء من السلطان أن يمكنهم من يلبغا ، فخلاهم وإياه، فأخرجوه من السجن ومشوا به حتى قرب من باب السلسلة، قدم له فرس لركبه، فعندما أراد ركوبه، بدره من مماليكه قراتَمُر، ألقى رأسه عن بدنه،

- وفيه قدم الطواشي سابق الدين مثقال من قوص، فقربه وأكرمه.
- وفيها : نودي في الناس: من قطع طيبغا حاجب الحجاب خبزه وقت العرض فليحضر ويأخذه. فاجتمع كثير منهم في دار الأمير قَشْتَمُر حاجب الحجاب فرد إليهم أخبازهم , خلع على الطواشي سابق الدين مثقال الآنوكي، واستقر مقدم المماليك على عادته.
- وفيها : قدمت رسل متملك جنوة من بلاد الفرنج، يسأل أن تمكن تجارهم في القدوم إلى الإسكندرية على عادتهم، فأجيبوا
- وفي شهر رجب: ركب الأمراء للحرب بالسلاح ووقفوا تحت القلعة، وكان قد أشيع أن الأجلاب اليلبغاوية يريدون الحرب، وقبض الأمراء، وأَول ما بدأوا به أن قبضوا على الأمير قرابغا الصرغتمشي وحبسوه، وأقاموا على تخوف، هذا وقد تفاحش أمر الأجلاب بحيث سلبوا الناس في الطرقات، وهجموا الحمامات على النساء، وأخذوهن بالقهر، وقصدوا أرباب الأموال بالأذى، حتى شمل الخوف الناس.
- سنة تسع وستين وسبعمائة
- وفي يوم الجمعة سادسه: ركب المماليك الأجلاب اليلبغاوية لمحاربة الأمير أسنْدَمُر الناصري الأتابك ، ونودي في القاهرة بركوب أجناد الحلقة، وحضور العامة لقتال الأجلاب. وكانت النفوس قد مقتتهم لقبح سيرتهم، وكثرة شرهم، وزيادة تعديهم.فتناولت العامة الأجلاب بالرجم من كل جهة، وتقدم إليهم المماليك السلطانية والأمراء والأجناد وقاتلوهم، فكسروهم، فتتبعت العامة عند ذلك الأجلاب في الأزقة والحارات ونودي في آخر النهار بالأمان، فلا ينهب أحد شيئاً،

فقد ظفر السلطان بغرمائه، فزينوا القاهرة ومصر، فزينتا أحسن زينة، وفرح الناس بزوال دولة الأجلاب.

- وفيه : أغرق السلطان في النيل جماعة من المماليك اليلبغاوية الذين اتفقوا على قتله، وأمر بتقوية زينة القاهرة ومصر، فبالغ الناس في تحسينهما.
- وفيه : سمر من الأجلاب اليلبغاوية ماية من أعيانهم، ووسطهم، وأغرق جماعة منهم، ونفي باقيهم إلى الشام وإلى أسوان، فكان ممن نفي من اليلبغاوية برقوق وبركة، وألطنبغا الجوباني، وجركس الخليلي
- وفي هذه السنة: فشت الأمراض الحادة، والطواعين بالناس في القاهرة ومصر، فمات في كل يوم ما ينيف على مائة ألف نفس.
- سنة سبعين وسبعمائة
- وفيها : جمع الأمراء وقضاة القضاة بالإيوان من القلعة، وعقد لخوند سارة أخت السلطان على الأمير بشتاك رأس نوبة،
- وفيه : تجمعت الغوغاء من زعر العامة بأراضي اللوق خارج القاهرة للشلاق، فقتل بينهم واحد منهم،
- وفي هذه السنة: حجت خوند بركة أم السلطان في تجمل عظيم، ومعها الكوسات والعصايب السلطانية، وعدة جمال، تحمل الخضر المزروعة، وفي خدمتها الأمير بشتاك العمري، والأمير بهادر الجمالي، وماية من المماليك السلطانية.
- سنة إحدى وسبعين وسبعمائة
- وفيها : رسم بتسمير نصراني، اتهم أنه سحر خوند ابنة الأمير طاز وزوجة

السلطان، فماتت بسحره، فسمر ووسط وأحرق بالنار.

- وفيه بعث الفرنج من بقي من أسرى المسلمين ببلادهم، وتم الصلح، وفتحت كنيسة القيامة بالقدس.

- سنة أربع وسبعين وسبعمائة

- وفيها استقر الأمير أجاي اليوسفي أتابك العساكر وناظر المارستان، عوضاً عن الأمير منكلى بغا الشمسي

- وفيها قصد الأمير أجاي أن يجدد بالمدرسة المنصورية بين القصرين من القاهرة منبراً، ويقرر بها خطباً لتقام بها الجمعة، فأفتاه سراج الدين عمر البلقيني من الشافعية، وشمس الدين محمد بن الصايغ من الحنفية بجواز ذلك، وأنكره من عداهما من الفقهاء لقرب المدرسة الصالحية - وبها خطبة للجمعة - بحيث يرى من المنصورية منبر الصالحية، وكثر الكلام في ذلك، فعقد مجلس في يوم السبت سادس عشرينه، اجتمع فيه القضاة والفقهاء بالمدرسة المنصورية لهذا، فجرى بينهم نزاع طويل، آل أمره إلى المنع من تجديد الخطبة، وانفضوا على أحن في نفوس من أفتى بالجواز على من منع في الجواز.

- وفيها : توفيت خوند بركة أم السلطان

- سنة خمس وسبعين وسبعمائة

- وفيها : اجتمع قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، والشيخ سراج الدين عمر البلقيني، بالسلطان، وعرفاه ما في ضمان المغاني من المفاسد، والقبايح، وما في مكس القراريط من المظالم - وهو ما يؤخذ من الدور إذا بيعت - فسمح بإبطالهما

- وفيه شنقت المرأة الخناقة وزوجها جمعة الخناق، وكانا في تربة من ترب القاهرة، فيدوران بالقاهرة ومصر وظواهرهما، ويأخذان من أطفال الناس وأولادهم من قدروا عليه، ويخنقاه لأخذ ما عليه من ثياب الجميلة، ففقد الناس عدة أولاد، واشتد حزنهم عليهم، وكثر ذلك في الناس حتى ذعروا منه، ففضح الله جمعة هذا وامرأته، وقبض عليهما، وعوقبا، وأخذ ما وجد عندهما من على الأولاد وثيابهم، ثم شنقا، وكان يوماً مجموعِ له الناس بالقاهرة، خارج باب النصر منها.
- شهر رمضان.وفيه استجد السلطان عنده بالقصر من قلعة الجبل قراءة كتاب صحيح البخاري في كل يوم من أيام شهر رمضان، بحضرة جماعة القضاة ومشايخ العلم، تبركاً بقراءته، لما نزل بالناس من الغلاء، فاستمر ذلك
- وفي ذي الحجة: قدم الأمير مَنجَك وخرج إليه جميع أرباب الدولة من الوزير وقضاة القضاة والأمراء، بحيث لم يتأخر عنه سوى السلطان وولديه فقط، ثم ساروا جميعاً بين يديه حتى طلع القلعة، فلم يعهد لأمير موكب مثل موكبه. فلما دخل على السلطان ابتهج بقدومه، وبالغ في إكرامه، وخلع عليه خلعة نيابة السلطنة، وفوض إليه نظر الأحباس والأوقاف وأن يقرر في سائر أعمال المملكة من أراد، وقرىء تقليده بالنيابة في الإيوان المعروف بدار العدل من القلعة بحضرة السلطان، والأمراء وسائر أرباب الدولة. أن السلطان قد أقامه مقام نفسه في كل شيء بيده، وفوض له ما فوض إليه الخليفة من سائر أمور المملكة، ثم خرج فجلس بدركاه باب القلة من القلعة، وجلس الوزير بين يديه، وقعد موقعو الدست لإمضاء ما يرسم به، ورفعت إليه القصص من ديوان الجيش وغيره، فنظر في الأمر نظر مستبد بها.
- سنة ست وسبعين وسبعمائة

- وفي جمادى الآخر: هذا ابتدأ الوباء في الناس في القاهرة ومصر، وكثر موت الفقراء والمساكين بالجوع،
- وفي شعبان: انتدب الأمير منجك نايب السلطان لتفرقة الفقراء على الأمراء
- وفي شوال: سقط الطائر بالبشارة بفتح سيس
- وفيه: ركب السلطان إلى عيادة الأمير منجك في مرضه
- وفيها : مات سلطان بغداد وتوريز القان أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن أيلكان، عن نيف وثلاثين سنة، منها في السلطنة تسع عشرة سنة، وكان قد اعتزل قبل موته، وأقام عوضه في المملكة ابنه الشيخ حسين لمنام رأه نعيت إليه نفسه، وعين له يوم موته، فتخلى عن الملك، وأقبل يتعبد، فمات كما ذكر له في نومه.
- وفيها : مات الأمير أيدمر الدوادار الآنوكي الناصري، أتابك العساكر، في يوم الأربعاء سادس عشر ذي القعدة، وكان مهاباً، سيوساً، حازماً، يبدأ الناس بالسلام، ويتبع الأحكام الشرعية.
- ومات الأمير منجك اليوسفي نائب السلطنة، في يوم الخميس تاسع عشرين ذي الحجة، ودفن من الغد بخانكاته تحت القلعة.
- سنة سبع وسبعين وسبعمائة
- وفي صفر: ابتدأ السلطان بعمارة مدرسة بالصوة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل، وشرع في هدم بيت الأمير سُنقر الجمالي، ليضيفه إليها.
- وفيها : قدمت رسل صاحب إصطنبول بهدية فيها صهرج محمل بحركات

هندسية، فإذا مضت ساعة من الليل والنهار خرجت تماثيل بنى آدم، وضربت بصنوج في أيديها، وأنواع من آلات الملاهي معها، وإذا مضت درجة سقطت بندقة.

- وفيها : طلق السلطان نساءه الثلاث، وهن خوند صاحبة القاعة ابنة عمه السلطان حسن، وابنة الأمير تنكزبغا، وابنة الأمير طغاى تمر النظامي.

- سنة ثمان وسبعين و سبعمائة

- وفي جمادى الأولى: رسم بإبطال ضمان المغاني، والأفراح بجميع أعمال مصر من أسوان إلى العريش، وكان قد أعاده وزراء السوء لكثرة ما يتحصل منه، وأبطل السلطان أيضاً ما أعاده الوزراء من ضمان القراريط بأعمال مصر كلها، فكان كل أحد من الناس – ولو جل – لا يقدر أن يشترى دارا حتى يؤخذ منه عن كل ألف درهم من ثمنها عشرون درهما، وعزم الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص على إعادة ضمان المغاني، فغضب من ذلك قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وامتنع من الحكم، وحضور دار العدل، فاستدعاه السلطان وسأله عن امتناعه من الحكم، فقال: " بلغني أن ضمان المغاني أعيد وهذا يوجب الفسق " . فحلف له السلطان أنه ما أمر بإعادته، ولاعنده منه علم، وبعث إلى ابن آقبغا آص يعلمه بذلك، فاعتذر بعذر غير طائل، فرسم بإبطاله، وكتب بذلك تواقيع قرئت على الناس وسيرت إلى النواحي، فبطل ذلك ولم يعد، و لله الحمد.

- وفي شعبان: أخرج السلطان إخوته وبنى أعمامه ذرية قلاوون بأجمعهم، ومعهم حرمهم إلى مدينة الكرك، وكان الوقت شتاء باردا، فتألم الناس لذلك، وسار بهم الأمير سودن الشيخوني، هذا والسلطان مريض وحركة السفر مستمرة.

- **وفيه: سقطت نار احترق بها حاصل مدرسة السلطان التي يعمرها تحت القلعة، فتلف بها ماشاء الله من آلات العمارة، وتفاءل الناس بذلك على السلطان**
- **وفي هذا الشهر: ارتفع الوباء، وعوفي السلطان**
- **وفيه كثر الاهتمام بحركة السلطان إلى الحج، وأوصى السلطان مماليك ولديه بهما، وبحفظ القلعة، وعهد إليهم أنه إن أصابه الموت فولده أمير علي هو السلطان من بعده.**
- **السبت ثالث ذي القعدة: مقتل السلطان الأشرف شعبان**

الاشرف شعبان و الحملة الصليبية على الاسكندرية :

ورد الخبر بمنازلة الفرنج الإسكندرية فعدى الامير **يلبغا** النيل من ساعته إلى البر الغربي، وتلاحق به أصحابه، ونودي بالقاهرة: **من تأخر من الأجناد غداً حل دمه وماله** فخرج الناس أفواجاً، وسار **السلطان** بعساكره إلى الطرانة، ليدركوا أهل الثغر .

وقدر **الله** تعالى في ذلك أن أهل الثغر كان قد بلغهم منذ أشهر إهتمام الفرنج بغزوهم، فكتب **متوفي الثغر** بذلك إلى **السلطان والأمير يلبغا**، فلم يكن من الدولة اهتمام بأمرهم. فلما توجه **ابن عرام** إلى الحج، واستناب عنه في الثغر **الأمير جنغرا** - أحد أمراء العشرات - وجاء أوان قدوم مراكب البنادقة من الفرنج لاح للناظور عدة قلاع في البحر.

فأغلق المسلمون أبواب المدينة، وركبوا الأسوار بآلة الحرب، وخرجت طائفة إلى ظاهر البلد، وباتوا يتحارسون. وخرجوا يريدون لقاء العدو، فلم يتحرك الفرنج لهم طول يومهم، فلما تكاثر جمع المسلمين من العربان، وأهل الثغر، عند المنار، برز لهم غراب إلى بحر

السلسلة، حتى قارب السور، فقاتله المسلمون قتالاً شديداً، قتل فيه عدة من الفرنج، واستشهد جماعة من المسلمين. وخرج إليهم أهل المدينة وصاروا فرقتين، فرقة مضت مع العربان، نحو المنار، وفرقة وقفت تقاتل الفرنج بالغراب. وخرجت الباعة والصبيان وصاروا في لهو، وليس لهم اكتراث بالعدو. فضرب الفرنج عند ذلك نفيرهم. فخرج الكمين وحملوا على المسلمين حملة منكرة. ورمى الفرنج من المراكب بالسهام، فانهزم المسلمون، وركب الفرنج أقفيتهم بالسيف. ونزل بقيتهم إلى البر فملكوه، بغير مانع وقدموا مراكبهم إلى الأسوار، فاستشهد خلق كثير من المسلمين، وهلك منهم في الازدحام عند عبور باب المدينة جماعة، وخلت الأسوار من الحماة، فنصب الفرنج سلالم ووضعوا السور، وأخذوا نحو الصناعة، فحرقوا ما بها، وألقوا النار فيها، ومضوا إلى باب السدرة، وعلقوا الصليب عليه، فانحشر الناس إلى باب رشيد، وأحرقوه، ومروا منه على وجوهم، وتركوا المدينة مفتوحة بما فيها للفرنج، وأخذ الأمير **جنغرا** ما كان في بيت المال، وقاد معه خمسين تاجراً من تجار الفرنج كانوا مسجونين عنده، ومضى هو وعامة الناس، إلى جهة دمنهور، فدخل وقت الضحى من يوم الجمعة، ملك قبرص وشق المدينة وهو راكب، فاستلم الفرنج الناس بالسيف، ونهبوا ما وجدوه من صامت وناطق، وأسروا وسبوا خلائق كثيرة، وأحرقوا عدة أماكن، وهلك في الزحام، بباب رشيد، ما لا يقع عليه حصر، فأعلن الفرنج بدينهم، وانضم إليهم من كان بالثغر من النصارى، ودلوهم على دور الأغنياء، فأخذوا ما فيها، واستمروا كذلك، يقتلون، ويأسرون، ويسبون، وينهبون، ويحرقون، من ضحوة نهار الجمعة إلى بكر نهار الأحد، فرفعوا السيف، وخرجوا بالأسرى والغنايم إلى مراكبهم، وأقاموا بها إلى يوم الخميس ثامن عشرينه، ثم أقلعوا، ومعهم خمسة آلاف أسير، فكانت إقامتهم ثمانية أيام. وكانوا عدة طوائف، فكان فيهم من البنادقة أربعة وعشرون غراباً، ومن الجنوية

غرابين، ومن أهل رودس عشرة أغربة، والفرنسيس في خمسة أغربة، وبقية الأغربة من أهل قبرص.

وكان مسيرهم، عند قدوم الأمير يلبغا بمن، معه، فلما قدم عليه الأمير قطلوبغا المنصوري، لم يجد معه سوى عشرين فارساً، وعليه، إقامة مائة فارس، فغضب عليه، ووجد الأمر قد فات، فكتب بذلك إلى السلطان، فعاد إلى القلعة، وبعث بابن عرام، نائب الإسكندرية على عادته، بأمر الأمير يلبغا. بموارة من استشهد من المسلمين، ورم ما احترق، وغضب على جنغرا وهدده، وعاد فأخذ في التأهب لغزو الفرنج. وتتبعت النصارى، فقبض على جميع من بديار مصر، وبلاد الشام وغيرهما من الفرنج، وأحضر البطريك والنصارى، وألزموا بحمل أموالهم، لفكاك أسرى المسلمين من أيدي الفرنج، وكتب بذلك إلى البلاد الشامية، وتتبعت ديارات النصارى، التي بأعمال مصر كلها، وألزم سكانها بإظهار أموالهم وأوانيهم، وعوقبوا على ذلك. فكانت هذه الواقعة، من أشنع ما مر بالإسكندرية من الحوادث، ومنها اختلت أحوالها، واتضع أهلها، وقلت أموالهم، وزالت نعمهم. وكأن الناس في القاهرة، منذ أعوام كثيرة، تجرى على ألسنتهم جميعاً: **في يوم الجمعة تؤخذ الإسكندرية**، فكان كذلك. ومر بمن خرج من الإسكندرية في وقت الهزيمة، من العربان بلاء لا يوصف.

وفي هذه المدة: اهتم الأمير يَلْبُغا الأتابك بعمل الشواني البحرية لغْزو الفرنج، فجمع من الأخشاب والحديد والآلات ما يجل وصفه، وشرع النجارون في عملها بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى، وتولى عملها الوزير فخر الدين ماجد بن قزوينة، فقام في ذلك أتم قيام، وبذل همته، وأستفرغ وسعه، وتصدى له ليلاً ونهاراً . ونودي بالقاهرة ومصر بحضور البحارة والنفاطة، ومن يريد الجهاد في سبيل الله، إلى بيت الأمير يلبغا الأتابك للعرض

وأخذ نفقة للسفر في المراكب.

وفي أول شهر رجب: قدم الخبر، بوصول رسل الفرنج إلى ميناء الإسكندرية، وأنهم طلبوا رهائن عندهم، حتى ينزلوا من مراكبهم ويردوا رسالتهم، فلم تؤمن مكيدتهم. واقتضى الحال إجابتهم، فأخرج من سجن الوافي - المعروف بخزانة شمايل - جماعة وجب قتلهم، وغسلوا بالحمام، وألبسوا ثياباً جميلة، وسفروا إلى الإسكندرية. فأكرمهم النايب، وأشاع أنهم من رؤساء الثغر، وبعث بهم إلى الفرنج، وشيع خلفهم نساء وصبيانا، يصيحون، ويبكون، كأنهم عيالهم، وهم يخافون الفرنج عليهم. فمشى ذلك على الفرنج، وعلى أهل الثغر لانتظام حال المملكة، وملاك أمرها، وجودة تدبيرها.

فتسلم الفرنج الجماعة ونزلت رسلهم من المراكب. وقدموا إلى قلعة الجبل، وقد عدى السلطان إلى سرحة كوم برا بالجيزة، فحملوا إلى هناك. وجلس لهم الأمير يلبغا الأتابك، وقام الأمراء والحجاب بين يديه وأدخلوا عليه فهالهم مجلسه، وظنوا أنه السلطان، فقيل لهم هذا مملوك السلطان. فكشفوا عن رءوسهم، وخروا على وجوههم يقبلون الأرض، ثم قاموا، ودنوا إليه وناولوه كتاب ملكهم، وقدموا هديته إليه، ففرق ذلك بحضرتهم فيمن بين يديه، واختار منه طشطا وأبريقاً من ذهب، وصندوقاً لم يعرف ما فيه. وتضمنت رسالتهم، أنهم في طاعة السلطان ومساعدوه على متملك قبرص، حتى ترد الأسرى، التي أخذت من الإسكندرية، ويعوض المال وسألوا تجديد الصلح، وأن يمكن تجارهم من قدوم الثغر، وأن تفتح كنيسة القيامة بالقدس، وكانت قد غلقت بعد واقعة الإسكندرية. فأجابهم، بأنه لابد من غزو قبرص، وتخريبها. ثم أخرجوا، فأقاموا بالوطاق ثلاثة أيام، وحملوا إلى دار الضيافة بجوار قلعة الجبل. فلما عاد السلطان من السرحة، وقفوا بين يديه، وقدموا هديتهم، وأدوا رسالتهم، فلم يجابوا، وأعيدوا إلى بلادهم خائبين.

12) المنصور علي بن الأشرف شعبان :

أقيم في السلطنة ، وأبوه حي، ولم يكن له من السلطنة سوى الاسم، والجلوس على التخت، وله نفقة كل يوم وجميع الامور بيد الامراء .

ثم توفي السلطان الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان ، ودفن ليلا بتربة جدته خوند بركة بالتبانة , فكانت مدة سلطنته خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوما، وعمُره نُحو اثنتي عشرة سنة .

حوليات المنصور علي بن الاشرف :

- يوم السبت، ثالث ذي القعدة أقيم في السلطنة ، المنصور علي وأبوه حي،
- فيه : قدم الأمير آقتمر الحنبلي من بلاد الصعيد. بمن كان معه، فتلقاه الأمراء، وأجلوا قدره، وقالوا له: " أنت نائب السلطان، والمتحدث عنه، وكلنا من تحت أمرك " ، فوافقهم ، ووقف بطلبه مع أطلابهم تحت القلعة.
- سنة تسع وسبعين وسبعمائة
- أهلت والأمراض في الناس فاشية، فتزايد الوباء في هذا الشهر، ومات جماعة من الناس بالطاعون.
- وفيها : وصل أولاد قلاوون من الكرك وهم الملك المنصور محمد بن حاجي ابن محمد بن قلاوون، وأولاد الناصر حسن وهم أحمد وقاسم وعلي واسكندر وموسى وإسماعيل ويوسف ويحيى وشعبان ومحمد، وأولاد حسن بن محمد بن قلاوون، وهم أنوك وأحمد وإبراهيم وجان بك ومحمد بن الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وقاسم

بن أمير علي بن يوسف، فأدخلوا بحريمهم وأولادهم إلى قلعة الجبل ليلا، وأنزلوا بدورهم منها.

- .وفيها نودي بالقاهرة ومصر " من كانت له ظلامة، فعليه بباب الأمير أينبك
- وفيها: أشيع بأن الأمراء تركب للحرب، فرسم للأمير حسين بن الكوراني وإلى القاهرة بقتل جماعة لإرهاب العامة، فأخرج عدة من خزانة شمايل قد وجب عليهم القتل، ونحرهم، ونودي عليهم " وهذا جزاء من يكثر فضوله. ويتكلم فيما لا يعنيه " . ثم وسطهم تحت القلعة.
- وفيها : أنزل الأمير أينبك بالسلطان من قصره إلى الأصيل، ودقت الكوسات حربيا، ليجتمع العسكر على العادة،
- وفيه ركب الأمير برقوق العثماني – وقت القايلة – في جماعة من أصحابه، وصعد إلى الإصطبل، وأنزل الأمير يلبغا الناصري منه، ونزعه من وظيفته، وسكن في موضعه من الأصطبل السلطاني، واستقر عوضه أمير أخور، واستقر بأخيه الأمير بركة الجوباني أمير مجلس، وأسكنه في بيت الأمير قوصون، تجاه باب السلسلة من الرميلة، واقتسما الحكم في الدولة بينهما.
- وفيه: نودي بالقاهرة ومصر: " من ظلم فعليه بباب الأمير طشتمر الأتابك " .
- وفيه خلع على الأمير برقوق، واستقر أمير أخور، وخلع على الأمير بركة، واستقر أمير مجلس.
- وفي شهر رجب: تردى الأمير قطلو أقتمر الطويل، من مكان بسجنه من الإسكندرية، فمات، وقيل إنه كان سكرانا، ومنه تفرعت الفتن التي نرد ذكرها، ودفن من الغد ولم يصل عليه أحد.

● وفيه: قدم الأمير أيتمش البجاسى إلى ثغر الإسكندرية، بالإفراج عن جميع الأمراء المعتقلين، ما عدا أربعة: الأمير أينبك، والأمير قطلو خجا، والأمير أسندمر الصرغتمشى، والأمير جركس الإلجاوي، وأفرج عنهم،

● وفيه: عزل قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة نفسه من وظيفة قضاء القضاة، وخرج إلى تربة كوكاى، بنية العود إلى القدس، بعد أن انجمع عن أهل الدولة، تورعا واحتياط لدينه، لما دهم الناس من تغير الأحوال، وحدوث ما لم يعهد، وتهاون القائمون بالدولة بالأمور الدينية

● وفي ذي الحجة: توحش ما بين الأمير الكبير طشتمر الأتابك، وبين الأمير برقوق أمير أخور، وأخذ الأمير برقوق في التعنت عليه حتى يخالفه، فيجعل ذلك سببا لإثارة الفتنة، وصار برسل إليه بأن ينفي فلانا من مماليكه عنه، فيمتثل إشارته وينفي ذلك المملوك قصدا لإخماد الفتنة، حتى بعث إليه هو والأمير بركة بأن يقبض على مملوكه رأس نوبته كمشبغا، ويخرجه منفيا، فلم يجد بداً من ذلك، وأمر به فقبض عليه. وجلس بعد صلاة العشاء من ليلة عرفة على عادته مع خواصه يتحدث، وإذا بمماليكه قد دخلوا عليه لابسين السلاح، وعنفوه على موافقة برقوق على مسك مماليكه، وأظهروا الغضب لذلك، وأرادوه أن يركب للحرب، فقام إلى حريمه وأغلق عليه بابه، فخرجوا عنه يدا واحدة، وركبوا خيولهم، ووقفوا تحت القلعة، فأمر برقوق بالكوسات فدقت، وركب هو والأمير بركة، ووقعت الحرب بينهم طول تلك الليلة إلى الصباح، فقتل جماعة، وجرح كمشبغا رأس نوبة طشتمر، مات منها بعد ذلك. وانكسرت بقية الطشتمرية، فخرج الأمير طشتمر من داره في يوم الخميس تاسع ذي الحجة – صبيحة الوقعة – وفي عنقه منديل، ومضى إلى الأمير برقوق، وهو قد تزوج

بابنته، فقبض عليه وعلى الأمير أطلمش الدوادار، والأمير بزلار، وأرغون – دوادار طشتمر – وألابغا رأس نوبته، وعلى أمير حاج بن مغلطاي، وبعثهم جميعا مقيدين إلى الإسكندرية، فسجنوا بها، وتتبع حواشي طشتمر، فقبض على طواشيه تقطاي – وكان قد قاتل تلك الليلة قتالاً شديداً – وقبض عدة من مماليكه أيضاً، نفاهم إلى قوص .

- وفيه: خلع على الأمير سيف الدين برقوق العثماني أمير آخور، واستقر أميراً كبيراً أتابك العساكر، عوضًا عن أبي زوجته، الأمير طشتمرالعلاي، وخلع على صديقه الأمير أيتمش البجاسي، واستقر عوضه أمير آخور

- سنة ثمانين و سبعمائة

- وفيها : مات الأمير أينبَك، مثيرالفتن، بسجن الإسكندرية، وصودرت زوجته وأخذ منها مال عظيم، فكان هذا مما استشنع فعله، فإنه لم تجر العادة بالتعرض للحرم.

- وفيها : وقع حريق عظيم خارج باب زويلة، احترق منه دكاكين الفاكهانيين والنقليين، والبرادعيين، والرابع المعروف بالدهيشة تجاه باب زويلة، وامتدت النار إلى سور القاهرة، فركب الأمير بركة الجوباني، والأمير أيتمش البجاسي، والأمير دمرداش الأحمدي، والأمير تغرى برمش حاجب الحجاب، وطفوه بأنفسهم ومماليكهم، فكان أمرا مهولا، أقامت النار فيه يومين، وخربت أماكن جليلة كبيرة، كانت من أبهج المواضع وأحسنها. وتحدث الناس أن هذا مبدأ خراب القاهرة، وكثر ذلك على الألسنة، فكان كذلك،

● وفيها : استدعى الأمير الكبير برقوق القضاة وشيوخ العلم، وتحدث معهم في حل الأراضي الأوقاف على الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك والزوايا والربط وعلى أولاد الملوك والأمراء وغيرهم وعلى الرزق الأحباسية، وكيف يجوز بيع أراضي مصر والشام الخراجية على بيت المال، وأحضرت أوراق. بما أوقف من بلاد مصر والشام، وبما تملك منها – ومبلغها في كل سنة مال كبير جداً – فلما قرئت على من قد حضر من الأمراء وأهل العلم، قال الأمير برقوق: " هذا هو الذي أضعف جيش المسلمين " . فقال قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء: " هما جيشان جيش الليل، وجيش النهار " ، فأخذ الشيخ أكمل الدين في الكلام مع الأميرين بركة وبرقوق في ذلك باللغة التركية، حتى غضبا منه، فقال بعضهم لشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني " لم لا تتكلم " فقال: " ما استفتاني أحد حتى أفتيه " . فأشار له الأمير برقوق أن يتكلم، فطال كلامه على عادته، وملخصه " أن أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك، التي هي على علماء الشريعة وفقهاء الإسلام، وعلى المؤذنين وأئمة الصلوات ونحو ذلك، لا يحل لأحد أن يتعرض بحلها بوجه من الوجوه، فإن للمسلمين حق لم يدفع إليهم، وإلا فانصبوا لنا ديوانا نحاسبه على حقنا، حتى يظهر لكم أن ما نستحقه أكثر مما هو موقوف علينا، وأما ما وقف على عويشة وفطيمة، واشترى من بيت المال بحيلة أن يؤخذ المال صورة ثم يعاد، فإنه يحتاج إلى أن ينظر في ذلك، فإن كان قد أخذ بطريق شرعي، فلا سبيل إلى نقضه، وإن كان غير ذلك نقض " . فقال ابن أبي البقاء: " يا أمراء، أنتم أصحاب الشوكة، والأمر لكم " . فقال له البلقيني " اسكت ما أنت وهذا " . فسأل الأمير بركة والأمير برقوق بن أبي البقاء " من أين يشتري السلطان هذا " فقال: " الأرض كلها للسلطان " . فقال له البدر

محمد بن البلقيني – قاضي العسكر – "كيف تقول هذا من أين للسلطان ذلك وإنما هو كآحاد الناس " . فقال البلقيني: " يا أمراء أنتم تأمرون القضاة، فإن لم يفعلوا ما ترسموا به عزلتموهم، كما جرى لشرف الدين بن منصور مع الملك الأشرف، لما لم يفعل له ما أراد، عزله " ثم انفضوا وأخرجوا عدة أوقاف وأقطعوها إقطاعات.

- وفيه وجد الأمير الكبير برقوق ورقة فيها " أن غلام الله يريد أن يكبس عليك في صلاة الجمعة.بمائتي عبد " فطلب غلام الله ورسم عليه وسجن بخزانة شمايل، ووقع التحرز بحيث أمر خطيب مدرسة السلطان في يوم الجمعة سابع عشرينه أن يعجل في الخطبة، وقبض على جماعة العبيد وكثر الأرجاف بكبس الجوامع – في يوم الجمعة هذا – وقتل العامة، فنودي بالأمان.
- وفي هذه الأيام كثر تخوف العامة من أن يركب عليهم الأمير بركة، ويبذل فيهم السيف ويقتلهم، وأغلقوا حوانيت معايشهم من أول الليل، ثم أمر والي القاهرة بقبض الزعر والعبيد، فتطلبهم بعدة مواضع، فازداد خوف العامة، حتى نودي على لسان الأمير الكبير برقوق بالأمان، وأن " من سخركم يا عوام اقبضوا عليه، واحضروا به إلى الأمير الكبير " فاطمئنوا، وكان برقوق دائما يقصد التحبب إلى العامة، ويذب عنهم، حتى أحبوه وتعصبوا له.
- سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة
- وفيها : حمل جهاز خوند ابنة الأمير طَشْتَمُر إلى الأمير الكبير برقوق،
- وفيها : ولد للأمير الكبير برقوق ولد ذكر من جاريته أَردو، فسماه، محمدا،
- وفيها : ركب الأميران بركة وبرقوق في عامة الأمراء، وسيرا إلى جهة قبة النصر خارج القاهرة، وعاد كل منهما إلى منزله، فمد الأمير برقوق سماط المهم

لولادة ولده محمد، وطلع إليه الأمير صراي الطويل الرجبي - من إخوة بركة - وأسر إليه فيما قيل بأن " الأمير بركة قد اتفق مع جماعته على اغتيالك في وقت صلاة الجمعة " فلما كان الغد يوم الثلاثاء ثامنه: أصبح بيت بركة خرابا نبابا قد نهبت العامة أخشابه ورخامه، وهدمت عدة مواضع منه، و لم تدع فيه إلا الجدر القائمة، ولا يجد به مالاً، ولا حريما، فإنه كان قد استعد للحرب، ووزع حريمه وأمواله في عدة أماكن.

- وفيه نادى الأمير برقوق في العامة " من قبض على مملوك من مماليك بركة كان له ماله ولنا روحه " . ثم نودي من آخر يوم الجمعة في القاهرة بالأمان، ونودي " يا عوام إن كنتم راضين بمحتسبي القاهرة ومصر وإلا عزلنا هما " . فطلع جمع من الغوغاء إلى تحت القلعة وصاحوا " ما نرضى بهما " فرسم بعزلهما.
- وفيها : صار أرباب الدولة كلهم جراكسة من أتباع الأمير الكبير برقوق.
- وفيها : قدم البريد بوصول آنص - والد الأمير الكبير برقوق - صحبة الخواجا عثمان بن مسافر، فركب الأمير الكبير إلى لقائه وخرج معه عامة العسكر من الأمراء والأجناد، وجميع أرباب الدولة من القضاة والوزراء والأعيان
- وفي يوم الأحد ثالث عشرينه: توفي السلطان الملك المنصور علي

13) الصالح حاجي بن الأشرف شعبان :

اضطر برقوق الى تنصيب اكبر ابناء الاشرف وهو الامير حاجي صاحب الست سنين وبايعه الخليفة واقسم له الامراء على الطاعة ولقب بالملك الصالح كما تقلد برقوق منصب الاتابك .

ثم سريعا ما جمع الأمير الكبير برقوق الأمراء والقضاة ومشايخ العلم، وأهل الدولة، والخليفة، وعرفهم أن الأمور مضطربة لصغر سن السلطان، وقلة حرمته، وأن الوقت محتاج إلى ملك عاقل يستبد بأحوال الدولة، ويقوم بأمور الناس، وينهض بأعباء الحروب والتدبير.

فاتفقوا جميعهم على خلع الملك الصالح حاجي، وبعثوا في الحال بالأمير قُطلوبُغا الكوكاي والأمير ألطُنبُغا المعلم , فقبضا على الملك الصالح من القصر، وأدخلاه إلى دور الحرم، وأخذا منه نمجاة الملك، وعادا بها .

فانقضت دولة الأتراك من مصر، وزالت دولة بني قلاون، وزالت دولتهم، وبه ختمت ملوكهم، فسبحان محيل الأحوال، لا إله إلا هو.

(المقريزي – السلوك)

- في يوم الإثنين رابع عشرين شعبان اجتمع الأمير الكبير برقوق والأمراء ، واستدعوا الخليفة وقضاة القضاة إلى باب الستارة، وأحضر إليهم أولاد الملك الأشرف شعبان، وهم إسماعيل وأبو بكر وحاجي، فوقع الاختيار على حاجي – فإنه أكبرهم – فحلفوا له، وبايعه الخليفة
- وفيه رسم بقطع ما تكاثر من الأتربة وغيرها بالشوارع المسلوكة، حتى علت الطرقات بالقاهرة ومصر، وندب الأمير مأمور الحاجب لذلك، فقطعت بالمساحر، ونقل ما خرج منها إلى الكيمان.
- وفي هذه الأيام: ساق الأمير جركس الخليلي ماء النيل إلى الميدان تحت القلعة، وصُب في الحوض الذي على بابه بالرميلة، فعم النفع به سكان تلك الجهات . وكان

له نحو من سبعة سنين لم يجر فيه ماء.

- وفي هذا الشهر: قرئ صحيح البخاري بالقصر من قلعة الجبل، كما هي العادة من عهد الملك الأشرف شعبان بن حسين

- وفيها : مات أمير أحمد بن الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاون،

- وفيها : مات الأمير آنص والد الأمير الكبير برقوق

- وفيها : مات خواجا فخر الدين عثمان بن مسافر، جالب الأمير الكبير برقوق. وإليه ينسب فيقال برقوق العثماني، في سادس عشر رجب بالقاهرة، وشهد الأمير الكبير جنازته.

- وفيها : توفْيت المسندة جويرية بنت الشهاب أبي الحسن أحمد بن أحمد الهكاري، في يوم السبت ثاني عشرين صفر. وقد انفردت برواية النسائي وغيره.

- سنه أربع وثمانين وسبعمائة

- وفيها : رسم الأمير الكبير بإطلاق من في سجني الديلم والرحبة من المديونين، فأفرج عنهم جميعهم، وأغلق باب السجنين، ومنع القضاة من سجن أحد على دين، لما بالناس من الغلاء ووقوف الحال، فاشتدت وطأة الحجاب على الناس بالضرب على الديون، وترسيم نقبائهم على من في ذمته دين.

- وفيه عمل الأمير جركس الخليلي طاحوناً في مركب عند بسطة المقياس، يديرها الماء برسم طحن القمح دقيقاً فأتى الناس من كل جهة لرؤيتها .

- وفيه نقل عن مماليك الأسياد الذين في خدمة الأمير الكبير برقوق، أنهم قد اتفقوا مع طائفة من مماليكه على أن يفتَكوا به وكبيرهم في ذلك أيتمش الخاصكي. فعندما

بلغه ذلك، بادر بالقبض على المذكور، وعلى بطا الخاصطي واستدعى من في خدمته من مماليك الأسياد أولاد الأشرف، وقبض على سبعة عشر من أعيانهم، وسجنهم في البرج من القلعة. وأصبح فقبض منهم على تكملة خمسة وستين، وسجنهم بخزانة شمايل، مقيدين، فهرب من بقي من مماليك الأسياد، فنودي في القاهرة عليهم، وهدد من أخفاهم.

● وخلا الجو للأمير الكبير، ورأى أنه قد أمن، فإنه لما أخذ الإمرة في أيام الأمير أَينَبَك كان معه في ضيق ؛ لأن نفسه تريد منه ما لا يؤهل له. فلما زالت دولة أينبكَ، وتحكم الأمير طَشتَمُر ، لم يكن له معه كبير أمر، فما زال بَطشَتمر حتى أزاله، وصار هو والأمير بركة يتنازعان الأمور، ولا يقدر على عمل شيء إلا بمراجعة بركة، حتى كان من أمره ما قد كان، فصارت مماليك الأسياد يريدون التوثب عليه وهو يداريهم جهده، حتى وثب بهم وأخذهم، فلم يبق له معاند وصار له من المماليك الجراكسة عدد كبير جلبوا إليه من البلاد فرقاهم إلى ما لم يخطر لهم ببال، وأنعم على جماعة منهم بإمريات.

● وفي يوم الأربعاء تاسع عشره: جمع الأمير الكبير برقوق الأمراء والقضاة ومشايخ العلم، وأهل الدولة، والخليفة وعرفهم أن الأمور مضطربة لصغر سن السلطان، وقلة حرمته، وأن الوقت محتاج إلى ملك عاقل يستبد بأحوال الدولة، ويقوم بأمور الناس، وينهض بأعباء الحروب والتدبير ونحو ذلك. فاتفقوا جميعهم معه على خلع الملك الصالح حاجي، وبعثوا في الحال بالأمير قُطلوبُغا الكوكاي – أمير سلاح – والأمير ألطُنبُغا المعلم – رأس نوبة – فقبضا على الملك الصالح من القصر، وأدخلاه إلى دور الحرم، وأخذا منه نمجاة الملك، وعادا بها،

- فانقضت دولة الأتراك من مصر، وزالت دولة بني قلاون، وبه ختمت ملوكهم، فسبحان محيل الأحوال، لا إله إلا هو.

جدول سلاطين المماليك البحرية

السلطان	تاريخ السلطنة ميلادي	تاريخ السلطنة هجري	نائب السلطنة	مدة الحكم
المعز عز الدين أيبك التركماني	1250 1257-	648هـ - 655هـ	ايديكين البندقداري	ست سنوات وتسعة أشهر
المنصور نور الدين علي بن ايبك	-1257 1259	655هـ - 657هـ	قطز	سنتان و 7 أشهر
المظفر سيف الدين قطز	1259 1260-	657هـ - 658هـ	قطز	احدى عشر شهرا
الظاهر ركن الدين بيبرس	1260 1277-	658هـ - 676هـ	بدر الدين بيليك الخزندار	ستة عشر سنة وثمان شهور
السعيد ناصر الدين بركة خان	1277 1279-	676هـ - 678هـ	كوندك	سنتان و30 يوم
العادل بدر الدين سلامش	1279 1279-	678هـ/ 678هـ		ثلاثة أشهر
المنصور سيف الدين قلاوون	1279 1290-	678هـ/ 689هـ	كتبغا-طرنطاي	احدى عشر سنة
الأشرف صلاح الدين خليل	1290 1293-	689هـ - 693 هـ	بيدرا	ثلاث سنوات وشهر واحد
الناصر ناصر الدين محمد	1293 1294-	693هـ - 694هـ	الشجاعي - كتبغا	سنة واحدة

العادل زين الدين كتبغا	1294 -1296	694هـ - 696هـ	حسام الدين لاجين	سنتان
المنصور حسام الدين لاجين	1296 -1298	696هـ - 698هـ	منكوتمر - قراسنقر	سنتان و3 أشهرٍ
الناصر ناصر الدين محمد	1298 -1308	698هـ - 708هـ	سلار	عشر سنوات
المظهر ركن الدين بيبرس	1308 -1309	708هـ 709هـ	سلار	سنه واحدة
الناصر ناصر الدين محمد	1309 -1340	709هـ - 741هـ	بيبرس المنصوري- بكتمر الجكندار- ارغون الناصري	ثلاثون سنة
المنصور سيف الدين أبو بكر	1340- 1341	741هـ - 742هـ	طقزدمر الحموي	شهور
الأشرف علاء الدين كجك	1341 -1342	742هـ - 742هـ		شهور
الناصر شهاب الدين أحمد	1342 -1342	742هـ - 743هـ	أقسنقر السلاري- طشتمر حمص أخضر	شهور
الناصر عماد الدين إسماعيل	1342 -1345	743هـ - 746هـ	أقسنقر السلاري-الحاج آل ملك	ثلاثة سنوات

الكامل سيف الدين شعبان	1345 -1346	746هـ - 747هـ	ارغون العلائي	سنة
المظفر سيف الدين حاجي	1346 -1347	747هـ - 748هـ	أرقطاي	سنتان
الناصر ناصر الدين حسن	1347- 1351	748هـ - 752هـ	بيبغا روس -أرغون تتر	ثلاث سنوات
الصالح صلاح الدين صالح	1351- 1354	752هـ- 755هـ	قبلاي	سنتان
الناصر ناصر الدين حسن	1354 -1361	755هـ - 762 هـ	أسندمر	سبع سنوات
المنصور صلاح الدين محمد	1361 -1363	762 هـ- 764هـ	قَشتمر المنصوري	ثلاث سنوات
الأشرف ناصر الدين شعبان	1363 -1376	764هـ - 778هـ	منجك اليوسفي	اربع عشر سنة
المنصور علاء الدين علي	1376 -1381	778هـ 783 هـ	آقتمر الحنبلي	خمس سنوات
الصالح صلاح الدين حاجي	1381 -1382	783 هـ - 784هـ		سنة

المحتويات :

الباب الرابع " الدولة القلاوونية "

الباب الخامس : عصر الناصر محمد

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

الفصل السادس

الباب السادس : عصر اولاد الناصر واحفاده